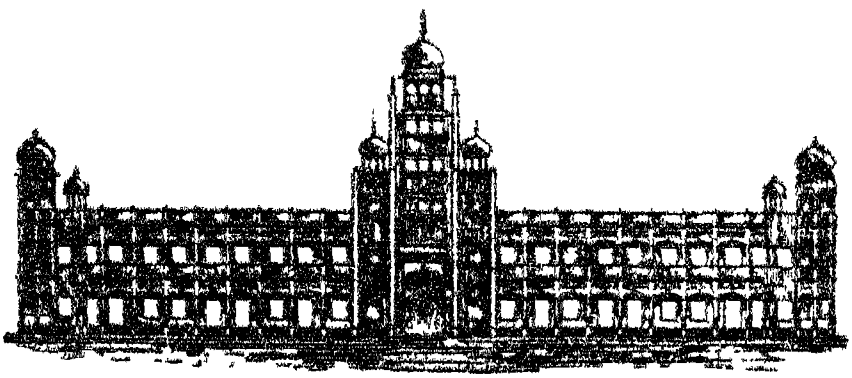
المجلد (26) ⊙ رجب ١٤١٤هـ
العدد [illegible] ⊙ [illegible] ١٩٩٤م

صوت الأمة

مجلة شهرية اسلامية أدبية

انشئت عام ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م

دعوتنا : عودة بالامة الى الكتاب والسنة



دار التأليف والترجمة بنارس الهند

محتويات العدد

صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٦)	رجب المرجب ١٤١٤ هـ
العدد الأول	يناير ١٩٩٤ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١/١٨ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi – 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI – 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٥٠ روبية ، فى الخارج ٣٢ دولارا (بالبريدالجوى) ١٢ دولارات (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٤/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٠٩٥٨/٣٢٢١١٦ فاكس : ٢٢٣٩٨٠

◎ المنشور لا يعبر إلا عن رأى كاتبه ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق ووعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .

◇ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .

◇ التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

هدى القرآن — آية وتفسير

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين — إلى قوله — وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ (البقرة : ٩) .

« النفاق » هو اظهار الخير واسرار الشر وهو نوعان : اعتقادي ، وهو الذي يخلد صاحبه فى النار أبدا . وعملى : وهو من أكبر الذنوب ، وإن النفاق لم يكن فى مكة وكان فى أهل المدينة من قبيلتى الأوس والخزرج واليهود ، وقد نبه الله سبحانه على المنافقين لئلا يغتر المؤمنون بظاهر أمرهم ، ويقع فساد عريض من اعتقاد ايمانهم وهم فى الحقيقة كفار ، ولهذا فمن المحذور أن يظن جزما بأهل الفجور خير فقال تعالى : (ومن الناس من يقول أمنا الآية) كما قال تعالى : ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله﴾ أى إنما يقولون بأفواههم ، كما قال تعالى : ﴿والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ ويقول : (وما هم بمؤمنين) ، وقوله تعالى : (يخادعون الله) أى يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله بقولهم (آمنا) ظانين إن ذلك نافعهم عنده وإنه يروّج عليه كما قد يروج على بعض المؤمنين ، فقال الله تعالى : (وما يخدعون إلا أنفسهم) أى إذا كان خداع للمؤمنين فى عاجل الدنيا فهو لنفسه بذلك خادع ، لأنه يظهر لها بفعله ذلك بها . إنه يعطيها أمنيتها ، ويسقيها كأس سرورها وهو موردها حياض عطبها ، ومجرعها كأس عذابها ، وموقعها فى غضب الله ما لا قبل لها به ، فذلك خديعة المنافق نفسه .

(ملخصا من تيسير العلى القدير)

(اعداد : اصغر على السلفى)

فقه السنة | حديث وشرح

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : «عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب . فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال العبد يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (رواه البخاري ومسلم والترمذى وغيرهم) .

قد حث رسول الله ﷺ المؤمنين أن يلزموا الصدق وهو الإخبار على وفق ما فى الواقع فإن ملازمة الصدق مداومته يهدى صاحبه إلى البر ، والبر اسم جامع للخيرات من اكتساب الحسنات واجتناب السيئات ويطلق على العمل الخالص الدائم المستمر معه إلى الموت وإن البر يهدى إلى الجنة ، قال ابن بطال : مصداقه فى كتاب الله تعالى ﴿إن الأبرار لفى نعيم﴾ وما يزال الرجل يصدق فى قوله وفعله ويبالغ ويجتهد فى الصدق حتى يثبت عند الله صديقا أى مبالغا فى الصدق ، وفى الحديث اشعار بحسن خاتمته وإشارة إلى أن الصديق يكون مأمون العاقبة . وقد حذر ﷺ من الكذب الذى يهدى إلى الفجور ، وهو اسم جامع للشر حتى يكتب عند الله كذابا ، قال الحافظ : المراد بالكتابة الحكم عليه بذلك واظهاره للمخلوقين من الملأ الأعلى وإلقاء ذلك فى قلوب أهل الأرض ، قال النووى : قال العلماء : فى هذا الحديث حث على تحرى الصدق والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه فانه إذا تساهل فيه كثر منه فيعرف به .

(ملخصا من تحفة الأحوذى ٦ / ١٠٧)

(اعداد : اصغر على السلفى)

مشروع خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
لتوسعة المسجد الحرام والمسجد النبوى

++++++++++++++++++++++++++++++++++++

قامت المملكة العربية السعودية بتنفيذ مشروعات عمرانية وحضارية عملاقة، ولكن اعظمها شموخا، وأجلها قدراً، واعلاها منزلة على الاطلاق، هو مشروع الملك فهد بن عبد العزيز لتوسعة وعمارة الحرمين الشريفين.

ولقد كان تنفيذ هذا المشروع الذى فيه مرضاة لله عز وجل، وخدمة الاسلام والمسلمين مأمولا ومتوقعا من الملك فهد بن عبد العزيز الذى اتخذ لنفسه لقب «خادم الحرمين الشريفين» وهو اللقب الذى يحبه ويفضله على سائر الأسماء والألقاب.

ومنذ اللحظة التى أصدر فيها خادم الحرمين الشريفين أمره بتنفيذ هذا المشروع التاريخى، كان حريصا بالرغم من مسئولياته الجسيمة، على أن يولى هذا المشروع الجليل كل جهد ورعاية واهتمام ومتابعة، حتى غدا هذا الصرح الاسلامى الفريد حقيقة واقعة، وشاهداً ملموساً على أعماله الجليلة، وترجمة أمينة لرغبته الصادقة فى التقرب الى الله تعالى واعلاء شأن الاسلام وخدمة المسلمين.

وليس هذا بغريب على خادم الحرمين الشريفين، الذى اقتدى بوالده الملك عبد العزيز الذى أرسى دعائم دولة راسخة البنيان تقوم على تطبيق احكام

الشريعة الاسلامية المطهرة ، وتؤمن الحاج على نفسه وماله وتمكنه من أداء فريضة الحج بكل طمأنينة ويسر وسهولة .

ولقـــد تضاعفت جهود المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين فى السهر على راحة حجاج بيت الله الحرام وعماره وزوار المسجد النبوى الشريف حيث سخرت لهم الدولة كافة إمكاناتها وطاقاتها فى مختلف المرافق وفى توسعة الحرمين الشريفين التى لم يشهد لها التاريخ مثيلا من قبل ، وفى شق الطرق والأنفاق وإقامة الجسور وتوفير المياه المبردة والمستشفيات المتنقلة ، وفى تأمين وسائل الاتصالات الحديثـــة وكذلك المساكن المريحة المزودة بمختلف الخدمات ووسائل النقل ، وتسهيل اجراءات الدخول والمغادرة عبر نوافذها البرية والبحرية والجوية مما استحقت معه المملكة الثناء والدعاء من كل مسلم وحاج ومعتمر من جميع ارجاء المعمورة . ولم يكن مشروع الملك فهـــد بن عبد العزيز لتوسعة الحرمين الشريفين والساحات المحيطـــة بهما إلا نموذجا رائعا لتلك الرعايـــة والاهتمام بضيوف الرحمن .

توسعة وعمـارة الحرم المكى الشريف :

تتضمن توسعة المسجـد الحرام بمكة المكرمة اضافة جزء جديد على مبنى المسجـد الحالى من الناحية الغربية فى منطقة السوق الصغير ، بين باب العمرة وباب الملك .

وتبلغ مساحة ادوار مبنى التوسعة (٥٧،٠٠٠) م٢ موزعة على الدور الأرضى والدور الأول والبدورم . وهناك أيضا مساحـــة السطح التى تبلغ (١٩،٠٠٠) م٢ ، وبذلك تصبح المساحـــة الاجماليـــة لمسطحات التوسعـــة (٧٦،٠٠٠) م٢ تتسع لحوالى (١٩٠،٠٠٠) مصل إضافى .

و يشمل المشروع تجهيز الساحات الخارجية ، ومنها الساحة المتبقية من جهه السوق الصغير والساحـــة الواقعـــة شرق المسعى بمساحـــة إجماليـــة تبلغ (٥٩،٠٠٠) م٢ تكفى لاستيعاب (١٣٠،٠٠٠) مصل .

وتصبح بذلك مساحـــة المسجد الحرام شاملة مبنى المسجـــد بعد توسعته والأسطح وكامل الساحات (٣٢٨،٠٠٠) م٢ تتسع لحوالى (٧٣٠،٠٠٠) مصل فى الأيام العادية ، وأما فى أوقات الحج والعمرة ورمضان فيزيد استيعاب الحرم ليصل إلى أكثر من مليون مصل .

المداخل (الرئيسية و العادية) :

كما يضم مبنى التوسعة مدخلا رئيسيا جديداً و (١٨) مدخلا عادياً ، هذا بالاضافة الى مداخل المسجد الحرام الحالية والبالغ عددها (٣) مداخل رئيسية و (٢٧) مدخلا عادياً ، وقد روعى فى التصميم انشاء مدخلين جديدين للبدورم إضافة إلى المداخل الأربعة الحالية .

المآذن :

ويتضمن مبنى التوسعة أيضا مئذنتين جديدتين بارتفاع (٨٩) متراً تتشابهان فى تصميمهما المعمارى مع المآذن الحالية البالغ عددها سبع مآذن .

السلالم المتحركة :

ولتسهيل وصول أفواج المصلين الى سطح التوسعة فى المواسم تم اضافـة مبنيين للسلالم المتحركة ، أحدهما فى شمال مبنى التوسعة والآخر فى جنوبه ، ومساحة كل منها (٣٧٥) متراً مربعاً .. ويحتوى على مجموعتين من السلالم المتحركة طاقة كل مجموعـــة (١٥،٠٠٠) شخص فى الساعة ، اضافة الى مجموعتين من السلالم المتحركة داخل حدود المبنى على جانبى المدخل الرئيسى للتوسعة . و قـــد صممت

السلالم المتحركة . بحيث تستطيع بالإضافــة إلى الأدراج الثابتة وعددها (٨) خدمة حركة الحجاج والمصلين فى أوقات الذروة ولا سيما كبار السن منهم دون عناء . وبذلك يصبح اجمالى عدد مبانى السلالم المتحركة (٧) مبانى تنتشر حول محيط الحرم والتوسعة لخدمة الدور الأول والسطح .

مياه زمزم :

و قد أقامت حكومـــة خادم الحرمين الشريفين مشروعات خاصة بسحب مياه زمزم المباركة وتبريدها وتوزيعها .

و تنتشر شبكة توزيع مياه زمزم المبردة فى أروقة المسجد ، فمنها ما يكون فى حافظات ومنها ما يكون فى مجمعات من خزانات ، ومنها عبر صنابير الشرب .

التهوية والاضاءة والصوت :

و فيما يتعلق بالتهويـة والاضاءة والصوت فى المسجد الحرام ، فقد حدثت توسعات هائلة ، كأعمال الكهرباء سواء للاضاءة أو التهويـــة أو الصوت ، إذ بلغت اللمبات العاملـــة فى المسجد الحرام أكثر من (٥٧،٠٠٠) لمبة تبلغ قوة بعضها (٢٥٠٠) شمعة .

كل ذلك بالاضافـــة إلى آلاف السماعات والنجفات والمراوح والساعات ومكبرات الصوت — فى الساحات والمنارات والمصاعد والسلالم الكهربائية — وأجهزة التكييف .

أماكن الوضوء و دورات المياه :

وتتوزع فى ساحات المسجد الحرام أماكن الوضوء ودورات المياه حيث يبلغ عددها (٢٠٠٠) حمام و (٢٠٠٠) مكان لصنابير الوضوء بجهزة

تماماً لمستخـــدميها . ويستهلك فى أيام الذروة (٢٥٠٠٠) م٣ من المياه فى اليوم الواحد .

المفتون والوعاظ والمكتبة :

وقد خصصت أمكنة يجد فيها كل حاج أو معتمر أو زائر غايته فى طلب الفتوى أو السؤال فى أمر شرعى بدون مشقة ، حيث يوجد أكثر من (٣٠) حلقة درس ووعظ وارشاد فى المسجد الحرام يقوم عليها علماء أجلاء متخصصون فى العلوم الشرعيـــة . كما تستقبل مكتبة الحرم الشريف زوارها للاطلاع على ما تحويه من تراث عظيم .

تكلفة مشروع توسعة الحرم المكى الشريف :

وقد بلغت تكلفة مشروع خادم الحرمين الشريفين (لتوسعة الحرم المكى الشريف) فقط (٧٠٠٠) مليون ريال .

تكلفة المشروعات الأخرى بمكة والمشاعر :

وقامت وزارة المواصلات بتنفيذ عدد من المشروعات بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة و الطرق المؤدية اليها استكمالا لتوسعة الحرم المكى الشريف . وبلغت التكلفة الاجمالية لهذه المشروعات (١٠٠٠٠) مليون ريال .

توسعة وعمارة المسجد النبوى الشريف :

وفى شهر صفر عام ١٤٠٦هـ بدأ العمل فى تنفيذ مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة وعمارة المسجد النبوى الشريف وما يتبعه من ساحات ومواقف للسيارات تحت الأرض ومحطات ومبان للخدمات .

ويتضمن المشروع إضافة مبنى جديد على مبنى المسجد الحالى ، يحيط ويتصل به من الشمال والشرق و الغرب بمساحـــة مقدارها (٨٢٠٠٠) م٢ تستوعب

(١٣٧،٠٠٠) مصل . وبذلك تصبح المساحة الاجمالية للدور الأرضى فى المسجد النبوى (٩٨،٥٠٠) م٢ تستوعب (١٦٧،٠٠٠) مصل ، وسوف تتم الاستفادة من سطح التوسعة للصلاة بمساحة قدرها (٦٧،٠٠٠) م٢ تستوعب (٩٠،٠٠٠) مصل ، و بذلك سوف يتسع المسجد النبوى الشريف بعـــد التوسعة لأكثر من - (٢٥٧،٠٠٠) مصل ضمن مساحة اجمالية تبلغ (١٦٥،٥٠٠) م٢ ، كما تتضمن أعمال الانشاء دوراً سفلياً (بدروم) بمساحة الدور الأرضى بالتوسعة وذلك لاستيعاب تجهيزات التكييف والتهوية .

المداخل والبوابات :

كما تشتمل التوسعة على (٧) مداخل رئيسية يتألف كل منها من (٧) بوابات وهناك مدخلان من الناحية الجنوبية ، يتألف كل منهما من بوابتين . هذا بالاضافة إلى (٦) بوابات جانبية وبذلك يصبح عدد البوابات (٥٩) بوابة اضافـــة إلى (٨) بوابات لمداخل و مخـــارج السلالم المتحركة التى تخدم سطح المسجد المخصص للصلاة جنباً إلى جنب مع (١٨) سلماً داخلياً فضلا عن سلالم الخدمة .

المـآذن :

وسيكون للمسجد النبوى الشريف بعد التوسعة (١٠) مآذن منها (٦) مآذن جديدة ارتفاع كل منهـا (٩٩) متراً ، يضاف إلى ذلك ارتفاع الهلال ليصبح الارتفاع (١٠٥) م أى بزيادة ٣٣ متراً عن ارتفاع المـآذن الحالية .

القبـاب :

كما سيكون للمسجد النبوى الشريف (٢٧) قبة على مساحة (١٨ × ١٨) متراً يتم فتحها واغلاقها بطريقة كهربائية .

توسعة المناطق المحيطة بالمسجد النبوى الشريف :

أما بالنسبة لتوسعة وتطوير المنطقة المحيطة بالمسجد النبوى الشريف فتشمل عناصر هذا التطوير ساحات الصلاة المحيطة بالمسجد والطرقات ومواقف السيارات تحت الأرض والمرافق التجارية والحكومية وغيرها من التسهيلات المعدة لخدمة زوار المسجد النبوى الشريف كالمواضيء ودورات المياه .

وتبلغ مساحة الساحات المحيطة بالمسجد (٢٣٥،٠٠٠) م٢ وسوف تغطى هذه الساحات بالرخام وفق أشكال هندسية اسلامية وبألوان مختلفة . وسوف يستعمل قسم كبير من هذه الساحات للصلاة أيام الجمع والمواسم .

وتبلغ المساحة المخصصة للصلاة حوالى (١٣٥،٠٠٠) م٢ بامكانها استيعاب (٢٥٠،٠٠٠) مصل . وفى حالة استعمال كامل المساحة يزداد عدد المصلين إلى (٤٠٠،٠٠٠) مصل ، كما يجعل الطاقة الاستيعابية لكامل المسجد والساحات المحيطة به تزيد عن (٦٥٠،٠٠٠) مصل .

أما فى أوقات العمرة والحج ورمضان فيزيد استيعاب المسجد النبوى الشريف ليصل الى أكثر من مليون مصل .

مواقف السيارات والجسور والخدمات :

وبالنسبة لمواقف السيارات فتقع تحت الساحات المحيطة بالمسجد النبوى الشريف وتتكون من دورين تبلغ مساحتهما الاجمالية حوالى (٣٩٠،٠٠٠) م٢ تتسع لحوالى (٤٠٠٠) سيارة .

وقد روعى فى تصميم هذه المواقف فصل حركة السيارات عن حركة المشاة والمصلين بما يتلاءم مع متطلبات الصلاة والعبادة .

ويتكون مشروع مواقف السيارات من (١١) وحدة تفصل بينها مبانى

الخدمات . و تتألف كل وحدة من (٥) جسور للدور الواحد ، وتبلغ مساحة الجسر الواحد (١٦٠) م٢ ، واجمالى عدد الجسور (١١٠) جسور بالاضافة إلى جسور أخرى فى مناطق المنحدرات والمنزلقات الداخلية بالقرب من المداخل والمخارج الرئيسية ، وسوف تكسى حوائط مبانى الخدمات بالرخام .

كما يشتمل مشروع مواقف السيارات على (١٥) وحدة للخدمات تتكون كل وحدة من (٤) أدوار ، وتشمل هذه الوحدات خزانات و (٢٧٣٠) حماماً و (٦٣١٤) نقطة للوضوء و (٧٥٨) نقطة مياه للشرب .

كما تشمل مبانى مواقف السيارات (٢٧) وحدة خاصة تضم مراكز للأمن وعيادات و وحدات طبية ومراكز للدفاع المدنى وغرف تحكم .

كما توجد بالمشروع (١١٦) سلماً كهربائيا ، و (٣٠) سلما عادياً تصل مواقف السيارات بالساحات المحيطة بالمسجد النبوى الشريف .

تكاليف المشروع :

وقد بلغت التكاليف الاجماليـة لمشروع توسعة و عمارة المسجد النبوى الشريف أكثر من (٦٠٠٠) مليون ريال سعودى ؟

★

التوجيه الاسلامي :

واجب الشباب المسلم المثقف اليوم

++++++++++++++++++++++++++++++++

علامة الشام المحدث محمد ناصر الدين الألباني
++++++++++++++++++++++++++++++

لست أريد من كلمتي هذه ان أحملكم على أن تكونوا جميعاً أئمة مجتهدين، وفقهاء محققين — وإن كان ذلك يسرني كما يسركم — إذ أن ذلك غير ممكن عادة لضرورة اختلاف الاختصاصات، وتعاون المتخصصين بعضهم مع بعض وإنما أردت منها أمرين اثنين :

الأول : أن تنتبهوا لأمر خفي على كثير من الشباب المؤمن المثقف اليوم فضلا عن غيرهم، وهو أنهم في الوقت الذى علموا فيه بفضل جهود وكتابات بعض الكتاب الإسلاميين، مثل سيد قطب رحمه الله تعالى والعلامة المودودى رحمه الله تعالى وغيرهما، أن حق التشريع إنما هو لله تعالى وحده لا يشاركه فيه أحد من البشر أو الهيئات، وهو ما عبروا عنه بـ «الحاكمية لله تعالى» وذلك صريح تلك النصوص المتقدمة في أول هذه الكلمة من الكتاب والسنة.

أقول في الوقت هذا نفسه فإن كثيراً من هؤلاء الشباب لم يتنبه بعد أن المشاركة المنافية لمبدأ الحاكمية لله تعالى، لا فرق فيها بين كون البشر المتبع من

دون الله مسلماً أخطأ فى حكم من أحـكام الله ، أو كافراً نصب نفسه مشرعاً مع الله ، وبين كونـه عالماً أو جاهلا ، كل ذلك ينافى المبدأ المذكور الذى أمن به الشباب والحمد الله تعالى ، فهذا الذى أردت لكم أن تنتبهوا له وأذكركم به . « فإن الذكر تنفع المؤمنين » فقـد سمعت كثيراً منهم يخطب بكل حماس وغيرة إسلاميـــة محمودة ليقرر أن الحاكمية لله وحده ، ويضرب بذلك النظم الحاكمة الكافرة ، وهـذا شيء جميل ، وإن كنا الآن لا نستطيع تغييره ، بينما هناك فى نفوس الكثيرين منا ما ينـافى المبدأ المذكور ، ومن الميسور تغييره ، لا ننبه المسلمين عليـــه ولا نذكرهم به ، ألا هو التدين بالتقليد ورد نصوص الكتاب والسنة به ، فهذا الخطيب المتحمس نفسه لو نبهته إلى مخالفة منه وقعت لآية أو حديث ، ركن فوراً إلى الاحتجـاج بالمذهب دون أن يتنبه — مع الأسف الشديد — أنه بعمله هذا ينقض ذلك المبدأ العظيم الذى دعا الناس إليه ! والله عز وجل يقول : « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحـــكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنـا وأولئك هم المفلحون » فكان عليه أن يبادر إلى التسليم بما سمع من الذكر والدليل ، لأنـــه هو العلم ، ولا يلجأ إلى التقليد لأنه هو الجهل .

والأمر الآخر : أن تحققوا فى نفوسكم مرتبـــة واجبة ممكنة ميسرة لكل مسلم ولو بقـــدر ، هى دون مرتبة الاجتهاد والتحقيق التى لا ينهض بهـا إلا خواص الرجال ، وهى مرتبـــة اتباع الرسول ﷺ ، وافراده بذلك ، كل منكم حسب طاقته ، فكما أنكم توحدون الله تعـــالى فى عبادتكم ، فكذلك تفردون

رسول الله ﷺ فى اتباعكم، فمعبودكم واحد، ومتبوعكم واحد.

واعلموا أنكم بذلك فقط لا بغيره تحققون علما وعملا المبدأ القائل: «لا إله إلا الله منهج حياة» و «الحاكمية لله وحده تبارك وتعالى»، وبدون ذلك يستحيل أن نوجد «الجيل القرآنى الفريد» الذى — هو وحده — يستطيع أن ينشىء «المجتمع المسلم وخصائصه» وبالتالى الدولة المسلمة المنشودة، مصداقاً للحكمة الصادقة التى قالها أحد الدعاة الإسلاميين الكبار رحمه الله تعالى: «أقيموا دولة الإسلام فى قلوبكم، تقم لكم على أرضكم» وعسى أن يكون ذلك قريباً.

«يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون». (مخيم الرباط)

ابو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى
(٤٠٧ — ٤٩٠ ﻫ)

(٢) ثقافته المتنوعة وآثاره الخالدة

الدكتور محمد إبراهيم محمد هارون
الجامعة السلفية، بنارس

نصر المحدث

إن أبا الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى — رحمه الله — إلى جانب براعته وإلمامه بعلم الفقه، واستنباط المسائل الفقهية من مصادرها الأصلية، كانت له مشاركة طيبة ونصيب وافر فى مجال الحديث وعلومه.

فقد وصفه كل من ابن الأبار والذهبي واليافعى وابن العماد الحنبلى « بالمحدث »(١).

وكان له إلمام تام ورأى صائب فى علوم الحديث ومصطلحه، يعتمد على قوله فى الباب، وينقل رأيه فى كتب الفن ويدل على ذلك ما ذكره: أبوعمرو ابن الصلاح والحافظ العراقى، وزين الدين زكريا الانصارى، بأنه كان من المجيزين الرواية بالاجازة بما يرويه إجازة.

(١) انظر: المعجم (٢٠٨)، العبر فى خبر من غبر (٢ / ٣٦٣)، مرآة الجنان (٣ / ١٥٢)، شذرات الذهب (٣ / ٣٩٥).

قال أبوعمرو بن الصلاح فى مقدمته : « النوع السابع من أنواع الاجازة اجازة المجاز ، مثل أن يقول الشيخ أجزت لك مجازاتى ، أو أجزت لك رواية ما أجيز لى روايته ، فمنع من ذلك بعض من لايعتد به من المتأخرين ، والصحيح والذى عليه العمل أن ذلك جائز .

إلى أن قال : وحكى الخطيب الحافظ تجويز ذلك عن الحافظ الدارقطنى والحافظ ابن عقدة وغيرهما ، وقد كان الفقيه الزاهد نصر بن إبراهيم المقدسى يرى الإجازة من الإجازة ، حتى ربما والى فى روايته بين إجازات ثلاث »[(١)].

وقال العراقى فى ألفيته :

والتاسع الإذن بما أجيزا ... لشيخه فقيل ان يجوز
ورد ، والصحيح الاعتماد ... عليه قد جوزه النقاد
أبو نعيم وكذا ابن عقدة ... والدارقطنى ونصر بعده

ثم شرحه بقوله ... : « قال محمد بن طاهر سمعته — أى نصر المقدسى رحمه الله — ببيت المقدس يروى بالإجازة عن الإجازة وربماتابع بين ثلاث منها[(٢)].

ولم تقتصر أعماله — رحمه الله — فى رواية الحديث وحفظه ، فيكون عالما بمتون الآثار وراويا لها فقط ، ولكن الله جمع له علم الرواية والدراية ، وأعطاه فهم الحديث وفقهه ، وقوة الاستنباط للأحكام الشرعية ، من مصادرها الأصلية — الكتاب والسنة — ويبرهن على ذلك ما يصدره من الأحكام والمسائل المتعلقة بالأحاديث والآثار .

ومن نماذجها ما قاله عقب تخريج حديث سبرة الجهنى : أن الرافضة

---

(١) مقدمة ابن الصلاح (٧٨) .
(٢) التبصرة والتذكرة (٢ / ٨٣) .

اعترضوا على الأحاديث التى تنص على نسخ نكاح المتعة وتحريمه وقالوا: «رويتم عن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ حرمها عام خيبر ، وفى حديث سبرة الجهنى أن النبى ﷺ حرمها عام حجة الوداع ، و روى عام الفتح ، وكان عام خيبر سنة ست من الهجرة[1]، وحجة الوداع فى سنة عشر، والفتح فى سنة ثمان ، وهذا اضطراب يمنع من الاحتجاج بها» .

ثم أجاب عنه — رحمه الله — بأجوبة منها :

وجواب آخر : «وهو أنه ليس فى الاختلاف فى العام الذى حرمها فيه أكثر من الجهل بوقت التحريم ، وهذا لا يمنع من اثبات التحريم والاحتجاج به ، الا ترى أنهما — أى على وسبرة رضى الله عنهما — لو نقلا التحريم ولم ينقلا وقت التحريم وقالا : نسينا وقت التحريم ، لكان إثبات التحريم واجبا ، وهذا بمنزلة ما لو نقلا حكما لرسول الله ﷺ فى رجل ، واختلفا فى إسمه أو فى وقته ، لم يمنع ذلك من إثبات حكمه والاحتجاج به ، وقد وجد مثل ذلك ، فإنه روى حكم النبى ﷺ فى المستحاضة ، فقال : بعض الرواة فاطمة بنت حبيش ، وقال بعضهم : فاطمة بنت قيس ، واختلفوا فى خبر القلتين فقيل : محمد بن عباد ابن جعفر ، وقيل : محمد بن جعفر بن الزبير ، ولم يضر ذلك الخبر»[2].

وجواب آخر : «وهو أنه نهى عنها عام خيبر ، ثم رخص فيها عام حجة الوداع أو عام الفتح ، لحاجة كانت بهم إليها على ما يأتى بيانه بالدليل الواضح فى ذلك ثم حرمها بعد ذلك، فتكون رواية على رضى الله عنه و رواية سبرة الجهنى حقا وصوابا ، ولا يمتنع إباحة الشىء عند الحاجة إليه ،

---

(١) كذا فى «تحريم نكاح المتعة» والصواب سنة سبع .

(٢) تحريم نكاح المتعة (٣٧) .

ونسخه عند الغناء عنه، وثبوت الناسخ إلى يوم القيامة، ألا ترى أن النبي ﷺ أباح في صدر الاسلام ترك الغسل بالتقاء الختانين إذا لم يكن هناك إنزال بقوله ﷺ: «الماء من الماء» أي الاغتسال بالماء عند إنزال الماء، وكان ذلك للحاجة الداعية لهم إليه، وعدم إمكان الغسل لهم به، ثم نسخ ذلك عند إرتفاع الحاجة، وكثرة الكسوة، وعدم الخوف من برد الماء لقلة الكسوة، فقال: «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل» ثم كان الأمر المعمول به هو الغسل. وأشياء كثيرة مثل هذا ...»[1].

ثم إنه — رحمه الله — لم يكن محدثا محضا وراويا بحتا، فيكتفي برواية الحديث وحمله، بل كان عالما بطرق الأحاديث وأسانيدها، خبيرا في عللها ومعرفة رواتها.

ولا يقوم بمثل هذا إلا من وهبه الله الفهم الثاقب والذكاء التام، ويتمتع بالحفظ والإتقان، والمعرفة التامة لأحوال الرواة وطرق الحديث، وقد شهد له العلماء بهذا ووصفوه بالحافظ[2].

ومما يدل على خبرته في نقد الرجال ومعرفة أحوالهم آراءه الموجودة في كتب الفن.

ففي ترجمة الوليد بن الوليد بن زيد العنسي ذكر الذهبي عن المؤلف نصر أنه متروك.

---

(١) تحريم نكاح المتعة (٣٨—٣٩).

(٢) الذهبي في العبر (٢ / ٣٦٣، واليافعي في مرآة الجنان (٣/ ١٥٢)، وابن العماد في شذرات الذهب (٣ / ٣٩٥)، وحاجي خليفة في كشف الظنون (٥٨)، وإسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين (٢ / ٤٩٠).

وفى ترجمة محمد بن صالح التميمى: أورد من طريق المؤلف حديثا واهيا عن محمـــد بن صالح التميمى ثنـا مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعا وقال: تفرد به عنه محمد بن صالح وهو ليس بثقة[١].

وبجانب هذا فقد روى الخطيب فى «تاريخ بغداد»[٢]، وابن عساكر فى «تاريخ دمشق»[٣] من طريقه أقوالا كثيرة فى جرح الرواة وتعديلهم.

ثم إن مؤلفاته الحديثية قد تبين لنا براعته فى الفن. فهو محـــدث سالك فيها منهج المحـــدثين فى رواية الأحاديث والآثار، فيروى حديثـا واحدا من طرق متعددة مع بيان الاختلاف فى اللفظ الوارد فيه.

وعلى سبيل المثال فقد روى حديث على رضى الله عنه فى النهى عن نكاح المتعة وتحريمه من أكثر من عشرين طريقا[٤]، وروى حديث سبرة الجهنى فى منع نكاح المتعـــة وأنه كان فى أول الأمر، ثم نسخ من أكثر من عشرة طرق[٥].

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٨٢، ٤/ ٣٥٠)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٥٥)، كتاب الأربعين (٥٥/ب، ٥٧/ ب).

(٢) وانظر على سبيل المثال: (١/ ٤٣، ١٤٧، ٨/ ٣٢٥، ١١/ ٣٢٩، ٣٦٣).

(٣) ٧٣، ٨٠، ٩٥، ٩٧، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٤٠، ٣٥٦، ٣٩٠، ٤٢٨، ٤٦٤، ٥٠٨، ٥٤٤ (المجلد الأول من حرف العين).
١٠، ٥٣، ٨٧، ١٠٥، ١٢١، ١٤٨، ١٦٢، ٢٦٣، ٣٢٨، ٣٨٢، ٤٦٩، ٤٨٢، ٥٠٤، ٥٢٤ (المجلد الثانى من حرف العين).
١٩٩، ٢٢٩، ٣٣٥ (القسم الأول من السيرة النبوية).

(٤) تحريم نكاح المتعة (ص ٢٣–٣٣)، (٤٠، ٤١).

(٥) » » (ص ٣٤–٤٠)، (٤٧، ٤٨).

وحديث عائشة : من أحدث فى أمرنا هذا . . . من أربعة طرق[١].

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص : لكل عمل شرة ، ولكل شرة فترة . . . من ثلاثة طرق[٢]، وهكذا .

وهذه الطرق الكثيرة و المتعددة تدل على إلمامه و معرفته و براعته فى هذا الفن .

ثم هناك دليل آخر يدل على مشاركته فى هذا الجانب من أهم جوانب الثقافة . و إحرازه وتقدمه فى علوم الحديث ، تأليفاته القيمة فى هذا الباب ، فمن أهم مؤلفاته فى الحديث ، كتابه : « الحجة على تارك المحجة » وكتاب المصباح الداعى إلى الفلاح ، وكتاب الاربعين ، وكتاب تحريم نكاح المتعة ، وكتاب فى طرق حديث قبض العلم ، وكذا الأمالى والمجالس والأجزاء الكثيرة الموجودة من أحاديثه .

فهذه الكتب وغيرها من المؤلفات الأخرى — التى سنذكرها عند ذكر مؤلفاته بعنوان « نصر المؤلف » فى الحلقة الآتية من هذا البحث — تؤكد لنا مكانته الملحوظة وتفوقه الملموس فى فن الحديث وعلومه .

(يتبع)

(١) الحجة على تارك المحجة (رقم ٤٠٤—٤٠٨) بتحقيقنا .

(٢) » » » (رقم ٤٠ ، ١٢١ ، ١٢٢) بتحقيقنا .

تفنيد المزاعم :

من مظاهر العصبية المذهبية الحديثة

بقلم : الشيخ عبد الواحد عبد القدوس المدني
أمين عام مدرسة الصفا الاسلامية - دومرياغنج

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن من بلايا الأمة الاسلامية التى ابتليت بها منذ قرون وأجيال ، العصبية المذهبية الخطيرة ، انها لداء خطير أصابت جسد الامة فأوهنتها وأدت بها أضرارا كبيرة وخسائر جسيمة ، وتفاصيلها المؤلمة المبكية محفوظة فى بطون كتب التراجم والتاريخ ، ومن أضرارها وآثارها السلبية أنها تعوق دون قبول الحق واعتناقه مع وضوحه وبيانه ، والأمثلة على ذلك كثيرة وفيرة .

ومن أحدث نماذجها وأسوئها مقال منشور فى مجلة « صوت الاسلام » لصاحبه الأخ محمد أبى بكر الغازيفورى ، وقد عنون لمقاله هذا « كلمة نصح واخلاص إلى سماحة الأستاذ ابن باز » وقد أتى فيه من المجازفات والمغالطات والأخطاء والانحرافات ما لا تعد ولا تحصى ، وقد حاول فيه تلبيس الحق بالباطل كما هاجم فيه هجوما عدوانيا سافرا على الدعوة السلفية وحملتها وعلى رأسهم سماحة والدنا الشيخ العلامة ابن باز الذى وقف حياته كلها ، ليلها ونهارها لخدمة الاسلام وأهله ، والذى انتفعت ولا تزال تنتفع به الأمة عبر البلاد والعباد ، وحاول المس من شخصيته البارزة بروز الشمس فى رابعة النهار والنيل منها ، فأصبح كمن يريد البصق على الشمس فلا يعود الريق إلا على وجه

صاحبه، أو كالتيس الذى يناطح الصخرة فلا يكسر إلا قرنيه.

ولم يحمل صاحب المقال على ذلك إلا العصبية المذهبية التى أخذت بلبـه ومخـه من كل جوانبه وأطرافه بجملته أعمى عن الحق وأصم عنه، وقد ثارت عصبيته المذهبية واشتعلت نارها والتهبت حينما امتنعت المملكة العربية السعودية — وفقها الله لكل خير — عن نشر و توزيع ترجمة وتفسير أردى للشيخ محمود الحسن الديوبندى والشيخ شبير أحمد العثمانى بناء على مذكرة قدمت إليها من قبل سماحـة والدنا الشيخ العلامة ابن باز و التى أشار فيها إلى انحرافات عقائدية فى مسألة الصفات وأخطاء فقهية فى الترجمة المذكورة.

قبل أن أناقش الأخ الغازيفورى فى مقاله بقـدر من البسط و التفصيل أسأله ألا يحق لسماحة الشيخ ابن باز ومشايخ المملكة العربية السعودية وعلمائها الآخرين أن ينشروا الدعوة الاسلاميـة فى ضوء مفاهيمهم للعقيدة والشريعة. وهل يتحتم عليهم — شرعا أو عقلا — نشر الكتب التى لا يتفقون معها مسلكا ومشربا. إن كنت ترى ذلك مصلحة للأمة و جمعا لكلمتها كما أشرت إليها من بداية المقال أكثر من اللازم، فلماذا لا تسمحون بمطالعة وقراءة مؤلفات علماء أهل الحديث وكذا الجماعة الاسلامية فى المدارس الحنفية الديوبندية وجامعة ديوبند بالذات؟ ولماذا لا تدخلون مؤلفات الامام محمد بن عبد الوهاب النجدى رحمه الله فى مناهجكم التعليميـة، و هو مقلد مثلك حسب زعمك ودعواك، ما هو المبرر والمسوغ لهذا المقياس المزدوج المبغوض الكريه؟ الحق والانصاف انه لو جاز لك ولأمثالك أن يتشددوا على الأخطاء ويتمسكوا بها ويأخذوها بالنواجذ ولا يصبروا على الخلاف منها شيأ، فلماذا لا يجوز لحملة الدعوة السلفية — وهى الدعوة الاسلامية المتكاملة الأصيلة التى لا يشوبها شيء من الخارج — وعلى رأسهم سماحة الشيخ ابن باز ومشايخ المملكة الآخرين انهم حينما اطلعوا على انحرافات عقائدية وأخطاء

فقهية فى تفسير أو ترجمة أن يداوا الأمة عليها أداء للأمانة العلمية واحترازا من كتمان العلم الذى ورد فيه ترهيب و تشديد « من كتم علما ألجم بلجام من نار » ويمتنعوا عن نشر وتوزيع ما يوجد فيه تلك الانحرافات .

وكان الأولى للأخ أن يخوض المســائل التى لأجلها امتنعت المملكة عن توزيع الترجمة والتفسير ويناقشها فى ضوء الكتاب والسنة بدل أن يثار ويغضب كالفيلة الحائرة ، ويأتى بما لا يرجى صدوره من عالم ، كما كان ينبغى أن يدرك بأن القضايا العلميــة لا يتم احقاقها واثباتها بتعبير لفظى . ولا بإثارة العواطف بدون أصل و أساس ، بل تحتاج إلى علم ومعرفـة ودقة وتحقيق . الآن أناقش الأخ فى بعض النقاط ، لأنه ما لا يدرك كله لا يترك جله .

(١) لقد زعم الأخ أن المسائل الفرعيـة من الفقه و العقيدة مختلف فيها من العهد الأول بين المسلمين ، إلا أنـه لم يصرح بمراده من العهد الأول ، ان كان مراده بذلك عهــد النبوة والصحابة فإدعاؤه باختلافهم فى مسائل العقيدة ادعاء باطل لا أصل له ، لأنــه لم يؤثر عنهم خلاف يسير فى أمور العقيــدة لا أصولها ولا فروعها — ان كانت هناك فروع — نعم كان ينشأ هناك خلاف بينهم فى الأحكام الفرعية من الفقه و الحوادث النازلة ولكن المنهاج الذى لم يختلفوا من المسير عليه قط ، أنهم كانوا يردون خلافاتهم كلها إلى الكتاب والسنة ، ولم يمتنعوا قط عن العمل بهما بعــد العثور على دليل منهما ، كما هو دأب اخواننا أتباع المذاهب الفقهية والكلامية فى العصور المتأخرة من الأخذ بآثار الأئمة والعلماء و رد الأحاديث الصحيحة ونبذها بدون خوف لومة لائم .

يقول عبد القاهر البغدادى صاحب « الفرق بين الفرق » (ص ١٤ — ١٧) :

«كان المسلمون عنـد رسول الله ﷺ على منهاج واحد فى أصول الدين

وفروعه غير من أظهر وفاقا وأضمر نفاقا».

وأول خلاف وقع بينهم اختلافهم فى موت النبى ﷺ، فزعم قوم منهم انه لم يمت وإنما أراد الله رفعه إليه كما رفع عيسى بن مريم إليه، وزال هذا الخلاف، وأقر الجميع بموته حين تلا عليهم أبو بكر الصديق قول الله لرسوله عليه السلام ﴿انك ميت وانهم ميتون﴾ وقال لهم: من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات.

ثم اختلفوا بعد ذلك فى موضع دفن النبى عليه السلام فأراد أهل مكة رده إلى مكة، لأنها مولده و مبعثه و قبلته و موضع نسله، و بها قبر جده اسماعيل عليه السلام وأراد أهل المدينة دفنه بها لأنها دار هجرته ودار انصاره، وقال آخرون بنقله إلى أرض القدس ودفنه ببيت المقدس عند قبر جده ابراهيم الخليل، وزال هذا الخلاف بأن روى لهم أبو بكر الصديق عن النبى ﷺ: «إن الأنبياء يدفنون حيث يقبضون» فدفنوه فى حجرته... إلى أن قال المؤلف: وهم أى الصحابة فى اثناء ذلك كله على كلمة واحدة فى أبواب العدل والتوحيد والوعد والوعيد وفى سائر أصول الدين، وإنما كانوا يختلفون فى فروع الفقه كميراث الجد مع الاخوة والأخوات من الأب والأم أو من الأب مع البنت أو بنت الابن، وكاختلافهم فى جر الولاء وفى مسألة الحرام ونحوها مما لم يورث اختلافهم فيه تضليلا ولا تفسيقا.

(٢) ان الأخ الغازيفورى استخدم لتفاصيل العقيدة اصطلاح الفروع وهذا لا يصلح لا سيا ولا فى هذا العصر بالذات الذى اغتر فيه كثير من العاملين فى حقل الدعوة بهذا الاصطلاح فجعلوا يقللون من قيمتها ويستخفون بأهميتها فى الدين، ولا يبالون بها لكونها فروعا دون أصول، وهذا خطير

للغاية، مع أن المرء فى شئونه الشخصية والدنيوية لا يقف هذا الموقف ازاء الفروع، والواقع أن الفروع والغصون لو قطعت عن الأصول فما الفائدة المرجوة من تلك الأصول؟ وأمور الدين كلها أصولها وفروعها، عقائدها وشرائعها لكل واحد منها أهمية ومكانة فى مواضعها ومحالها، لقد ثبت فى السنة أن الرسول ﷺ لما حرم على نفسه العسل مرة حينما يشربه عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت عائشة وحفصة على أيتهما دخل عليها فلتقل له: أكلت المغافير انى أجد منك ريح مغافير فنزلت فى القرآن ﴿يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات ازواجك والله غفور رحيم﴾ (التحريم: ١) ان تحريمه العسل على نفسه لم يكن شيئا مهما فى الظاهر ولكن الله أنزل آية فى القرآن على ذلك. ان الذين يستهينون بالفروع الدينية ولا يبالون بها ينبغى لهم أن يتدبروا ويراجعوا موقفهم فى ضوء هذه الواقعة الثابتة.

(٣) لقد تناقض الأخ فى مقاله حينما ندد اختلاف الأمة وذمه وذم كل من يوسع دائرة الخلاف فيها، ولم يعب سماحة الشيخ ابن باز بتقديم المذكرة المذكورة إلا لأنه يوسع دائرة الخلاف ولكنه أباح الخلاف فى نفس المقال وأسنده إلى المسلمين الأوائل بل سماه رحمة فى حق الأمة استنادا بحديثين معروفين لدى أهل العلم بالوضع والبطلان. الاولهما: حديث «اختلاف أمتى رحمة» مع أن الحديث لا أصل له ولم يقف المحدثون إلى يومنا هذا على سند حتى صرح الامام السبكى فيه: وليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع.

وقد أجاد الامام ابن حزم فى انتقاده على الحديث بقوله: «وهذا من أفسد قول يكون، لانه لو كان الاختلاف رحمة، لكان الاتفاق سخطا، وهذا

ما لا يقوله مسلم، لأنه ليس إلا اختلاف أو اتفاق وليس إلا رحمة أو سخط»
(الأحكام فى أصول الأحكام ص ٨٤/٥)

ثم هذا يعارض النص القرآنى ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة
... ... ولذلك خلقهم﴾ (هود ١١٩).

ن ليلة القدر
: ان الحديث
د والائتلاف

فهو موضوع،
م أحد رواته:

رحمة اعتمادا على
نص على تحريمه
الكتاب والسنة.

١٠٢)

(

وأولى الأمر منكم

٥)

بة واقتداء بهم فكان

الواجب أن نأخذ أيضا بذلك المنهاج القويم و... المستقيم الذى كانوا
يسيرون عليه فى رد الخلافات امتثالا لما ورد فى القرآن ﴿فإن تنازعتم فى شىء الخ﴾

اما الأخذ بالبعض و ترك البعض الآخر فهو من عادة أهل الكتاب التى ذمهم القرآن بها : ﴿يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾.

ثم هنا يرد سؤال : ان الصحابة اختلفوا فهل يلحقهم الذم المذكور؟ وقد أجاب عنه ابن حزم هكذا :

« كلا ، ما يلحق أولئك شىء من ذلك ، لأن كل امرئ منهم تحرى سبيل الله ووجهته الحق ، فالمخطئ منهم مأجور أجرا واحدا ، لنيته الجميلة فى ارادة الخير ، وقد رفع عنهم الاثم فى خطئهم لأنهم لم يتعمدوه ولا قصدوه ولا استهانوا بطلبهم ، و المصيب منهم مأجور اجرين ، وهكذا كل مسلم إلى يوم القيامة فيما خفى عليه من الدين ولم يبلغه ، وإنما الذم المذكور والوعيد المنصوص لمن ترك التعلق بحبل الله تعالى وهو القرآن وكلام النبى ﷺ بعد بلوغ النص إليه وقيام الحجة عليه ، وتعلق بفلان وفلان ، مقلدا عامدا للاختلاف داعيا إلى عصبية وحمية الجاهلية ، قاصدا للفرقة ، متحريا فى دعواه برد القرآن و السنة إليها فإن وافقها النص أخذ به وإن خالفها تعلق بجاهليته وترك القرآن وكلام النبى ، فهؤلاء هم المختلفون المذمومون ، وطبقة أخرى وهو قوم بلغت بهم رقة الدين وقلة التقوى إلى طلب ما وافق أهواءهم فى قول كل قائل ، فهم يأخذون ما كان رخصة فى قول كل عالم ، مقلدين له غير طالبين ما أوجبه النص عن الله وعن رسوله ﷺ[١]».

(٤) لقد رمى الأخ الفازيفورى سماحة الشيخ ابن باز بعدم مبالاته بسواد الأمة وأغلبيتها وانه يظهر الخلاف مع جمهور الأمة وفى المسائل التى

(١) راجع للتفصيل عن هذا الموضوع (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٧٦/١ — ٨٥) .

يقول بها معظم الأمة . ولعله أراد بذلك دعوة الشيخ إلى أن يأخـــذ المسائل الدينية بالأعـــداد ، ان الأمر لغريب ، فهل يعرف الحق من الباطل والصحيح من الخطأ بالأكثرية أو الأغلبية ؟ انها لعصبية مذهبية منعت الأخ من الانتباه والالتفات إلى ما ورد فى القرآن والسنة بأن الأغلبية — فى عامة الأحوال — تعارض الحق وتعاديه و القلة القليلة — دوما — تقبل على الحق وتعتنقه . قال تعالى : ﴿ و قليل من عبادى الشكور ﴾ ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئـــة كثيرة بإذن الله ﴾ .

وقال ﷺ : « بدأ الاســـلام غريبا وسيعود كما بـدأ فطوبى للغرباء » ان المسائل الدينية لا قيمة فيها للأشخاص و الأعداد ، ولا تعد فيها الأفراد ، ولا يحكم فيها بناء على القلة والـكثرة ، لأن الـــدين السماوى ليس بأمر سياسى فوضوى و ليس بنظام ديمقراطى غربى يكون فيـه مقياس الفوز والهزيمـــة أو الصحة والبطلان الـكثرة أو القلة ، ولـكنها العصبية المذهبية البغيضة التى جذبت صاحبها إلى هذا الحد الأدنى ، والعجب العجاب ان بعض الجهات من أخواننا الأحناف اتخذ نفس الأسلوب والمنطق بالهند حينما ثارت قضية التطليق الثلاث فى الجلسة الواحدة فى المجلات و الصحف الهندية انه لمن ضعف الطبيعة البشرية انها لما تفقد الدليل والبرهان فتستند إلى مثل هذه الأمور التافهة الباطلة .

(٥) انه يشكو من سماحة الشيخ تشديده فى الانتقاد على التقليد والمقلدين ، ان كان ذلك ذنبا لديك و لدى من على شاكلتك يا أخى ! فلا شك انـه يذم التقليد لأنه لا يخفى عليه و على من لـه أدنى المام بتاريخ التقليد انه قـــد أدى بالأمة خسائر جسيمة عبر القرون ومر الدهور حتى تفرق بالأمة الواحدة التى كانت كالجسد الواحد إذا اشتكى له عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى

فرقا وأحزابا ، وأورثها الحقد والعداوة والحسد والبغضاء والخلاف والفرقة والقتال والدمار وسقوط الحكومات الاسلامية وكل ذلك محفوظ فى بطون كتب التاريخ. يقول الأستاذ أحمد محمد شاكر عن التقليد والعصبية المذهبية انها :

« مما أضر بالمسلمين وأخرهم عن سائر الأمم ، وكان (أى التقليد) السبب الأكبر فى زوال حكم الاسلام عن بلاد المسلمين ، حتى صاروا يحكمون بقوانين تخالف دين الاسلام خنعوا لها واستكانوا ، فى حين كان كثير من علماءهم يأبون الحكم بغير المذهب الذى يتعصبون لـه ويتعصب له الحكام فى البلاد » (مقدمةالرسالة للامام الشافعى ص ٨)

ومن أسوء مظاهرها وأخبث نتائجها ان الكعبة أيضا له تسلم من أضراره فى القرن التاسع عهد الملك ناصر فرج بن برقوق الجركسى حيث نصب لكل مذهب من المذاهب التقليدية الأربعة إماما على حدة ، فكانت تقام صلاة واحدة أربع مرات خلف أربع أئمة . والعياذ بالله و من أراد تفصيل ذلك فليراجع البدر الطالع للامام الشوكانى رح .

كما انتقد أخونا الغازيفورى على سماحة الشيخ انه يتشدد فى نقد الأشاعرة فى مسألة الصفات بأسلوب لا يلائم شأن أهل العلم ثم اعتبر خلاف الشيخ مع المقلدين والأشاعرة خلافا مع جمهور الأمة هنا أيضا دندن الأخ وفق رأيه ان الأكثرية من الأمة أجمعت على التقليد بدل أن يناقش موضوعه فى ضوء الكتاب و السنة و آثار الصحابة و فتاوى و أقوال الأئمة و حاول مغالطة الناس بقوله :

« فإذا كان التقليد ضلالا فى رأى الشيخ ابن باز فماذا رأيه فى هؤلاء جميعا وإذا كان هؤلاء جميعا ضالين فمن يكون بعدهم على الهدى والصراط

المستقيم غير الشرذمة القليلة من جماعة غير المقلدين من الظاهرية و السلفيين وأما دونهم من باقى الأمة فهل يرضى استاذنا ان يفتى فيهم بأنهم ليسوا على السواء السبيل ».

لعل الأخ أراد بذلك اشارة جمهور الأمة أو الأغلبية منها ضد سماحة الشيخ ورميه بأنه يضلل الجمهور وكبار العلماء والمشايخ ولا يدرى أن الجميع ليسوا على شاكلته فى فهم القضايا العلمية ، أخونا الغازيفورى لم ينتبه إلى كلمة الضلال وعلى ما يطلق ؟ ان الضلال له أنواع وألوان ، بعضها أشد من بعض ، له مدارج ومراتب ، بعضها أخطر من بعض ، وبتعبير آخر ان الضلال ضلال عام وضلال خاص ، فالمراد بكون التقليد ضلالا ان المرء مخطىء بعيد عن الحق والصواب فى عمل التقليد بالذات ، وليس معنى ذلك انه ليس على الصراط المستقيم على الاطلاق ، لانه من المعروف لدى أهل العلم والانصاف ان المذاهب الاربعة والظاهرية والأشعرية وأهل الحديث يجمعهم كلهم أهل السنة والجماعة مع فرق المراتب والدرجات ، وإن كان أهل الحديث أو السلفية أقربها إلى أهل السنة من غيرها منهجا ومسلكا وعقيدة وشريعة .

(٦) واعجب من ذلك كله ان الأخ زعم بأن « السلف الذين انتمى إليه السلفيون لم يكونوا إلا مقلدين لأحد من أئمة الفقه والعلم الخ ».

يا للعجب على هذا الاكتشاف الغريب و التحقيق النادر وعلى هذا الفهم والفقه ، الواقع ان المرء حينما يضع نظارة سوداء على عينيه فلا يرى فى الخارج إلا سوادا ، وكذلك أخونا الكريم — رزقه الله فهما سليما — وضع نظارة التقليد الاعمى على عينيه فلا يترآى له فى الدنيا إلا التقليد وأهله ، وفى هذا الزمن الذى تفككت وضعفت فيه قبضة التقليد وسلطته عن أهله وأصحابه إلى حد كبير .

يا أخي! هل تعرف السلف الذين انتمى إليهم السلفيون، انهم الصحابة الكرام والتابعون العظام واتباعهم باحسان، فهل كانت الصحابة من أبي بكر وعمر و عثمان و علي رضي الله عنهم جميعا مقلدين، وهل كان التابعون أمثال سعيد بن المسيب و الحسن البصري و غيرهما مقلدين؟ هل يقول بذلك إلا جاهل غبي.

(٧) ان الأخ أشاد بجهود علماء ديوبند في محاربة البدع والخرافات و لكنه نسي أو تناسى أن كثيرا منهم وقعوا فريسة لها لأجل اعتناقهم بدعة التصوف — الذي عمل بمثابة جسر أو معبر لتسرب الشرك والبدع إلى صفوف الأمة — ومن أراد تفصيل ذلك فليراجع كتاب «زلزله» الذي جمع فيه صاحبه أقوال وآثار كبار مشيخة ديوبند و هي تشبه تماما شكلا ومعنى بأقوال وآثار القبوريين المشركين الخرافيين. أعاذنا الله منها.

هذه هي بعض النقاط التي أردت التنبيه عليه في هذه العجالة وأرجو من المعنيين بشئون الدعوة و العاملين في حقلها الاحتراز عن التحزب والتعصب وفتح القلوب والعيون لقبول الحق واعتناقه لأنه ضالة المؤمن مهما وجد ومن حيث أتى وبذل الجهد للبحث الجاد عن الخطوط الرئيسية والأسس السليمة التي يجب توحيد الأمة عليها. اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، و ارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

الملائكة و وجوب الايمان بها

الشيخ / محمد جنيد بن عبد المجيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبده و رسوله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فمما لا يشك فيه عاقل يؤمن بالله و رسوله أن الايمان بالملائكة ومعرفة أحوالهم وما اتصفوا به من الصفات والوظائف من الأمور التى لايصح الايمان إلا بها . ولما كان الأمر كذلك رأيت أن أكتب فى هذا الموضوع المهم بحثا يشتمل على نقاط تجب معرفتها والايمان بها فى هذا الباب .

الايمان بالملائكة :

لما كان من الملائكة سفراء التبليغ بين الله و رسله من البشر ، وكانت لهم وظائف يقومون بها مما له علاقة بين الناس ، كان الايمان بهم من أركان العقيدة الإسلامية [1]، والمقصود به الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، وأنهم قائمون بوظائفهم التى أمرهم الله بالقيام بها ، فهم نوع من مخلوقات الله عز وجل ، لا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم ، وبما ورد فى حقهم من صفات وأعمال فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان [2].

---

(١) الثقافة الإسلامية ١٠١ ص ١٠٣

(٢) الايمان أركانه حقيقته نواقضه ص ٤٧

فقد قال الله تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، الآية﴾[1]. وقال: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾[2].

وفى حديث جبريل المتفق على صحته أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: «فأخبرنى عن الايمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[3].

فيجب الايمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام. ولا التفات إلى قول الملاحدة الذين ينكرون ماوراء المادة إذ يقولون: كيف يثبت وجود شيء لا تراه العين ولا تسمعه الأذن، ولا تحسه اليد؟

فهذا قول أحمق مردود، لأن إثبات وجود الموجود، لايتوقف على الوجدان ولا على رؤية العيان، فالأرواح المدبرة للأشباح، والعقول المدبرة للأجسام، تدبير إحكام ونظام، والهواء الذى يملأ الفراغ والفضاء، ولا حياة للانسان إلا به، كلها كائنات موجودات قطعا مع أنها لا ترى بالعيان[4].

تعريف الملائكة:

الملائكة لغة: قال الجوهرى: «الملك من الملائكة واحد وجمع، وقال الكسائى: أصله مالك بتقديم الهزة من الألوك، وهى الرسالة، ثم قلبت وقدمت

---

(١) البقرة: ٢٨٥

(٢) النساء: ١٣٦

(٣) الايمان بالملائكة ص ٧، الايمان ٤٧، شرح العقيدة الطحاوية ٢٩٧

(٤) الايمان بالملائكة ٨

اللام فقيل ملأك ، وأنشد أبو عبيدة لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك :

فلست لإنسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب

ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال ، فقيل : ملك ، فلما جمعوه ردوها إليه فقالوا : ملائكة وملائك أيضا . قال أمية بن أبي الصلت :

فكأن برقع والملائك حوله سدر تواكله القوائم أجرب[1]

ويقول ابن حجر فى معنى الملائكة : جمع ملك بفتح اللام ، قيل : مخفف من مالك ، وقيل : مشتق من الألوكة ، وهى الرسالة ، وهذا قول سيبويه والجمهور ، وأصله لاك . وقيل : أصله الملك بفتح الميم وسكون اللام ، وهو الآخذ بقوة . وأصل وزنه «مفعل» فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال ، وظهرت فى الجمع ...[2].

الملائكة اصطلاحا:

قال أحمد عز الدين البيانونى : الملائكة أرواح قائمة فى أجسام لطيفة نورانية ، قادرة على التمثل بأمثلة مختلفة ، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة[3].

وقال جمهور أهل الكلام من المسلمين : الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة

---

(١) الصحاح للجوهرى ٤ / ١٦١١

برقع : اسم السماء السابعة . سدر : بحر . أجرب : صفة البحر المشبه به السماء فكأنه صفة البحر لما يحصل فيه من الموج .

(٢) الايمان ص ٤٧

(٣) الايمان بالملائكة ص ٧

التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السماوات[١].

الملائكة عند الفلاسفة : هي قوة التخيل ، ليخيل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة ، وليس في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء وترى وتخاطب الرسول ، وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان[٢]، ففساد قولهم ظاهر وبطلانه واضح بما ورد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الظاهرة الجلية فلا يزيغ عنها إلا هالك.

حقيقتهم وصفاتهم :

لا نستطيع أن نعرف من حقيقتهم إلا ما جاءنا عن الكتاب والسنة الثابتة . لأننا بحسب العادة لا نتصل بهم عن طريق الحس اتصالا يفيد العلم اليقيني حتى نكشف حقيقتهم ونحدد تكوينهم ، وحسبنا في العقيدة أن نقتصر على ما وردت به النصوص دون أن نجرى وراء التكهنات[٣]. فالمؤمن الصادق يقر بكل ما أخبر به الخالق مجملا أو مفصلا ، ولا يزيد على ذلك ، ولا ينقص منه ، ولا يتكلف البحث عما لم يطلعنا عليه منه ولا يخوض فيه .

فمن صفاتهم الواردة صفاتهم الخلقية :

فإنهم مخلوقون قبل هذه السلالة من البشر[٤]، أخبرنا سبحانه وتعالى أنهم خلقوا قبل آدم عليه السلام إذ ورد في القرآن أن الله أخبرهم بأنه سيخلق الانسان و يجعله في الأرض خليفة ، قال تعالى : ﴿و إذ قال ربك للملائكة إنى

(١) الايمان ص ٤٧
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٨
(٣) الثقافة الإسلامية ١٠١ ص ١٠٣
(٤) الثقافة الإسلامية ص ١٠١—١٠٤ ، والايمان ص ٤٩

جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون﴾[١].

مخلوقات نورانية :

أما المادة التى خلقوا منها فقد أخبرنا الرسول ﷺ أن الله خلقهم من نور ، فقد أخرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم[٢]» وطبيعة النور الذى تتكون منه أجسام الملائكة تجعلها خالية من ظلمة داخلية فى نفسها أو ظاهرة على هيئتها . . . نقية من كل شوائب أو أدران . . . بعيدة عن الوسوسة النفسية والشهوات الحيوانية لا تقترف الذنب ولا ترتكب الاثم ، وبذلك فإنهم معصومون حيث لا يعصون الله إطلاقا[٣]، وفى ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون﴾[٤]، فليس لهم جسم مادى يدرك بالحواس الانسانية ، وأنهم ليسوا كالبشر : فلا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا ينامون ، ولا يتزاوجون . . . ولا يتصفون بشىء من الصفات المادية التى يتصف بها ابن آدم[٥].

(١) البقرة : ٣٠
(٢) الايمان ص ٤٩ ، عالم الجن والملائكة ص ١٠٢ ، الايمان بالملائكة ص ٩ ، الثقافة الاسلامية ص ١٠١—١٠٣
(٣) عالم الجن والملائكة ص ١٠٢—١٠٣
(٤) التحريم : ٦
(٥) الايمان ص ٤٩—٥٠

جنسهم :

فالملائكة لا توصف بذكورة ولا أنوثة[١] فإن آيات القرآن الكريم قد أوضحت أن من يظنون أن الملائكة من الإناث ليسوا على الحق، فقال عز وجل: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى، وما لهم به من علم، إن يتبعون إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾[٢] وقرر القرآن الكريم أنهم عباد الله وليسوا إناثا مما يوحي بأنهم من جنس واحد وليس مما نعهد بل إن من قال بأنوثتهم سيسأله الله عن ذلك ويحاسبه عليه وذلك بالنص الكريم: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا، أشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهادتهم ويسألون﴾[٣].

قدرتهم على التشكل :

فهم قادرون على التمثل بأمثال الأشياء، والتشكل بالأشكال الجسمانية بإذن الله تعالى[٤]، كما أخبر الله عز وجل عن جبريل عليه السلام أنه جاء مريم في صورة بشرية فقال تعالى: ﴿فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾[٥].

وقال تعالى مخبرا عن ضيف إبراهيم: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم

---

(١) الايمان بالملائكة ص ٩

(٢) النجم: ٢٧، ٢٨

(٣) الزخرف: ١٩

(٤) الثقافة الاسلامية ١٠١ ص ١٠٤، الايمان بالملائكة ١٠ — ١٢ الايمان ص ٥٠

(٥) مريم: ١٧

المكرمين ؟ إذ دخلوا عليه فقالوا : سلاما . قال : سلام قوم منكرون ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ، فقربه إليهم قال : الا تأكلون . فأوجس منهم خيفة . قالوا لا تخف ، وبشروه بغلام عليم ﴾[١].

وقد كان جبريل عليه السلام يأتى فى بعض الأحيان إلى مجلس الرسول ﷺ على صورة انسان مجهول ، أو على صورة انسان معلوم ، وربما أتى على على صورة دحية الكلبي أحد أصحاب الرسول ﷺ . وفى حديث جبريل المشهور عن عمر رضى الله عنه أنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ، إذ دخل علينا رجل ، شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد . . . وسأل رسول الله ﷺ عن الإسلام والايمان والإحسان . . . إلى أن قال عمر : ثم انطلق ، فلبثت مليا ، ثم قال رسول الله ﷺ : « يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ، متفق عليه[٢]. وفى حديث كيفية الوحى الذى أخرجه الشيخان ، قال رسول الله ﷺ : « . . . وأحيانا يتمثل لى الملك ، فيكلمنى ، فأعى ما يقول[٣]» . وفى الحديث المتفق عليه « إن ثلاثة من بنى إسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى ، أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا — أى فى صورة رجل — فأتى الأبرص ، فقال : أى شىء أحب إليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عنى الذى قذرنى الناس فمسحه ، فذهب عنه

---

(١) الذاريات : ٢٤—٢٨

(٢) الايمان بالملائكة ص ١٠ ، ١١ ، الايمان ص ٥٠

(٣) « « ص ١١

قذره وأعطى لونا حسنا . . . » الحديث[١].

لهم أجنحة :

ومن صفاتهم الخلقية التى أخبرنا الله بها أنه جعل لهم أجنحة يتفاوتون فى أعدادها[٢]، فقال سبحانه : ﴿الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث و رباع ، يزيد فى الخلق ما يشاء ، إن الله على كل شىء قدير﴾[٣].

وقد أخرج الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ست مائة جناح[٤].

هذا هو ما أخبرنا الله به عن هذه المخلوقات الكريمة من حيث خلقتها ، ونؤمن به كما جاء ولا نسأل عن غيره ، ولو كان فى التفصيل نفع لعباده لما حجب عنا معرفته فهو لطيف بعباده رؤوف رحيم .

مسكنهم :

مسكنهم السماوات ، فقد روى الترمذى وابن ماجه والبزار من حديث أبى ذر مرفوعا : إنى أرى ما لا ترون ، أطت السماء — أى ظهر منها صوت — وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى[٥].

(١) المرجع السابق ص ١١ ، ١٢ ، عالم الجن والملائكة ص ١٣٧—١٤٢
(٢) الايمان ص ٥٠ ، الثقافة الاسلامية ١٠١ ص ١٠٤
(٣) فاطر : ١
(٤) الايمان ص ٥١
(٥) الايمان بالملائكة ١٥ ، ١٦ ، الايمان ص ٦١ ، عالم الجن والملائكة ١٣٦

وقال ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين كانوا فيكم، فيسألهم والله أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وفارقناهم وهم يصلون» متفق عليه(١)

عـــددهم :

وهم كثر وعددهم أمر فوق التصور وغير قابل للتخمين ولا يمكن للإنسان أن يتكهن به فلا يحصى عددهم إلا الله حيث قال: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا — إلى أن قال — وما يعلم جنود ربك إلا هو، وما هي إلا ذكرى للبشر﴾(٢).

وفي حديث المعراج الذي رواه البخاري قال رسول الله ﷺ: «... فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك. الحديث»(٣).

ولقد أوردت آيات القرآن الكريم بالنسبة لعدد الملائكة ما يجعل البحث فيه مثيرا ورائعا ومتلاحقا ومتشعبا... بحيث يصعب الوصول فيه إلى نهاية بل إلى رأي... ويدل ما جاءت به آيات القرآن الكريم دلالة قوية وأكيدة على أن القرآن الكريم إنما هو وحي الله سبحانه وتعالى على خاتم رسله وأنبيائه، ويشير إلى الاتزان والتناسق والدقة وهي الظاهرة الواضحة الصارخة التي تحكم هذا الكون ويتصف بها والتي تعتبر من آثار قدرة الله سبحانه وتعالى

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٣٨٩
(٢) المدثر: ٣١
(٣) الإيمان ٦١

فى الخلق وبعض حكمته وعظمته و دليل من عديد على وجوده و وحدانيته ... فإن لفظ الملائكة قد تكرر فى القرآن الكريم ٦٨ مرة[١] وهو نفس العدد تماما الذى تكرر فيه لفظ الشيطان[٢]، وإن عدد ما ورد فى الآيات الشريفة من مختلف صور لفظ الملائكة كـ « ملك وملكا وملكين وملائكة » هو ٨٨ مرة وهو نفس العدد تماما أيضا الذى تكرر فيه مختلف صور لفظ الشيطان كالشياطين وشيطانا وشياطينهم ، فهل هى مصادفة أن يتفق عدد المرات التى ورد فيها ذكر الملائكة فى القرآن الكريم وعدد المرات التى ورد فيها ذكر الشياطين رغم أنهما لم يجتمعا فى آية واحدة ؟ أم أنها تشير إلى حقائق وأسرار يجب محاولة دراستها والبحث عنها والاجتهاد فيها على قدر الاستطاعة ... وأى توفيق يصل إلى المجتهد إنما هو من الله . . . وأى خطأ يقع فيه إنما هو خطأ المجتهد . . . والثواب على قدر ما قصد المجتهد[٣].

(البحث موصول)

⁂

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٨٤٨ الملائكة .
(٢) المرجع السابق ص ٤٨٥ الشيطان .
(٣) عالم الجن والملائكة ص ١٠٥–١٠٦

نبذة من تاريخ أهل السنة فى إيران

الحمد لله الذى أنزل الكتاب تبياناً لكل شىء و الصلاة و السلام على رسول الله وآله وصحابته الهداة إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، وبعد :

لعل الكثيرين لا يعلمون أن أهل السنة فى إيران يشكلون نسبة ٢٠٪ من إجمالى السكان ، وأنهم قد يكونون أكثر من ذلك ، بسبب تعتيم السلطات الايرانية على حقيقة الاحصاءات ، ولأن بعض أهل السنة يخفى عدد أبنائه ، خوفاً عليهم من التجنيد الاجبارى .

ويعيش أهل السنة فى مناطق الاكراد ، والبلوش ، ومعظم المناطق الساحلية الجنوبية ، ولهم كذلك وجود فى طهران ، ومشهد وأصفهان . . وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

ولقد دخل المسلمون إيران فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومن ثم انتشر الاسلام فى جميع مناطق إيران وأسلمت طوائف مختلفة .

ثم ازدادت جهود المسلمين فى إيران ، واستسلمت جميع المدن الايرانية ، واعتنق أهلها الاسلام . ولما رأى بقايا سلاطين الساسانيين أن المسلمين دخلوا ديارهم ، وأخذوا بلادهم ، وأصبحوا يحكمون فى ديارهم أخذوا يكيدون لهم .

ومضت الأيام ليأتى يوم يخططون فيه لمحاربة الاسلام وأهله بشتى

الأساليب ، ويبثون فى نفوس القوم الفتنة و الفساد ، و يفشون الدعوات القومية والنعرات الجاهلية .

ولا شك أن هـذا الحقد كان فى قلوب سلاطين السامانين ومن بعدهم ، ولكنهم ما استطاعوا أن يقاوموا نور الإسلام إلا بالمكر والخداع والتعتيم على المسلمين : بأن يصوروا لهم الخلفـاء الثلاثـة الراشدين و كذلك السابقين الأولين — رضى الله عنهم — و المهاجرين بأنهم كانوا من غاصبي أهل البيت وأعدائهم ، فأشاعوا بين الناس أنهم يريدون إعادة الحقوق المغتصبة إلى أصحابها .

وقامت الاتصالات بين هـذه الشرذمة واليهود والمنافقين ، وعظمت هـذه الاتصالات ، حتى أدت إلى مقتل الفـاروق عمر بن الخطـاب أمير المؤمنين — رضى الله عنه — .

ثم دامت دسائسهم وعداواتهم للمسلمين ، إلى أن حرضوا النـاس على قتل أمير المؤمنين والخليفة الثالث عثمان بن عفان — رضى الله عنه — .

وكان من رؤوس هذه الفتنة « عبد الله بن سبا » اليهودى المنافق ، الذى كون بعد ذلك تلك الطائفة المبتدعة الباغيـة التى سمت نفسها بـ (الشيعة) زعماً منهم أنهم من شيعة على — رضى الله عنه — و أهل بيت النبوة .

و الله يعلم أن علياً وأهل البيت بريئون من هذه الفئة الضالة . وذلك أن ابن سبا اليهودى قـد دعا إلى الوهيـة على — رضى الله عنه — فى حياته فقتل على — رضى الله عنه — شيعته الضالة .

وكل هـذا مسطور فى كتب التاريخ التى تتحدث عن الأديان والفرق : إضافة إلى محاربتهم لخلفاء المسلمين وجماعتهم ، على مدى القرون فى جميع أنحاء العـالم الإسلامى ، كالعبيديين فى مصر الذين انتسبوا إلى فاطمة الزهراء زوراً

و بهتاناً و هم فى الحقيقة أتباع عبيد بن القداح الزنديق ، و النصيرية فى سوريا ، والبرامكة فى إيران ..

واستمر ذلك الواقع الوخيم بضع قرون حتى أدى الأمر إلى ظهور الصفويين فى إيران ، فأسسوا دولة شيعية مستقلة منتسبة إلى الأئمـة المعصومين من أهل البيت — على حد زعمهم — خارجة عن الحـكم العباسى آنذاك الذى كان يعتبر نقطة التقاء المسلمين واتحادهم .

ولم يستطع الرافضة وأعوانهم من يهود ونصارى أن يقيموا الدولة أول الأمر باسم الشيعـة ، وإنمـا غلوا فى الضلال بأن أقاموها باسم التصوف السنى ، حيث كان صفى الدين الأردبيلى — مؤسس الدولة الصفوية — صاحب طريقــة صوفيـــة لخدع الناس حتى كون له طلاباً و مريدين ثم أشاع مذهبه بالتدريج وخلفه على هذا الدرب بنوه من بعده .

وبوصول هؤلاء إلى الحـــكم صار الدين و المذهب الرسمى لأهلهــا هو المذهب الشيعى الجعفـــرى الاثنى عشرى ، كما كانــــ للساسانيين من قبل الدين الزاردشتى .

وقام الصفويون بشتى أنواع الحيل لنقل أهل السنة إلى التشيع ولو وصل الأمر إلى أبشع أنواع التعذيب وسفك دماء الآلاف .

وقـد كان فى ذلك الوقت يشكل أهل السنة أغلبيـة أهل البلاد حيث بلغ تعدادهم تسعين فى المائة (٩٠٪) من سكان البلاد ، و العشرة الباقية من مختلف الفرق والأديان .

فبـدأ الصفويون فى قتل أهل السنـة وطردهم وإخراجهم من البلاد حيث شهد التاريخ على هؤلاء الطواغيت وقتلهم أربعين ألف مسلم سنى من مدينة تبريز فى

يوم واحد ، وقد كان أكبر مؤسس للدولة الصفوية ــ الشاه اسماعيل ــ الذى مكن للملوك النصارى وتمنى أن تتحول جميع المساجد فى الدولة العثمانية إلى كنائس . وقـــد كان لهذا الطاغية دور كبير فى إسقاط الدولة العثمانية ، حيث تعاون مع النصارى على حصارهـــا لحصرها ، وإيقاف توسعهـــا فى أوربا ، بل إنـــه أعز النصارى وأذل أهل السنة .

ومضى الزمان على هـــذا المنوال حتى وصل الدور إلى السلسلة البهلوية ، وبلغ الأمر إلى ما قـــدر له أن يبلغ من الفساد فى الحـــكم والعقيدة والعبادة وكانت هـــذه العصور مهيأة لظهور الشقى الأخير والطاغوت الكبير (محمد رضا بهلوى) الذى ألغى التاريخ الهجرى و بدله بالتاريخ الساسانى الشاهنشاهى ، وأحيا العصبية العرقيـــة والقوميـــة بالانتساب إلى المجد الفارسى البائد ويقول مخاطباً السلطان الساسانى « ياكورش » : « نم إننا قائمون » !

وساعده على إحياء هذه النعرات الجاهلية أعوانه ومستشاروه من البهائيين الحاقدين على الإسلام وأهله .

« والله متم نوره ولو كره الكافرون » . « بل نقـــذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون » .

والله أسأل أن يحيى قلوباً غلفاً وآذاناً صماً ■ ■

(مخيم الرباط)

المساواة فى الاسلام فى ضوء الكتاب والسنة

بقلم : محمد أسلم محمد لقمان المدهوبنى
الطالب بالجامعة السلفية ، بنارس

ان الاسلام دين الحق والعدل والمساواة لا يرضى بالمبدأ الجائر الظالم الذى يقوم على أساس التفرقة بين الناس والتمييز بين البشر ، فهذا شريف يعظم ويكرم لشرفه ، وهذا وضيع لا يستحق أى عز وكرامة . قال الله عز وجل : ﴿يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا﴾[2] .

وجاء الاسلام ليقيم الناس على قانون واحد ونظام عادل يشمل الصغير والكبير والعظيم والحقير ويجمع بين السادة والعبيد تحت شعار واحد كلهم من آدم وآدم من تراب كما قال النبى ﷺ : « الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب »[3] .

وقد خطب النبى ﷺ الناس ، فقال : « يا أيها الناس ! ألا إن ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، ألا ! لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ،

(١) الحج : ٥
(٢) النساء : ١
(٣) أخرجه أبو داود .

ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»[١] وهو معنى قوله سبحانه: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

وإن الاسلام يقوم على مبدأ العدالة ومبدأ المساواة فوضع نظاما خالدا مدى الأزمان، ودستورا عادلا صالحا لكل زمان ومكان. قانونه: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ومبدؤه: كما قال الله تعالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به، إن الله كان سميعا بصيرا﴾[٢] ونظامه: كما قال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى﴾[٣].

والناس كلهم متساوون فى التكاليف، كما فى قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[٤].

فهذه النصوص كلها تدل على أن الناس كلهم متساوون فى الحقوق والواجبات من أدنى إنسان إلى أعلاه لأنهم متساوون فى أصل الخلقة والنشأة وسوف يعودون إلى التراب.

وكان الحساب والعطاء بقدر ما يؤدى الانسان من واجبات بغض النظر عن نوعه أذكر هو أم أنثى؟ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[٥].

---

(١) انظر مسند الامام أحمد بن حنبل ٤١١/٥

(٢) النساء: ٥٨

(٣) النحل: ٩٠

(٤) البقرة: ٢١

(٥) النحل: ٩٧

والجزاء مرتبط بالعمل ثوابا و عذابا ، قال الله عز وجل : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾(١) .

ونحن نشاهد أن الناس كلهم يدفنون فى قبورهم وكلهم ليبعثن يوم القيامة ، كما قال رب العزة والجلال : ﴿منها خلقناكم و فيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾(٢) .

فظهر أن الاسلام ليس عنده فرق بين غنى أو فقير ولا بين قوى أو ضعيف بل الكل أمام القانون سواء وقد ورد فى القرآن الكريم ﴿يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾(٣) .

وبعد أن قمنا باستعراض بعض الآيات الكريمة التى تطالب من كافة الناس الالتزام بمبادئ العدل والمساواة . نلتفت إلى الأحاديث الصحيحة التى تدل على أهمية المساواة فى الاسلام .

فقد جاء فى الحديث الصحيح أن أسامة بن زيد لما شفع لامرأة مخزومية سرقت فقال النبى ﷺ : «أيها الناس ! إنما ضل من كان قبلكم إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله ! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت يقطع محمد يدها»(٤) .

و لقد أعطى رسول الله ﷺ القود عن نفسه ، فلقد روى أنه كان يعدل

---

(١) الزلزال : ٧ ، ٨

(٢) طه : ٥٥

(٣) النساء : ١٣٥

(٤) رواه الشيخان .

الصفوف، فطعن رجلا بالقضيب وقال له: «استقم يا سواد!» فقال: يا رسول الله! أوجعتنى، وقد بعثك الله بالحق والعدل أقدنى (أى اعطنى القصاص)، فكشف رسول الله عن بطنه فقال: «استقم يا سواد!» فاعتنقه فقبل بطنه، فقال له النبى ﷺ: ما حملك على هذا؟ يا سواد! قال: يا رسول الله! حضر ما ترى؟ فأردت أن يكون العهد الك أن يمس جلدى جلدك فدعا له الرسول ﷺ بخير[1].

وعلى هـذه القدوة سار الخلفاء الراشدون فلقد أعطى عمر بن الخطاب القود عن نفسه وكذلك قدم أبو بكر نفسه للقصاص.

وقد جاء فى الحديث ان على بن أبى طالب حينما طلب منه القاضى شريح البينة فأتى بابنه الحسن ومولاه قنبر، فقال القاضى: شهادة الابن لا تجوز لوالده وقبل شهادة قنبر ولم يستطع أمير المؤمنين أن يكمل نصاب الشهادة بشاهد آخر فحكم القاضى لليهودى بالدرع.

وقد ذكر فى الحديث أن أبا ذر الغفارى قال زاجرا لعبده: يا ولد الحبشى، فلما سمع النبى ﷺ ذلك قال: «يا أيها الناس ان ربكم واحـد، وان أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى»[2].

فهذه الروايات تدل على أن المساواة لها أهمية كبرى فى الاسلام، وهى واجبة أيضا بين الأولاد والذريات.

وقد جاء فى الحديث عن النعمان بن بشير أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى نحلت ابنى هـذا غلاما، فقال: أكل ولدك نحلت مثله؟ قال: لا! قال: فارجعه[3].

---

(١) البداية والنهاية ٢٧١/٣ نقلا عن الحدود فى الاسلام للشيخ محمد أبو شهبة.
(٢) أخرجه البيهقى.
(٣) رواه الشيخان.

وفى رواية أخرى قال رسول الله ﷺ: «اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم»[(١)]، وقال النبي ﷺ: «المؤمنون تكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم، ألا! لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد فى عهده»[(٢)].

والمساواة فى الاسلام تظهر أيضا من العبادات المتكررة والمعاملات المتبادلة ففى الصلاة مساواة كاملة فهى فرض على الجميع وفى الصوم كذلك مساواة كاملة فهى فرض على الجميع والحج كذلك فرض على الجميع من القادرين على وسائل القيام به وفى المعاملات تبدو المساواة فى وجوب التزام الصدق وايفاء الحق.

وشعائر الاسلام تثبت معنى المساواة عمليا حيث تقام صلاة الجماعة فتأخذ المساواة صورتها العملية، وتزول كل الفوارق التى تميز بين الناس، فمن ذهب إلى المسجد أولا، أخذ مكانه فى مقدمة الصفوف وإن كان أقل الناس مالا، ومن تأخر حضوره تأخر مكانه مهما يكن مركزه ومقامه عند الناس.

وإذا نظرنا إلى صف واحد من صفوف المصلين فإذا فيهم الغنى بجانب الفقير والعالم بجانب الأمى، والحاكم بجوار الخادم، قبلتهم واحدة وكتابهم واحد وربهم واحد وحركاتهم واحدة خلف إمام واحد.

إخوانى القراء! إن اختلاف الأديان لا يسقط عن المخالفين إنسانيتهم، قد جاء فى الحديث أن النبي ﷺ قام لجنازة، فقيل: إنها جنازة ليهودية، فقال: أليست نفسا؟[(٣)]. وقال ذو الجلال والاكرام: ﴿من قتل نفسا بغير نفس أو

(١) أبو داود: ٢/٥٠٠، كتاب البيوع، باب فى الرجل يفضل بعض ولده فى النحل.
(٢) أبو داود ٢/٦٢٣، كتاب الترجل، باب ايقاد المسلم بالكافر.
(٣) أخرجه البخارى.

فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾[١].

يا أيها الإخوة فى الاسلام! هنا تجدر الإشارة إلى قصة جبلة بن الأيهم ملك غسان مع الأعرابي الذى شكا إلى عمر رضى الله أن جبلة بن الأيهم لطمه على وجهه بغير حق ، فلما طلب للقصاص ، فقال : كيف يقتص منى وأنا ملك وهو سوقة؟ فقال عمر رضى الله عنه : إن الاسلام قد سوى بينكما » .

أيها الأحباب! إن الجنس البشرى له كرامته التى لا يجوز أن تستذل . قال الله عز وجل : ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[٢] .

فالكرامة للجميع على سبيل المساواة .

فثبت من الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة أن المساواة واجبة من الواجبات . والله المسؤول أن يرزقنى وجميع المسلمين لإقامة المساواة بين الناس والأولاد ، وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

المآخذ

(١) المنار ، الجامعة السلفية ، بنارس ، ١٩٨٨ م
(٢) مجلة الجامعة السلفية ، بنارس ، يناير ١٩٨٤ م
(٣) صوت الأمة ، الجامعة السلفية ، بنارس ، نوفمبر ١٩٨٩ م

---

(١) المائدة : ٣٢
(٢) الاسراء : ٧٠ .

أهمية الوقت

عبد النور عبد الخالق
الطالب بالجامعة السلفية بنارس

نحمده ونصلي على رسوله الكريم ، أما بعـد :

جاء الإسلام و بين قيمـة الوقت و أهميته وبين أن الإنسان له آجال وأوقات محدودة « لكل أمة أجل » ونهى الإنسان عن الغفلة والكسلان ، وبين أن أعلى وأثمن ما فى حياة الإنسان هو الوقت ، كما قال رسول الله ﷺ : « ما من يوم ينشق فجره إلا ويقول : يا ابن آدم ! أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، تزود منى ، فإنى لا أعود إلى يوم القيامة » .

الوقت معدود والزمن محدود والإنسان عنه مسئول وأن الملائكة يتعاقبون الليل والنهار ويكتبون ما يعمل ويفعل كما قال الله تعالى ذكره ، ﴿ بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ .

إن الإسلام بين لنا أن الوقت هو منحـة من الله ونعمـة منه فعلينا أن لا نغفل عنه لأن الوقت قليل ولا فائدة فى ضياعه والغفلة منه بل فى الحقيقـة إنه من الحماقة وبواعث الندامة أن لا يغتنمه الإنسان لأنه لن يعود أبدا .

ومن الأسف أننا لا نعرف قيمة الوقت فلا نهتم به ولا نقدره حق قدره فنضيعه فى الأمور الفاسدة ، كالسينما والتمثيل والمراقص الفاجرة وقلدنا فى ذلك الافرنج تقليداً أعمى كأننا آثرناه على الأعمال النافعة والمبادئ الصالحـة التى تفرضها علينا الشريعة الغراء .

ومن المعـــلوم أننا نسئل عن وقتنا . وان العمر قليل ولكل رجل الفناء والرحلة من العاجلة إلى الآجلة ، من دار الدنيا الفانيـة إلى دار الآخرة الباقية الخالدة والدائمة . فما ذا يكون جوابنا عند ربنا العزيز الجبار ؟

إن الوقت لـه أهمية ومكانة لا يصلح لنا أن نضيعه ونغفل عن تشغيله فى أعمـال نافعة بل علينا أن نقوم باستغلاله واستعماله بالأعمال الصالحة النافعة التى تضمن لنا الازدهار والفوز فى الدنيا والآخرة ، وأن ننتقل من الغفلة إلى اليقظة ومن الكسل إلى النهضة ومن الهوان إلى العزة .

و فى الحقيقـــة إن الوقت يعلن لنا صارخا فى الأحيـان كلها بأن الفلاح والنجاح لا يحصل للإنسان إلا بالاستعمال الوقت على الوجه الصحيح .

وبالعكس يعود الانسان إلى الخيب والخسران والذل والندامة . وقد قيل: ﴿إن الوقت كالسيف إن لم تقطعه يقطعك﴾ .

أيها المسلمون ! تفكروا فى أعمالكم وارجعوا إلى ربكم فلا ملجأ إلا اليـه . ولا تضيعوا أوقاتكم الثمينة ، ولا تشغلوا عن العمل ولا ترغبوا عنه بل ارغبوا فيـه وبادروا إلى استعمالـه الصحيح ، وأعملوا ما تيسر لـكم من العمل . لتفوزوا فى مرامكم يوم يفر المرأ من أخيه وأمه وأبيه .

قال الشاعر :

أتلهو وأيامنـــا لا تلعب ... ونلعب والموت لا يلعب

وقال آخر :

ولا تمهل الأوقات فالوقت مغنم ... ولست أرى كالوقت أعظم مغنم

فوقتك انفاس الحياة فإن تضع ... تعش همـــلا مثل الطريد المقمم

◎ ◎ ◎

اعلان عن :

صدور مجلة إسلامية علمية جديدة بالانجليزية

++

أصدر معهد الدراسات الإسلاميـــة والعربية بدهلى الجديدة مجلة جديدة بعنوان « رؤى إسلامية وعربية » Muslim & Arab Perspectives باللغة الإنجليزية وهي مجلة شهرية ستصدر كل شهرين فى المرحلة الأولى من عمرها . وستدرس هذه المجلة مختلف القضايا الاسلامية والعربية ، من علمية و سياسية و تاريخية ، بما فيهـــا قضيتا « التطرف » الإسلامى و « الصراع » بين الإسلام و الغـــرب الموهومتان .

و يرأس تحرير المجلة الكاتب و الباحث المعروف الدكتور ظفر الإسلام خان ، مدير معهد الدراسات الإسلامية والعربية بالعاصمة الهندية . وهو يقول فى افتتاحية العدد الأول من المجلة :

« نحن نؤمن بأن الذعر الحالى حول الإسلام والمسلمين يتسم بالأذى العابث ولا علاقة له بالحقيقة . فالإسلام والمسلمون — كأى فكر وشعب يحترم نفسه — سيحاربان الظلم والاستعمار الجديد والاستغلال والإرهاب فى كل صوره . ونحن ، فى الوقت نفسه ، لسنا ضد أية منطقة أو عرق أو شعب . فالكل فى نظرنا سواسية ، كما قال رسول الإسلام ، عليه الصلاة والسلام : «كلكم من آدم وآدم من تراب» . إننا نمد أيدينا للود والصداقة مع كل العروق والشعوب إلا التى ترهبنـــا و تغتصب حقوقنا مثل الإسرائيليين فى

فلسطين أو الصرب والكروات فى البوسنـــة ــ الهرسك ومدمرى المسجد البابرى ومثيرى الفتن الطائفية فى بلادنا » .

ويحتوى العـــدد الأول من المجلة (٤٨ صفحة) بالإضافة الى الأبواب المعتادة كعرض الكتب والمطبوعات الجديدة والمؤتمرات القادمة الخ ، دراستين هامتين ، إحـداهما للكاتب الهنـــدى (سيد أمين الحسن رضوى) حول بعض الأخطاء فى الترجمـــة الإنجليزية لمعانى القرآن الكريم لعبد الله يوسف على ، وأخرى للمستشرق المعروف (وليام روف) حول تقاليـــد توديع الحجاج الى بيت الله الحرام ، كما يضم العـــدد تعليمات هامة للكتاب حول أسلوب كتابة المقالات العلميـــة ومستلزماتها . وسيكون العـــدد القادم من المجلة عددا خاصا بالقضية الفلسطينية . ويبلغ الاشتراك السنوى بالمجلة ١٥ دولارا ويمكن حصولها من العنوان الآتى : معهد الدراسات الإسلاميـة والعربية ، ص. ب. (٩٧٠١) ، دهلى الجديدة ــ ١١٠٠٢٥ ، الهنـــد .

(IIAS, P.O. Box 9701, New Delhi – 110025, India)

وقد رحبت الأوساط العلمية والإسلامية فى الهنـــد بهذا الحدث العلمى الهـام . وقالت : إن المجلة جاءت لتسد فراغا كبيرا حيث لا توجـــد مجلة علمية رصينة للمسلمين باللغة الإنجليزية ؟

عدد صفحات الجزء ٥٦

صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٦) شعبان ١٤١٤ هـ

العدد الثاني فبراير ١٩٩٤ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهري

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بي ١٨/١ جي ، ريوڑی تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi - 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑی تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوي : في الهند ٥٠ روبية ، في الخارج ٣٢ دولارا (بالبريدالجوي) ١٢ دولارات (بالبريد العادي) ثمن النسخة : ٤/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٢١١٦/٣٢٠٩٥٨ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب على رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .

◇ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .

◇ التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

الافتتاحية :

محدث العصر العلامة الشيخ
أبو الحسن عبيد الله الرحمانى المباركفورى
رئيس الجامعة السلفية ببنارس إلى رحمة الله عز وجل

بقلم : د/ مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهرى

تلقيت فى الرياض فجر الأربعاء ١٤١٤/٧/٢٢هـ المصادف ٥/يناير ١٩٩٤م نبأ وفاة العلامة المحدث الشيخ عبيد الله الرحمانى فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . كان الخبر وصل الى الرياض تليفونيا ، فاتصل الدكتور عبـد الرحمن الفريوائى هاتفيا برفيق فى السفر الأخ عبد الله سعود عبد الوحيد الأمين العام المساعد للجامعة فى الفندق الذى نزلنا فيه ، وأبلغنا جميعا عن الحادث الذى هز كياننا ، وزلزل شعورنا ، وأظلم علينا الدنيا بما فيهـا . ان الموت أمر طبيعى ، ونحن المسلمين مأمورون بالصبر فى المصائب والمحن ، ولكن تلق مثل هـذه الانباء فى الغربة بعيدا عن الأهل والأحبة يصدع القلوب ويطير العقول ويذهل النفوس .

انتشر خبر وفاة العلامـة بسرعة مذهلة فى مدن المملكة العربيـة السعودية مثل غيرها من البلاد ، فاتصل أبناء الجامعة السلفيـة و كثير من غيرهم بعضهم مع بعض ، و تبادلوا التعزيـة ، و سألوا الله تعـالى للفقيد المغفرة و الرضوان و للصابين الصبر والسلوان . وكثير من العلماء والمشايخ فى المملكة المحروسة من الذين عرفوا العلامـة

المحدث من خلال كتابه مرعاة المفاتيح أو سمعوا عن مكانته العلمية و خدماته الجليلة ، لما سمعوا نبأ الوفاة ، قدموا التعزية الى أبناء الجامعة السلفية و الى أسرة الفقيد مباشرة أو بواسطة ، و سألوا المولى جل شأنه أن يوفق أبناء الفقيد و تلاميذه لمواصلة المسيرة العلمية و خدمة السنة المطهرة بنفس الروح و الاخلاص اللذين تميزت بهما حياة الفقيد . وفى نفس اليوم اجتمع أبناء الجامعة السلفية والاخوة السلفيون فى الرياض فى بيت الدكتور محمد لقمان السلفى ، فعزى بعضهم بعضا ، و حرروا خطاب التعزية مرفوعا الى أبناء العلامة المحدث والى الجامعة السلفية ببنارس .

ارتحل شيخنا العلامة من الدنيا ، ورحلته لم تفجع أهله وأقاربه فحسب ، بل فجعت الأوساط العلمية كلها ، وفجعت الجامعة السلفية التى شرفها برئاسته منذ التأسيس ، و فجعت جمعية أهل الحديث المركزية التى بذل لدعمها و رقيها كل ما يملك دون أن يستأثر بمنصب فيها .

تأسست الجامعة السلفية فى سنة ١٣٨٣ هـ على أن تكون جامعة مركزية لجماعة أهل الحديث فى الهند ، ومن هنا أطلق عليها أولا اسم « الجامعة المركزية » ثم تم تغييره — دون مبرر قوى — الى « الجامعة السلفية » . وجامعة بهذه المثابة ومع هذه الخلفية لا بد و أن تكون أهدافها عظيمة شاملة ، لأنها تترجم عن آمال جماعة حقة فريدة فى العقائد و الأعمال و المناهج و الوسائل . تقررت أهداف الجامعة السلفية قبل أن يوضع لها حجر الأساس ، وكان تحقيق هذه الأهداف يتطلب من قيادتها سعيا حثيثا وجهدا مستمرا وعملا متواصلا وبصيرة نافذة وذهنا ثاقبا وخبرة واسعة واخلاصا بالغا وتجردا تاما عن الأغراض التافهة و المآرب الشخصية . وقد توفرت بتوفيق الله تعالى جميع هذه الصفات فى رئيس الجامعة الأول توفرا مثاليا حتى انه قاد هذه المؤسسة العلمية التعليمية الى النهضة والرقى ، و أرشد العاملين فيها الى الاتجاه السليم ، فنجحت الجامعة فى تخريج عدد كبير من العلماء والباحثين الذين أثبتوا كفاءتهم فى مجال التدريس

والدعوة والتأليف والتحقيق . و بهذه الميزة أكرم الله تعالى الجامعة بثقة العلماء وعامة الناس وإعجابهم وتقديرهم فى الهند وخارجها .

ان الأنظار القصيرة تنظر الى النواحى الظاهرة فترجع نجاح المؤسسات التعليمية إلى الأسباب المادية ، وتتجاهل عن الأمور المعنوية ولكن أصحاب العقول السليمة يدركون الأسباب الحقيقية وراء نجاح الأعمال الكبيرة ويلمسون دور الأمور المعنوية فى هذا النجاح . و لاشك أن المكانة العلمية المرموقة التى احتلها شيخنا الكبير قد منحت الجامعة معنوية كبيرة ، ورفعت منزلتها بين المؤسسات التعليمية فى البلاد ، ثم انه تكرم بمنح الجامعة الاذن لطبع كتابه القيم الشهير مرعاة المفاتيح فى شرح مشكاة المصابيح ، الأمر الذى رفع معنوية الجامعة كثيرا ، و ميزها بين المؤسسات التعليمية كجامعة تعنى لطبع و نشر كتب الحديث الشريف بجانب ممارستها لعمل التدريس والدعوة . ان شيخنا رحمه الله كان يعرف جيدا اتجاه الناس فى استغلال المناصب العلمية والدينية للصالح الشخصية ، وكذلك كان يسمع عن الفوائد التى تعود على المؤلفين مقابل مؤلفاتهم ، ولكنه لم يلتفت الى شيء مما ذكر ، بل قدم مصلحة الجامعة على كل شيء ، وضحى فى هذا السبيل بكل ما ملك ، وهكذا ضرب مثالا رائعا للايثار والقناعة والتعفف والنزاهة . ثم انه لم يحب أن يعلم أحد عن هذه المعاملة التى أنجزها مع الجامعة ، فأخفاها غاية الاخفاء ، وكره أن يشيد بموقفه هذا أحد ، و يبرزه فى الجرائد والمجلات كما جرت العادة بذلك ، و الذى يزيد موقفه هذا شرفا و نزاهة هو أن الفقيد رحمه الله قدم هذه التضحية للجامعة فى أيام المرض والحاجة ، ومع ذلك لم تسول له نفسه أن ينتفع ماديا بخدمته العلمية ، ويسوم بها كما يسام بالسلع والأعراض .

أما حكاية طبع الكتاب و توزيعه فى الهند وخارجها فالحقيقة أن الجامعة قصرت وفرطت فى هذا الأمر ، ولذلك لم تتداول نسخ الكتاب بين الناس مع شدة رغبتهم فى اقتنائه . والكشف عن سبب هذا التفريط مرير وليس هنا موضعه ، والله المستعان .

مضت على تأسيس الجامعـة نحو ثلاثين سنة ، وهـــذه المدة بالنسبة الى مؤسسة تعليمية مركزية ليست طويلة ، بل لاتزال الجـامعة تعد فى مقتبل العمر ، ولـكن فى هذه المدة القصيرة أصابتهـا هزات عديدة أشدها هذه الهزة التى جاءت بموت رئيسها المثالى المظيم ، وقبل سنوات عديدة كانت الجامعة تعرضت لهزة أخرى ، ولـكنها كانت أخف من هـــذه الأخيرة ، و ذلك اذ توفى أمينها العام الشيخ عبد الوحيد عبد الحق السلفى ، رحمـه الله ، الذى ضرب هو الآخر مثالا رائعا للتضحية و التفانى والتعفف و النزاهـــة و الايثار و الاخلاص ، أجزل الله المثوبـــة لكليهما ، و أمطر عليهما شآبيب الرحمـــة والرضوان .

رئيس الجامعـــة السلفيـــة الشيخ الـكبير المحـدث أبو الحسن عبيد الله الرحمانى المباركفورى ، رحمـه الله ، عاش حياة حافلة بالسعى و العمل والجد والاجتهاد والصبر و المثابرة و البحث و التحقيق و التقوى و التعفف و الحلم و الرزانة . و العقود الثلاثة الأخيرة من هـذه الحياة المباركة ارتبطت بتاريخ الجامعة السلفيـة أيضا بجانب نشاطاته وأعمالـه فى مرعاة المفاتيح و الافتاء و الدعوة و التوجيـــه وما إلى ذلك من الأعمال الحسنة . وهـــذه الحياة التى استغرقت أكثر من ثمانية عقود تظل تنير الطريق للطلاب والعلماء والمدرسين والباحثين والمحققين والـكتاب ، وقد امتازت بخدمة علوم الـكتاب والسنـة على منهج السلف الصالح رضى الله عنهم ، و بضرب المثال الرائع للاخلاص فى العمل والتفانى فى الدفاع عن السنة الشريفة .

ان التعريف بهـذه الحياة الحافلة بالعلم والعمل دين على أعناق الجماعة ، وعلى عجلة أشرنا إلى بعض نواحيها ، وسوف نعود للـكتابة عنها بتوفيق الله تعالى . وختاما نقدم إلى أنجال الشيخ رحمـه الله و إلى الأسرة كلها تعزية قلبية و نسأله تعالى أن يدخله جنة الفردوس ويلهم المصابين الصبر و السلوان ، ويوفقهم لمواصلة مسيرتـه العلمية واحياء مآثره العظيمة : اللهم اغفر له وارحمه ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده ◎ ◎ ◎

تعريف بالكتب :

الترجمة العربيـــة
لمقدمة الناشر للطبعة الأولى
من كتاب مرعاة المفاتيح

حامدا ومصليا ومسلما

(نشرت هذه المقدمة مع الجزء الأول لمرعاة المفاتيح فى الطبعة الأولى الحجرية بقلم : العلامة الشيخ أبو الطيب محمـــد عطاء الله حنيف رحمه الله، وضعها باللغـــة الأردية، وقد ترجمت إلى العربية للنشر مع الطبعة الثانيـة التى تولتها الجامعة السلفيـة بالحروف على مطبعتها. ونحن نثبتها هنا لأنها تلقى الضوء على خدمات أهل الحديث فى الهند ومنهجهم فى خدمـــة السنة المطهرة، وتكشف عن الدوافع التى دفعت إلى تأليف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح).

اعلم أن الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله قد قرر فى المبحث السابع من كتابه «حجة الله البالغة» باعتبار فهم المعانى الشرعية من الكتاب والسنة والاستنباط منهما والعمـل بهما، مدرستين مستقلتين للتفكير : أهل الحديث، وأهل الرأى. فذكر فى إحداهما فقهاء أهل الحديث من مؤلفى الصحاح الستة وغيرهم مع الأئمة الثلاثة : مالك والشافعى وأحمد. كمجتهدى الأمة — ونسب رئاسة المدرسة الأولى إلى إبراهيم النخعى وأبي حنيفة وأصحابه. ثم قارن بين أصول استدلال المدرستين وطرق الاستنباط والتخريج لها. وعلاوة على شرحه الأحاديث فيه شرحا فقهيا أرسخ قواعد حرية التفكير وسعة النظر باختياره طريقة المدرسة الثانية فى شرحه لموطأ الامام مالك، وترجمته «المسوى والمصفى» لتبقى الأمة المسلمة متحدة عملا مع اختلافها فكرا ونظرا متمشية على منهاج السلف الأول.

ثم روج الشاه ولى الله رحمه الله تدريس الصحاح الستة على طريقة أهل الحديث بجنب التأليف والتصنيف لأن موضوع تلك الكتب جمع سيرة الرسول ﷺ كاملة حيث يهتدى بها فى جميع نواحى الحياة البشرية قاطبة. ثم من أعظم أوصافها وخصائصها أنها تحمل فى طيها سمة النظر وليس فى جمع وتدوين أحاديثها ولا فى تبويبها ولا فى طرق الاستدلال والاستنباط منها تحديد واقتصار.

فيورد أصحابها كل ما روى من الأحاديث والآثار عن رسول الله ﷺ والسلف الصالحين. سواء كان دليلا لطائفة أو عليها، لايتملق لهم بذلك غرض فيعملون فى ثبوت تلك المرويات والاحتجاج بها حرية التفكير والبحث التى تورث الذهن استعداد النقد المثمر البناء.

ولعل هذا هو السبب الأكبر فى اختياره مسلك الفقهاء المحدثين أساسا لتوحيد صفوف الفرق المسلمة فكريا وعمليا وجعله موضوعا لبعض مؤلفاته.

ولعله قد شعر بأنه قد ساد على العالم الإسلامى بعد القرن العاشر من الهجرى عامة إما الفقه الجامد أو القاصر، أو التصوف المتخشن المفضى إلى الإلحاد. وإن كان هناك شيء فى المدارس باسم علوم الحديث فهو تابع للفقه المعاصر، ولم يكن يتعرض للروايات إلا فى مجالس الوعظ والقصص بغض النظر عن رطبها ويابسها وصحيحها وسقيمها أو لتأييد المذاهب الفقهية مهما كانت درجتها فى الصحة والثبوت.

ولتحقيق أهداف الفقهاء المحدثين بدأ الشيخ ولى الله رحمه الله حركة تجديد عهد المحدثين، وسقى هذا النبت حفيده الشيخ إسماعيل الشهيد (م ١٢٤٦هـ) ثم ترعرع بعده وأثمر هذا الشجر عند طبقة من المحققين الذين استفادوا منه، أعنى بهم المحدث الكبير شيخ الكل السيد نذير حسين الدهلوى (م ١٣٢٠ هـ) التلميذ الخاص للشاه محمد إسحاق (م ١٢٦٢هـ) والسيد أبا الطيب محمد صديق حسن خان (م ١٣٠٧ هـ) التلميذ الممتاز والمجاز الشاه محمد يعقوب (م ١٢٨٢ هـ) ابن بنت الشاه عبد العزيز رحمه الله.

فالمحدث الدهلوى السيد نذير حسين رحمه الله أثر هذه الحركة المقدسة تدريسا ، والسيد النواب رحمه الله قد أسهم فيها بتأليف الكتب الكثيرة والتزامه بطبع المؤلفات النافعة النادرة الوجود على حسابه الخاص وتوزيعها فى الإسلامى - مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .

وألف السيد صديق حسن خان رحمه الله على أساس خطة التفكير الفقهى للشاه ولى الله رحمه الله فى سنة ١٢٨٧ﻫ شرحا لبلوغ المرام باللغة الفارسية « مسك الختام » . وفى سنة ١٢٩٤ﻫ « عون البارى » شرح تجريد صحيح البخارى للشرجى . وفى سنة ١٢٩٩ﻫ « السراج الوهاج » تلخيص الصحيح لمسلم للمنذرى . هذا ، بجنب طبعه لاستفادة أهل العلم وأصحاب التحقيق « نيل الأوطار » سنة ١٢٩٧ﻫ وفتح البارى سنة ١٣٠٠ﻫ بالمطبعة الأميرية ببولاق (مصر) بمبالغ باهضة مع عنايته واهتمامه بترجمة كتب الصحاح الستة مع موطأ الإمام مالك وطبعها ، ليستنير عامة الناس من أنوار السنة رأسا وبدون واسطة .

ومن تلامذة المحدث الدهلوى العلامة الشيخ أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى (م ١٣٢٩ﻫ) ألف « عون المعبود » شرح سنن أبى داود ، والشيخ أبو العلى محمد عبد الرحمن المباركفورى (م ١٣٥٢ ﻫ) شرح الجامع للترمذى باسم « تحفة الأحوذى » . والشيخ محمد أبو الحسن السيالكوتى شرح صحيح البخارى باللغة الأردية فى ٣٠ مجلدا وسماه فيض البارى ، والشيخ عبد الأول الغزنوى الأمرتسرى (م ١٣٣١ ﻫ) بن محمد[١] بن العارف بالله الشيخ عبد الله الغزنوى - رحمه الله - ترجم مشكاة المصابيح وعلق عليها وطبعها .

ومن مفاخر علماء أهل الحديث فى شبه القارة الهندية أنه باهتمامهم فحسب طبع أول مرة عدة من كتب الحديث القيمة أمثال « السنن للنسائى ، والسنن للدارقطنى ، والتلخيص الحبير » وغيرها . ومن الحقائق الثابتة أن تلك المطبوعات

---

(١) المعلق على تفسير « جامع البيان » وناشر « المسوى والمصفى » الأول .

هي التي يستفيد بها أصحاب التدريس والإفتاء وأهل التحقيق، فلله الحمد على ذلك.

وعلى كل حال فقد استمرت نهضة تجديد وإحياء السنة بكل قوتها وحيويتها بفضل مساعي جماعة أهل الحديث الهندية وجهودها العلمية والعملية واستنارت بأشعة هذا النور العظيم أرجاء العالم الاسلامي النائية، واعترف عديد من أهل العلم والتحقيق في العالم الاسلامي في العهد الحاضر بسبق علماء أهل الحديث في الهند في ميدان نشر علوم السنة وطبع كتبها. فالشيخ العلامة رشيد رضا المغفور له يقدر ويحسن جهودهم بما نصه: ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل القرن الرابع عشر... (مقدمة مفتاح كنوز السنة).

ويمدحهم محقق آخر من مصر الشيخ عبد العزيز الخولي... ولا يوجد في الشعوب الاسلامية من وفى الحديث قسطه من العناية في هذا العصر مثل إخواننا مسلمي الهند، أولائك الذين وجد بينهم حفاظ للحديث و دارسون لها على نحو ما كانت تدرس في القرن الثالث، حرية في الفهم، ونظر في الأسانيد، كما طبعوا كثيرا من كتبها النفيسة التي كادت تذهب بها يد الإهمال، وتقضي عليها غير الزمان.... وإن أساس تلك النهضة في البلاد الهندية أفذاذ أجلاء تمخضت بهم العصور الحديثة، وانتهجوا في تحصيل العلوم نهج السلف، فنبه شأنهم وعلا أمرهم و ذاع صيتهم، فكان لها الأثر الصالح والسبق الواضح. ومن أشهر هؤلاء الاعلام ولي الله الدهلوي صاحب التصانيف، أشهرها «حجة الله البالغة» والسيد صديق حسن خان ملك بهوپال صاحب التصانيف الكثيرة، ومن حسناته (يعني السيد حسن خان) طبع فتح الباري ونيل الاوطار وتفسير الحافظ ابن كثير... طبعه هذه على نفقته في المطبعة الأميرية بمصر. فكانت من أنجح وسائل إحياء السنة... وفي الهند الآن طائفة تهتدي بالسنة في كل أمور الدين ولا تقلد أحدا من الفقهاء ولا المتكلمين وهي طائفة المحدثين (مفتاح السنة ص ١٦٩).

ومحقق آخر الشيخ محمد منير الدمشقي يبدي رأيه عن حركة إحياء السنة هذه بما يأتي

« وهي نهضة عظيمة أثرت على باقي البلاد الاسلامية ، فاقتدى بها غالب البلاد الاسلامية في طبع كتب الحديث والتفسير » (أنموذج من الأعمال الخيرية ص ٤٦٨) .

ويكتب عن السيد صديق حسن خان : كم له من أياد بيضاء في خدمة العلم والعلماء وإن جحد فضله الحاسدون وضعفاء العقول المتصنعون (أنموذج ص ٣٨٨) .

هذه هي حكاية ما أنجزه علماء أهل الحديث في شبه القارة الهندية من الأعمال الذهبية في سبيل إحياء السنة وتجديد نهضة الشاه ولي الله رحمه الله ، باختصار . ولو سلك مسالكه واختار منهجه العلماء المنتسبون إلى أسرته أيضاً لكان الوضع الديني لبلادنا مختلفاً تماماً عن الوضع الحالي .

وقد حدث — مع الأسف الشديد — أن طائفة من علماء أسرته قد ترك منهج تدريسه وترويج علوم الحديث لبعض مصالحها الخاصة بعد وفاته بمدة لا تطول ، ولاشك أن تلك الطائفة قد ساهمت في نشر الدين بجهود لاتنكر قيمتها ولكنهم لم يرضوا بإعطاء علوم الحديث حظها من عنايتهم . فانهم جعلوا نصب أعينهم عند الاشتغال بعلم الحديث مقاصد خاصة مثل بعض سلفهم من المؤلفين وشراح الحديث ، ودرسوا هذه الكتب التي أساسها على الاجتهاد ، على طريقة أصحاب الرأي معرضين عن منهج الشاه ولي الله رحمه الله . وزينت تلك الكتب بحواش مفيدة ولكن غلبت عليهم العصبية الطائفية في شرح وتطبيق بعض الأحاديث وتعيين درجتها من الصحة والضعف .

ويبذل قصارى الجهد في إبعاد الطالب عن تأثير ما ورد في المواضع المختلف فيها من الكتاب ، والتعليق يكون مخالفاً للمتن ، والحديث المعارض للمذهب في نظر المحشي أو المدرس يعرض للتأويل والتوجيه ، ولكن الذي حظي بالموافقة لمذهبهم يقبل من غير أن ينظر إلى مرتبته من الصحة والضعف ، والغرض من هذا التكلف أن لايتسع طلبة الحديث فكراً وصدراً بل ينحصروا في حصار خاص ويتقيدوا بقالب معين ، وإذا انبعث فيهم شعور بالنقد والتحقيق فلا يكون إيجابياً ومنتجاً بل سلبياً وجارحاً .

ولو طالع أحد حواشي وتعليقات من هو في الطبقة العليا من فقهاء الهند على كتب الحديث على سبيل المثال ، لوجد لما ادعيناه في السطور الأولى أسساً ثابتة فيها ، أعني بها حواشي الشيخ أحمد على السهارنپوري (م ١٢٩٧هـ) على صحيح البخاري ، والجامع للترمذي ومشكاة المصابيح . وحواشي الشيخ عبد الغني المجددي (م ١٢٩٦هـ) والشيخ محمد التهانوي على سنن ابن ماجه وسنن النسائي ، وحاشية النواب محمد قطب الدين الدهلوي (م ١٢٨٩هـ) باللغة الأردية على مشكاة المصابيح .

واستمر على هذا المنهاج في التأليف والتدريس من جاء بعدهم عامة إلا من شاء الله منهم . ولا يخفى أن هذا الوضع قد يشوش أذهان طلاب الحديث حيث يكون التعليق مخالفاً للمتن ولذا شعرنا بحاجة إلى حواشي وتعليقات على كتب الأحاديث المتداولة بين المدارس الدينية في بلادنا تحل تلك المشكلة ولا تشوش بنفسها ذهن الطالب بل تؤيد اتجاه أئمة الحديث وتوضحه ، وروعى فيها المعايير المحايدة للمحدثين في الجرح والتعديل والبحث والتمحيص ولوحظ فيها الأصول الفقهية للشاه ولي الله رحمه الله واحترم فيها جميع السلف من المحـــدثين والفقهاء ، بدون فرق بين مذهب ومذهب .

وتقع مسئوليـة هذا العمل الجليل على عواتق علماء أهل الحديث في شبه القارة الهندية وقد اعتنوا به شيئاً ما ، فحواشي سنن ابن ماجه (١٣١٢هـ) وسنن أبي داود (١٣١٨هـ) للشيخ محمد بن نور الدين الهزاروي التلميـذ الراشد للشيخ العلامة حسين بن محسن اليماني البهوپالي (م ١٣٢٧هـ) طبعت في أصح المطابع بلكنئو ، وحاشية سنن النسائي للشيخ أبي عبد الرحمن محمد الپنجابي (م ١٣١٥ هـ) والشيخ أبي يحيى محمد الشاهجهانفوري (م ١٣٣٨هـ) تلميذي المحدث الدهلوي السيد نذير حسين طبعت في المطبع الأنصاري بدلهي سنة ١٣١٥هـ . وينـــدرج تحتها تنقيح الرواة حاشية على المشكاة للشيخ السيد أحمد حسن الدهلوي (م ١٣٢٨هـ) تلميذ شيخ الكل السيد نذير حسين الدهلوي رحمهم الله . ولـكن جمعية أهل الحديث في شبه القارة الهندية قد تعرضت فيما بعد لحوادث — ليس هذا محل تفصيلها — فتوقف هذا العمل

الجليل من جرائها لفترة طويلة ولكن كل فرد من أفرادها مازال يشعر بالحاجة إليه .

والغرض من إطالة هذه الحكاية الممتعة للسامع إزاحة الستار عما يكمن وراء الحوار والحادثات والمقترحات التى كانت تمتد إلى ساعات طويلة بينى وبين صديق المغفور له الحافظ محمد زكريا ، وقد لقيته إبان الحرب العالمية الثانية - كما أذكر - حينما كنت مقيما ببلدة فيروز پور (الپنجاب الشرقى) للتدريس والخطابة . وقد كثرت اللقاءات ، ووحدة الذوق والفكر دائما يحدونا إلى اللقاء والمحادثة . وأكبر همنا كان التخطيط لإحياء نهضة سلفنا - عمل نشر علوم الحديث - من جديد .

وعلى بعد ٣٠ ميلا من المدينة الصناعية لائل پور (الپنجاب الغربى) وفى ناحيتها الغربية الجنوبية تقع قرية تسمى « جهوك دادوطور » يسكنها العالم الربانى الشيخ محمد الباقر تلميذ المحدث الحافظ عبد المنان الوزيرآبادى (م ١٣٣٤ ﻫ) والمستفيض من علوم ومعارف الشيخ عبد الجبار الغزنوى (م ١٣٣٢ﻫ) رحمهما الله وغفرلهما — وصديقنا المرحوم الحافظ محمد زكريا كان أكبر أولاده ، وقد ولد فى نفس القرية سنة ١٣٣٢ﻫ غالبا — غيب القرآن وتعلم اللغة الأردية فى بيته وقرأ مبادىء اللغة العربية فى قرية قريبة من مديرية شيخوپوره وأقام مدة يسيرة بمدرسة تقوية الاسلام أمرتسر - الپنجاب - ثم ارتحل إلى گوجرانواله وتلمذ على الشيخ العلام الحافظ محمد حفظه الله ونفع بعلومه ، والشيخ محمد إسماعيل رحمه الله ، وقرأ عليهما الصحاح الستة وغيرها من كتب الحديث والعلوم وحصل منهما الشهادة والإجازة . وبما أنه كان يميل إلى الكتابة والتأليف ونشر الكتب - وهذا هو وجه الرابطة بينى وبينه لأنى أيضا كنت أميل إليه من بدء شعورى - فترجم رسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية . و « الوابل الصيب » لابن القيم رحمهما الله إلى اللغة الأردية وطبعها على رغبتى ومشورتى ، ثم شرح « زرادى » بالأردية وسماه « الهادى » وكذلك طبع مقالتى الوجيزة « الامام الشوكانى » فى سنة ١٣٦٤ﻫ وعلاوة عليها ترجم رسالة للرازى «عصمة الأنبياء » وشرح كتاب « أبواب الصرف» للشيخ الحافظ محمد اللكهوى ، ولم يطبعها بعد . ولكن واحسرتاه ! هذا الشاب الطويل القامة النحيف الجسم، الملىء بالعلم والذوق السليم كان مصابا بمرض المعدة، وازداد مرضه

تدريجا حتى قضى على حياته وتوفاه الأجل المحتوم فى آخر شوال سنة ١٣٦٨ﻫ الموافق أغسطس سنة ١٩٤٩ﻫ - إنا لله وإنا إليه راجعون وقد توفى والده الشيخ محمد الباقر أيضا.

وبعد انقسام شبه القارة إلى الدولتين الهند والباكستان عام ١٣٦٦ﻫ الموافق لعام ١٩٤٧م هاجرت من فيروز پور الهند إلى باكستان ، ولقاء صديقنا هناك كان أمرا طبيعيا ، وشعرنا بأنه قد حان موعد تعبير الأحلام التى كنا نحلم بها ، وكانت المقترحات والمنشورات والمشاريع السابقة مواضيع لقاءنا ، فقررنا إحياء مشروع سلفنا بتحشية وطبع كتب الحديث وما يتعلق بها ، وأن نبدأ العمل بمشكاة المصابيح ، وطلب منى التعليق عليه فاعتذرت بعدم استعدادى له وعرضت عليه اسم فضيلة الشيخ عبيد الله الرحمانى المباركفورى حفظه الله وبارك فى حياته ونفع بعلومه ، فوافق عليه والتمس هو من الشيخ الرحمانى المباركفورى حفظه الله بالقيام لهذة الخدمة الجليلة الشأن ، فقبل الشيخ اقتراحنا بكل بشاشة وفرح ، ولكن قدر مدة تكميل العمل بأربع سنوات على الأقل ، وبدأ العمل فى ١٣٦٧ﻫ الموافق ١٩٤٧ م .

وكنت قد انتقلت ذاك الوقت على طلب مخدومنا الشيخ العلام السيد محمد داود الغزنوى رحمه الله إلى مدرسته تقوية الاسلام فى لاهور، لأقوم بخدمة التدريس فيها ، ونزل الصديق الحافظ محمد زكريا لطباعة بعض الكتب لاهور وأقام عندى عدة شهور، وشعرنا بأنه لاينبغى الانتظار لتكميل حاشية المشكاة بل لابد من بدء عمل آخر فقررنا طبع سيرة المحدث الدهلوى السيد نذير حسين رحمه الله « الحياة بعد المماة » طباعة ممتازة أنيقة . وبما أنه كان لايوجد فى ذاك الوقت سنن أبى داود فى المكاتب فصممنا على طبعه بتعليق جديد وبدأت بتأليف « فيض الودود » تعليق سنن أبى داود على الحاجه ، واعتنى هو لتسيير العمل بمساعدة مالية ، وفى أثنائه غادر هو لاهور إلى بيته واشتد مرضه ، وبعد أيام جاء نعى وفاته المؤلم ، اهتز له كل من كان يعرفه ، وخاصة كاتب هذه السطور « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » .

ومكتبتى التى ضاعت بفيروز پور قد أسستها من جديد بلاهور باسم المكتبة السلفية ، وعمل تأليف فيض الودود تعليق سنن أبى داود وإن لم يتعد على جزئين

فقط ولكن لم تمض فترة إلا أن قيض الله سبحانه وتعالى أسباباً لا نتوقعها لتأليف وطبع كتاب عظيم التعليقات السلفية على سنن النسائى فى غضون أربع سنوات تحت إشراف وعناية المكتبة السلفية، وهذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر.

وبعد سنة فصاعدا قد علمنا بأن فضيلة الشيخ عبيد الله الرحمانى قد أرسى قواعد شرح جليل لمشكاة المصابيح بدل تعليق بسيط عليه وأكمل الجزء الأول منه وأرسله إلينا للطبع. والحقيقة أننا ما كنا مستعدين له فى ذاك الوقت لأن جمعية قرية صغيرة ما كانت تستطيع أن تتحمل نفقات الطبع الباهضة، ثم الموانع والمشكلات فى كل مرحلة حالت دون طبعــه، ولكن الله تعالى بفضله وكرمه أزال جميع الموانع و وفق عبدا ضعيفا من عباده أن يوفى بما عهد به صديقه، و ذلك من ثمرات إخلاص المغفور له، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

ولا يخفى على أحد الحاجة إلى شرح مفصل للمشكاة؟ ولاشك فى أن شرح شيخ مؤلف المشكاة العلامة حسين بن محمـــد الطيبى (م ٧٤٣ هـ) «الكاشف عن حقائق السنن» يعد من أحسن الشروح له، لكنه لم يطبع بعد، ويتبعه مرتبة المرقاة لملا على بن سلطان محمد القارى (م ١٠١٤هـ) واللمعات للشيخ عبد الحق الدهلوى (م ١٠٥٢هـ) وهما شرحان جيدان من حيث جمع المواد المتعلقة بإيضاح المطالب وغيره ولكن التزم فيهما تمثيل مدرسة خاصة فى الفقهيـــات، ثم إنهما لايشفيان غليل الباحث فى باب تخريج ونقد الأحاديث مع أن الحاجة إليه شديدة فى شرح المشكاة خاصة بالفصل الثالث منه. ونظرا إلى ذالك فقـــد حبذنا عمل فضيلة الشيخ عبيد الله الرحمانى بكل سرور وانشراح، فإن الله تعالى قد هيأ أسبابا لملأ فراغ كبير فى هذا الباب.

ونحمد الله على إحسانه وكرمه أن مرعاة المفاتيح يعد شرحا عديم النظير غير مسبوق به بما يمتاز به من الأوصاف والخصائص، يحتوى بما فى الشروح السابقة ويذكرنا القرن العاشر فى باب التحقيق مصداقا لـ «كم ترك الأول للآخر».

وإن هذا الكتاب لايفى بحاجة المرقاة واللمعات فحسب بل يغنى عن كثير من

الكتب فى باب تخريج الأحاديث وتنقيحها، إن شاء الله ونتضرع إلى الله تعالى أن يوفق الشارح لتكميل هذا العمل وينعم عليه بحسن القبول والافادة العامة.

والحاجة إلى تعليق على المشكاة التى لمسناها لغرض خاص باقية حتى الآن، ولا ندرى من يوفق له ومتى؟ والحاشية شبه الشرح للشكاة « تنقيح الرواة فى تخريج أحاديث المشكاة » التى مر ذكرها فوق قد طبع نصفها الاول قبل مدة طويلة، وقد عثرنا على أوراق نصفها الأخير هذه الأيام ولكنها فى حاجة ماسة إلى إعادة النظر فيها، بل شىء من آخرها مخروم ويحتاج إلى كتابتها من جديد ومن أمانى المشرفين على المكتبة السلفية بلاهور طبعها ونشرها فى أقرب فرصة.

ولا نزال نلمس الحاجة إلى مشكاة مترجمة تحتوى على مقتضى القديم والحديث مع ترجمتها الموثوق بها، وقد استكمل ترجمة نصفها الأول الشيخ محمد اسماعيل على اقتراح كاتب هذه السطور، وستكون هذه المشكاة المترجمة عديمة النظير إن شاء الله.

ولايخفى على أحد أن إشاعة ونشر تفسير القرآن الكريم فى ضوء الأحاديث والآثار وعلوم الحديث خالصة، من واجبات جماعة أهل الحديث التى تمتاز بها، وقد أدى هذا الواجب أسلافها فى الماضى القريب بأحسن وجه، وإن العصر الذى نعيش فيه ملئ بالمخاطر، والحاجة ماسة إلى دفع مهاجمات ومهاترات المنكرين لحجية الحديث والمتخبطين فى ملتويات التأويل والتوجيه، وعمل أصحاب الحديث وأنصاره أضعف بكثير وأبطأ بازاء دعاية تلك القوى المعارضة، فهل من سبيل لمقاومة هذا السيل العارم؟ وهل ينظرون فى سبيل مقاومة هذا الاتجاه الزائف؟.

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله واصحابه اجمعين؟

(أبو الطيب محمد عطاء حنيف كان الله له)

الدعوة الاسلامية :

مفهوم الحكمة فى الدعوة

++++++++++++++++++++++++

فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد
امام الحرم المكى الشريف
والأستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

++++++++++++++++++++++++

(قام وفد ثنائى مكون من كاتب هـذه السطور ومن الأمين العام المساعد للجامعة بزيارة المملكة العربية السعودية فى شهر جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ ، وفى هـذه الزيارة تشرف الوفد بمقابلة فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن حميد امام الحرم المكى الشريف والأستاذ فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وتحدث معه واستشاره فى شئون الجامعة المختلفة . ولما وصل الحديث الى نشاط الجامعة الصحفى وجاء ذكر مجلتيها : صوت الأمة بالعربية ، ومحدث بالاردية ، أبدى الوفد رجاءه للحصول على بعض المقالات للنشر فى المجلتين ، و تقديرا لموقف الجامعة تكرم الدكتور صالح بن حميد باعطاء الوفد بعض مقالاته لتنشر أصولها فى مجلة صوت الأمة وترجمتها فى مجلة محدث ، والجامعة اذ تشكر فضيلة الدكتور على هـذا التعاون الكريم تسأل الله عز وجل أن ينفع القراء بهذه المقالات ، ويوفق الجامعة لمواصلة نشاطها فى مجال العلم والدعوة والتأليف والتحقيق) . الازهرى .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد :

فهـذه كلمات فى الحكمة و الدعوة دعا إليها — فى تقديرى — ما يلحظ فى الساحة من نشاط يقوم به رجال أفاضل يدعون إلى الله ، و يلاقون فى دعوتهم ما يلاقيه من يقوم بمهمتهم فى الماضى والحاضر وفى كل حين ، فهى سنة الله فى الحاضرين والغابرين .

و الدعـوة إلى الله هى طريق المرسلين . وقـــد لاقى أنبياء الله فى ذلك مالاقوا من العنت و الصدود والإبـاء و الاستكبـار من لدن فئات كثيرة ، و طبقات كبيرة من الملأ الذين استكبروا ﴿قل هـذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله ومـا أنا من المشركين ﴾ [سورة يوسف ، الآية : ١٠٨] .

وفى هـــذه الكلمات سوف ينحصر الكلام على الحكمـــة بياناً لمعناهـــا وإيضاحاً لمدلولاتها .

ذلك أن الحكمة إذا اقترنت بالدعوة فإنها تقوى الأمل واليقين ، وترتفع بالمدعوين إلى مستوى الشعور بالمسئولية والتكليف ، وإذا ما تأكد فيهم هـــذا الشعور فسوف تتغير طباعهم و تعتـــدل مسالكهم و يصح توجيههم . لحق على الداعى إلى الله أن يعمل على إيقاظ هذا الشعور .

هذا وسوف أعرض إلى تعريف كل من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن . . ثم العوامل التى تحقق مفهوم الحكمة : من ضرورة معرفـــة طبائع الناس ، و طبقـات المدعوين ، و النظر فى الظروف الزمانيـــة و المكانية ، والأساليب القولية والعملية .

تعريف الحكمة :

الحكمة مأخوذة من الحكمة – بفتح الكاف والميم – وهو ما يوضع للدابة كى يذللها راكبها فيمنع جماحها . ومنه اشتقت الحكمة قالوا : لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال[١] .

والحكمة فى حقيقتها وضع الأشياء فى مواضعها .

وهذا تعريف عام يشمل الأقوال والأفعال وسائر التصرفات ، ولعلك أخى الفاضل تدرك أن الحكمة التى نرمى إلى بيانها فى هذه المقالة هى الحكمة التى ينبغى أن يتصف بها القائم بالدعوة إلى الله ، ومن أجل هذا فهى غالباً ما تكون قولا فى علم وموعظة أو تصرفاً نحو الآخرين من أجل دفعهم إلى الخير أو صرفهم عن الشر .

وفى هذا المفهوم . يقول ابن زيد : «كل كلمة وعظتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهى حكمة » .

وأدق من هذا قول أبي جعفر محمد بن يعقوب : «كل صواب من القول ورث فعلا صحيحاً فهو حكمة » .

وفى تعريفات الجرجانى : «كل كلام وافق الحق فهو حكمة » .

وفى قوله تعالى : ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٦٩] .

ربطت الآية الكريمة بين الحكمة والخير . . ووجه هذا الارتباط أن الحكمة تشمل المعانى الصائبة من السداد فى القول والفعل .

وبمعنى آخر : فإن الحكمة إتقان العلم وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم ،

---

(١) المصباح المنير (٥٦) .

ومن شاء الله إيتاءه هـذه الحكمة ـ أى خلقه مستعدا لذلك قابلا له . . من سلامة التفكير واعتدال القوى والطبائع ـ فيكون قابلا لفهم الحقائق منقاداً إلى الحق إذا لاح لـه . . لا يصده عن ذلك هوى ولا عصبية ولا مكابرة ولا أنفـة . ثم ييسر له أسباب ذلك من حضور الدعاة وسلامـة البقعة من المعاندين العتاة ، فإذا انضم إلى ذلك توجهه إلى الله بأن يزيد أسبابه تيسيراً ، ويمنع عنه ما يحجب الفهم فقد كمل له التيسير .

وحينئذ يتحقق له الخير الكثير فى قوله سبحانه : ﴿فقد أوتى خيراً كثيراً﴾.

فالخير الكثير منجر إليه سداد الرأى والهدى الالهى ، ومن تفاريع هذا الخير ما يتولد من قواعد الحكمة التى تعصم من الوقوع فى الغلط والضلال بمقدار التوغل فى فهمها واستحضار مهمها . لأنك إذا تتبعت ما يحل بالناس من المصائب تجد معظمها من جراء الجهالة والضلالة والرأى الآفن ، وبعكس ذلك فان ما يجتنيه الناس من المنافع والملائمات مجتلب من المعارف والعلم بالحقائق ، ولو علم الناس الحق على وجهه لاجتنبوا مواقع البؤس والشقاء[1].

يتبين من مجموع ما سبق أن الحكمـة كلمة عامة تشمل الأقوال التى فيها إيقاظ للنفس ووصاية بالخير ، وإخبار بتجارب السعادة والشقاوة ، وكليات جامعـة لأصول الآداب . . فهى معرفـة خالصة من شوائب الأخطاء وبقايا الجهل فى تعليم الناس وتهذيبهم وتوجيههم .

إنها اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحاً مستمرا لا يتغير[2].

---

(١) التنوير والتحرير (٣/٦٤) .

(٢) التحرير والتنوير ٣/٦٠–٦٣ ، ١٤/٣٥ .

إطلاقات الحكمة :

وردت كلمة الحكمة فى نصوص الشرع مراداً بها ما يخدم المعنى السابق .

فوردت مراداً بها الكتب السماوية من القرآن والانجيل وغيرهما .

و مرادا بها النبوة ، و الهــدى ، و الرشاد ، و العدل ، و العلم ، و الحلم ، و التفقه[١] .

الموعظة الحسنة .

يلحظ فى التعريف السابق للحكمــة أن الموعظة الحسنة و الجدال بالتى هى أحسن داخلان فى مفهوم الحكمة .

ولكن يحسن تخصيصهما بمزيد تعريف وإيضاح لأن المقام مقام بسط لمفهوم الحكمة ، وقد جاءا مخصوصين بالذكر فى قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمــة والموعظــة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ [سورة النحل ، الآية : ١٢٥] . وإذا كان داخلين فى معنى الحكمة بالمعنى السابق فيكون عطفهما فى الآية الكريمة من عطف الخاص على العام .

و الأصل فى الموعظــة أنها القول الذى يلين نفس المخاطب ليستعد لفعل الخير والإستجابة له .

والموعظة فى معناها تدل على ما يجمع الرغبة بالرهبــة والانذار بالبشارة ولهذا قال ابن عطية :

(الموعظة الحسنة : التخويف والترجئة والتلطف بالانسان بأن تجله وتنشطه

---

(١) لسان العرب (١٤٠/١٢ ، ١٤٣) ، المعجم الوسيط (١/ ١٩٠) القاموس المحيط (٩٨/٤) .

وتحمله بصورة من يقبل الفضائل)[١].

ويشير الزمخشري إلى معنى لطيف فى هذا حين يقول: إن الموعظة الحسنة هى التى لا تخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم.

والخلاصة أنها: تذكير بالخير فيما يرق له القلب[٢].

وهذه إشارة جميلة عرض لها أهل العلم فى السر فى وصف الموعظة بالحسنة ولم يرد ذلك فى الحكمة فقد قالوا: قيدت الموعظة بالحسنة ولم تقيد الحكمة لأن الحكمة هى تعليم لمتطلبي الكمال من معلم يهتم بتعليم طلابه فلا تكون إلا فى حالة حسنة فلا حاجة إلى التنبيه على أن تكون حسنة.

أما الموعظة فلما كان المقصود منها غالباً ردع نفس الموعوظ عن أعمال سيئة أو عن توقع ذلك منه.. كانت مظنة لصدور غلظة من الوعظ ولحصول انكسار فى نفس الموعوظ. ومن الوعظ الحسن الانة القول وترغيب الموعوظ فى الخير ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ [سورة طه، الآيتان: ٤٣، ٤٤].

الجدال بالتى هى أحسن:

الجدل فى أصله: الاحتجاج لتصويب رأى ورد ما يخالفه. فهو حوار وتبادل فى الأدلة ومناقشتها. وهو حال أوسع من الخصام والمخاصمة على أن المخاصمة نوع جدل من حيث هى تراد فى الكلام والحجج.

ومن أجل هذا قال الجرجاني فى تعريفاته:

الجـــدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو بقصد

---

(١) التعريفات (١٣٢).

(٢) البحر المحيط (٥/٥٤٩).

تصحيح كلامه قال: وهو الخصومة فى الحقيقة.

غير أن الذى نعنيه هنا هو الجدال والمحاجة والحوار بما لا يرق إلى الخصومة.. إلا إذا اعتبرنا الجدال مع الظالمين خصومة.. لأنه قد تجرد منه نعت الحسن، وإذا احتاج رجل الدعوة إلى الجدال فليكن بالتى هى أحسن.

وقريب من التوجيه المذكور فى الموعظة الحسنة يقال هنا. ويكون حسن الجدال فى الالتزام بموضوعيته، وبعده عن الانفعال، والترفع عن المسائل الصغيرة فى مقابل القضايا الكبرى.. حفظاً للوقت وعزة للنفس وكمالا للروءة.. مع الحرص على الرفق و اللين، و البعد عن الفظاظة والتعنيف، ويدخل فى الجدال الحسن كما يقول الطاهر بن عاشور[1].

« رد تكذيب المعاندين بكلام غير صريح فى إبطال قولهم من الكلام الموجه: مثل قوله تعالى: ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾. [سورة سبأ، الآية: ٢٤] وقوله: ﴿ وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون. الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ [سورة الحج، الآيتان: ٦٨، ٦٩].

إشارات فى حلية الداعى من الصفات الباعثة للحكمة:

قبل الخوض فى الكلام على الحكمة و مفهومها، و بناء على الإشارات السابقة من معنى الحكمة، وما يحتاجه صاحب الدعوة من سلامة التفكير واعتدال القوى والبعد عن العصبية والمكابرة:

أحب أن أشير إلى بعض الصفات التى ينبغى أن يتحلى بها الداعى فنها —

(١) التحرير (١٤/٣٢٥ — ٣٣٠).

بتوفيق الله — تنبعث الحكمـــة ويتحقق المقصود من تبليغ الحق على بصيرة . ومن ذلك :

الف — التقوى :

ويقصد بها كل معانيها من فعل المأمورات وترك المنهيات والتحلي بصفات أهل الايمان . فتقوى الله بشمولها إذا رزقها العبد ، فإنها تنير القلب وتفتح المدارك ، ويستبصر بها موهوبهـــا مواطن الحق . و يهتـــدى بها إلى الوسائل والأساليب الصحيحة الملائمة للظروف والأحوال و الأشخاص ، فالعاقبة للتقوى ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ﴾ . [سورة الطلاق ، الآيـــة : ٤] . وأولياء الله هم المتقون .

ب — الإخلاص :

وهذا باب عظيم معلوم نظرياً ولكن تحقيقه — والله — إنه لعزيز . ومن حقق هذه الصفة لم يلتفت إلى نظر الناس ولا إلى أشيائهم أو تلمس مراضيهم ، ويحضرني هنا قول الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : أن بعض الناس يدعو إلى الله وهو إنما يدعو إلى نفسه .

وأعظم الناس مطالبة بهذه الخصلة وأشد الناس حاجة إليها العلماء والدعاة . ومن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة من ضيع هـــذه الخصلة ، ولقد قال الغزالي — رحمـــه الله — في الإحياء محذراً من الشهوة الخفية الداعيـــة إلى الشرك الخفي :

« إن الداعي قـــد يرى حين الدعوة والقيام بها عز نفسه بالعلم والدين ، وذل غيره بالجهل والتقصير . . فربما قصد بالدعـــوة إظهار التميز على غيره ، وإذلال المدعو بإشعاره — ولو من طرف خفي — بالجهل و خسة أهل الجهل

والتقصير، وسوء حال المقصرين».

قال: «وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة، وغرور للشيطان يطوق به كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه، وفتح بصيرته بنور هدايته. فإن فى الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة».

ولم يقتصر الغزالى — رحمه الله — على هذا الإيضاح بل زاد فى بيان المعيار والمحك فى ذلك حيث قال:

«وهناك محك ومعيار ينبغى أن يمتحن الداعى به نفسه، وهو أن يكون قيام غيره بالدعوة وإصلاح الناس واستجابتهم لغيره أحب إليه من استجابتهم له. فإن كان يود أن يكفيه غيره فهو على خير، وإن كان لا يحب ذلك لغيره من أهل العلم والدعوة فما هو إلا متبع هوى نفسه، متوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة دعوته. فليتق الله تعالى فيه وليدع أولا نفسه»[1] [ا.هـ].

لكن قوله (أن يكون دعوة غيره أحب إليه من دعوته بنفسه) هذا عندى محل نظر وبخاصة مع قوله عليه الصلاة والسلام: «فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم» (٥). فالتنافس فى هذا تنافس على الخير ومع قوله تعالى: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً..﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٣].

ويتلمس الإخلاص وصلاح النية فى غير المنافسة المشروعة.

ج — العلم:

وهو المقصود الأعظم من البصيرة فى قوله تعالى: ﴿قل هذه سبيلى أدعو

---

(١) بتصرف وحذف، الإحياء (٢/٣٢٩). وما بعدها.

(٥) متفق عليه من حديث سهل بن سعد.

إلى الله على بصير﴾ [سورة يوسف، الآيــة: ١٠٨]. بل إن معانى الحكمــة البارزة – التى نحن بصدد الحديث عنها – العلم كما سبق.

فالبصيرة تجمع العلم والحكمة وهذه الخصلة لا تحتاج إلى مزيد بسط فهى معلومــة ظاهرة، ويكفى فى هذا التنبيه إلى ترجمة البخارى – رحمه الله – فى صحيحه حين قال: باب العلم قبل القول والعمل مستدلا بقوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾ [سورة محمد، الآية: ١٩]. قال رحمه الله فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

وفى هذا يقول الحسن البصرى – رحمه الله –: «العامل بغير علم كالسائر على غير هدى».

وفى مأثور الحكم: «من تمسك بغير أصل ذل ومن سلك طريقاً بغير دليل ضل».

ويشمل العـــلم الفهم الدقيق لما جاء فى الكتاب والسنة، وسير السلف الصالح، وفهوم أهل العلم والفقه علماً وعملا.

د – التواضع:

من طبائع الناس أنهم لا يقبلون من يستطيل عليهم أو يبدو منه احتقارهم أو استصغارهم، ولو كان ما يقوله حقا وصدقاً. بل إن الاستعلاء سبب ظاهر فى كره الحق ورفضه،

ومن أجل هذا فإن التواضع ثمرة المعرفة بالله وبالنفس. يقول الخليفة أبو بكر – رضى الله عنه –: «لا يحتقرن أحد أحداً من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير» وقد خاطب الله نبيه محمداً – ﷺ – بقوله:

﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه

ولا تعد عيناك عنهم﴾ [سورة الكهف ، الآية : ٢٨] .

ويقول ابن الحجاج : (من أراد الرفعة فليتواضع لله تعالى فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول . .) .

ومما يلحق بهذا الباب العلم بأن من طبائع النفوس النفرة ممن يكثر الحديث عن نفسه أو يستجلب الثناء عليها أو يستدر لها المديح .

فالفضل من الله ، ومن تحدث إلى الناس فليتحدث إليهم بفضل الله لا بفضل نفسه .

هـ — الحلم :

ما الحلم إلا ضبط النفس عند الغضب ، والنزوع إلى العقل عند ثورة الانفعال . وما هذا — وربك — إلا شارات القوة وعنوان البطولة «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»[1] .

و من أحوج بهذا الخلق من رجل الدعوة الذى ميدانه صدور الرجال ونفوس البشر .

ومن أبرز صور الحلم . . كظم الغيظ . . ثم يعقبه فى الترقى العفو عن الناس ، وتلك صفات المتقين أهل الجنة التى عرضها السموات والأرض .

ومن رزق الحلم ترقى فى درجاته . . فيصل من قطعه ، ويعفو عن ظلمه ، ويحسن إلى من أساء إليه .

ويخطىء من يظن أن الحلم عجز ، وأن العفو ضعف ، وأن الاعراض عن الجاهل خوف وخور . ولا يقول ذلك إلا من تأخذه العزة بالإثم ، وهو خلق ذميم يتنافى مع الحلم كما ترى .

---

(١) متفق عليه من حديث سهل بن سعد .

خرج زين العابدين بن علي بن الحسين — رضي الله عنه — وعن آبائه من المسجد يوماً فسبه رجل فانتدب الناس إليه . فقال : دعوه . ثم أقبل عليه فقال : ماستره الله عنك من عيوبنا أكثر . ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل فألقى إليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل إذا رآه قال : إنك من أولاد الأنبياء .

الغلظة والفظاظة :

عن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدى قال : يعجبنى من القراء[1] كل سهل طلق مضحاك ، فأما من تلقاه ببشر ويلقاك بضرس[2] يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله فى الناس أمثال هؤلاء .

أيها الدعاة : الناس فى حاجة إلى كنف رحيم وبشاشة سمحة . بحاجة إلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم . بحاجة إلى من يحمل همومهم ، ولا يثقل عليهم بهمومه . . يجدون فى رحابه العطف والرضا .

من أجل هذا جاءت الرحمة الربانية لمحمد — ﷺ — وهو الرسول القدوة : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩] .

فما غضب لنفسه قط ، ولا ضاق صدره بضعفهم البشرى . وأعطاهم كل ما ملكت يداه ، وما نازعهم فى شىء من أعراضهم ، وسعهم حلمه وبره وعطفه .

حينما يوهب العبد قلباً رحيماً وطبعاً رقيقاً مع العلم والحكمة . . فإنه

(١) القراء : العلماء .

(٢) ضرس اى شرس لفظاً ومعنى .

لا يستكثر على الصغير والجاهل أن يصدر منهما صدود عن النصح ، والدنيا مليئة بمن لا يحبون الناصحين .

نعم إن الداعى الحق ذا الخبرة و المراس لا يعجب من صدود الناس ونفرتهم . . لكن رحمته بهم وشفقته عليهم لا تنفك تغرية بمعاودة الكرة تلو الكرة ، كا يعاود الوالدان الحريصان على أولادهما فى الإلحاح بالغذاء والدواء فى حالى الصحة والمرض . بل لقد جاء فى حديث أخرجه أبو داود والنسائى و ابن ماجه و ابن حبان من حديث أبى هريرة عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال : « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده » .

وهل رأيت ، أعظم شفقة من الوالد على ولده . وكم قابل محمد ـ ﷺ ـ إعراض قومه بابتهاله النبوى : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » .

من معالم الحكمة فى الدعوة :

و بعد هذه التقدمة التى أظنكم استشعرتم من خلالها بعض معالم تشير إلى مواطن الحكمة ومسالكها عن طريق معرفة حقيقة الحكمة وأبرز الصفات فى رجل الدعوة . أحب أن أبسط بعض البسط فى معالم أراها حقيقة بذلك :

وسوف يكون هذا البسط من خلال التعرف على طبائع النفوس ، وطبقات المدعوين ، وتخير الأوقات ، وانتهاز المناسبات . . ثم النظر فى طرائق الدعوة وأساليبها . . من الإحسان فى القول ، والحرص على التلميح إذا أمكن الاستغناء به عن التصريح ، والقصد إلى الستر والنصيحة ، والبعد قدر الإمكان عن التشهير الذى قد ينقلب إلى فضيحة مع سلوك مسالك المداراة المشروعة ، وإقالة العثرات ما أمكن وإليك أخى الفاضل بسطاً لبعض هذه المعالم :

المعلم الأول

طبائع النفوس وطبقات المدعوين :

الناس متباينون فى طبائعهم ، مختلفون فى مدركاتهم ، فى العلم والذكاء ، فى الأمزجــة والمشاعر ، مختلفون فى الميول والاتجاهات . مما يدعو على رجل العلم والدعوة إلى تخير المدخل . . بل المداخل المناسبة لتلك النفوس المختلفة والعقول المتباينـــة .

نعم إن فيهم الغضوب والهـادئ ، وفيهم المثقف و الأمى ، فيهم الوجيـــه وغير الوجيه .

بل إن ثمت كلمة لعلى — رضى الله عنه — يصف فيها القلوب كل القلوب بأنها وحشية فهو يقول : (القلوب وحشية فمن تألفها أقبلت عليه) . إنه يصورها — رضى الله عنه — وكأنها دواب متوحشة لا تعرف الألفة فى طبعها ويبدو هذا — والله أعلم — فى ميدان النصائح والتوجيهات . فهل رأيت من يرضى أن تنسبه إلى جهل أو عدم معرفـة أو سوء فى التصرف . إن الإنسان يعظم عليه أن ينسب إلى الجهل ، ولذا تراه يغضب إذا نبـه على الخطأ ، ويجتهد فى مجاهدة الحق بعد معرفته خيفة انكشاف جهله .

إنها فى هذا الباب تنفر إذا قرب منها ، بل لعلها بدافع الدفاع عن النفس تهجم وتؤذى ، ومن كان صاحب حكمة وفطنة فى ترويض الوحوش فهو المفلح — بتوفيق الله — فى هداية الناس .

وصاحب الترويض الناجح هو الـذى يحرص على تلمس الجـانب الطيب فى نفوس النـاس ، ويقصد إلى شىء من العطف على أخطائهم وحماقاتهم . . شىء من العناية — غير المتصنعة — باهتماماتهم و همومهم . وسوف يصل إلى مصدر

النبع الخير فى نفوسهم، وحينئذ يمنحونه حبهم وثقتهم.

إن شيئاً من سعة الصدر، والإحاطة بطبائع النفوس. كفيل بتحقيق الخير فى الناس بنتيجة لا يظنها الكثيرون، ينبنى على ذلك ملاحظة استيعاب المدعو وسعة مداركه، فلا يلق إليه مالا يبلغه عقله فيوقعه: إما فى النفرة والشرود، وإما فى التخبط الفكرى والدخول فى غياهب الفتن.

وفى ذلك يقول ابن مسعود — رضى الله عنه — «ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»، ويقول على — رضى الله عنه —: «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله».

المعلم الثانى

تخير الأوقات وانتهاز المناسبات:

هذا معلم كبير ومؤثر من معالم الحكمة وتلمسها، يبلور ذلك كلمة جامعة لعبد الله بن مسعود — رضى الله عنه —: «إن للقلوب شهوة وإقبالا وفترة وإدبارا، فخذوها عند شهوتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها» وقد كان — رضى الله عنه — يذكرهم كل خميس فقال رجل لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، فقال: أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم، وإنى أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله — ﷺ — يتخولنا مخافة السآمة علينا)[1].

ولأمر ما كان نزول كتاب ربنا منجما و مفرقا على المناسبات والأحداث والأزمنة والأمكنة.

وأنت خبير أن إقبال الناس فى رمضان يختلف عنه فى غيره، وقبولهم حين موسم الحج يختلف عنه فى غيره، وقل مثل ذلك فى المناسبات المختلفة،

(١) متفق عليه.

و الأحداث المتجددة من وقائع الأفراح أو حلول المصائب، فأخذ الناس بهذا ومراعاة تقلبات الدهر من حولهم يدرك به سرا عظيما فى التأثير و الاستجابة، وإن شئت مزيداً فى هذا فانظر فى الأوقات والأحوال التى يتأكد فيها استجباب الدعاء. كأوقات السحر، ونزول الغيث، والتقاء الجيوش.

وإن رغبت فى واقعة فانظر فى حكمة يوسف ـ عليه السلام ـ حين استغل الفرصة مع الفتيين عند تعبير رؤياهما وظروف سجنهما فدعاهما إلى الله الواحد الأحد.

﴿ يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون﴾. [سورة يوسف، الآيتان: ٣٩، ٤٠].

يلتحق بذلك مراعاة الأعراف والتقاليد المرعية والطبائع فى الحرف والصناعات. وقد يكون فيما أشار إليه أهل العلم ـ رحمهم الله ـ من تنوع معجزات أنبياء الله ومناسباتها مع ما يسود البيئات من علوم ومعارف كعصا موسى ـ عليه السلام ـ فى بيئات السحرة، وإبراء عيسى ـ عليه السلام ـ فى بيئات الطب، وكتاب محمد ـ ﷺ ـ فى بلاغة العرب ما يشير إلى ما قصدناه.

المعلم الثالث

مراعاة التدرج و ترتيب الأولويات:

ما قيل فى طبقات المدعوين، وطبائع النفوس، وملاحظة المناسبات.. يقابله نظر آخر فى المدعو إليه ـ فلا شك أن الحكمة تقتضى النظر فى متدرجات

أمور الدعوة ، لأخذ الناس بالأول فالأول . فقضايا العقيدة وأصول الملة والديانة تأتى فى المقام الأول . فهى إن لم تصح فى العبد ، فلن يجدى فيه الصنيع الحسن والعمل الطيب ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ [سورة الكهف ، الآيات : ١٠٣ — ١٠٥] .

ففى الدعوة كليات وجزئيات ، وواجبات ومستحبات ومحرمات ومكروهات ، وقضايا كبرى وصغرى . . كل يجب أن تعرف مواقعها وتوضع فى مواضعها .

وأظن الأمر أوضح من أن يبسط القول فيه ، وخذوا دليلا : منهاج مندوب الدعوة ومبعوثها إلى اليمن معاذ بن جبل — رضى الله عنه — وقد رسم له الرسول — ﷺ — هذا المنهج حين قال له :

« إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فإن هم أطاعوا لك بذلك . . فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوا لذلك . . فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم . . »(١) .

معالم الحكمة فى أساليب الدعوة :

يقصد بالأساليب هنا ما يتعاطاه رجل الدعوة من طرق وصيغ يتوصل من خلالها إلى إبلاغ الحق إلى الناس ، وتبصيرهم بما ينفعهم ودفع ما يضرهم .

وهذه الأساليب فى جملتها قولية كلامية أو تعامل مباشر مع المدعوين

(١) متفق عليه .

فى ترفق ولين، وغض عن الهفوات، وسلوك نهجى الترغيب والترهيب، والشدة واللين.

وهذا شىء من بسط لهذه الأساليب:

المعلم الأول

القول الحسن:

إذا أحكم صاحب الدعوة قوله وسدد لفظه فقد أوتى من الحكمة باباً عظيما. يقول الله - عز وجل -: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٨٣]. ويقول طلحة بن عمر: قلت لعطاء: (إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة وأنا رجل فى حدة فأقول لهم بعض القول الغليظ؟ فقال: لا تفعل. يقول الله - تعالى -: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ يقول عطاء:

فدخل فى هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفى!!

وأورد القرطبي فى تفسيره على هذه الآية حديثاً عن عائشة - رضى الله عنها - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «يا عائشة لا تكونى فاحشة فإن الفحش لو كان رجلا لكان رجل سوء»[1].

ويعلق القرطبي - رحمه الله - فيقول: وهذا حض على مكارم الأخلاق فينبغى للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً، ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر، والقريب والغريب من غير مداهنة. ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضى مذهبه.. الخ[2].

(١) القرطبي (١٦/٢).
(٢) القرطبي (١٦/٢).

والقول يكون حسنا وحكمــة بقدر ما يعتنى بأصول الكلام ، ويبتعد عن فضوله . . يتحرك بنبضات القلب الحى ، وهواجس النفس الصادقة .

ويحسن الكلام حين يكون قصدا عدلا ليس بالايجــاز المخل ولا الطويل الممل ، وقد كانت خطبه — عليه الصلاة والسلام — قصداً كما فى الحديث الصحيح عند مسلم من رواية جابر بن سمرة — رضى الله عنه — .

وتأملوا فى هذا الحوار الهادىء ، والقول الحسن فى الجدال الحسن : فهذا حصين الخزاعى والد عمران كانت قريش تعظمه وتجله فطلبت منه أن يكلم محمدا — ﷺ — فى آلهتها فقد كان محمد يذكرها ويسبها . فجاء حصين ومعه قريش حتى جلسوا قريبا من باب النبي — ﷺ — ودخل حصين فلما رآه النبي — ﷺ — قال : أوسعوا للشيخ ، فقال حصين : ما هذا الذى بلغنا عنك ؟ أنك تشتم آلهتنا . فقــال : يا حصين كم تعبد من إله ؟ قال : سبعا فى الأرض ، وواحداً فى السماء . فقال : فإذا أصابك الضر فمن تدعو ؟ قال : الذى فى السماء . قال : فإذا هلك المــال من تدعو ؟ قال : الذى فى السماء . قال : فيستجيب لك وحــده وتشرك معه ؟ يا حصين أسلم تسلم فأسلم فقام إليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه . فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله — ﷺ — : شيعوه إلى منزله[١] .

عجبا دخل كافراً ناقما منتقما . . فخرج مسلما صادقا . ليت شعرى كيف كان حال قريش مع صاحبها ووجيهها !!

ويدخل فى ذلك القول اللين الذى يستثير النوازع البشرية ووشائج القربى ،

(١) أهل العلم مختلفون فى إسلام حصين والأرجح القول بإسلامــه كما ذكر الحافظ ابن حجر وغيره .

وعبارات الحنو والشفقة فابراهيم — عليه السلام — ينادى أباه بكلمات شفوقة ﴿ يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا . يا أبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا . يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا . يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا . قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا . قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا ﴾ . [سورة مريم ، الآيات : ٤٢—٤٧] .

وكل نبى يقول لقومه : (يا قوم) تذكيرا بأواصر القربى و مواطن الحب و الشفقة .

ومحمد — ﷺ — يقول لقومه فى كلمة رقيقة فى دعوة رفيقة : « إن الرائد لا يكذب أهله و الله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غششت الناس جميعا ما غششتكم » .

المعلم الثانى

التصريح والتعريض :

ومن القول الحسن الجنوح إلى التعريض والتلميح دون التصريح .

فالتصريح يهتك حجاب الهيبة ، و يورث الجرأة على الهجوم ، و التبجح بالمخالفة ، ويهيج على الإصرار و العناد .

أما التعريض فيستميل النفوس الفاضلة ، و الأذهان الذكية ، و البصائر اللماحة .

قيل لابراهيم بن أدهم : الرجل يرى من الرجل الشىء أو يبلغه عنه ، أيقوله له ؟ قال : هذا تبكيت ، ولكن يعرض .

وكل ذلك من أجل رفع الحرج عن النفوس ، و استشارة داعى الخير فيها . كيف والتعريض سنة محفوظة عن النبي — ﷺ — فى مخاطبة أصحابه : « ما بال أقوام يفعلون كذا ويقولون كذا » .

المعلم الثالث

النصيحة لا الفضيحة :

أردت تخصيص النصيحة بالذكر هنا وإن كانت داخلة فى كل ما سبق . . بل النصيحة مقصود أعظم فى الدعوة . . إن لم تكن هى الدعوة كلها .

ولكن المراد هنا الإشارة إلى أداب النصيحة كمظهر من مظاهر الحكمة فى الدعوة ، وبخاصة إذا ما حاولنا البعد بالنصيحة عن أن تكون تشهيرا و فضيحة .

يوضح ذلك فى ما رمناه الحافظ ابن القيم رحمه الله حين يقول : « والنصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة و الشفقة عليه والغيرة له ، وعليه فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورقة ، مراد الناصح بها وجه الله ورضاه والإحسان إلى خلقه . . .) .

فهى دعوة إصلاح يجب أن يتمحض فيها الإخلاص لله ، مع المحافظة على مشاعر المنصوح على نحو ما سبق فى المعالم السابقة لئلا ينقلب النصح مخاصمة وجدالا وشرا ونزاعا .

يؤكد جانب الدقة فى هذا الأمر أن ذكر الإنسان بما يكره هو على أصل التحريم . و قد قيل لبعض السلف : « أتحب أن يخبرك أحد بعيوبك فقال : إن كان يريد أن يوبخنى فلا » ،

ولا يكاد يفرق بين النصيحة والتعيير إلا النية والباعث والحرص على الستر .

وقد نهى النبي - ﷺ - السيد أن يثرب أمته - أى يلومها على ذنبها - فقال عليه الصلاة والسلام: «إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها ولا يثرب . . » الخ الحديث[1].

يقول الفضيل: (المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير) وكانوا يقولون: (من أمر أخاه على رؤوس الملأ فقد عيره).

ذلك أن الناصح الصادق ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له، وإنما غرضه إزالة المفسدة، وإخراج أخيه من غوائلها.

وشتان بين من قصده النصيحة، ومن قصده الفضيحة، ولا تلتبس إحداهما بالأخرى.

وكما قالت أم الدرداء: «من وعظ أخاه سرا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه».

المعلم الرابع

أدب التعامل:

كان الكلام فيما سبق تنبيهاً على مواطن الحكمة في القول والمخاطبة وحسن المجادلة.

وفي هذه الفقرات إشارات إلى بعض ما ينبغي من أدب التعامل مع المدعوين، وبخاصة حينما يرى عليهم ما يستحق التنبيه، ويستوجب الملاحظة والتغيير.

وسوف ينتظم هذا الحديث صورا من اللين في التعامل، ثم المدارة وإقالة العثرات، ومواطن الترغيب والترهيب.

---

(١) متفق عليه.

صورة من اللين فى التعامل

النفوس مجبولة على حب من يحسن إليها ويتلقاها باللين ويبسط لها فى المحيا.

والشدة قد تدفع إلى المكابرة والنفور والإصرار، فتأخذ النفس العزة بالإثم. على نحو ما سبق بسطه فالتعامل المؤثر ما كان دمثاً يفتح القلوب ويشرح الصدور فمحمد — ﷺ — وأصحابه والمؤمنون رحماء بينهم.

يروى معاوية بن الحكم السلمى — رضى الله عنه — قال: صليت مع رسول الله - ﷺ - فعطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله. فرمانى القوم بأبصارهم فقلت واثكل أماه، ما شأنكم تنظرون؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فعرفت أنهم يصمتوننى فلما رأيتهم يسكتوننى لكنى سكت. قال: فلما صلى رسول الله - ﷺ - بأبى وأمى ما ضربنى ولا سبنى.

وفى رواية: فما رأيت معلما قط أرفق من رسول الله - ﷺ - قال: « إن هذه الصلاة لا يحل فيها شىء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن ».

وفى مداولها قصة الأعرابى الذى بال فى طائفة المسجد فقام الصحابة لينهروه فنهاهم النبى - ﷺ - عن ذلك فلما فرغ دعاه عليه الصلاة والسلام قائلا له: إن المساجد لا تصلح لهذا إنما هى لذكر الله والصلاة. فولى الأعرابى وهو يقول: اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا. فقال له النبى - ﷺ - وهو يضحك: لقد حجرت واسعا ».

قال الحافظ: معلقا على أمثال هذه الوقائع: والمراد تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليه فى الابتداء، وكذلك الزجر عن المعاصى ينبغى أن يكون بتلطف ليقبل، وكذا تعليم العلم ينبغى أن يكون بالتدريج، لأن الشىء

إذا كان فى ابتدائه سهلا حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط ، وكانت عاقبته غالبا الازدياد بخلاف ضده والله أعلم .

وفى هذا يقول الإمام أحمـد : كان أصحاب ابن مسعود إذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون يقولون : مهلا رحمكم الله .

ودعى الحسن البصرى - رحمه الله - إلى عرس فجىء بجام من فضة (أى قدح أو إناء) عليه خبيص أو طعام (والخبيص طعـام من التمر والسمن) فتناوله فقلبه على رغيف فأصاب منه فقال رجل : هذا نهى فى سكون .

و يروى أن الخليفة المأمون وعظه واعظ فأغلظ لـه فى القول فقال : يا رجل ارفق فقـد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر منى وأمره بالرفق قال تعالى : ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ [سورة طه : ٤٣ — ٤٤] .

المعلم الخامس

المـدارة :

المداراة صورة من صور التعامل الدال على الحكمة ، والموصل إلى المقصود مع حفظ ما للداعى والمدعو من كرامة ومروءة .

وقد بوب الإمام البخارى - رحمه الله - فى صحيحه فقـال : المداراة مع الناس ثم أورد حديث عائشة - رضى الله عنها - أنه استأذن على النبى - ﷺ - رجل فقال : «ائذنوا له فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له الكلام تقول عائشة : فقلت يا رسول الله : قلت ما قلت ثم ألنت له القول ، فقال : أى عائشة ، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه» .

قال ابن بطال : المداراة من أخلاق المؤمنين ، وهى خفض الجناح للناس ولين الكلام وترك الإغلاظ ، وذلك من أقوى أسباب الألفة . قال : وظن بعضهم أن المداراة هى المداهنة فغلط لأن المداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة ، والفرق : أن المداهنة من الدهان : وهو الذى يظهر على الشيء ويستر باطنه وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير انكار عليه .

والمداراة هى الرفق بالجاهل فى التعليم ، وبالفاسق فى النهى عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك . اهـ .

إذا تقرر هذا المعنى فهو الذى قد عناه الحسن البصرى — رحمه الله — بقوله : كانوا يقولون : المداراة نصف العقل ، وأنا أقول هى كل العقل .

ومن الطريف قول أبي يوسف ـ رحمه الله ـ فى تعداد من تجب مداراتهم فعد منهم : القاضى المتأول والمريض والمرأة والعالم ليقتبس من علمه .

وأكثر ما تجرى المداراة فى اتقاء الأشرار والمكاره .

وقد جاء فى حكم لقمان : يا بنى كذب من قال إن الشر بالشر يطفأ ، فإن كان صادقا فليوقد نارين ولينظر هل تطفىء إحداهما الأخرى ، وإنما يطفىء الخير الشر كما يطفىء الماء النار .

وسلوك المداراة مأذون فيه لأن الإنسان خلق للاجتماع لا للعزلة ، والتعارف لا للتناكر ، وللتعاون لا للانفرادية . والانسان تعرض له عوارض نفسية وطبيعية من الحب والبغض والرضا والغضب والاستحسان والاستهجان ، فلو سار على أن يكاشف الناس بكل ما يعرض له من هذه الشؤون فى كل وقت وعلى أى حال لاختل الاجتماع ولم يثبت التعارف ولا نقبضت الأيدى عن

التعاون ، فكان من حكمة الله فى خلقه أن هيأ الانسان لأدب يتحامى به عما يحدث تقاطعا أو يدعو إلى تخاذل وهذه هى المداراة التى نعنى .

إذن فالمدارة ترجع إلى حسن اللقاء ولين الكلام ، وتجنب ما يشعر ببغض أو غضب أو استنكار . . إلا فى أحوال يكون الاشعار به خيرا من الكتمان وارجح وأصلح .

ومن لطيف المنقول فى سير المتقدمين المقتدى بهم ما جاء فى وصية سحنون لابنه محمد : (. . وسلم على عدوك و داره فإن رأس الايمـان بالله مداراة الناس) ، ويقول محمد بن أبى الفضل الهاشمى . قلت لأبى : لم تجلس إلى فلان وقد عرفت عداوته ؟ قال : أخبى نارا وأقدح ودا .

فالنفوس المطبوعة على المداراة نفوس أدركت أن الناس خلقوا ليكونوا فى الائتلاف كجسد واحد . وشأن الأعضاء السليمة أن تكون ملتئمة متماسكة على قدر ما فيها من حياة ، ولا يقطع العضو المركب فى الجسد إلا أن يصاب بعلة يعجز الطب عن علاجه إلا بالبتر .

فالمداراة يقصد بها جمع النـاس على الرضا والتآلف فى حدود ما ينبغى أن يكون . وهى لا تمنع قضاء بالعـدل ولا تحجب نصيحة بالرفق ، وينبغى أن يعلم أن لذكاء الرجل وحكمته مدخلا عريضا فى فقه المداراة وحسن استخدامها وطريقة الافادة منها .

وقد يكون للتنوع فى طبقات الناس تنوع فى مداراتهم ، فمداراة المنحرف عن الحق لسوء فهم أو خطأ فى ظن ، أكبر من مداراة من يحارب الحق والفضيلة إن صادفك واقتضى الحال مداراته .

ومداراة من يرجى رشده وصلاحه أكبر من مداراة من شب متماديا فى

الانحراف ولؤم الطبع حتى يوشك أن ينقطع أملك فى اصلاحه واستقامة أمره.

ومن كل ذلك تعرف أن المداراة مسلك كريم يتقنه الحكماء والأذكياء ولا يتعدى حدوده الفضلاء.

وإذا رغبت فى كلمة عن المداهنة لتميزها عن المداراة فلتعلم أن المداهنة إظهار الرضا عن الغالط من الظالم والفسق .. من قول باطل أو عمل ممنوع.

والمداهنة مسلك ذميم ينطوى تحت جناحيه الكذب، وخلف الوعد. أما الكذب فلأن المداهن يصف الرجل بغير ما يعرفه عنه، ومن دخل الكذب من باب. سهل عليه أن يأتيه من أبواب متفرقة. وأما إخلاف الوعد فلأن المداهن يقصد إلى إرضاء صاحبه فى الحال فلا يبالى أن يعده بشىء وهو عازم على أن لا يصدق فى وعده.

المداهنون يجعلون ألسنتهم طوع بغية الوجيه، ويعجلون إلى قول ما يشتهى أن يقولوه.

قال الماوردى رحمه الله: «إن الانسان وإن كان مأمورا بتألف الأعداء، ومندوبا إلى مقاربتهم، فإنه لا ينبغى أن يكون لهم راكنا وبهم واثقا بل يكون منهم على حذر، ومن مكرهم على تحرز، فإن العداوة إذا استحكمت فى الطباع صارت طبعا لا يستحيل، وجبلة لا تزول وإنما يستكفى بالتألف إظهارها، ويستدفع به أضرارها كالنار يستدفع بالماء إحراقها، ويستفاد به إنضاجها، وإن كانت محرقة بطبع لا يزول وجوهر لا يتغير وقد قال الشاعر:

وإذا عجزت عن العدو فداره ... وامزح لـه إن المزاح وفاق

فالنار بالماء الذى هو ضدها ... تعطى النضاج وطبعها الإحراق

ومن كل ما تقدم يتبين واجب المصلحين من الدعاة والعلماء والمربين فى هذا الباب . فواجب العناية بمحاربة المداهنة حتى تنفى من الأرض وتكون الأوطان ودور التربية منابت نشء يميزون المداهنة من المداراة ، فيخاطبون الناس فى رقة وأدب وشجاعة ، ويحترمون من لايلوث أسماعهم بالملق الكاذب ، ولا يكتمهم الحقائق متى اتسع المقام لحديث المصارحة .

المعلم السادس

إقالة العثرات والغض عن الأخطاء :

وأسلوب المداراة المتقرر فى الفقرة السابقة يقود إلى غض الطرف عن أخطاء المقصرين مادام طريقا لاستصلاحهم ، وإقالة عثرات العاثرين إذا كانوا كراما ذوى هيئات أو كان ذلك سبيلا إلى دفنها وتقليلها .

وإن شئتم برهانا قريبا فاستذكروا قصة حاطب ابن أبى بلتعة . . تلك الواقعة الصحيحة فهى صورة حية من صور الضعف البشرى فى لحظة من لحظات الزمن مع أنه الصحابى البدرى ، ولكبر الزلة قال : عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ دعنى اضرب عنق هذا المنافق ، ولكن النبى ـ ﷺ ـ حين ساءل حاطبا وأجابه . فقال عليه الصلاة والسلام : « لقد صدق ولا تقولوا إلا خيرا . أما علمت يا عمر أن الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

إن إقالة العثرة ليست إقرارا للباطل ولكنها إنقاذ الواقع فيه .

حكى أن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقيل لأخيه : ألا تقطعه وتهجره ؟ فقال : أحوج ما كان إلى فى هذا الوقت لما وقع فى عثرته أن آخذ بيده وأتلطف له فى المعاتبة وأدعو له بالعودة إلى ما كان عليه .

حق لمن غلط أو ذل أن يسمع كلمة حانية ، وأن يستضىء بشمعة أمل .

من أجل أن يرجع إلى الجادة، ويسير مع الأخيار من الصحاب.

يمر أبو الدرداء ـ رضى الله عنه ـ على رجل قد أصاب ذنبا، والناس يسبونه، فأنكر عليهم صنيعهم. فقال لهم: أرأيتم لو وجدتموه فى قليب، ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذى عافاكم. قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخى.

المعلم السابع

الترغيب والترهيب ومواقع الشدة:

كل ما تقدم من التأكيد على مسالك اللين والرفق والمداراة، والغض عن الهفوات، وإقالة العثرات، ليس معارضا لما هو معروف ومتقرر فى مسالك الشرع من ضرورة سير الدعاة والمربين بين حالى الرغبة والرهبة، والرخاء والشدة. لكن المقدم فى التعامل هو الترغيب والرفق كما قال الإمام أحمد: والناس يحتاجون إلى مدارة ورفق بلا غلظة، إلا رجلا مباينا معلنا بالفسق والردى. فيجب نهيه. لأنه يقال: ليس لفاسق حرمة، فالمعلن المصر لا حرمة له.

وطريق أنبياء الله عليهم السلام المذكورين فى القرآن مسلوك فيه النجدين ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه﴾ إلى قوله ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ [سورة نوح: ١ـ٤].

وقال عن محمد ـ ﷺ ـ ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير. يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ [سورة التغابن: ٨ـ١٠].

ترغيب فيما وعد الله من حسن الجزاء فى الدنيا ، وحسن العاقبة فى الآخرة ﴿وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين﴾ [سورة الصف : ١٣] .

وترهيب من وعيد الله وغيرته على حرماته ، والخوف من أليم عقابه - عاجلا وآجلا ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ [سورة هود : ١٠٢] .

وبعد أيها القارىء الكريم :

فلعله بملاحظة هذه المعالم وأمثالها يتحقق الخير وترشد المسالك وتؤتى الحكمة خيرها الكثير ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ [سورة البقرة : ٢٦٩] .

والنفوس تملك قدرا كبيرا من التأهيل فى قبول ما عند الدعاة ، وهى تحب سماع كلام الله وكلام رسول الله - ﷺ - وتستفيد من المواعظ ، وهى قريبة من الخير مستعدة له فليفقه هذه السنن الدعاة الى الله ، وليحملوا الناس على توجيهات الشرع لا على جلبة الشارع وغوغاء العامة ، وليتجنبوا المزالق و المنعطفات الخطيرة التى يتعمد أعداء الملة من الكفار و المنافقين وضعها فى الطريق .

وفق الله الجميع الى سبيل الهدى ، وأصلح الأعمال والمقاصد ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ؟

ابو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسی

(٤٠٧ — ٤٩٠ هـ)

(٣) ثقـافتـه المتنوعة وآثاره الخالدة

++++++++++++++++++++++

الدكتور محمد إبراهيم محمد هارون
الجامعــة السلفية، بنارس

نصر المـدرس

إن أبا الفتح نصر المقـدسی — رحمـه الله — كان لديه همة عاليـة ومثابرة عظيمة، وإهتمامات بالغة، الوعظ والتدريس، فقد بذل أكثر أوقات حياته فی هذا المجال الحيوی من مجالات العلوم والثقافة، يحدث ويفتی ويدرس ويملی علی طلبة العلم فيشفی العليل ويسقی الغليل وينشر العلم حتی تخرج به الأصحاب.

ولم يكن اشتغاله فی مجلسه للدرس ومواظبته عليه لمدة تقارب خمسين سنة، إلا لأجل رغبته الصادقة وحرصه الشديد فی نشر العلم وإفادة النـاس، وأداء الأمانة التی حملها عن شيوخه وأساتذته من العلماء والأئمة، لأن التدريس والتأليف هما من أهم السبل فی تحقيق هذه الرغبة الصادقة وأداء هذه المسئولية العظيمة علی وجه أكمل.

وفی هذه المجالس التی كان يعقدها أبو الفتح تمـكن العلماء وطلبة العلم من الرواية عنه والانتفاع به.

ففي سنة أربعين وأربع مائة عند ما عاد أبو الفتح — رحمه الله — من الرحلة التي قام بها إلى صور وتفقه فيها على الفقيه سليم الرازي نزل بيت المقدس واستقر بها مدة طويلة[١]، اتجهت همته إلى أن يعقد مجلسا للدرس ويستقبل عهدا جديدا، عهد المسئولية ونشر العلم، تأسيا بمن سلفه من العلماء والأئمة، فعقد مجلسا للدرس في المسجد الأقصى ببيت المقدس عند باب الرحمة، يدرس ويفتي ويحدث إلى أن نزل دمشق.

وهذا المكان الذي كان يجلس فيه عرف بالزاوية الناصرية نسبة إليه[٢]، ثم جلس مكانه أبو حامد الغزالي سنة ثمانية وثمانين وأربع مائة فعرف بالزاوية الغزالية[٣].

وفي شهر صفر سنة إحدى وسبعين وأربع مائة من الهجرة نزل صور وأقام بها نحو عشر سنين[٤].

ولكن لم يتوقف — رحمه الله — في أداء المسئولية في هذه الفترة من حياته التي قضاها في صور مدينة الرافضة آنذاك، بل انتهز فرصة وجوده في هذه البلدة لنشر العلم وأداء الواجب، فكان يعقد مجالس العلم، و يدرس ويفتي ويحدث مع كثرة المخالفين له من الرافضة[٥].

---

(١) شذرات الذهب (٣/ ٣٩٥).

(٢) كذا في المراجع، والقياس يقتضي أن يقال « النصرية » بدل الناصرية ».

(٣) الانس الجليل (١/ ٢٩٨).

(٤) تاريخ دمشق (٢/١٧/ ٢٦٩)، تبيين كذب المفتري (٢٨٦)، المعجم (٢٠٨)، مرآة الجنان (٣/ ١٥٣)، طبقات الشافعية (٤/ ٢٨).

(٥) تبيين كذب المفتري (٢٨٦)، مرآة الجنان (٣/ ١٥٣)، طبقات الشافعية للسبكي (٤/ ٢٨).

وفى نهاية المطاف سنة ثمانين وأربع مائة من الهجرة عاد إلى دمشق مرة أخرى واستقر بها[(١)].

واشتغل بالتدريس والتأليف، فاشتهر أمره وعظم شأنه وذاع فضله، وتوجه إليه الركبان من كل قطر من أقطار العالم الإسلامى.

واختار — رحمه الله — المسجد الجامع بدمشق لحلقات درسه. وجلس بالزاوية الغربية من المسجد فاشتهر بالزاوية الناصرية نسبة إليه، ثم جلس مكانه أبو حامد الغزالى بعد وفاة المؤلف رحمه الله فعرفت بالغزالية[(٢)].

قال الذهبى: . . . «ولحقه الغزالى وتفقه به وناظره، وكان يشتغل فى جامع دمشق فى الزاوية الغربية الملقبة بالغزالية»[(٣)].

وقال السبكى: «كان الغزالى يكثر الجلوس فى زاوية بالجامع الأموى المعروفة باليوم بالغزالية نسبة إليه، وكانت تعرف قبله بالناصرية نسبة إلى

---

(١) تاريخ دمشق (١٧ / ٢ / ٢٦٩)، تبيين كذب المفترى (٢٨٦)، المعجم (٢٠٨)، تهذيب الأسماء واللغات (١٢٥/٢)، سير أعلام النبلاء (١٣٧/١٩)، طبقات الشافعية للسبكى (٤ / ٢٨).

(٢) وهى الزاوية الشمالية الغربية شمالى مشهد عثمان المعروف الآن بمشهد النائب من الجامع الأموى، منسوبة إلى الشيخ نصر المقدسى والغزالي.
قال ابن شداد: أول من درس بها الشيخ نصر المقدسى ثم جمال الدين الدولعى، ثم أخوه شرف الدين ثم أصيل الدين الأسعردى وغير ذلك.
الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى (١ / ٤١٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩ / ١٣٩).

الشيخ نصر المقدسي»[١].

وكان بيت المقدس ثم دمشق من أهم المراكز العلمية في هذا العصر بعد بغداد ونيسابور، وقد قصد كثير من العلماء في هذه الفترة إلى بلاد الشام.

فقد وصل في هذه الفترة من الزمان كل من الخطيب البغدادي وأبي حامد الغزالي وأبي بكر بن العربي، وأقاموا فيها مدة وحضروا مجالس نصر - رحمه الله - فأفادوا واستفادوا[٢].

وكانت طريقة المثلى وأسلوبه الرائع في التربية والتدريس محل إعجاب كثير من العلماء قديما وحديثا وقد أشادوا بها. فقد ذكر الحافظ ابن عساكر عن بعض أهل العلم أنه قال: «صحبت إمام الحرمين أبا المعالي الجويني بخراسان، ثم قدمت العراق فصحبت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، فكانت طريقته عندي أفضل من طريقة أبي المعالي، ثم قدمت الشام فرأيت أبا الفتح فكانت طريقته أحسن من طريقتهما جميعا»[٣].

---

(١) طبقات الشافعية (٦ / ١٩٧).

(٢) انظر: ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧ / ٢ / ٢٦٩)، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ١٢٥)، والأسنوي في طبقات الشافعية (٢ / ٣٨٩)، ومجير الدين الحنبلي في الانس الجليل (١ / ٢٩٨)، وياقوت في معجم الأدباء (١ / ٢٤٦)، والمقري في نفح الخطيب (١ / ٣٤٠)، وابن العماد في شذرات الذهب (٣ / ٣٩٥).

(٣) تاريخ دمشق (١٧ / ٢ / ٢٦٩)، تبيين كذب المفترى (٢٨٦)، تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ١٢٥)، سير أعلام النبلاء (١٩ / ١٤٠)، مرآة الجنان (٣ / ١٥٣)، طبقات الشافعية للسبكي (٤ / ٢٨).

وإذا كانت هذه طريقته التى أشاد بها العلماء، وهذا إهتمامه واعتناؤه فى التدريس، حيث عكف عليه لافادة طلبة العلم و رواية الحديث، ولا يلوى على شىء غير الاشتغال به، حتى لا تشتت جهوده فى أغراض أخرى تصرفه عن أداء الواجب، فقد نرى أنه ألزم نفسه بعض الآداب التى تدل على إخلاصه وإهتمامه البالغ لأداء هذه المهمة، وقد سبق فيما ذكرنا أن أبا الفتح — رحمه الله — كان لايجلس فى مجلسه للدرس إلا وهو على وضوء.

كما مر بنا القول ان نصر المقدسى — رحمه الله — كان ورعا حتى فى رواية الحديث وحمله، فقد ذكر ابن عساكر فى «تاريخ دمشق» عن أبي الفرج غيث بن على قال: «حضرت الفقيه نصرا يوما وهو يقرأ أجزاء، فجاء فى أثناء القراءة قوم وجاء بعدهم صبي صغير، فلما فرغ من الجزء سألوه أن يعيد الفائت فأعاد لهم، فلما اتصل سماعه أراد أن يمسك ثم قال: لا حتى أعيد فائت هذا الصغير لأننى أخاف أن أسأل عنه، لم كان هؤلاء أحق بالإعادة منه، وأعاد له فائتة»[1].

وقوله هذا يلقى ضوءا على طريقته فى التدريس، ويبين لنا مدى إهتمامه — رحمه الله — بنشر العلم، وأداء واجبه الشرعى، الذى أخذ الله عليه الميثاق من العلماء فى قوله: ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾[2]، وحذر ﷺ عن كتمانه فقال: «من كان عنده علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[3].

(١) تاريخ دمشق (١٧ / ٢ / ٢٦٩).
(٢) آل عمران: ١٨٧
(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٢ / ٢٦٣) وأبوداود فى سننه كتاب العلم، باب كراهية منع العلم (٤/ ١٨)، والترمذى فى سننه وحسنه، كتاب العلم، =

ولاشك أن أسلوبه هذا كان أحد الأسباب التى لفتت الأنظار إليه من العلماء وطلبة العلم ، فتنافسوا فى الرحلة إليه والأخذ عنه ، والحضور فى حلقة درسه ، لينهلوا من منهله ويتلقوا من علومه الغزيرة ، وليفيدوا من آدابه النبيلة وأخلاقه العالية ، فتوجه إليه العلماء من كل قطر ومصر ، ولذا نرى من حضر فى مجلسه للدرس من أهل العلم من هو طوسى كالغزالى من أقصى شرق العالم الاسلامى ، ومن هو أندلسى كأبي بكر بن العربى ، من أقصى غرب العالم الاسلامى ، ومن هو بغدادى كالخطيب من مركز العلوم والثقافة وعاصمة العالم الاسلامى آنذاك .

(يتبع)

= باب ما جاء فى كتمان العلم (٥ / ٢٩) ، وابن ماجه فى سننه ، المقدمة ، باب من سئل عن علم فكتمه (١ / ٩٦) ، والحاكم فى مستدركه (١ / ١٠٢) وصححه وأقره الذهبي .

قيمة العمل فى الإسلام

++++++++++++++++++++

الحمـــد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والرسل أجمعين وبعد :

فإن الإسلام بقدر دعوته إلى العبادات يدعو الناس إلى العمل ويوجبه عليهم لأنه مجال التمايز بين الناس. قال تعالى : ﴿ ... ليجزى الذين أساءوا بما عملوا و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ [سورة النجم : ٣١]. وقال ﷺ : « . . . ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ». وقد لفت القرآن الأنظار إلى وجوه النشاط العمرانى فى ميادين الزراعة والصناعة والتجارة وما وراءها.

فى الزراعـــة قال تعالى : ﴿ فلينظر الانسان إلى طعامه ﴾ أنا صببنا الماء صبا ﴾ ثم شققنا الأرض شقا ﴾ فأنبتنا فيها حبا ﴾ وعنبا وقضبا ﴾ وزيتونا ونخلا ﴾ وحدائق غلبا ﴾ وفاكهة وابا ﴾ متاعا لكم ولأنعامكم ﴾ [سورة عبس : ٢٤ - ٣٢].

وفى الصناعة قال تعالى عن داود عليـــه السلام : ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم . . . ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٠]. وقال أيضاً : ﴿ . . . وألنا له الحديد ﴾ أن اعمل سابغات وقدر فى السرد . . . ﴾ [سورة سبأ : ١٠ - ١١] أى اصنع الدروع التى تغطى الجسم كلـــه ، و قدر ما يلزمها من مسامير وحلق فى تصنيعها.

وفى التجارة يذكر الله سبحانه وتعالى تجارة قريش الى اليمن والى الشام فيقول : ﴿ لإيلاف قريش ﴾ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ [سورة قريش : ١ - ٢].

و القرآن الكريم يدفع المسلم إلى العمل وإلى السعى للرزق فى البر أو فى البحر . قال تعالى : ﴿وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ [سورة النحل : ١٤].

إن العمل للدين والدنيا معاً هو أمر الله سبحانه وتعالى عباده . وبقدر إخلاص العبد فى عمله يحلو العيش وتمتد ظلال الرفاهية والسلام .

فليس من الإسلام فى شىء أن تكون الدنيا وحدها همنا و غايتنا فى أعمالنا ؟ وليس من الإسلام أن نزهد كليا فيها و ندع ما لا بد لصلاحها من قيامنا به . قال تعالى : ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . . .﴾ [سورة الأعراف : ٣٢] . لقد أمرنا الإسلام أن نمزج بين الدنيا والآخرة مزجاً كريما فنعمل للإثنين معا : عملا للدنيا بحيث لاتحتاج إلى أحد ، ولا تمد يدك لأحد ، فتؤمن حاجاتك وحاجات عيالك لتمنع عنهم الفاقة والعوز ، وعملا للآخرة تؤدى ما افترضه الله عليك ، وتتقرب إليه بالنوافل ، حتى يحبك ، فيحيطك بعنايته وفضله . ﴿. . . فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾ [سورة طه : ١٢٣] ، وقال تعالى : ﴿. . . فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق ۝ ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ [سورة البقرة : ٢٠٠ - ٢٠١].

جاء صحابيان إلى رسول الله ﷺ يحملان أخا لهما فلما سألهما النبي عنه قالا : إنــه لا ينتهى من صلاة إلا صلاة ، ولا يخلص من صيام إلا إلى صيام حتى أدركه الجهــد كما ترى ؟ فقال : فمن يرعى إبله ويسعى على ولده ؟ قالوا : نحن . فقال ﷺ : أنتم أعبد منه .

ألا تحس أيها المسلم بالتوازن فى الحرص على شؤون الدنيا ، والحرص على ثواب الآخرة ، حين تسمع قول الله عز وجل : ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ [سورة الجمعة : ١٠] ، فإذا أديت صلاة الجمعة فاتجه إلى العمل و اطلب الرزق من الله تعالى بواسطة هذا العمل .

و يلاحظ المؤمنون كيف يذكر القرآن الكريم صفات الجنة ، حتى لتكاد أنفس المؤمنين تطير شوقا إلى نظرة النعيم . ثم يقول : ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ [سورة الصافات : ٦١] ويقول أيضاً : ﴿. . . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [سورة المطففين : ٢٦] . وفى قصة زواج موسى عليه السلام من ابنة الشيخ الكبير (شعيب كما فى بعض الروايات) ترينا شرف العمل ﴿قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين ◦ قال ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل﴾ [سورة القصص : ٢٧ - ٢٨]. فالأجر معلوم والعمل معروف . وتلطف ووعد بالرفق والصلاح . « والقوى الأمين » دستور واق للعمال وأصحاب الأعمال على السواء .

وما من آية دعا الله فيها إلى الايمان إلا وقد قرن بها العمل ، فهو ثمرته وغايته ومظهره فقد قال الله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ [سورة الكهف : ٣٠] ، وقال أيضاً : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ◦ خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ [سورة الكهف : ١٠٧ - ١٠٨] ، كما قال أيضا : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ [سورة مريم : ٩٦] .

وحين رضى الله من المؤمنين أن يقرأوا ما تيسر من القرآن فى لياليهم ذكر أقواماً فقال : ﴿ . . . فاقرأوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله . . . ﴾ [سورة المزمل : ٢٠] لاحظوا تقدير العمال على المجاهدين وهذا يدل على مدى تكريم الله لهم . لقـد رعى رسول الله الغنم بمكة على قراريط كان يقبضها و هو صغير ، وعمل فى تجارة لخديجة واستأجر فى الهجرة دليلا للطريق ، وعمل ﷺ فى بناء المسجد النبوى .

وكره صلوات الله عليـه أن يتميز عن أصحابه فى مناسبات عدة . ويوم أراد أصحابه ذبح شاة فى إحدى الغزوات قال أحدهم : على ذبحها ، وقال ثان : وعلى سلخها ، وقال آخر : وعلى طبخها . فقال ﷺ : وعلى جمع الحطب ، فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل ، قال : علمت أنكم تكفونيـه ولكنى كرهت أن أتميز عنكم لأن الله يكره العبد المتميز عن أصحابه .

عن أنس رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ وكان منا الصائم ومنا المفطر ، فنزلنا منزلا فى يوم حار أكثرنا ظلا صاحب الكساء . (أى الذى يلبس ثياباً تمنع عنه حر الشمس) فمنا من يتفيأ الشمس بيـده ، فسقط الصوام وقام المفطرون فضربوا الأبنية (أى نصبوا الخيام) وسقوا الركاب ، فقال ﷺ : ذهب المفطرون بالأجر كله . فالإسلام دعوة إلى الصلاة والصيام والزكاة والحج وما وراءهما من العبادات ، ولكنه فى الوقت نفسه يواجه مشكلات الحيـاة و يقدم الحلول لها . و الذين زعموا أن الإسلام رسالة أدت دورها فى مرحلة من مراحل التاريخ ثم لم يعد لها بعـد ذلك ضرورة ، ليست هؤلاء وأمثالهم يرون كيف أعلى الإسلام من قدر العمل والعمال . (العباد — بيروت)

● ●

عدد صفحات الجزء ٥٦

صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٦)		رمضان ١٤١٤ ﻫ
العدد الثالث		مارس ١٩٩٤ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi - 221010 INDIA;

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٥٠ روبية ، فى الخارج ٣٢ دولارا (بالبريدالجوى) ١٢ دولارات (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٤/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٢١١٦/٣٢٠٩٥٨ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

◎ المنشور لا يعبر إلا عن رأى كاتبه ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكرى، والتعصب المذهبى، وتبليغ رسالة الاسلام، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية.

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمبادىء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق ووعى وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.

◇ إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.

◇ التوجيه الدينى السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

هدى القرآن | آية وتفسير

﴿مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ (البقرة: ٢٦١) .

هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق فى سبيله وابتغاء مرضاته ، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف ، فقال: (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) يعنى فى طاعة الله من الانفاق فى الجهاد من رباط الخيل واعداد السلاح وغير ذلك ، وعن ابن عباس: الجهاد والحج يضعف الدرهم فيهما إلى سبع مائة ضعف ولهذا قال: (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) وهذا المثل أبلغ فى النفوس من ذكر عدد السبع مائة ، فإن فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها ، كما ينمى الزرع لمن بذره فى الأرض الطيبة: وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبع مائة ضعف . روى أحمد عن ابن مسعود أن رجلا تصدق بناقة مخطومة فى سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ: لتأتين يوم القيامة بسبع مائة ناقة مخطومة ورواه مسلم والنسائى ، وقوله تعالى: (والله يضاعف لمن يشاء) أى بحسب اخلاصه فى عمله ، وقد ثبت حديث أبى عثمان النهدى عن أبى هريرة فى تضعيف الحسنة إلى ألفى ألف حسنة كما فى قوله تعالى: (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرا ، والله واسع عليم) أى فضله واسع كثير ، أكثر من خلقه ، عليم بمن يستحق ومن لا يستحق سبحانه وبحمده .

(ملخصا من تيسير العلى القدير)

(اعداد: اصغر على السلفى)

فقه السنة	حديث وشرح

عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ : « تسحروا فإن فى السحور بركة » (رواه البخارى) .

قيل : البركة ما يتضمن من الاستيقاظ والدعاء فى السحر، والأولى أن البركة فى السحور تحصل بجهات متعددة ، وهى اتباع السنة ، ومخالفة أهل الكتاب ، والتقوى به على العبادة ، والزيادة فى النشاط ، ومدافعة سوء الخلق الذى يثيره الجوع ، والتسبب بالصدقة على من يسأل إذ ذاك أو يجتمع معه على الأكل ، والتسبب للذكر والدعاء وقت مظنة الاجابة ، وتدارك نية الصوم لمن اغفلها قبل أن ينام . قال ابن دقيق العيد : هذه البركة يجوز أن تعود إلى الأمور الأخروية فإن إقامة السنة يوجب الأجر و زيادته ، ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية كقوة البدن على الصوم وتيسيره من اضرار بالصائم، قال : ومما يعلل به استحباب السحور المخالفة لأهل الكتاب لأنه ممتنع عندهم ، وهذا أحد الوجود المقتضية للزيادة فى الأجر الأخروية . وقال أيضا : وقع للتصوفة فى مسألة السحور كلام من جهة اعتبار حكمة الصوم وهى كسر شهوة البطن والفرج ، والسحور قد يباين ذلك . قال : والصواب أن يقال ما زاد فى المقدار حتى تنعدم هذه الحكمة بالكلية فليس بمستحب كالذى يصنعه المترفون من التأنق فى المآكل وكثرة الاستعداد لها، وماعدا ذلك تختلف مراتبه . يحصل السحور بأقل ما يتناوله المرء من مأكول ومشروب، وفى حديث أبى سعيد الخدرى بلفظ « السحور بركة ، فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء ، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين » .

(ملخصا من فتح البارى)

(اعداد : اصغر على السلفى)

ترجمة العلامة المحدث الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحمانى المباركفورى رحمه الله

++++++++++++++++++++

(فى افتتاحية العدد الماضى كتبنا عن وفاة الشيخ الكبير المحدث عبيد الله الرحمانى ، وأشرنا الى بعض جوانب العظمة التى تجلت فى حياة الفقيد رحمه الله ، وكذلك نشرنا مقدمة الطبعة الأولى الحجرية لكتاب مرعاة المفاتيح بقلم الشيخ عطاء الله حنيف رحمه الله . وفى هذه الافتتاحية ننقل من نفس الطبعة ترجمة العلامة المحدث حتى يعرف القراء بعض التفاصيل عن هذه الشخصية العلمية الكبيرة وشيئا من ملامح هذه الحياة المباركة . أما التفاصيل الكاملة عن هذه الحياة فان المجلة سوف تخصص لها عددا مستقلا باذن الله تعالى . والرجاء من الكتاب الكرام أن يزودوا المجلة بكتاباتهم عن الشيخ رحمه الله تعالى فى فرصة قريبة) .
(الأزهرى)

هو أبو الحسن عبيد الله بن العلامة محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين .

ولد فى محرم الحرام سنة ١٣٢٧هـ ببلدة مباركفور التابعة لمديرية أعظم كڈه إحدى مديريات الولاية الشمالية (اتر پرديش) فى الهند . وتدرس كتب الأردية والفارسيــة الرائجة فى المدارس الأهلية آنذاك فى المدرسة العالية ببلدة مئو من بلاد أعظم كڈه ـ وكتب النحو والصرف والأدب والفقه والمنطق والهندسة أمثال الكافية لابن حاجب وشرحها لملا جامى وشرح الوقاية ومشكاة المصابيح والسراجية

فى علم الفرائض وشرح التهذيب وشرح الشمسية المعروف بالقطبي وديوان المتنبي وأقليدس على والده العلامة محمد عبد السلام صاحب سيرة البخارى ــ رحمه الله ــ حينما كان هو مدرسا فى مدرسة سراج العلوم بونڈيهار من قرى مديرية گونڈه فى الولاية الشمالية ـــ ثم انتقل مع والده رحمه الله إلى دار الحديث الرحمانية بدلهى وكمل دراسته هناك وتخرج على أيدى الأساتذة المتخصصين فى كل فن من فنون العلم ، فدرس من كتب الحـــديث الصحيحين للامامين البخارى ومسلم والموطأ للإمام مالك على العلامة المحـــدث الشيخ أحمد الله البرتابگڑهى ثم الدهلوى رحمه الله ــ تلميذ الشيخ السيد نذير حسين المحدث الدهلوى ، والشيخ حسين بن محسن الأنصارى الخزرجى ، وقد كتب هو له الإجازة برواية كتب الحديث وهى محفوظة عندنا ـــ وكتب العلوم العقلية الآلية من المنطق و الفلسفة والهيأة وعلم الكلام وكتب الفقـــه مع أصوله كشرح هداية الحكمة للصدر الشيرازى ، و الشمس البازغة و شرح السلم لمولوى حمـــد الله و القاضى مبارك و شرح المواقف و التصريح وشرح الچغمينى وشرح المطـالع ومسلم الثبوت والتلويح مع التوضيح والجزئين الأخـيرين من الهدايـة والتفسير للبيضاوى على العلامة الشيخ غلام يحيى الكانپورى ــ ونور الأنوار وتفسير الجلالين وجامع الترمذى والمقامات الحريرية وديوان الحماسة على الشيخ الحافظ عبد الرحمن النگرنهسوى ــ و الهـــدية السعيدية وسنن أبي داود على الشيخ أبي طاهر البهارى ـــ والمقدمة لابن خلدون وشيئا من الشمس البازغة على العلامة الشيخ عبد الغفور الجيراجپورى ـــ والفوز الكبير فى أصول التفسير على الشيخ محمـــد إسحاق الآروى ــ ودرس أيضا صدرا من شرح المطالع على العلامة الشيخ عبد الوهاب الآروى ـــوشيئا من تفسير البيضاوى على العلامـة الحافظ محـد الگوجراوالى الپنجابي . وحصل شهادة العالمية من المدرسة الرحمانية سنة خمس وأربعين بعد الألف وثلاث مائة ـــ ١٣٤٥ ــ من الهجرة ، وقرأ أيضا فى أيام العطلة المدرسية أوائل جامع الترمذى وقدرا معتدا به

من شرح النخبة و مقدمة ابن الصلاح والسراجية فى علم الفرائض على الامام المحدث الشيخ عبد الرحمن المباركفورى صاحب تحفة الأحوذى — رحمه الله — فى بيته وأجاز له الشيخ رحمه الله برواية كتب الحديث شفاها .

و نظرا إلى ذكائه و نجاحه فى الاختبار دائما بالدرجة الممتازة عينه الشيخ عطاء الرحمن صاحب دار الحديث الرحمانية والمشرف الوحيد عليها والمتكفل لجميع ما تحتاج إليها من النفقات مدرسا فيها فى نفس السنة التى تخرج فيها .

وكما هو معلوم لدى الإخوان أن الشيخ الأجل المحدث المباركفورى قد كف بصره قبل أن يكمل شرحه — تحفة الأحوذى — وكان بحاجة إلى عالم له مناسبة خاصة بعلوم الحديث وفنونه يساعده فى عمله ذاك ، فاختار الشيخ المباركفورى رحمه الله لذلك فضيلة والدنا الشيخ عبيد الله الرحمانى المباركفورى لمساعدته فأرسله الشيخ عطاء الرحمن على اقتراح الشيخ المباركفورى رحمه الله إليه فقضى لديه سنتين خير مساعد له فى تكميل الجزئين الأخيرين لشرح جامع الترمذى — تحفة الأحوذى — مع زميله الفاضل الشيخ عبد الصمد المباركفورى والعالم الشيخ محمد اللاهورى البنجابى ، وقرأ عليه أطرافا من الصحاح الستة وغيرها وبذل جهده فى الاستغراف من بحار علومه و التأدب بآدابه والاستفادة من فوائده — ثم استدعاه الشيخ عطاء الرحمن للتدريس فى دار الحديث الرحمانية وفوض إليه تدريس كتب الحديث ، خاصة جامع الترمذى وسنن أبي داود والصحيح للإمام البخارى و الموطأ للإمام مالك مع خدمة الإفتاء . فاشتغل به إلى أن انقسم الهند إلى الدولتين الباكستان والهند فى أغسطس عام ١٩٤٧م الموافق لعام ١٣٦٦هـ وقفلت دار الحديث الرحمانية لأجل هجرة مشرفه الشيخ عبد الوهاب نجل الشيخ عطاء الرحمن رحمهما الله ، إلى كراتشى (الباكستان) .

وهو مرجع للسلمين فيما يشكل عليهم من الأمور الدينية والمسائل الشرعية لما أن فتاواه تكون مدعمة بالدلائل من الكتاب والسنة . ولا يبالى فى ذلك لومة لائم . وقد

طبع كثير منها فى مجلتى « محدث » و « مصباح » وغيرهما .

وقد بدأ تأليف شرح المشكاة — مرعاة المفاتيح — الذى بأيدى القارئين فى عام ١٩٤٨م الموافق لعـام ١٣٦٧هـ بأمر الحافظ محمد زكريا اللائلپورى رحمه الله وأمر والده التقى الورع الزاهد الشيخ محمد باقر أطال الله حياته — وهو إلى الآن مشتغل به - حسبما تسنح له فرصة و يجد إفاقة من الأمراض التى لازمته من مدة طويلة — عجل الله شفاءه و وفقه لخدمة سنة رسوله وتكميل الشرح — إلى جانب رده على المسائل التى ترد إليه كل يوم ، وله بحوث قيمة فى بعض المسائل طبعت فى أجزاء ، منها « بيان الشرعة فى بيان محل أذان خطبة الجمعة » عين فيها محل أذان خطبة الجمعة من المسجد ، وبحث بسيط فى عقد التأمين ، وغير ذلك .

وقد وفقـه الله لزيارة الحرمين الشريفين أربع مرات : الأولى فى رمضان سنة ١٣٦٦هـ الموافق لعـام ١٩٤٧م مع العلامة الشيخ خليل بن محمد حسين بن محسن الأنصارى وفدا إلى المغفور له الملك عبد العزيز برد الله مضجعه فى شأن مدرسة دار الحديث الأهلية بالمدينة المنورة فقابل الوفد المغفور له الملك عبد العزيز ونائبه فى الحجاز إذ ذاك جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز حفظه الله ، و لقى فى الرياض الشيخ محمد بن عبد اللطيف ومحمد بن إبراهيم وعمر بن حسن ، وفى الطائف عبد الله حسن آل الشيخ ، وفى المدينة عبد الله بن مزاحم وغيرهم من المشايخ . واعتمر أولا فى آخر رمضان ثم فى شوال حين رجوعه من المدينة ، و رجع الوفد بعد قضاء مهمته ونجاحه فيها فى أوائل ذى القعدة فى نفس السنة . ثم إن والدنا الشارح طالت حيـاته فى صحة وعافية قد أدى فريضة الحج عام ١٣٧٥هـ الموافق لعـام ١٩٥٦م عن نفسه ، وبعده فى عام ١٣٨٢هـ الموافق لعام ١٩٦٣م وعام ١٣٩١هـ الموافق لعام ١٩٧١م نيابة ، تقبل الله حجه ومد فى أجله و وفقه لإتمام عمله ، آمين .

●●

المحدثات من النساء

بقلم : الشيخ أحمد بن عبد الله الباتلى
المحاضر بكلية أصول الدين ، قسم السنة
جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض

المقـــدمـــة

حمدا لك اللهم على آلائك ... وشكرا لك على نعمائك .. وصلاة وسلاما على خاتم أنبيائك .. محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعـــد :

فالسنة النبوية روضة غناء ، وواحة فيحاء ، تعاقبت عليها الأجيال ، وتتابع العلماء على خدمتها روايـــة و تدوينا ، و شرحا و ترتيبا . ولا غرو فهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ، وقـــد تكفل الله بحفظها فقال تعـــالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون ﴾[1] و قيظ لها الجهابذة من المحدثين الذين بذلوا جهـــدهم في خدمتها .. وشاركهم في ذلك جمع من المحدثات من النساء في زمن الصحابة وما بعده من القرون المتعاقبة .

---

(١) سورة الحجر : ٩

فاشتهر جمع منهن بحفظ الأحاديث وروايتها بالأسانيد العالية ، بل صنف بعضهن — كما سيأتى — أجزاء حديثيـــة ، وتلقى عنهن كبار الحفاظ كالأئمـــة ابن عساكر(١) و ابن الجوزى(٢) و الذهبى(٣) و ابن حجر(٤) وغيرهم فقد من بذلك نموذجا لإسهام المرأة المسلمة فى عصرها بتحمل الحـــديث وأدائه فشيدن بذلك منار الحضارة الإسلامية .

ومما حفزنى للكتابة فى هذا الموضوع ما يلى :

١ — لم أقف — حسب علمى — على من أفردوا النساء المحدثات بكتب مستقلة .

٢ — حث أخواتنا على الجد فى طلب العلم ، وحفظ السنـة ، والتفقه فى الدين والإقتداء بأمهات المؤمنين .

٣ — دعـــوة المشايخ و طلاب العلم إلى العنايـــة بالمرأة وتخصيص دروس ومحاضرات لهن ليكن كأمهاتهن من السلف الصالح . وليكن قدوتنا فى ذلك رسولنا محمد ﷺ فلقد قالت له النساء : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما من نفسك ، فوعدهن يوما لقيهن فيـــه فوعظهن وأمرهن ، فقال فيما قال لهن : (ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا

---

(١) قال الإمـام الذهبى : وعدد شيوخ ابن عساكر ألف و ثلاثمائة شيخ وبضع وثمانون امرأة لهن معجم صغير سمعناه : سير أعلام النبلاء ٢٠/٥٥٦

(٢) يراجع للاستزادة كتاب (مشيخة ابن الجوزى)

(٣) يراجع للاستزادة كتاب (معجم الشيوخ) للذهبى .

(٤) يراجع للاستزادة كتـــاب (المعجم المؤسس) للحـــافظ ابن حجر وكتاب (الجواهر و الدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر) للسخاوى . القسم الخاص بشيوخه .

من النار ، فقالت امرأة : واثنتين ؟ قال : واثنتين) . متفق عليه[١] .

وروى البخاري[٢] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الرسول ﷺ خرج ومعه بلال فظن أنه لم يسمع فوعظهن وأمرهن بالصدقة ، فجعلت المرأة تلقى القرط[٣] والخاتم ، وبلال يأخذ فى طرف ثوبه .

٤ — الرد على أولئك الذين يتهمون المسلمين بظلم المرأة وحرمانها من حقوقها .

فهذه التراجم — وغيرها كثير — تعطى صورة مشرقة تدل على تكريم العلماء للمرأة و تشريفهـا بروايـة سنة المصطفى ﷺ ، مع مراعاتهم للضوابط الشرعية المعروفة .

٥ — بيان ما كان عليه سلفنا من علو الهمة وصدق الطلب ، حيث لم يقتصروا على ما رووه عن الرجـال بل حدثوا عن النساء ، ولما تصدر هؤلاء العلماء لم يمتنعوا عن تحـديث النساء ، بل خصوهم ببعض العوالى — كما سيأتى إن شاء الله — . هذا واقتصرت على عشر تراجم منوعة فى مختلف الطبقات التاريخية ، وركزت على المحدثات اللائى اشتهرن بالتحديث ونشر السنة فى عصرهن .

وبدأت بالصحابيات فترجمت لهن بإيجـاز مع التركيز على عدد ما لهن من الأحـاديث ، وأعرضت عن ذكر النواحى الخلافية فى الأسماء أو الأنساب

(١) رواه البخاري واللفظ له فى كتاب العلم ، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة فى العلم ١/١٩٥ ومسلم فى البر ، باب فضل من يموت له ولد ٤/٢٠٢٨

(٢) أخرجه البخاري فى الموضع السابق ، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن ١/١٩٢

(٣) القرط بضم القاف وإسكان الراء — نوع من الحلى يكون فى شحمة الأذن . النهاية لابن الأثير ٤/١٤ وفتح البارى ١/١٩٣

أو تواريخ الوفيات وتركت ما فيه إطالة من سرد أسانيدهن أو شيوخهن مكتفيا بما له حاجة ماسة. . وأحيل من ابتغى الزيادة على المراجع المذكورة فى هامش كل ترجمة.

وأسأل الله الكريم أن يجعله خالصا لوجهه، وأن ينفع به كافة من قرأه. ووفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح. : إنه سميع مجيب. . .

++++++++++++++

تراجم المحدثات

١ ــ عائشة رضى الله عنها[١]

هى أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، كنيتها : أم عبد الله كناها النبي ﷺ، وأسلمت صغيرة بعد ثمانية عشر رجلا من الصحابة، تزوجها النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة وهى بنت ست سنين. و بنى بها بعد الهجرة بعد منصرفه من غزوة بدر فى شوال من السنة الثانية للهجرة. وكانت من أحب نسائه إليه. واشتهرت بالعلم و الفتوى وكثرة رواية الحديث فقد بلغ مجموع ما روته (٢٢١٠) أحاديث[٢].

اتفق البخارى ومسلم على ١٧٤ حديثا وتفرد البخارى بـ ٥٤ ومسلم

(١) للاستزادة يراجع : طبقات ابن سعد ٥٨/٨ و أسد الغابة لابن الأثير ١٨٨/٦

(٢) تلقيح فهوم الأثر لابن الجوزى ص ٣٦٢، و أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد لابن حزم ص ٢٩

بـ ٦٨ حديثـــا[١] وتوفيت رضى الله عنها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ست ، أو سبع أو ثمان وخمسين ، وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه ودفنت بالبقيع . و مناقبها مشهورة مبسوطة فى كتب التراجم والفضائل . وأفرد ترجمتها بعض المعاصرين بمؤلفات خاصة .

٢ — أم سلمـــة[٢]

هى أم المؤمنين هند بنت أمية بن المغيرة المخزومية . هاجرت إلى الحبشة ثم إلى المدينـــة ، تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة زوجها أبى سلمة فى السنة الرابعة للهجرة . وروت عن النبى ﷺ ٣٧٨ حديثا[٣] .

وتوفيت سنة تسع وخمسين للهجرة .

٣ — حفصة رضى الله عنها[٤]

هى أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولدت قبل البعثة بخمس سنين ، وتزوجها خنيس بن حذافة السهمى رضى الله عنه — أحد الصحابـــة السابقين إلى الإسلام هاجر للحبشة ثم للدينـة وشهـد بدرا ثم أحدا وأصيب فيها ومات رضى الله عنه — فتزوجها بعـده النبى ﷺ فى السنة الثالثـة للهجرة (وكان عمر بن الخطاب قـد عرضها على عثمان بن عفـان رضى الله عنه

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووى ٣٥١/٢

(٢) تهذيب الأسماء ص ٣٦١ والاستيعاب لابن عبد البر ٤٥٤/٤

(٣) أسماء الصحابة ٤٥

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٢٧/٢ والإصابة لابن حجر ٢٧٣/٤

فقال سأنظر فى أمرى ، و بعد ليال لقيه فقال : يا عمر بدا لى الا أتزوج يومى هـذا ، قال عمر : فلقيت أبا بكر الصديق رضى الله عنه فقلت إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر ، فصمت أبو بكر ، قال عمر فلبثت ليـال ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنـكحتها إياه ، فلقينى أبو بكر فقال لعلك وجـدت على حين عرضت علىّ حفصة فلم أرجع إليك شيئا ؟ قال عمر : قلت نعم ، قال أبو بكر : فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليـك فيما عرضت على إلا أنى كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها ، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله لقبلتها)[١].

وروت عن النبى ﷺ ٦٠ حديثا اتفق الشيخان على أربعة أحاديث منها وانفرد الإمام مسلم بستة أحاديث[٢].

وتوفيت سنة إحدى وأربعين ، وقيل خمس وأربعين .

٤ ــ أسماء بنت أبى زيد بن السكن الأشهلية[٣]

هى خطيبة النساء روت عن النبى ﷺ ٨١ حديثا[٤] وكانت من المجاهدات شهـــدت اليرموك وقتلت بعمود فسطاط تسعة من الروم . و توفيت فى خلافة يزيد بن معاوية .

---

(١) رواه البخارى بلفظه فى كتاب النكاح ، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير . (الفتح) ١٧٥/٩ ، و استنبط منـــه الحافظ ابن حجر فوائد جمة فليراجع .

(٢) السير ٢٣٠/٢

(٣) الحلية ٧٦/٢ ، والإصابة ٢٣٤/٤ ، ومجمع الزوائد ٢٦٠/٩

(٤) أسماء الصحابة ص ٦٥

٥ ـ أسماء بنت أبي بكر الصديق[١]

أسلمت قديما بمكة بعد سبعة عشر رجلا ، ولها موقف مشهور فى هجرة النبي ﷺ حيث سماها بذات النطاقين لأنها هيأت لهم السفرة فاحتاجت إلى ما تشدها به فشقت خمارها نصفين فشدت بنصفه السفرة ، واتخذت النصف الآخر منطقا . وهى زوج الزبير بن العوام رضى الله عنه ، وهاجرت للمدينة وهى حامل بعبد الله فولدته بعد الهجرة ، فكان أول مولود فى الاسلام بعد الهجرة[٢] .

وكانت أسماء بنت أبي بكر مشهورة بالجود و الكرم و سخاء النفس فكانت لا تدخر شيئا لغد ، و إذا أصابها صداع فى رأسها تضع يدها عليه وتقول : بذنبي وما يغفر الله أكثر .

وكان سعيد بن المسيب أعبر الناس للرؤيا أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر و أخذته عن أبيها ، و قال النووى[٣] روت ٥٦ حديثا ، وقال ابن حزم[٤] وابن الجوزى[٥] : ثمانية وخمسين حديثا .

وبلغت أسماء مائة سنة ولم يسقط لها سن ولم ينكر من عقلها شيء . وتوفيت بمكة سنة ثلاث وسبعين .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٤٩/٨ و تهذيب الكمال للمزى ١٢٣/٣٥ والإصابة ٢٢٩/٤ وأعلام النساء ٢٦/١

(٢) انظر الأوائل للعسكرى ٣١٠/١

(٣) تهذيب الأسماء ٣٢٩/٢

(٤) أسماء الصحابة ص ٧٧

(٥) التلقيح ص ٣٦٥

٦ ــ عمرة بنت عبد الرحمن[١]

هي عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية ، تربت في حجر عائشة رضى الله عنها ، قال القاسم بن محمد للزهرى : «يا غلام أراك تحرص على طلب العلم ، أفلا أدلك على وعائه ؟ قلت بلى ، قال : عليك بعمرة فإنها كانت فى حجر عائشة ، قال الزهرى : فأتيتها فوجدتها بحرا لا ينزف». قال الذهبي[٢] : وكانت عالمة فقيهة حجة كثيرة العلم ، وحديثها كثير فى دواوين الإسلام.

ولما عزم الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز على جمع السنة وتدوينها كتب إلى واليه على المدينة أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن اكتب إلى بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله ﷺ وبحديث عمرة ، فإنى خشيت دروس العلم وذهابه[٣].

واختلف فى وفاتها فقيل توفيت سنة ثمان وتسعين وقيل سنة ست ومائة.

٧ ــ كريمة[٤]

قال الذهبي[٥] : الشيخة العالمة الفاضلة المسندة أم الكرام : كريمة بنت

(١) طبقات ابن سعد ٨/٤٨٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ٤/٤٠ وشذرات الذهب لابن عباد ١/١١٤

(٢) السير ٤/٥٠٨

(٣) سنن الدارمى ١/١٢٦ ، والجرح والتعديل للرازى ١/٢١

(٤) الإكمال لابن ماكولا ٧/١٧١ ، والمنتظم لابن الجوزى ٨/٢٧٠ والبداية والنهاية لابن كثير ١٢/١٠٥

(٥) السير ١٨/٢٣٣ والعبر ٢/٣٢٥

أحمد المروزية المجاورة بحرم الله ، روت صحيح البخارى عن الكشميهنى ، وكانت تضبط كتابها وتقابله بأصلها ، ولها فهم ونباهة مع الخير والتعبد .

وما تزوجت أبدا[١] ، ماتت بكرا وقد بلغت المائة وتوفيت بمكة سنة ثلاث و ستين و أربعمائة . أثنى عليها السمعانى فقال : و هل رأى إنسان مثل كريمة ؟! .

٨ — عائشة بنت حسن[٢]

قال الذهبي[٣] : هى الواعظة العالمة المسندة ، أم الفتح الأصبهانية . وقال السمعانى[٤] : سألت الحافظ إسماعيل عنها فقال : امرأة صالحة ، عالمة ، تعظ النساء ، وكتبت أمالى ابن مندة عنه ، وهى أول من سمعت منها الحديث ، بعثنى أبى إليها وكانت زاهدة . توفيت سنة ستين وأربعمائة ، وقيل بعدها .

٩ — بيبي[٥]

قال الذهبي[٦] : هى الشيخة المعمرة المسندة ، أم الفضل وأم عزى بيبي[٧]

---

(١) انظر كتاب (الذين لم يتزوجوا من العلماء و غيرهم) للشيخ بكر أبو زيد ص ٩٥ و (العلماء العزاب) للشيخ عبد الفتاح أبو غدة .

(٢) السير ١٨/٣٠٢ والشذرات ٣/٣٠٨

(٣) السير ١٨/٣٠٢ والشذرات ٣/٣٠٨

(٤) الأنساب للسمعانى ٥/٥٩٢

(٥) الوافى بالوفيات للصفدى ١٠/٣٥٩ والأعلام للزركلى ٢/٨٠

(٦) السير ١٨/٤٠٣

(٧) بيبي — بباءين مكسورتين معجمتين بينهما ياء ساكنة — يراجع : تاج العروس للزبيدى ١/١٥٥ ومعنى هذا الاسم لدى سكان الهند المرأة السيدة .

بنت عبد الصمد بن علي الهرثمية الهروية . ولدت في حدود سنة ثمانين وثلاثمائة . واشتغلت بالحـــديث فروت عن عبد الرحمن بن أبي شريح جزءا عاليـــا اشتهر باسمها[1] . وكانت صالحـــة عفيفة عاشت نحو تسعين سنة ، وتوفيت سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

١٠ ــ شهـــدة[2]

قال الذهبي[3] : شهدة بنت المحدث أبي نصر أحمد بن الفرج الدينوري البغدادي ، المعمرة الكاتبة ، مسندة العراق ، فخر النساء ، ولدت بعد الثمانين وأربعمائة .

قال ابن خلكان[4] : كان لها السماع العالي ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر . وحدث عنها جمع من العلماء منهم ابن عساكر والسمعاني وابن الجوزي والشيخ الموفق وغيرهم . قال ابن الجوزي[5] وقرأت عليهـــا كثيرا ، وكان لهـــا خط حسن ، وتزوجت ببعض وكلاء الخليفة ، وعاشت مخالطة لأهل العلم . وكان لها بر وخير ، وقرئ عليها الحديث سنين ، وعمرت حتى قاربت المائة ، وتوفيت سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، وحضرها خلق كثير وعامة العلماء انتهى .

---

(١) مطبوع بعنوان (جزء بيبي بنت عبد الصمد الهروية) وحققه د . عبد الرحمن الفريوائي ، وصدر عن دار الخلفاء بالكويت سنة ١٤٠٦ هـ .

(٢) الكامل لابن الأثير ٤٥٤/١١ ونزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي ص ٦١ وأعلام النساء ٣٠٩/٢

(٣) السير ٥٤٢/٢٠

(٤) وفيات الأعيان ٤٧٧/٢

(٥) المنتظم ٢٨٨/١٠

الخاتمة

وأخيرا اكتفى بهـذا القدر من التراجم، ومن ابتغى المزيد فليراجعه فى مظانه رغبة فى عدم الإطالة[١]. ويطيب لى أن أوجه بعض النصائح للأخوات اللائى يرغبن الجد فى طلب العلم:

١ – عليكن بالدعاء وسؤال الله التوفيق لقوله ﷺ يا على (سل الله الهدى والسداد)[٢].

٢ – احرصن على العناية بكتاب الله أولا ثم سنة رسوله ﷺ وحبذا الجمع بينهما.

٣ – ابدأن أولا بحفظ المختصرات النافعة الصحيحة كالأربعين النووى وعمدة الأحكام لعبد الغنى المقدسى.

٤ – حبذا التركيز على الأحاديث والأحكام المتعلقة بالمرأة المسلمة وأحكام عباداتها ومعاملاتها، لتكون المرأة على بينة من أمور دينها.

ومن أجود ما ألف فى هـذا الباب كتاب (حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله فى النسوة) للشيخ صديق حسن خان رحمه الله تعالى مع المؤلفات والرسائل الفقهية المتعلقة بالفتاوى النسائية[٣].

---

(١) للتوسع يراجع فهرس النساء فى سير أعلام النبلاء، والمجلد الأخير الخاص بالنساء فى تهذيب الكمال للمزى، وتهذيب التهذيب، والإصابة لابن حجر، وأعلام النساء لكحالة.

(٢) أخرجه مسلم بنحوه فى كتاب الذكر ٤/٢٠٩٠

(٣) وأيضا سماع أشرطة الفتاوى والدروس والندوات العلمية.

٥ ــ أهميــة العنايــة بآداب طلب العلم والحرص على التحلى بها والاستفادة من كتاب (الجامع لأخلاق الراوى) للخطيب البغدادى .

٦ ــ الحرص على إعطاء كل ذى حق حقــه والتوازن بين طلب المرأة للعلم ، وقيامها بالدعوة إلى الله ، وأدائها لرسالتها التربوية فى الحياة نحو زوجها ـ وأولادها ، وقيامهــا بحقوق والديها وأرحامها وجيرانها وصديقاتهـا الملتزمات . والله الموفق ■ ■

ثمرة سياسة النبي ﷺ التعليمية

« لم تمض فترة طويلة بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة حتى نزلت آية المداينة وقد ارشدت المسلمين الى كتابة معاملاتهم التجارية ، وما كان ينزل هذا الحكم الا وقـد كان المجتمع بلغ درجة من معرفته بالقراءة والـكتابة ليتسنى له العمل بهذا الأمر .

وهناك دليل آخر ملموس على انتشار القراءة والـكتابة لدى المسلمين هو وجود عدد كبير من الـكتاب لدى النبي ﷺ وقــد بلغ عددهم حوالى خمسين كاتبا كتبوا للنبي ﷺ بصفة دائمة أو موقتة .

هذا وقد كان عدد كبير منهم منشغلا بالـكتابات التخصصية ، فكان هناك كتاب لـكتابة القرآن كعلى بن أبي طالب وعثمان بن عفــان وزيد بن ثابت وأبي بن كعب . وكان هناك من يكتب أموال الصدقات كالزبير بن العوام وجهم ابن الصلت » .

(دراسات فى الحديث النبوى ١/٥٤)

النواب السيد صديق حسن خان الحسنى البخارى ومو قفه من علم الكلام و مناهج المتكلمين

بقلم : الدكتور أختر جمال محمد لقمان
الأستاذ فى دار الحديث بمكة المكرمة

(الدكتور أختر جمال من خريجى الجامعة السلفية الذين صبروا وثابروا على تحصيل الدرجات العلمية العليا ، وضحوا فى هذا السبيل بكثير من الوقت الثمين والراحة الجسدية حتى ظفروا بما أرادوا فى مجال العلم والتحقيق . ومما يسر العلماء والباحثين أن الدكتور أختر جمال اختار لرسالته فى الدكتوراه شخصية جبارة من علماء الهند لا تزال موضع اعجاب العلماء وتقديرهم ، ألا وهى شخصية النواب صديق حسن البخارى. وقد وفق الله تعالى الدكتور أختر فى بحثه هذا لتجلية موقف النواب صديق حسن من القضايا الاعتقادية ولا لقاء الضوء على مساهمته فى هذا المجال . وادارة المجلة تقدم الشكر الجزيل الى الدكتور أختر على تزويده مجلة صوت الأمة بهذا الجزء من البحث ، والرجاء أنه يستمر فى مساعدة المجلة بمقالاته وبحوثه ، والله الموفق) .

ان القنوجى — رحمه الله — كان يقول باتباع أسلوب القرآن الكريم فى تقرير العقائد وعلوم الدين ، اعتقادا منه أن ذلك أجل نفعا وأعظم فائدة وأبلغ تأثيرا من مؤلفات المتكلمين المتعمقين الخائضين فى ذات الله وصفاته .

وان ما أودع الله فيه من أدلة وبراهين كاف وشاف فى الاستدلال على

المسائل العقائدية دون اللجوء الى أساليب الجدليين والكلاميين المبتدعة فى أصول الدين، التى لا تروى غليلا ولا تشفى عليلا، كما يقول مستشهدا بابن الوزير[١]:

قوله تعالى: ﴿كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾[٢]، وفى معناها ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[٣] وانما كانت فى معنى الأولى لأن القرآن آكد مما قضى به رسول الله ﷺ وأبعد من كل ريب فمن استراب فى شىء منه فهو فيما سواه أعظم ريبا، ومن ولع بالنظر فى دقائق الكلام المختلف فيها بين أهله وأعرض عن التدبر فى الكتاب وفى الفرق بين نصوصه وظواهره وخصوصه، وعموماته ربما تمكن فى نفسه القطع بصحة أمر من تلك الأمور المختلف فيها من غير أن يحكم دليل يقطع به ويستوثق من صحته[٤].

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ وأصحابه الحث على الرجوع الى كتاب الله تعالى، وتفضيله على غيره لما فيه من خير وهدى.

كما روى الترمذى عن الحارث بن عبد الله الهمذانى صاحب على رضى الله عنه قال: مررت فى المسجد، فاذا الناس يخوضون فى الأحاديث، فدخلت على

(١) ترجيح أساليب القرآن ص ١١
هو محمد بن ابراهيم بن على المرتضى أبو عبد الله عز الدين من آل الوزير، مجتهد باحث من أعيان اليمن (٧٧٥–٨٤٠) سير أعلام النبلاء ٥ : ٣٠٠

(٢) سورة الأعراف : ٢

(٣) سورة النساء : ٦٥

(٤) قصد السبيل ص ٣

على عليه السلام فأخبرته فقال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما انى سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا انها ستكون فتنة، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذى لم ينته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به﴾[1]، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى الى صراط مستقيم[2].

كما أنه لا يعتمد على علم الكلام فى المسائل العقدية، لا فى تحصيل العقيدة

---

(١) سورة الجن: ١، ٢

(٢) أخرجه الترمذى وقال: هذا حديث (غريب) لا نعرفه الا من هذا الوجه (حديث حمزة الزيات) واسناده مجهول، وفى الحارث مقال ٥: ١٧٢، و ذكره ابن الأثير، جامع الأصول ٨: ٤٦١، وابن كثير فى فضائل القرآن وقال: وان كان (حمزة) ضعيف الحديث فانه امام فى القراءة، والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه بل كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب فى الحديث فلا، ص ٥، وقال ابن الوزير: لم يزل العلماء يتداولون هذا الحديث، فهو مع شهرته فى شرط أهل الحديث متلق بالقبول عند علماء الأصول، فصار صحيح المعنى فى مقتضى الاجماع والمنقول والمعقول، ترجيح أساليب القرآن ص ١٥

ولا فى الدفاع عنها ، بل يرى أن الاعتماد على هذا سبب ضلال وظلام فى العقيدة الاسلامية ، يقول : « وأفضى الكلام بكثير من أهله الى الشك ، وببعضهم الى الالحاد ، وببعضهم الى التهاون بوظائف العبادات »[١]

والخوض فى هذا والبحث عنه والاصغاء اليه مضرة عظيمة جدا ، والسير الى توحيد الله وصفاته العليا وأسمائه الحسنى على نمط أهل الكلام المذموم نقص فى الدين وابتعاد عن المنهج القويم .

فمن زعم أن الحق فى كلام علماء الكلام ، والتوحيد هو الذى جاء به هؤلاء الطغام والملاحدة والفلاسفة اللئام ، والقرآن لا يكفى فى ذلك ، والحديث لا يغنى عما هنالك فقد خرج عن دائرة الاسلام وعليه دائرة السوء من الله العزيز العلام[٢].

وان الصحابة الذين رضى الله عنهم ، وشهد التنزيل بذلك لهم ، وهم خير أسوة للأمة ، وأكثر اتباعا لآثار رسول الله ﷺ فى الظاهر والباطن ، لم يخوضوا فى الجوهر والعرض ومصطلحات المتكلمين ، وما يتعلق بذلك من مباحثهم ، فمن رغب عن طريقهم وأكب على مباحث مخترعة وقوانين جدليه وأمور صناعية مستوردة من فلاسفة اليونان فكفاه ضلالا .

قال ابن عقيل[٣] : « أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر

(١) الدين الخالص ١ / ١٣٦

(٢) « « ١ / ١٥٣

(٣) على بن عقيل محمد أبو الوفاء الظفرى الحنبلى ، أحد الأعلام وفرد زمانه علما ونقدا و ذكاءا ، توفى فى ٥١٣ هـ ، لسان الميزان ٤ / ٢٤٣ ، شذرات الذهب ٤ / ٣٥ ، ذيل طبقات الحنابلة ١ / ١٤٢

والعرض، فان رضيت أن تكون منهم فكن، وان رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر، فبئس ما رأيت »[١].

فلو كان التعمق والخوض فيه من الدين لكان أول ما يأمر به الرسول ﷺ أصحابه ويعلم طريقة المتكلمين ويحث عليه، وقد قال الرسول ﷺ: « هلك المتنطعون »[٢] أي المتعمقون فى البحث[٣].

فعلم وجوب الابتعاد عن الطرق المبتدعة التى أمسك عنها السلف الصالح، يقول القنوجى: « وأما نصب الأدلة التى أحدثها المتكلمة فى الاسلام، وجاءوا بها على نهج الفلاسفة الطغام، و زادوا عليها من عند أنفسهم — ما نهوا عن الخوض فيه والاتيان به — ودعوا الناس اليه، والزموه العلم والاعتقاد به، فليس من الشرعة الحقة فى صدر ولا ورد، وليس عليه أثارة من علم، وإنما هو من الجهل البسيط والمركب »[٤].

ان خير القرون ومن بعدهم خلت منه، مع العلم أنهم أعرف الخلق وأفصحهم فى مسائل الدين والعقيدة وسكتوا عنه لما فيه من الشر والشبهات والاعوجاج، والبحث عن كيفية ما لايعلم حقيقته إلا الله، والابتعاد عن المنهج الذى جاء به رسول الله ﷺ الذى ليله كنهاره لا يزيغ عنه إلا هالك.

فالخوض فيه هو العجز. لأن العقول دائرتها محدودة لا تتجاوزها، والانسان لما كان عاجزا عن إدراك ما بين يديه كنفسه، فهو أعجز عما هو

---

(١) الانتقاد الرجيح ص ١١، انظر تلبيس ابليس ص ٨٢
(٢) رواه مسلم ٤ : ٢٠٥٥
(٣) قصد السبيل ص ٧
(٤) الدين الخالص ١ / ١٥٠

غائب عنه، من ذات الله وصفاته، فمن يرد التطلع إلى الحقائق التى استأثر الله بها، ولم يقتنع بما جاءت به الشريعة الغراء، يته فى وادى الضلال، يقول القنوجى: «وليس فى قوة العقل ادراك ما عند الله من الحكم التى انفرد بها، ولو لم يكن فى الجدال إلا أن النبي ﷺ قد أخبر أنه علامة الضلال، كما قال فيما أخرجه الترمذى «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»[1] لكفى»[2].

والعقل أكرم شيء فى ذات الانسان، ولا تنكر افادته، حيث أنه يرشدنا إلى الهداية والتوحيد، وبه نميز الخبيث من الطيب، لكن الذى ننكره هو إعمال العقل فيما لا طاقة له به، وان الايمان بالسمعيات لا يصح إلا بطريقه، وهذا خلاف ما عليه السلف الصالح، كما يقول عن أبي المظفر السمعانى[3].

«ان العقل لا يوجب شيئا ولا يحرم شيئا، ولا حظ له فى شيء من ذلك. ونحن لا ننكر أن العقل يرشد الى التوحيد، وإنما ننكر أنه يستقل بإيجاب ذلك حتى لا يصح اسلام إلا بطريقه، مع قطع النظر عن السمعيات، لكون ذلك خلاف ما دلت عليه آيات الكتاب والأحاديث الصحيحة التى تواترت، ولو بالطريق المعنوى، ولو كان كما يقول أولئك، لبطلت السمعيات التى لا مجال

---

(١) رواه الترمذى، وقال حسن صحيح. وابن ماجه ١ : ١٩، وأحمد ٥ : ٢٥٢، وحسنه الألبانى، صحيح الجامع رقم ٥٥٠٩، تخريج المشكاة ١ : ٦٣

(٢) قصد السبيل ص ٨، خلاصة المعتقد ص ١٩

(٣) عبد الكريم بن منصور السمعانى، أبو المظفر، من العلماء برجال الحديث، له معجم فى ثمانية عشر جزءا فى التاريخ، الرسالة المستطرفة ص ١٣٠، الأعلام ٤ : ٥٧

للعقل فيها أو أكثرها ، بل يجب الايمان بما ثبت من السمعيات ، فان عقلناه فبتوفيق الله تعالى ، وإلا اكتفينا باعتقاد حقيقته على وفق مراد الله تعالى»[١].

فالأساس الذى بنوا عليه مذهبهم والمصطلحات التى استعملوها ، والأصول التى أصلوها ثم رتبوها حسب منهجهم ، إنما هى أقحام للعقل فى غير ميدانه ، وفرية على فطرة الله التى فطر الناس عليها ، فإن العقـــل له حدود لا يستطيع أن يتجاوزها .

والعجب العجاب أنهم جعلوا تعقلاتهم مع تناقضها أصلا يعتمدون عليها فى تقرير العقائد ، والقرآن والسنة تابعة لها ، فما كان موافقا ومؤيدا لها قبلوه ، وما كان مخالفـا أولوه ، يقول نقلا عن الشوكانى[٢] : «دع عنك ما حدث من تلك التمذهبات فى الصفات وأرح نفسك من تلك العبارات التى جاء بها المتكلمون واصطلحوا عليها ، وجعلوها أصلا يرد إليـــه كتاب الله وسنة رسوله ، فإن وافقاها ، فقد وافق الأصول المقررة فى زعمهم ، وإن خالفاها خالف الأصول ، ويجعلون الموافق لها من قسم المقبول والمحكم ، والمخالف لهـا من قسم المردود والمتشابه ، ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى ، أو ألف حديث مما ثبت فى الصحيح لم يبالوا به ، ولم يرفعوا رؤوسهم ، ولا عدوه شيئا[٣].

الويل ثم الويل أن وراء ذلك غاية ، وهى أنهم عكسوا القضيـة ، حيث أن التعطيل صار عنـدهم من خالص التوحيـد ، والتوحيد صار من باب التشبيه والتجسيم ، فأنكروا صفاته تعالى الثابتة من الكتاب والسنة .

---

(١) الدين الخالص ١ : ١٤٣

(٢) التحف فى مذهب السلف ص ٦

(٣) قصد السبيل ص ٩

فسموا أعظم التعطيل بأحسن الأسماء وهو التوحيد، وسموا أصح الأشياء وأحقها بالثبوت — وهي صفات الرب تعالى شأنه — بأقبح الأسماء وهو التركيب والتأليف.

فتولد من بين هذه التسمية الصحيحة، المعنى الباطل، جحد حقائق أسماء الرب وصفاته، بل وجحد ماهيته و ذاته، وتكذيب رسله وكتبه(١).

فالمقدمات التي أبدعها المتكلمون لا تفيد اليقين في باب المعرفة بالله تعالى، بل الحيرة والشك مستولية عليها، والذي ينفعنا والقلب يطمئن اليه هو الأدلة المستقاة من القرآن والسنة.

«فان الدلالات الشرعية الصادرة عن اللطيف الخبير، وعن نبيه البشير النذير تقنع وتسكن النفوس، وتغرس في القلوب الاعتقادات الصحيحة»(٢).

وقد تعقب بعض المتكلمين هذا، وقالوا: إن السلف من الصحابة والتابعين لم يتوجهوا الى الدلائل العقلية في التوحيد، لعدم اشتغالهم بالتفريعات في أحكام الحوادث، ولما جاء بعدهم الفقهاء من المتأخرين استحسنوه واستعملوه في أسلوبهم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أن علم الكلام له ميزة، وهي: أنه يشتمل الرد على الملحدين والدهريين، و به تزول شبههم، واليقين لا يرسخ إلا به.

أجيب كما ذكر القنوجي عن أبي المظفر السمعاني يقول:

أولا: فإن الشارع والسلف الصالح نهوا عن الابتداع وأمروا بالاتباع، وصح عن السلف أنهم نهوا عن الكلام، وعدوه ذريعة للشك والارتياب...

(١) الدين الخالص ١ : ٩٦

(٢) الانتقاد ص ٤

وأما ثانيا: فإن الدين كمل لقوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾(١) فاذا كان أكمله وأتمه، وتلقاه الصحابة عن النبي ﷺ واعتقده من تلق عنهم، واطمأنت به نفوسهم، فأى حاجة بهم الى تحكيم العقول والرجوع الى قضاياها وجعلها أصلا(٢).

ولقد حث أئمة السلف على ترك الجدال(٣) والمراء فى الدين، وترك النظر فى كتب المتكلمين الذين مسخوا الدين عن طابعه الأصلى، ويكرهون المجادلة والجلوس معهم، ونقل شبههم إلى المسلمين، كى لا تقع فى عقول من لا طاقة لهم بردها، لحذروا من مجالسة أهل الأهواء والمناظرة معهم، حماية لعقول المسلمين وأفكارهم عن ملابسة أفكار فلسفية. جاء ذلك فى كلام كثير من الأئمة ومؤلفاتهم، يقول القنوجى: «وكان أبو حنيفة يكره الجدال على سبيل الحق، فضلا عن الباطل».

ويروى عن أبي يوسف: انه لايجوز الصلاة خلف المتكلم، وان تكلم بحق لأنه مبتدع، وقال أيضا: العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وعنه قال: من طلب الدين بالكلام تزندق.

(١) سورة المائدة: ٣

(٢) الدين ١: ١٤١

(٣) الجدل مع غير المسلمين دفاعا عن الاسلام كما كان من العلماء، هذ أمر مطلوب، ومنه قوله تعالى ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ هود: ٣٢، أما جدال المسلمين بعضهم مع بعض فى أمور ليس وراءها نفع دينى ولا دنيوى كالتعمق فى ذات الله وصفاته مع عجز العقل - فيما لم يأت به النص - فهذا أمر مذموم.

وقال الشافعي : إذا سمعت الرجل يقول : الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ، ولا دين له . وقال أيضا : لو علم الناس ما في هذا الكلام من الأهواء لفروا منهم فرارهم من الأسد ، وقال أيضا : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على كلام أهل البدعة ، وعنه : لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام ، وقال : لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلما يقوله .

وقال مالك : لا يجوز شهادة أهل الكلام على أي مذهب كانوا .

وقال أحمد بن حنبل : علماء الكلام زنادقة ، وقال أيضا : لا يفلح صاحب الكلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل[١].

ان أصل الفطرة هو قبول ما جاء به الرسل ، لكن أعداء الدين يريدون تغيير هذه الفطرة ، فادخلوا في الدين كلمات مجملة لا أصل لها في الشريعة ، فيوردون عليه اشكالات وشبهات ، وهذا من باب الخوض الذي أمر الشرع بالاعراض عنه ، حيث قال ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾[٢].

ولذا أوصى عمر بن عبد العزيز رحمه الله بترك النظر والمراء ، فقال : عليك بدين الأعراب والصبيان في الكتاب[٣].

---

(١) قصد السبيل ٦ ، قطف الثمر ٦ ، خلاصة المعتقد ٧٤ ، قارن بشرح الطحاوية ٢٢٩ ، احياء علوم الدين ١ : ٩٥ ، تلبيس ابليس ٨٠

(٢) سورة الانعام : ٦٨

(٣) قطف الثمر ص ٦ وفي شرح السنة ١ : ٢١٧ بلفظ : ألزم دين الصبي في الكتاب والأعراب .

وقد أفتى أئمة السلف بتحريم الكلام حينما رأوا تسرب الكلاميين وشرهم إلى صفوف المسلمين، فى دينهم وعقيدتهم، يقول القنوجى: وقد أفتى الجلال السيوطى بتحريم علوم الفلاسفة كالمنطق وغيرها باجماع السلف واكثر المعتبرين من الخلف، منهم ابن الصلاح والنووى وخلق لا يحصون، . . . وذهب إلى تحريمه مالك ومحمد وأحمد وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف(١).

بعد ما رأينا أن منهج المتكلمين هو الخوض والبحث فى ما لم يعلم حقيقته إلا الله سبحانه وتعالى، فكثر بذلك اضطرابهم فى باب الدين، وابتعدوا عن معرفة الحق، وارتكبوا أنواعا من المحال، لا يرضاها الله و رسوله، فقد رجع كثير من أئمة المتكلمين عن طريقهم، لما رأوا ان العقيدة والدين هو ما جاء به القرآن والسنة، وأما غيرهما من قيل وقال فهو من باب المراء والجدال الذى منع الشارع منه.

يقول القنوجى: «وقد رجع كثير من أئمة المتكلمين عن الكلام بعد انقضاء أعمار مديدة وآماد بعيدة، لما لطف الله بهم وأظهر لهم آياته وباطن برهانه، منهم امام المتكلمين أبو المعالى، فقد حكى عنه الثقات أنه قال: «لقد خليت أهل الاسلام وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت فى الذى نهوا عنه، كل ذلك رغبة فى طلب الحق وهربا من التقليد، والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، واختم عاقبة أمرى عند الرحيل بكلمة الاخلاص، والويل لابن الجوينى.

وكان يقول لأصحابه: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى إلى ما بلغ ما تشاغلت به».

و زاد على القارى، فذكر أنه قال: «وها أناذا أموت على عقيدة أمى،

---

(١) قصد السبيل ص ٧

أو قال : على عقيدة عجائز نيسابور »[١].

وكذا الرازى فيلسوف الاسلام وسلطان المتكلمين بعد ما نهج منهج الفلاسفة ، وسير طريقهم فقال :

العلم للرحمن جل جلاله   وسواه فى جهلاته يتغمغم
ما للتراب وللعلوم وإنما   يسعى ليعلم أنه لا يعلم

وقال أيضا :

نهاية اقدام العقول عقال   وغاية سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا   وحاصل دنيانا أذى ووبال
لم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[٢]

وقال فى وصيته التى مات عليها : « لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن العظيم ، لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ، ويمنع عن التعمق فى ايراد المعارضات والمناقضات ، وما ذلك إلا للعلم ، بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل فى تلك المضائق العميقة والمناهج الخفية .

وقال فى وصيته الأخرى : « ما رأيت فى الطرق الكلامية ما يشفى عليلا أو يروى غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طرق القرآن ، اقرأ فى الاثبات ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[٣] ، و ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾[٤] واقرأ

---

(١) قصد السبيل ١٦ ، عون البارى ٦ : ٥٦٧ ، وانظر شرح الطحاوية ٢٢٨ .
(٢) قصد السبيل ١٦ ، انظر الحموية ١٩ ، النبوات ١٠٨
(٣) سورة طه : ٥
(٤) سورة فاطر : ١٠

فى النفى ﴿ليس كمثله شىء﴾(١) ﴿ولا يحيطون به علما﴾(٢) ثم قال: «ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى»(٣).

وهكذا الشهرستانى لم يكسب من علوم الفلاسفة سوى أنـه ازداد حيرة وندامة، كما يقول:

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفى بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقنه، أو قارعا سن نادم

وزاد القرطبى فذكر، أنه قال: «عليكم بدين العجائز فانه أسنى الجوائز»(٤).

والغزالى أيضا كانت أخريات أيامه فى الحيرة والندم فى المسائل الكلامية، ثم أعرض عن هذا وأقبل على أحاديث رسول الله ﷺ، فمات وصحيح البخارى على صدره(٥).

وكان يعتقد أن الحق فى اتباع القرآن والسنة، وينصح بعدم الخوض والتدبر فى الكلام، وتغيير الظاهر بتأويلات بعيدة، يقول: «الحق الاتباع، والكف عن تغيير الظاهر رأسا، والحذر عن ابتداع تأويلات لم يصرح بها الصحابة، وحسم باب السؤال رأسا، والزجر عن الخوض فى الكلام والبحث... والايمان المستفاد من الكلام ضعيف، والايمان الراسخ ايمان العوام الحاصل فى قلوبهم فى الصبا بتواتر السماع وبعد البلوغ بقرائن يتعذر التعبير عنها»(٦).

(١) سورة الشورى: ١١

(٢) سورة طه: ١١٠

(٣) قصد السبيل ١٧، انظر شرح الطحاوية ٢٢٧

(٤) « « « « ٢٢٨

(٥) « « ١٦

(٦) « « ١٥، انظر الجواهر ٩٩

والشوكانى كان فى بداية عمره معتزليا، ويشتغل بعلم الكلام الذى يسمونه علم التوحيد، ويلازم مؤلفات المتكلمين، حرصا على ازدياد البصيرة فى الدين، لكن ما ازداد منه إلا بعدا عن الوصول إلى الحق، وهذا الذى تسبب فى رجوعه إلى مذهب السلف، وخلعه ربقة الكلام من عنقه.

يقول نقلا عن الشوكانى: «وها أنا أخبرك عن نفسى وأوضح لك ما وقعت فيه فى أمسى فإنى فى أيام الطلب وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذى سموه تارة علم الكلام وتارة علم التوحيد وتارة علم أصول الدين وأكببت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم، ورمت الرجوع بفائدة والعود بعائدة، فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة، وكان ذلك من الأسباب التى حببت إلى مذهب السلف على أنى كنت من قبل ذلك عليه، ولكن أردت أن أزداد فيه بصيرة وبه شغفا، وقلت عند النظر فى تلك المذاهب:

وغاية ما حصلته من مباحثى ومن نظرى من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقين حيرة فما علم من لم يلق غير التحير[1]

وكتب بعض العلماء كتابا مستقلا فى تحريم علم الكلام، فالسيوطى جمع كتابا نقل فيه نصوص الأئمة عليه، وللحافظ سراج الدين القزوينى من الحنفية كتاب فى تحريمه[2]؟

(١) قصد السبيل ١٧، فتح البيان ٤٦٦/٦

(٢) الدين الخالص ١/ ١٣٦

ابو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى
(٤٠٧ – ٤٩٠ هـ)

(٤) ثقافته المتنوعة وآثاره الخالدة

الدكتور محمد إبراهيم محمد هارون
الجامعة السلفية، بنارس

نصر المؤلف

كان أبو الفتح نصر المقدسى – رحمه الله – صاحب تصانيف كثيرة ومؤلفات عديدة، قد درس وأفتى وحدث وأملى «مجالس» كثيرة، وكتب وألف فى فنون شتى – كالحديث والفقه والعقيدة و المناقب – وغيرها من العلوم، فقد اعترف العلماء والمترجمون له بكثرة تآليفه وشهرة تصانيفه.

قال أبو على البكرى: «وله تصانيف فى كل فن من الفقه والأصول والزهد، وتخرج به جماعة من أهل الشام، وانتفعوا بسيرته وصالح دعوته»[1].

وقال النووى: «ولأبى الفتح مصنفات كثيرة فى المذهب وغيره»[2].

وقال الذهبى: «الشيخ الإمام العلامة القدوة المحدث مفيد الشام شيخ

(١) كتاب الأربعين (٦٧).
(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/١٢٦).

الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي صاحب التصانيف والأمالي »[١].

وقال أيضا : « شيخ الشافعية بالشام ، وصاحب التصانيف ، كان إماما علامة مفتيا محدثا حافظا زاهدا متبتلا ورعا كبير القدر عديم النظير »[٢].

و وصفه اليافعي فقال : « شيخ الشافعية بالشام ، نصر المقدسي صاحب التصانيف »[٣].

وقال الأسنوي : « نصر المقدسي ، شيخ المذهب بالشام وصاحب التصانيف المشهورة والعمل الكثير والزهد الصادق »[٤].

و ذكره ابن قاضي شهبة فقال : « نصر بن إبراهيم . . . شيخ المذهب بالشام وصاحب التصانيف مع الزهادة والعبادة »[٥].

فهذه الأقوال كلها تدل على كثرة تآليفه وشهرة تصانيفه في مختلف مجالات العلوم والثقافة .

ومما يدل على ما كتبه الله لمؤلفاته من الشهرة والتلقي بالقبول ، أن كثيرا منها وصلت إلى النووي والأسنوي والذهبي وابن خير الاشبيلي رواية وتحديثا كما ذكروا ذلك[٦]، بل وصلت إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني ، فإنه روى

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٩ / ١٣٦) .
(٢) العبر (٢ / ٣٦٣) .
(٣) مرآة الجنان (٣ / ١٥٢) .
(٤) طبقات الشافعية (٢ / ٣٩٠) .
(٥) طبقات الشافعية (١ / ٢٧٤) .
(٦) تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ١٢٥) ، طبقات الشافعية (٢ / ٣٨٩) ، سير أعلام النبلاء (١٩ / ١٣٨) ، فهرسة ما رواه عن شيوخه (١٥٩) .

عدة من مؤلفاته بسنده إلى المؤلف فى « المعجم المفهرس »[١].

وفيما يلى ذكر أسماء مؤلفاته التى عثرت عليها بعد تتبع المصادر التى ترجمت للمؤلف وغيرها من المصادر الأخرى:

١ ـ كتاب التهذيب :

ذكره كل من النووى فى « تهذيب الأسماء واللغات »[٢]، والسبكى فى « طبقات الشافعية »[٣]، والاسنوى فى « طبقات الشافعية »[٤]، وابن قاضى شهبة فى « طبقات الشافعية »[٥]، ومجير الدين الحنبلى فى « الانس الجليل »[٦]، وابن العماد فى « شذرات الذهب »[٧]، والحسينى فى « تراجم رجال ألفية العراق »[٨]، وإسماعيل باشا البغدادى فى « هدية العارفين »[٩]، والزركلى فى « الاعلام »[١٠].

ويعتبر هذا الكتاب من أهم كتب المؤلف فى الفقه الشافعى ويقع فى عشر مجلدات ، كما صرح بذلك النووى والذهبي وإسماعيل باشا والزركلى ورضا كحالة .

---

(١) المعجم المفهرس (١ / ١٥٩ــ١٦٠ ، ٥٥٥ ، ٢ / ٥٨٠).
(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ١٢٦) .
(٣) طبقات الشافعية (٤ / ٢٨) .
(٤) طبقات الشافعية (٢ / ٣٩٠) .
(٥) طبقات الشافعية (١/ ٢٧٥) .
(٦) الانس الجليل (١ / ٢٩٨) .
(٧) شذرات الذهب (٣ / ٣٩٦) .
(٨) تراجم رجال ألفية العراق (٢ / ٨٣) .
(٩) هدية العارفين (٢ / ٤٩٠) .
(١٠) الأعلام (٨ / ٢٠) .

ووصفه ابن قاضى شهبة بقوله: إنه قريب من حجم الروضة[١].

ومنهجه فيه أنه يذكر أقوال علماء المذهب وآرائهم، ثم يتناول الترجيح بين الأقوال المتعارضة، أو توضيح الغموض الذى يكتنف بعض الآراء، ثم يأتى بالخلاصة، ويبدى رأيه بما يراه راجحا فى حدود مذهبه الشافعى.

وقد يخالف السابقين أو يوافقهم، لكنه يدلل على ترجيحاته واختياراته بالنصوص.

وهذا الكتاب العظيم وإن كان فى حكم المفقود إذ لم يذكر أحد مكان وجوده، فإن بعض مادته العلمية محفوظة فى مؤلفات النووى والسبكى.

وقد وصل الكتاب إلى النووى من طريق شيخه ابن الأنبارى، عن القاضى الحرستانى، عن الفقيه أبى الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوى المصيصى تلميذ المؤلف[٢].

كما وصل إلى الأسنوى فيقول: وقد وقع لى من تصانيفه كتاب التهذيب[٣].

ومما يدل على استفادة النووى من الكتاب وجود المادة العلمية الكبيرة فى كتبه من كتاب التهذيب، فقد اقتبس اقتباسا غير يسير فى كتابه «روضة الطالبين» فيقول مرة: قال الشيخ أبو الفتح نصر المقدسى[٤]، ومرة ثانية يقول:

---

(١) طبقات الشافعية (١ / ٢٧٥).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ١٢٦).

(٣) طبقات الشافعية (٢ / ٣٩٠).

(٤) روضة الطالبين (١ / ٤٦، ١٥١، ٢٤٨، ٣٥٣)، (٢ / ١٤٣، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٢٩).

قال صاحب التهذيب أو فى التهذيب[١]، ويقول مرة أخرى : قال الشيخ أبو الفتح نصر المقدسى فى كتاب التهذيب[٢].

ثم إن كتاب التهذيب هذا هو أحد المصادر التى اعتمد عليها النووى فى كتابه المجموع شرح المهذب ، كما يبدو من النظر فيه[٣].

٢ - كتاب الانتخاب / أو الانتخاب الدمشق :

كتـاب آخر فى الفقـه الشافعى يشمل عامة الأحكام والمسائل مع ذكر الخلاف فيها وهو فى بضعة عشر مجلدا كما صرح به النووى[٤]، والذهبي[٥]، والسبكى[٦]، وابن قاضى شهبة[٧]، و رضا كحالة[٨].

---

(١) (٢/ ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١٢٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٦، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٧، ١٨٧، ١٩٩، ٢٠٨، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٥، ٢٩٣، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٧٣، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٢، ٢٨٦، ٣٨٨، ٣٩٥، ٤٠٣) .

(٢) (٢/ ١٣٨، ٣٣٠) .

(٣) وانظر على سبيل المثال : (١/ ١٥٤، ١٨٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٧، ٣٠٩، ٣١٤، ٣٨٦، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٢٩، ٤٨٠، ٤٨٤، ٥١٠، ٥٣٩، ٥٥٦) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ١٢٦) .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٤٠) .

(٦) طبقات الشافعية (٤ / ٢٨) .

(٧) » » (١ / ٢٧٦) .

(٨) معجم المؤلفين (١٣ / ٨٧) .

وقد أفاد فيه نصر من مؤلفات شيخه القاضي أبي الطيب الطبري، أحد كبار فقهاء الشافعية في عصره، وركن من أركان المذهب، وينقل كثيرا من كتبه بل ذكر النووي أن كتابه هذا على هيئة تعليق القاضي أبي الطيب الطبري ويحذو حذوه وينقل منه كثيرا(١).

وقد وهم إسماعيل باشا البغدادي لجعله كتابين، الأول منهما باسم كتاب الانتخاب، والآخر باسم الانتخاب الدمشقي، وأوردهما مرتين في إيضاح المكنون وعزاهما للمؤلف نصر(٢).

والظاهر أنه كتاب واحد كما ذكره النووي والذهبي والسبكي.

وتوجد منه عدد كبير من النصوص في كتب النووي كالمجموع وروضة الطالبين فكثيرا ما يقول: قال الشيخ أبو الفتح نصر المقدسي في كتابيه «التهذيب والانتخاب»(٣) أو يقول: وبه قطع الشيخ أبو الفتح نصر المقدسي في كتاب الانتخاب(٤).

٣ — كتاب الكافي:

ذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات(٥)، والذهبي في سير أعلام

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ١٢٦)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١ / ٢٧٦).
(٢) إيضاح المكنون (١ / ١٢٩، ٢ / ٢٧٤).
(٣) وعلى سبيل المثال: (١ / ١٥٤، ٢٨٠، ٣٨٦، ٥٥٦).
(٤) انظر: (١ / ٢٧٧، ٣٨٥، ٤٢٢، ٤٢٨، ٥٥٦).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ١٢٦).

النبلاء[١]، وابن قاضى شهبة فى طبقات الشافعية[٢]. و الزركلى فى الأعلام[٣]، و رضا كحالة فى معجم المؤلفين[٤].

وهو كتاب فى الفقه الشافعى يحذو المؤلف فيه حذو شيخه أبي الفتح سليم ابن أيوب الرازى فى كتابه الكفاية ، ولا يذكر فيه قولين ولا وجهين ، بل يخرج بالراجح عنده وفيه نفائس . قاله النووى فى تهذيب الأسماء واللغات[٥].

ويقع الكتاب فى مجلد متوسط كما صرح به كل من النووى و الذهبي والزركلى ورضا كحالة ، وذكر ابن قاضى شهبة[٦] أنه قريب من حجم التنبيه ، ولكن خالفهم إسماعيل باشا البغدادى فى هدية العارفين فقال : إنه كتاب فى الفروع فى بضعة عشر مجلدا[٧].

وبعد أن أكد النووى أنه مجلد متوسط فى المذهب ، ثم اقتبس منه اقتباسا غير يسير فى كتابه المجموع له[٨]، وأعطى فكرة عن منهجه ومحتواه ، وتبعه فيه الذهبي[٩]، يمكن لنا القول أن البغدادى غالط فيما قاله ، والله أعلم .

(١) سير أعلام النبلاء (١٩ / ١٤٠) .
(٢) طبقات الشافعية للسبكى (١ / ٢٧٥) .
(٣) الأعلام (٨ / ٢٠) .
(٤) معجم المؤلفين (١٣ / ٨٧) .
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ١٢٦) .
(٦) طبقات الشافعية (١ / ٢٧٥) .
(٧) هدية العارفين (٢ / ٤٩١) .
(٨) المجموع (١ / ١٨٠ ، ١٨٥ ، ٣١٢ ، ٥٥٦) .
(٩) سير أعلام النبلاء (١٩ / ١٤٠) .

٤ - شرح الإشارة:

ذكره السبكي في طبقات الشافعية[١]، وابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية[٢]، ومجير الدين الحنبلي في الانس الجليل[٣]، وابن العماد في شذرات الذهب[٤]، وحاجي خليفة في كشف الظنون[٥]، و إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين[٦].

وهو شرح متوسط نفيس على مختصر شيخه سليم بن أيوب الرازي، سماه الإشارة، قاله مجير الدين الحنبلي وتبعه فيه ابن العماد.

٥ - كتاب المقصود:

قال الأسنوي في طبقات الشافعية عند ذكر مؤلفات نصر و وقع لي من مصنفاته ثم أورد ضمنها هذا الكتاب[٧].

وصرح ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية بأنه في جزئين متوسطين قليل الوجود[٨].

---

(١) طبقات الشافعية (٤ / ٢٨).
(٢) طبقات الشافعية (١/ ٢٧٥).
(٣) الانس الجليل (١ / ٢٩٨).
(٤) شذرات الذهب (٣ / ٣٩٦).
(٥) كشف الظنون (٩٨).
(٦) هدية العارفين (٢ / ٤٩١).
(٧) طبقات الشافعية (٢ / ٣٩٠).
(٨) طبقات الشافعية (١ / ٢٧٥).

و ذكره ابن العماد فى شذرات الذهب ضمن مؤلفات نصر، قال: وهو احكام مجردة[١]، وأكد إسماعيل باشا البغدادى فى هدية العارفين أنه كتاب فى الفروع للمذهب الشافعى[٢].

٦ - كتاب التقريب :

ذكره ابن قاضى شهبة فى طبقــات الشافعية[٣] ومجير الدين الحنبلى فى الانس الجليل[٤]، وابن العماد فى شذرات الذهب[٥]، والزركلى فى الأعلام[٦].

وهو فى حكم المفقود كأكثر مؤلفاته، ويظهر من النصوص المقتبسة منه أنه كتاب فى الأحكام الفقهية، وقد ذكر ابن قاضى شهبة فى طبقات الشافعية أنه قريب من حجم روضة الطالبين للنووى[٧].

و يوجد بعض النصوص المقتبسة من الكتاب فى روضة الطالبين.

٧ - كتاب الفصول :

ذكره مجير الدين الحنبلى فى الانس الجليل[٨]، والزركلى فى الأعلام[٩].

---

(١) شذرات الذهب (٣ / ٣٩٦).
(٢) هدية العارفين (٢ / ٤٩١).
(٣) طبقات الشافعية (١ / ٢٧٥).
(٤) الانس الجليل (١ / ٢٩٨).
(٥) شذرات الذهب (٣ / ٣٩٦).
(٦) الأعلام (٨ / ٢٠).
(٧) طبقات الشافعية (١ / ٢٧٥).
(٨) الانس الجليل (١ / ٢٩٨).
(٩) الأعلام (٨ / ٢٠).

ولكنهما لم يذكرا عن محتوياته شيئا .

٨ — تحريم نكاح المتعة :

ذكره رضا كحالة فى معجم المؤلفين[١] ، وهو كتاب نفيس فى موضوعه فريد فى بابه ، وقد جمع فيه المؤلف ـ رحمه الله ـ الأدلة النقلية والعقلية الدالة على تحريم نكاح المتعة ، وأنها منسوخة إلى يوم القيامة ، وذكر إجماع الصحابة والتابعين على تحريمها ، كما سرد أدلة المخالفين من الرافضة ، ثم رد عليها ردا علميا .

والكتاب مكون من جزئين ، فالجزء الأول منه مفقود إذ لم يذكر أحد مكان وجوده ، وأما الجزء الثانى منه فتوجد له نسخة خطية فى المكتبة الظاهرية بدمشق فى مجموع رقم (٤٠)[٢] ، ومنه نسخة مصورة فى مكتبة الجامعة الاسلامية ، تبلغ أوراقها أربع وعشرين ورقة ذات جهتين ، وعليها عدة سماعات ، وناسخ النسخة هو على بن أحمد الأنصارى ، وجاء على غلاف المخطوطة : تحريم نكاح المتعة للإمام الزاهد أبى الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى .

وقد طبع هذا الجزء المذكور بتحقيق شيخنا علامة الحجاز حماد بن محمد الأنصارى حفظه الله ورعاه[٣] .

٩ — كتاب الحث على قضاء الحوائج :

وصل الكتاب إلى الحافظ ابن حجر العسقلانى من رواية أبى الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوى المصيصى تلميذ المؤلف ، فقال فى المعجم

---

(١) معجم المؤلفين (١٣/ ٨٧) .

(٢) فهرس الظاهرية للألبانى (٤٢٥) .

(٣) طبع فى مطبعة دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض دون ذكر سنة .

المفهرس: قرأته على أبي العباس أحمد بن الحسن السويداوى بسماعه له، على البدر محمد بن أحمد بن خالد أنا عبد الله بن أحمد بن فارس أنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستانى، أنا أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوى المصيصى به[١].

١٠ – مناقب الإمام الشافعى:

لم يذكره سوى إسماعيل باشا البغدادى فى هدية العارفين[٢].

قد ألف جماعة من العلماء كتبا فى مناقب الشافعى قبل المؤلف – رحمه الله – كأبي يحي زكريا بن يحي الساجى[٣] (ت ٣٠٧ هـ)، وعبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازى[٤] (ت ٣٢٧ هـ)، وأبي عبد الله الحاكم النيسابورى[٥] (ت ٤٠٥ هـ)، وأبي محمد عبد الغنى بن سعيد الأزدى[٦] (ت ٤٠٩ هـ)، وأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى[٧] (ت ٤٥٤ هـ)، وأبي بكر أحمد ابن الحسين البيهقى[٨] (ت ٤٥٨ هـ)، وأبي محمد إسماعيل بن الحافظ أبي إسحاق

---

(١) المعجم المفهرس (١ / ١٥٩–١٦٠).
(٢) هدية العارفين (٢/ ٤٩١).
(٣) تهذيب التهذيب (٩ / ٢٩).
(٤) طبع فى مصر.
(٥) طبقات الشافعية للسبكى (٣ / ٢١٩)، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (١/ ١١٦).
(٦) أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون (١١).
(٧) المصدر المذكور.
(٨) طبع فى مجلدين بتحقيق السيد أحمد صقر بالقاهرة سنة ١٣٩١هـ

الهروى[١] (ت ٤٨١ هـ) ، وأبى محمد عبد الله بن يوسف الجرجانى[٢] (ت ٤٨٩ هـ) .

كما صنف الخطيب البغدادى شيخ المؤلف وتلميذه كتابا فى مناقب الشافعى وهو مفقود ولكن إيراد المؤلف — رحمه الله — بعض النصوص المتعلقة بهذا الموضوع فى كتابه « الحجة على تارك المحجة » يدل على أنه استفاد من شيخه الخطيب فى جمع المادة العلمية لهذا الكتاب ، ولعدم وجود الكتاب لا يمكن لنا الحكم على منهجه الذى اختاره فى تأليف هذا الكتاب .

(يتبع)

حمل الصحابة والتابعين أمانة الدين

« وبينما كان حفظة القرآن وحملة السنة المحمدية يجاهدون فى حفظ أصول الشريعة الكاملة ، كان آخرون من أبناء الصحابة وأبطال التابعين يحملون أمانة الإمامة والرعاية والجهاد والفتوح ، ويعملون على نقل الأمم إلى الاسلام : يعربون ألسنتها ، ويطهرون نفوسها ، ويسلكونها فى سلك الأخوة الاسلامية لتتعاون معهم على توحيد الانسانية تحت راية الهدى ، وتوجيهها إلى أهداف السعادة . وقد بارك الله لهؤلاء وأولئك فى أوقاتهم ، وأتم على أيديهم فى مائة سنة ما يستحيل على غيرهم — من أهل الطرائق والأساليب الأخرى — أن يعملوه فى آلاف السنين » .

(محب الدين الخطيب رح)

(١) سير أعلام النبلاء (١٧ / ٣٧٩) .

(٢) تذكرة الحفاظ (٤ / ١٢٢٧) .

الملائكة و وجوب الايمان بها

(الحلقة الثانية والأخيرة)

الشيخ / محمد جنيد بن عبد المجيد

علاقتهم بالله :

أما علاقتهم بالله ، فهي علاقـــة العبودية الخالصة ، والطاعة والامتثال . والخضوع المطلق لأوامره عز وجل ، لا ينتسبون إليه سبحانه إلا بهذه النسبة فهم ليسوا آلهة من دونه سبحانه . ولا ذرية له ولا بنات ، كما قال المشركون من قبل : ﴿وقالوا اتخـــذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعـــلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾[1]، فهم يخافون الله دائما ويشفقون منه حيث قال تعـــالى : ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته﴾[2]، وقال : ﴿يخـــافون ربهم من فوقهم ، ويفعلون ما يؤمرون﴾[3]، وخوفهم من الله عز وجل خوف إجلال وإعظام . (قال العـارف المحاسبي رحمه الله تعـــالى : خوف المقربين ــ الأنبياء والملائكة ــ خوف إجلال وإعظام)، وإن كانوا آمنين عذاب الله تعالى[4].

---

(١) الأنبياء : ٢٦-٢٨

(٢) الرعد : ١٣

(٣) النحل : ٥٠

(٤) الايمان بالملائكة ص ٢٠

فهم خلق من مخلوقات الله الكثيرة يطيعونه سبحانه ولا يقدرون على شيء من تلقاء أنفسهم وهم لا يستطيعون أن يقترحوا على الله شيئا بفضل قوتهم ، وهم منقطعون دائما لعبادة الله وطاعة أمره[١]، قال تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون. وإنا لنحن المسبحون﴾[٢]، فهم يعبدون الله ليلا ونهارا كما قال الله تعالى: ﴿وله من فى السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾[٣]، ومنهم الصافون حيث قال تعالى: ﴿والصافات صفا﴾[٤]، أقسم الله بطوائف من الملائكة بأنهم الصافات للصلاة والعبادة بين يدى رب العالمين ، وفى الحديث الذى رواه مسلم وغيره: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قالوا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: «يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون فى الصف»[٥]، وفى الحديث الذى أخرجه مسلم: «فضلنا على الناس بثلاث: — ومنها — جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ...» الحديث[٦]، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال: «أقيموا صفوفكم استووا قياما ، يريد الله بكم هدى الملائكة ...»[٧].

---

(١) الايمان ص ٥٢
(٢) الصافات: ١٦٤—١٦٦
(٣) الأنبياء: ١٩ ، ٢٠
(٤) الصافات: ١
(٥) الايمان بالملائكة ص ١٧
(٦) المرجع السابق ص ١٨
(٧) نفس المرجع .

وإذا كانت هذه حقيقة أمرهم، فمن الشرك بالله أن يعبدوا، أو يستعان بهم، أو يعتقد أن لهم من الأمر شيئا، قال تعالى: ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾[1].

علاقتهم بالكون والانسان:

وإذا كانت هي صلتهم بربهم: عبودية كاملة له سبحانه، وطاعة تامة لأوامره عز وجل، فان صلتهم بالكون والانسان هي فرع تلك العبودية، وتلك الطاعة. ذلك أن عبادتهم لله لا تقتصر على تسبيحهم بحمد الله وتمجيدهم له، وإنما تشتمل على تنفيذ إرادته جل وعلا بتدبير أمور الكون، ورعايته بكل ما فيه من المخلوقات، وما فيه من حركة ونشاط، وما فيه من حياة وجماد، وما فيه من قوانين ونواميس، وانفاذ قدره وفق قضائه في هذه المخلوقات كلها ... فهم الموكلون بالسماوات والأرض، وكل حركة في العالم تدخل في اختصاصهم كما أراد خالقهم تبارك وتعالى حيث قال سبحانه: ﴿فالمدبرات أمرا﴾[2]، وقال: ﴿فالمقسمات أمرا﴾[3] وقد دل الكتاب والسنة على أنه سبحانه وتعالى وكل بالشمس والقمر ملائكة، وبالأفلاك ملائكة، وبالجبال ملائكة، وبالسحاب ملائكة، وبالمطر ملائكة، وبالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها[4].

فقد روى مسلم أن الرسول ﷺ قال: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون

(١) آل عمران: ٨٠

(٢) النازعات: ٥

(٣) الذاريات: ٤

(٤) الايمان ص ٥٣، ٥٤، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٩، ٣٠٠

ليلة ، بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق — أى قدر — سمعها وبصر وجلدها وعظـامها ، ثم قال : يا رب ، أ ذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء ، ويكتب الملك . ثم يقول : يا رب ! أجله ؟ فيقضى ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : يا رب ! رزقه ؟ فيقضى ما شاء ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده ، فلايزيد على ذلك شيئا ولا ينقص[1] والملك ينفخ الروح فى الجنين ويكتب المقادير ، وأن الله سبحانه وتعالى وكل بالموت ملائكة ، و وكل بكل حوادث الكون وظواهره ملائكة ، و وكل بكل عبد ملائكة يحفظونه ، قال تعالى: ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾[2] ولقد وصل العلم فى أبحاثه الأخيرة فى ميدان الدراسات النفسية إلى وجود قوتين متصارعتين داخل كل إنسان إحداهما تدفعه إلى هلاك نفسه والتخلص من حياته ، والأخرى تحاول إبطال فعلها وإفساد عملها وتدعو الانسان إلى الحفاظ على حياته والحرص على سلامته[3].

ولعل أغرب ما تقوم به الملائكة فى عونها للإنسان مساعدتــه فى حل مشاكله التى يعجز عنهـا . فكثيرا ما تتدخل الملائكة بإهداء الانسان الحل الأوفق لما يكون قد استعصى عليه من أمور دنياه . . . فانه لم يكن يخطر على بال الانسان من قبل حتى يكون ذلك من عمل العقل الباطن أو اللا شعور ، ولكن الملائكة قد عاونته وساعدته وتكفلت عنه بالحل . . . وقد اعترف علم النفس بحل المشكلات التى يعجز عن حلها الانسان عن غير طريق فكره . . . وتشارك ملائكة أخرى غير التى تختص بكل إنسان فى معاونة الصالحين نفسيا

---

(١) الايمان بالملائكة ص ٣٥

(٢) الطارق : ٤

(٣) عالم الجن والملائكة ص ١٠٦

وإسعادهم داخليا[١] كما قال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾[٢]، فهناك علاقة الانسان بالملائكة علاقة متلازمة تبدأ من نطفته وفي جميع مراحل حياته الدنيوية حتى وقت الموت ثم هذه العلاقة مستمرة في عالم البرزخ أي القبر حتى في الجنة أو النار.

وهذه التفاصيل تحتاج إلى مجلدات، وهذا البحث ليس موضع بسطها، فيكفي هذا القدر إن شاء الله. وختاما في هذا الموضوع نثبت كلمة جامعة لابن قيم الجوزية رحمه الله، فقد قال في كتابه: «اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» والملائكة الموكلة بالانسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره، لهم وله شأن آخر، فانهم موكلون بتخليقه ونقله من طور إلى طور، وتصويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه وعمله، وأجله وشقاوته وسعادته وملازمته في جميع أحواله، واحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ، وبعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب، وهم المثبتون للعبد المؤمن باذن الله والمعلمون له ما ينفعه والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة، وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر، ويحذرونه منه، فهم أولياؤه وأنصاره، وحفظته ومعلموه، و ناصحوه، و الداعون له، و المستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه مادام في طاعة ربه، ويصلون عليه مادام يعلم الناس الخير،

(١) عالم الجن والملائكة ص ١٠٩، ١١٠

(٢) فصلت: ٣٠

ويبشرونه بكرامة الله تعالى فى منامه ، وعنـــد موته ، ويوم بعثه ، وهم الذين يزهدونه فى الدنيا ويرغبونه فى الآخرة ، وهم الذين يذكرونه إذا نسى، وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع . وهم الذين يسعون فى مصالح دنياه وآخرته ، فهم رسل الله فى خلقه وأمره . وسفراؤه بينه وبين عباده ، تتنزل بالأمر من عنده فى أقطار العالم ، وتصعد إليه بالأمر »[1].

رؤساؤهم :

الأملاك الثلاثة : جبريل ، وميكائيل واسرافيل[2].

جبريل : هو الملك الموكل بالوحى الذى به حياة القلوب والأرواح[3].

ميكائيل : هو الملك الموكل بالقطر الذى به حياة الأرض والنبات والحيوان[4].

اسرافيل: هو الملك الموكل بالنفخ فى الصور الذى به حياة الخلق بعد مماتهم[5].

أصنافهم :

فهم أصناف كثيرة ، وكل صنف موكل بوظائف يقوم بها بأمر الله فقال تعالى فيهم : ﴿وهم بأمره يعملون﴾[6] ، فنذكر هنا بعض أصنافهم و وظائفهم بالايجاز :

---

(١) الايمان ص ٥٩ ، ٦٠

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٠٠ ، والايمان ص ٦١

(٣) » » ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ، والايمان ٦١

(٤) » » ص ٣٠١ ، والايمان ص ٦٢

(٥) نفس المرجع .

(٦) الأنبياء : ٢٧

ا ــ حملة العرش : أخبر الله عنهم فى القرآن فقال : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾(١).

ب ــ الحافون من حول العرش : فقال تعالى : ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ﴾(٢).

ج ــ ملائكة الجنة : ومنهم رضوان الجنة ، وهم الذين يهنئون المؤمنين ويدخلون عليهم مسلمين ، قال تعالى فى وصف عباده الفائزين : ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴾(٣).

د ــ خزنة النار : وهم الزبانية(٤)، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾(٥).

ر ــ كراما كاتبين : قال تعالى : ﴿ وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون ﴾(٦)، وقال : ﴿ إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾(٧).

---

(١) الحاقة : ١٧
(٢) الزمر : ٧٥
(٣) الأنبياء : ١٠٣
(٤) الايمان ص ٦٥
(٥) التحريم : ٦
(٦) الانفطار : ١٠ــ١٢
(٧) ق : ١٧ ، ١٨

س ــ ملك الموت : وهو الموكل بقبض أرواح العالمين[١]، قال تعالى : ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾[٢].

وهناك أصناف أخرى مذكورة فى كتب مبسوطة يطيل ذكرها .

الخاتمة :

يطالبنا الإسلام بالايمان بالملائكة إيمانا تاما وكاملا ، و ذلك بنص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وأن الكفر بها إنما هو من الضلال البعيد و ذلك بمثل النص الكريم : ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه و رسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾[٣].

وطبيعة تكوين الملائكة والمادة التى خلقت منها وحقيقتها وصفاتها و وظائفها وعلاقتها بالرب تعالى وعلاقتها بالكون والانسان . . . كل هذه لا يعرف الانسان عنها شيئا إلا ما وردت به النصوص الثابتة دون الخوض فيه والتكهن . فمن صفاتهم الواردة الصفات الآتية :

١ ــ أنهم مخلوقون قبل آدم عليه السلام .

٢ ــ أنهم مخلوقون من نور .

٣ ــ أن منهم أولى أجنحة مثنى وثلاث و رباع أو أكثر من ذلك .

٤ ــ أنهم قادرون على التمثل بأمثال الأشياء والتشكل بالأشكال الجسمانية .

٥ ــ أنهم قد يكونون معنا ولا نراهم ، فقد كان ينزل الملك جبريل عليه السلام

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢٩٠ ، والايمان ص ٦٤

(٢) السجدة : ١١

(٣) النساء : ١٣٦

بالوحى على الرسول ﷺ ولا يراه جلساء الرسول. وعن عائشة رضى الله عنها قالت : إن النبي ﷺ قال لها : « يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام ، فقالت : وعليه السلام و رحمة الله وبركاته ، ترى ما لا أرى[1].

٦ ــ أن لهم قد رأت خارقة.

٧ ــ أنهم مطيعون لله تعالى ، والخائفون منه ومبادرون لامتثال أمره . . .

٨ ــ أنهم مقربون إلى الله تعالى ومكرمون.

٩ ــ منهم من جعلهم الله للقيام بتبليغ الشرائع للأنبياء أو للقيام بمهمات أخرى.

١٠ ــ لهم القدرة على الصعود والهبوط بين السماوات والأرض.

والملائكة أصناف ولهم وظائف مختلفة فى السماوات والأرض ، ومنهم الموكلون ببنى آدم ، فمنهم من ينفخ الروح فى الأجنة ، ومنهم ملائكة الموت ، ومنهم الحفظة و الموكلون بمراقبة أعمال المكلفين وتسجيلها إلى غير ذلك من الوظائف والأعمال فى الدنيا والآخرة.

هذا ما بذلت قصارى جهدى فى إنتاج هذا البحث المتواضع على وجه مرضى فان أصبت و وفقت فهو من فضل الله وعونه وإن أخطأت فهو منى ومن الشيطان والله و رسوله بريئان منه.

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين ومن سلك على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين ، وتقبل منا واغفر لنا يا أرحم الراحمين (آمين).

---

(١) عالم الجن والملائكة ص ١٤١

المراجع :

(١) القرآن الكريم .

(٢) الايمان أركانه ، حقيقته ، نواقضه : للدكتور محمد نعيم ياسين ط ٤ ، ١٤٠٥هـ

(٣) الايمان بالملائكة : لأحمد عز الدين البيانوني ط ٢ ، ١٤٠٥هـ ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع .

(٤) الثقافة الاسلامية (١٠١) : لعبد الرحمن جبنكة ومحمد الغزالي - جامعة أم القرى - مكة المكرمة .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية : لأبي العز ط ٨ ، ١٤٠٤هـ المكتب الاسلامي .

(٦) الصحاح : لإسماعيل بن حماد الجوهري ط ٢ ، ١٤٠٢هـ

(٧) عالم الجن والملائكة : لعبد الرزاق نوفل ط ٢ ، ١٣٩٣هـ ، دار الكتاب العربي بيروت .

(٨) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

عدد صفحات الجزء ٥٦

صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٦) شوال ١٤١٤ هـ

العدد الرابع ابريل ١٩٩٤ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١/١٨ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi - 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٥٠ روبية ، فى الخارج ٣٢ دولارا (بالبريدالجوى) ١٢ دولارات (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٥٠/٤ روبيات

★ تليفون : ٣٢٢١١٦/٣٢٠٩٥٨ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب على رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق ووعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .

◇ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .

◇ التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

هدى القرآن | آية وتفسير

﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم — إلى قوله — وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ (البقرة: ١٩٨).

قال البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه: كانت عكاظ، ومجنة، وذا المجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في الموسم فنزلت: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج، وعن أبي أمامة التيمي قال: قلت لابن عمر: أنا نكرى فهل لنا من حج، قال: أليس تطوفون بالبيت، وتأتون المعروف، وترمون الجمار، وتحلقون رؤسكم، قال: قلنا: بلى، فقال ابن عمر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني فلم يجبه حتى نزل عليه جبرائيل بهذه الآية: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾ وعن أبي صالح مولى عمر، قال: قلت: يا أمير المؤمنين! كنتم تتجرون في الحج؟ قال: وهل كانت معايشهم إلا في الحج؟ وقوله تعالى (فإذا أفضتم من عرفات الخ) عرفة موضع الوقوف في الحج، وهي عمدة أفعال الحج، وقال عبد الرحمن بن يعمر الديلي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحج عرفات - ثلاثا - فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك، وأيام منى ثلاثة، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه، ووقت الوقوف من الزوال يوم عرفة إلى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر، لأن النبي ﷺ وقف في حجة الوداع بعد أن صلى الظهر إلى أن غربت الشمس وقال: «لتأخذوا عني مناسككم»

(تلخيص: اصغر على السلفي)

فقه السنة	حديث وشرح

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه » متفق عليه .

قوله : (من حج) وفى رواية للبخارى من حج هذا البيت قال الحافظ وهو يشمل الحج والعمرة وقد أخرجه الدارقطنى بلفظ : من حج أو اعتمر وفى اسناده ضعف (فلم يرفث) بضم الفاء قال الحافظ : فاء الرفث مثلثة فى الماضى و المضارع و الأفصح الفتح فى الماضى والضم فى المستقبل قال والرفث الجماع و يطلق على التعريض به وعلى الفحش فى القول وقال الأزهرى : الرفث اسم جامع لكل ما يريده الرجل من المرأة وكان ابن عمر يخصه بما خوطب به النساء ، وقال عياض : هذا من قول الله تعالى ﴿فلا رفث ولا فسوق﴾ والجمهور على أن المراد به فى الآية الجماع انتهى . قال الحافظ والذى يظهر أن المراد به فى الحديث ما هو أعم من ذلك و إليه نحا القرطبي ، وهو المراد بقوله فى الصيام : فاذا كان صوم أحدكم فلا يرفث انتهى ، (ولم يفسق) أى لم يأت بسيئة ولا معصية (غفر له ما تقدم من ذنبه) وفى رواية الصحيحين رجع كيوم ولدته أمه ، قال الحافظ فى الفتح أى بغير ذنب وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات وهو من أقوى الشواهد لحديث العباس بن مرداس المصرح بذلك وله شاهد من حديث ابن عمر فى تفسير الطبرى انتهى . تحفة الأحوذى .

وقد ثبت من هذا الحديث أن من وفقه الله لأداء مناسك الحج الذى لم يرتكب المعاصى فيه يغفر له ما تقدم من ذنبه حتى يكون كمن لا ذنب له أصلا .

(تلخيص : اصغر على السلفى)

الافتتاحية :

استضافة الجامعة السلفية ببنارس للندوة العلمية لرابطة الأدب الاسلامي

++++++++++++++++++++++++++++++++++

قوة البيان والتعبير من نعم الله تعالى على الإنسان، وكان مقتضى هذه النعمة أن يشكر الانسان الله تعالى عليها، ويستخدمها فى خدمة البشرية وتوجيهها إلى ما فيه الخير والسعادة. ولكن وجد ناس أساؤا استخدام هذه النعمة، وسخروا مواهبهم البيانية لتحقيق الأغراض التافهة و لاشباع الرغبات الفاسدة. وقد شجعتهم على هذا الانحراف الحضارة الغربية المادية، وأنتجت عديدا من المذاهب والنظريات التى تلعبت باسم الأدب والفن، ودعت الى العبث والمجون. أقلق هذا الوضع المزرى أصحاب الغيرة والاخلاص من الأدباء والكتاب، فنادوا بالثورة ضد الأدب الفاسد الضار، وأسسوا حركة أدبية هادفة باسم رابطة الأدب الاسلامى. وقد قويت هذه الحركة ونشطت فى بلدان عديدة، وأصلحت كثيرا من التصورات الخاطئة عن الأدب والفن. وإحدى ندوات هذه الرابطة انعقدت فى الجامعة السلفية فى يومى الجمعة والسبت ١٠، ١١/ ذى القعدة ١٤١٤هـ. وبهذه المناسبة أعددت كلمة الاستقبال والترحيب بالضيوف، وفيما يلى بعض المقتطفات من الكلمة المذكورة:

الأدب الاسلامى

«يتضمن هذا التركيب الوصفى كلمتين. الأولى كلمة «الاسلامى» ومدلولها واضح لدى الجميع فلا حاجة الى شرحها وبيانها، ولكن هناك كثير من أمور

العقيدة والأعمال فى حياة المسلمين منسوبة الى الاسلام، وهى فى حاجـــة الى توجيه العلماء وعنايتهم حتى يتبين مدى صحة انتسابها الى الاسلام. انها أمور تنافى أحكام الشريعة الاسلامية ، ولذا يجب أن لا تنسب إلى الاسلام . ان الأعمال التى يمارسهـا المسلمون وقـد حرمها الاسلام يجب أن يصان ويطهر منها المجتمع الإسلامى ، و ذلك من أهداف رابطة الأدب الاسلامى ، وعلى أعضاء هـــذه الرابطة أن يكونوا دائما مستعدين لأداء هذه المسئولية .

والكلمة الثانية فى التركيب المذكور هى « الأدب » ولسنا فى حاجـــة إلى ذكر تعريف الأدب والأطوار التى مرت بها هـــذه الكلمة من العصر الجاهلى الى العصر الحديث ، بل نحيل لذلك الى كتب الأدب والنقد التى ألفت فى العصر الحاضر ، والى البحوث والمقالات التى تناولت موضوع الأدب الاسلامى .

أما الالتزام فى الأدب فكان مدة من الزمن موضوعا لمنـاقشة حادة وحـــوار ساخن بين أصحـــاب النظريتين المعروفتين بـ « الأدب للأدب » و « الأدب للحياة » .

و الاشتراكيون كانوا يؤيدون نظرية الأدب للحياة ، ويتخذونها وسيلة لنشر الفكر الاشتراكى بكل ما يكتبون من النثر و الشعر . ولكن خفت هـــذه الوطأة اليوم ، و ذهبت الاشتراكيـــة و اختفى الدعـاة اليها . ان الاشتراكيين عارضوا الالتزام فى الأدب ، وأنكروا وظيفة الأدب الدينية والخلقية . ولكن الناس عرفوا تلبيسهم و زيفهم ، ورفضوا ما يدعون اليه من التحرر و الإنحلال فى الأدب . و فى أيامنا هـــذه برز الاقتناع بأن الأدب اذا دعا الى التمسك بالقيم الدينية و الخلقيـــة ، و توفرت فيه عناصر الجودة و القوة فانه يصلح أن يسمى أدبا ، ويصلح أن يخدم قضية من قضايا المجتمع البشرى . ان كثيرا من رجال الأدب العالمى خدموا الدين و الأخلاق بانتاجهم الأدبى ، ولم يجرؤ أحد على أن يسلبهم صفـة الأدب ، فكذلك اذا تكونت حركة باسم حركة الأدب الاسلامى فلا بد أن تتقدم ويعترف بها الأوساط الأدبية والعلمية . ان الأديب

الاسلامى يحمل رسالة عظيمة للانسانية ، فانه اذا تمكن من التعبير عن هذه الرسالة بالأسلوب الأدبى الجميل فليس يستطيع أحد أن يخرجه من عداد الأدباء .

موضوع الندوة

موضوع هذه الندوة العلمية هو « الخصائص الأدبية والفنية للحديث النبوى الشريف » ونحن نشكر رئيس الرابطة والقائمين عليها على تحديد واختيار هذا الموضوع العلمى المبارك ان شاء الله . ان الجامعة السلفية تبذل أقصى ما تملك من الجهد لخدمة الحديث النبوى ، وانعقاد الندوة العلمية فى الجامعة السلفية حول هذا الموضوع يشجع القائمين عليها على الاستمرار فى خدمة هذا العلم الشريف ، وعلى توسيع نطاق البحث فى دراسته ونشره ، ان شاء الله تعالى .

لا أرى حاجة فى هذا الملتقى العلمى إلى التعريف بالحديث وعلومه ، ولكن أقتبس من بعض المصادر بعض الفوائد على سبيل التيمن .

يقول العلامة النواب صديق حسن خان الحسنى البخارى ، الذى مهر فى علوم الشريعة ونشر كتب الحديث فى العالم ، معرفا بعلم الحديث فى كتاب « الحطة فى ذكر الصحاح الستة » :

« اعلم أن أنف العلوم الشرعية و مفتاحها ، ومشكاة الأدلة السمعية ومصباحها ، ومستند الروايات الفقهية كلها ، ومأخذ الفنون الدينية دقها وجلها ، وأسوة جملة الأحكام وأسها ، وقاعدة جميع العقائد وأسطقسها ، وسماء العبادات وقطب مدارها ، و مركز المعاملات ومحط حارها و قارها هو علم الحديث الشريف ، الذى تعرف به جوامع الكلم ، وتنفجر منه ينابيع الحكم ، وتدور عليه رحى الشرع بالأسر ، وهو ملاك كل نهى وأمر . ولولاه لقال من شاء ما شاء ، وخبط الناس خبط عشواء ، و ركبوا متن عمياء ، فطوبى لمن جد فيه وحصل منه على تنويه يملك من العلوم النواصى الخ » (الحطة ص ٣٥) .

ويصف الجاحظ كلام النبوة فيقول : « فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق . وهو

الكلام الذى ألق الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام» . (البيان والتبيين ١٧/٢) .

وميزة الحديث الكبرى أنه يفسر القرآن الكريم ، ويجسد تعليمه ، ويقدم التوجيه النافع فى جميع نواحى الحياة من العقائد والعبادات والمعاملات ، فبالحديث يعرف الانسان كيف ينظم سلوكه ، وكيف يقيم علاقاته مع الآخرين ، وكيف يحقق التوازن بين الدنيا والدين وبين متطلبات الروح والجسم ، وكيف يعيش فى هذا العالم الذى تحول بتوفر وسائل النقل والاعلام إلى بيت صغير يعرف أفراده كل شىء عن الآخر ؟

أثر الحديث النبوى فى الأدب واللغة

يحتل الحديث النبوى أعلى منزلة بعد القرآن الكريم ، انه منبع الهداية والنور ، وقد جمع بين تزكية النفوس وتطهير القلوب وبين روعة البيان ودقة التعبير وجمال الأسلوب وسمو المعانى . انه قد ساعد فى الحفاظ على اللغة ونشرها بين الناس ، وفتح آفاقا جديدة للتعبير والبيان ، وحمل المسلمين على تأسيس وانشاء العلوم الجديدة التى تساعد فى فهم الحديث وشرح معانيه وتحديد درجته من الصحة والضعف .

دور علماء المسلمين فى الهند بارز فى خدمة الحديث النبوى ، وقد نشرت الجامعة السلفية كتابا فى هذا الموضوع يفصل تاريخ علم الحديث فى شبه القارة الهندية . وقد أثنى بعض علماء العرب على علماء الهند فى خدمة الحديث النبوى وخاصة فى القرون الأخيرة ، ولكن الملاحظ أن حركة خدمة الحديث النبوى قد قويت ونشطت فى الدول العربية وخاصة فى السعودية ومصر والكويت والمغرب فى هذا العصر ، فهناك كثير من مخطوطات الحديث طبعت بعد التصحيح والتحقيق ، وتم طبع مراجع الحديث المهمة ، وأخيرا سخر الكمبيوتر فى خدمة هذا العلم الشريف . ويقتضى هذا التقدم العلمى فى الدول العربية أن يستفيد منه علماء شبه القارة الهندية ، ويساعدوا فى نشر الحديث فى بلادهم .» ● ●

القـدوة
مبـادى ونماذج

فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد
امام الحرم المكى الشريف
والأستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده و رسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقـاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ [النساء: ١].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ [الأحزاب: ٧٠].

أما بعـد:

فإن الدعوة إلى الله أمر جليل و دعامة عظيمة من دعائم ترسيخ المبادىء

الحقة فى المجتمع المسلم ، ومن أهم طرق الدعوة إلى الله والتى يكون مردودها أوقع وأقوى فى النفوس « القدوة الصالحة » والتى يرى فيها الناس واقعا معاشا للبادىء التى يدعو إليها . القول فيها صنو العمل . ولأهميـــة هذا الأمر أردت فى هذه الورقات أن أنبه إلى بعض إشارات تعين على أداء تلكم المهمة العظيمة والرسالة الشريفة .

والله أسأل أن ينفعنى وإخوانى بهذه الكلمات ، وحسبي منهم دعوة صالحة أو نصيحة صادقة . جعلنـــا الله من الداعين إلى سبيـــله على بصيرة وهو من وراء القصد . وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مقصود القدوة ومعناها

الأسوة والقـــدوة بمعنى واحد ويقصد بهـــا السير والاتباع على طريق المقتدى به .

وهى نوعان : حسنة وسيئة .

فالحسنة الاقتداء بأهل الخير والفضل والصلاح فى كل ما يتعلق بمعـــالى الأمور وفضائلها من القوة والحق والعدل وقدوة المسلمين الأولى صاحب الخلق الأكمل والمنهج الأعظم رسولنا محمد ﷺ وفى ذلك يقول الله ـ عز وجل ـ : ﴿لقـــد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾[1].

ومن دقيق المعنى فى هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه جعل الأسوة فى رسول الله ﷺ ولم يحصره فى وصف خاص من أوصافه أو خلق من أخلاقه أو عمل من أعماله الكريمة وما ذلك إلا من أجل أن يشمل الاقتداء أقوالـــه

(١) الأحزاب : ٢١

عليه الصلاة والسلام وأفعاله وسيرته كلها فيقتدى به ﷺ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ويقتدى بأفعاله وسلوكه من الصبر والشجاعة والثبات والأدب وسائر أخلاقه كما يشمل الاقتداء بأنواع درجات الاقتداء من الواجب والمستحب وغير ذلك مما هو محل الاقتداء.

والنوع الثانى: الأسوة السيئة: ويعنى السير فى المسالك المذمومة واتباع أهل السوء والاقتداء من غير حجة أو برهان ومن ذلك قول المشركين: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾[1] ولهذا رد عليهم القرآن بقوله: ﴿قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم..﴾[2].

وفى آية أخرى: ﴿أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون﴾[3].

أهمية القدوة الحسنة

إن من الوسائل المهمة جدا فى تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الاسلام وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، القدوة الطيبة للداعى وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية مما يجعله أسوة حسنة لغيره، يكون بها انموذجا يقرأ فيه الناس معانى الاسلام فيقبلون عليها وينجذبون إليها، لأن التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام وحده.

إن الاسلام انتشر فى كثير من بلاد الدنيا بالقدوة الطيبة للمسلمين التى كانت تبهر أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الاسلام فالقدوة الحسنة التى يحققها الداعى بسيرته الطيبة هى فى الحقيقة دعوة عملية للاسلام يستدل بها

---

(١) الزخرف: ٢٣

(٢) « ٢٤

(٣) المائدة: ١٠٤

سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على أن الاسلام حق من عند الله .

ومن السوابق القديمة فى أهمية السيرة الحسنة للداعى وأثرها فى تصديقه والايمان بما يدعو إليـــه أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال له : من أنت ؟ قال : أنا محمـــد بن عبد الله . قال الأعرابي : أأنت الذى يقـــال عنك إنك كذاب ؟ فقال : أنا الـــذى يزعمونى كذلك فقال الأعرابي : ليس هذا الوجه وجه كذاب ، ما الذى تدعو إليه ؟ فذكر له رسول الله ﷺ ما يدعو إليه من أمور الاسلام فقال له الأعرابي : آمنت بك وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فالأعرابي استدل بسمت رسول الله ﷺ و وجهه المنير الكريم الذى يكون عليـــه أهل الصدق والأخلاق الكريمة ، استدل بذلك على صدقه فيما يدعو إليه ﷺ .

وتكمن أهمية القدوة الحسنة فى الأمور الآتية :

١ ــ المثال الحى المرتقى فى درجات الكمال ، يثير فى نفس البصير العاقل قدرا كبيرا من الاستحسان والاعجاب والتقدير والمحبة . ومع هذه الأمور تهيج دوافع الغيرة المحمودة والمنافسة الشريفة ، فإن كان عنده ميل إلى الخير ، وتطلع إلى مراتب الكمال ، وليس فى نفسه عقبات تصده عن ذلك ، أخذ يحاول تقليد ما استحسنه وأعجب به ، بما تولد لديه من حوافز قوية تحفزه لأن يعمل مثله ، حتى يحتل درجة الكمال التى رآها فى المقتدى به .

٢ ــ القدوة الحسنة المتحلية بالفضائل العاليـة تعطى الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة ، التى هى فى متناول القدرات الانسانية وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال .

٣ ــ مستويات فهم الكلام عند الناس تتفـاوت ، ولكن الجميع يتساوى

أمام الرؤية بالعين المجردة لمثـال حي. فإن ذلك أيسر في إيصال المعاني التي يريد الداعية إيصالها للمقتدي. أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ النبي ﷺ خاتما من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي ﷺ: «إني اتخذت خاتما من ذهب فنبذه وقال: إني لن ألبسه أبدا، فنبذ الناس خواتيمهم» قال العلماء: «فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول».

٤ ـ الأتباع ينظرون إلى الداعيـة نظرة دقيقة فاحصة دون أن يعلم، فرب عمل يقوم به لا يلقي له بالا يكون في حسابهم من الكبائر، وذلك أنهم يعدونه قـدوة لهم، ولكي ندرك خطورة ذلك الأمر فلنتـأمل هذه القصة: يروى أن أبا جعفر الأنباري صاحب الامام أحمد عند ما أخبر بحمل الامام أحمد للمأمون في الأيام الأولى للفتنة. عبر الفرات إليـه فإذا هو جالس في الخان، فسلم عليـه، وقال: يا هذا أنت اليوم رأس والنـاس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن باجابتك خلق من خلق الله، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل ـ يعني المأمون ـ إن لم يقتلك فأنت تموت، ولابد من الموت فاتق الله ولا تجبهم إلى شيء. فجعل أحمد يبكي ويقول: ما قلت؟ فأعاد عليـه فجعل يقول: ما شاء الله، ما شاء الله.

وتمر الأيام عصيبة على الامام أحمد، ويمتحن فيها أشد الامتحان ولم ينس نصيحة الأنباري، فها هو المروزي أحد أصحابه يدخل عليه أيام المحنة ويقول له: «يا أستاذ قال الله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾[1] فقال أحمد: يا مروزي اخرج، انظر أي شيء ترى!!! قال: فخرجت إلى رحبـة دار الخليفة فرأيت

(١) النساء: ٢٩

خلقا من الناس لا يحصى عددهم إلا الله والصحف فى أيديهم والأقلام والمحابر فى أذرعتهم ، فقال لهم المروزى : أى شىء تعملون ؟ فقالوا : ننظر ما يقول أحمد فنكتبه ، قال المروزى : مكانكم . فدخل إلى أحمد بن حنبل فقال له : رأيت قوما بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه فقال : يا مروزى أضل هؤلاء كلهم !! اقتل نفس ولا أضل هؤلاء » .

فمن ابرز أسباب أهمية القدوة أنها تساعد على تكوين الحافز فى المتربى دونما توجيه خارجى وهذا بالتالى يساعد المتربى على أن يكون من المستويات الجيدة فى المسالك الفاضلة من حسن السيرة والصبر والتحمل وغير ذلك .

أصول القدوة

سوف يكون الكلام فى هذه الفقرة عن الأصول الظاهرة التى يلمسها ويحسها التابع والمقتدى و يرقبها فى قدوته ومتبوعه ويمكن أن نرجع ذلك إلى ثلاثة أصول :

الأصل الأول : الصلاح وهذا يتحقق بثلاثة أركان :

الركن الأول : الايمان : ويقصد به كل ما يجب واعتقاده من الايمان بالله و رسله وكتبه واليوم الآخر وسائر أركان الايمان ايمانا يقينيا جازماً . وتحقيق معنى التوحيد ومقتضياته من معرفة الشهادتين والعمل بمقتضاها .

ويبدو أن هذا الأمر واضح مما لا نحتاج إلى الاطالة فيه .

الركن الثانى : العبادة : فيستقيم القدوة على أمر الله من الصلاة والزكاة والصيام وسائر أركان الاسلام العملية ويهتم بالفرائض والمستحبات ويجسد فى اجتناب المنهيات والمكروهات . فيأتى من المأمورات بما استطاع و يجتنب

جميع المنهيات على حد قوله ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه ».

ويمثل القدوة الحديث القدسى : « وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه .. ».

الركن الثالث : الاخلاص : وهو سر عظيم وباب دقيق والتميز به من أعظم المطالب ، وهو من أولى ما ينبغى أن يفتش عنه فى الرجل المقتدى به . فيكون المقصود بالقول والعلم والعمل وجه الله عز وجل بعيدا عن أغراض النفس وأغراض المخلوقين بل عبودية خاضعة تمام الخضوع لله عز وجل أمرا ونهياً ونظرا وقصدا. والمرء إذا أسلم وجهه لله وأخلص نيته لمولاه فإن حركاته وسكناته ونومه ويقظته محسوبة فى مرضاة الله . بل إن النصح والاخلاص يرقى بالعبد الضعيف العاجز إلى رتبة القادر العامل ففى غزوة العسرة من تبوك سجل القرآن الكريم خبر هؤلاء الضعفاء الناصحين المخلصين فى قوله سبحانه : ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم . ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون﴾[١]. وسجل لهم الرسول ﷺ هذا الموقف حين خاطب جنده الغازين فى سبيل الله بخبر هذه

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ٩١—٩٢

الطائفة بقوله : « إن أقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا حبسهم العذر . . . » .

يقابل هؤلاء المشابين المأجورين أصحاب النوايا المدخولة حين ينادى بهم بالويل وحبوط العمل ولو كانت صور عملهم صورة عمل الصالحين المخلصين : ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون و يمنعون الماعون﴾(١).

ومن أجل هذا فانك ترى أن ضعف الاخلاص عند كثير من ذوى المواهب والمواقع القيادية جعل تابعيهم والمعجبين بهم يشقون بمواهبهم ويرجعون بها القهقرى .

يتبين من كل ذلك أن الاسلام يلحظ فى أعمال النـاس ما يقارنهـا من نيات وما يصاحبها من دواعى وبواعث .

الأصل الثانى : حسن الخلق :

إذا كان الصلاح يتوجه إلى ذات المقتدى به ليكون صالحاً فى نفسه قويما فى مسلكه فان حسن الخلق يتوجه إلى طبيعة علاقته مع الناس وأصول تعامله معهم وإليه الدعوة النبوية فى قوله ﷺ : « وخالق الناس بخلق حسن » .

والكلام فى حسن الخلق واسع متشعب ونحاول أن نحصر عناصره الكبرى فى خلال خمس : الصدق — الصبر — الرحمة — التواضع — الرفق .

الصدق : تبرز أهمية الصدق وعظم أثره فى مسالك القدوة فى قوله ﷺ : « إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة . . . » الحديث .

وقد سأل هرقل أبا سفيان عن سيرة النبى ﷺ قائلا : هل كنتم تتهمونه

(١) سورة الماعون ، الآيات : ٤—٧

بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ أجاب أبو سفيان : لا . فقال هرقل : اعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

وما أنجى الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك إلا صدقهم مع الله ومع رسوله حين ظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ولقد نادى الله سبحانه عباده المؤمنين في ختام قصتهم بقوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾(١).

ويجمع الحافظ ابن القيم رحمه الله حقيقة الصدق بهذه العبارة : « حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه ويكون في القصد والقول والعمل » والمسلك الصادق النقي قولا وفعلا وقصدا - هو الذي لا ريبة فيه لابتنائه على اليقين ، ولا هوى معه لاعتماده على الاخلاص ، ولا عوج فيه لاتباع الحق والهدى فيه .

وهل رأيت سوأة أزرى بمن يتسنم مواقع القيادة والقدوة بينما ترمقه الألحاظ وتشير إليه الأصابع بالخيانة والكذب وما كان للتهريج والخبط والادعاء والهزل أن يغني فتيلا عن أصحابه .

وفي الحديث : « يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب » .

الصبر : الأزمات إذا استحكمت والحبال إذا تعقدت والضوائق إذا ترادفت لا دفع ولا توقي - باذن الله - إلا بالصبر ذلك أن الصبر - كما في الحديث - . ضياء .

ومن أولى من الرجل الأسوة بتوطين نفسه على احتمال المكاره من غير ضجر والتأني في انتظار النتائج مهما بعدت وهو عليم بأن ابتلاء الناس بجميع

---

(١) سورة التوبة : ١١٩

فئاتهم وطبقاتهم لا محيص عنه. فالدنيا مبنيـــة على هذا بل قد يمتحن المرء بالشيء وضده. هذا شأن الدنيا. وشأن آخر وهو أن الايمان يقترن بالبلاء ليمحصه ويصفيه: ﴿... احسب النـــاس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾[1].

والصبر من معالم العظمة المحمودة وشارات الكمال العالى ودلائل التحكم فى النفس وهواها وهو عنصر من عناصر الرجولة الناضجة. فأثقال الحياة وأعباؤها لا يطيقها الضعاف المهازيل والحياة لاينهض بأعبائهـــا و رسالتها إلا الأكفاء الصابرون وقد استحقت فئة من بنى اسرائيل الامامة والريادة بصبرهم وحسن بلائهم: ﴿وجعلنا منهم أئمـــة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾[2]، وأدركت بنى اسرائيل حالة استحقوا بها ميراث الأرض المباركة وكان درعهم فى ذلك الصبر: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنـــا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا...﴾[3].

ولهذا فان نصيب ذوى القدوة والأسوة من العناء والبلاء مكافئـــا لما أوتوا من مواهب وما تحملوا من مشاق يجسد هذا قول رسول الله ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل يبتلى المرء على قدر دينه».

وقد قال بعض حكماء القياديين: «لا تسأل الله أن يخفف حملك ولكن اسأله أن يقوى ظهرك».

---

(١) سورة العنكبوت: ٢
(٢) « السجدة: ٢٤
(٣) « الأعراف: ١٣٧

وإن كان هذا فيه ما فيه لكنه يزيد المعنى الذى نقصد إليه وضوحا .

الرحمة : الرحمة كمال فى الطبيعة تجعل المرء يرق لآلام الخلق ويسعى لإزالتها ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى . الرحمة عاطفة حية نابضة بالحب للناس والرأفة بهم والشفقة عليهم .

و ربنا تبارك وتعالى هو أرحم الراحمين وخير الراحمين بل إن رحمته وسعت كل شيء كما أن علمه قد وسع كل شيء وملائكة الرحمن يلهجون بهذا الدعاء الشفوق من أجل المؤمنين : ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾[١].

والرسول ﷺ هو الرحمة المهداة للعالمين كلهم بل كأن الغاية من رسالته محصورة فى الرحمة : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[٢].

والرحمة المذكورة هنا يقصد بها الرحمة العامة لكل الخلق تراحما عاما ليلقى المسلم الناس قاطبة وقلبه لهم بالعطف مملوء وبالبر مشحون . لأن الرحمة الخاصة قد تتوفر فى بعض الناس فيرق لأولاده حين يلقاهم و يهش لأصدقائه حين يجالسهم ولكن الرحمة المطلوبة من القدوة أوسع من ذلك وأرحب : [ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء] [ومن لا يرحم لا يرحم] . بل إن الرحيم تنال رحمته الحيوان من غير البشر . والله يثيب على هذه الرحمة ويغفر بها الذنوب ، فالذى سقى الكلب لما رآه يأكل الثرى من العطش شكر الله له فغفر له والمرأة البغى من بنى اسرائيل سقت كلبا كان يطيف حول بئر فى يوم حار قد دلع لسانه من العطش فنزعت له خفها وسقته فغفر لها .

---

(١) سورة غافر : ٧

(٢) « الأنبياء : ١٠٧

سبحان الله الرحيم لئن كانت الرحمة بكلب تغفر ذنوب البغايا فان الرحمة بالبشر تصنع العجائب ولا تنزع الرحمة إلا من شق أولئك هم غلاظ الأكباد الجبارون المستكبرون .

حقا إن القسوة فى خلق الانسان دليل نقص كبير وفى تاريخ الأمة دليل فساد خطير .

ولكن القلوب الكبيرة قلما تستجيشها دوافع القسوة فهى أبدا إلى الصفح والعفو أميل وعن الضغينة والغلظة أبعد .

التواضع : جبلت النفوس على كره من يستطيل عليها ويحتقرها ويستصغرها كما جبلت على النفرة ممن يتكبر عليها ويتعالى عنها . حتى ولو كان ما يقوله حقا وصدقا . إن قلوبهم دون كلامه مغلقة وصدورهم عن إرشاده و وعظه موصدة بل لعلهم يكرهون أو يستثقلون ما يصدر منه من علم وحق .

وقد أدب الله نبيه محمدا ﷺ فى هذا الباب مخاطبه بقوله : ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾(١) . أولئك هم المستضعفون من الصحب الكرام أمثال صهيب وعمار وبلال وخباب . أراد الملأ المستكبرون من قريش من الرسول ﷺ أن يطردهم من مجلسه أو أن يخصص لهم مجلسا لا يجتمعون فيه مع الضعفاء والفقراء فأنزل الله عليه : ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾(٢) .

إن التواضع هو بذل الاحترام والعطف لمن يستحقه . التواضع خلق يكسب صاحبه رضا أهل الفضل ومودتهم ومن أحق بهذا الخلق من رجل

---

(١) (٢) سورة الكهف : ٢٨

القدوة فهو أنجح وسيلة إلى الائتلاف . إن ابتغاء الرفعة وحسن الافادة من طريق التواضع هو أيسر الطرق وأوثقهـا . ذلك أن التواضع فى محله يورث المودة فمن عمر فؤاده بالمودة امتلأت عينه بالمهابة .

إن المتواضع هو الرجل الذى يرجى لنفع الأمة ويستطيع الخوض فى كل ميدان ويعيش فى كل مجتمع يعيش وهو ضافى الكرامة أنيس الملتقى شديد الثقة بنفسه مبسوط المحيا لجليسه .

ويلتحق بهـذا الأمر ويلتصق به حديث المرء عن نفسه وكثرة الثناء عليها فلذلك شىء ممقوت يتنافى مع خلق التواضع وإنكار الذات فينبغى لرجل الدعوة ومحل القدوة ألا يدعى شيئا يدل على تعـاليـه . بل إن حقا عليه أن يعرف أن كل ما عنده من علم أو منزلة أو مرتبة هو محض فضل الله عليـه فليتحدث ـ إن شاء أن يتحدث ـ بفضل الله لا بفضل نفسه فاذا أدرك الناس منه ذلك فتحوا له قلوبهم وتحلقت حوله نفوسهم قبل أجسادهم ووقع وعظه وتوجيهه منهم موقع القبول والرضا ونال من الحظوة على قدر إحسانه وقصده :

الرفق : الحديث عن الرفق جميل وطويل وهو فى ذات الوقت ممتع . وفى تقديرنا أن حاجة الدعاة إليه من أهل العلم والفضل والقدوة ماسة للغاية وبخاصة إذا انضم إليه ما سبق من حديث فى الرحمة والتواضع .

ونستفتح فى حديث الرفق بصفة المصطفى ﷺ التى رحم الله العبـاد بها فاصطفاه لها ، يقول الله عز وجل : ﴿فبما رحمـة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾(١) نعم لقد أراد الله بفضله ورحمته أن يمن على العالم برجل يمسح آلامه ويخفف أحزانه ويستميت فى هدايته ويناصر

(١) سورة آل عمران : ١٥٩

الضعيف و يهذب القوى حتى يرده سويا سليم الفطرة لا يشق ولا يطغى فأرسل محمدا ﷺ وسكب فى قلبه من العلم والحلم وفى خلقه من الاحسان والبر وفى طبعه من اللين والرفق وفى يده من الكرم والندى ما جعله أزكى عباد الله قلبا وأوسعهم عطفا وأرحبهم صدرا وألينهم عريكة .

هذا بعض نعت محمد ﷺ المجتزأ من قول الحق تبارك وتعالى : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[١].

وهذا ايراد من قبس النبوة فى باب الرفق وبيـــان أثره لننطلق منه إلى ما يخص هذا المبحث .

يقول عليه الصلاة والسلام : « إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه » رواه مسلم .

وقال مخاطبا عائشة رضى الله عنها : « عليك بالرفق .. إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إلا شانه » .

يا أيها المقتدى بهم : إن النـــاس فى حاجة إلى كنف رفيق وإلى رعاية حانيـــة وبشاشة سمحة بحـــاجة إلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم فى حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج إلى عطائهم ويحمـــل همهم ولا يثقلهم بهمه . يجدون عنـــده الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والمودة والرضا .

وقد يحسن أن نخص الدعاة المقتدى بهم بخطاب عن الرفق أخذا من نهج السلف إذ أن هذا الميدان ونحن نعيش الصحوة الاسلاميـة وأجواءها المباركة نحتاج فيه إلى مزيد عناية وفقه وترفق .

---

(١) سورة القلم : ٤

يقول عمر رضى الله عنه وهو على المنبر: «أيها الناس لا تبغضوا الله الى عباده، فقيل كيف ذلك أصلحك الله؟ قال يجلس أحدكم قاصا[1] فيطول على الناس حتى يبغض اليهم ما هم فيه، ويقوم أحدكم اماما فيطول على الناس حتى يبغض اليهم ما هم فيه».

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما: «حدث الناس كل جمعة فإن أكثرت فمرتين فان أكثرت فثلاث ولا تمل الناس من هذا القرآن ولا تأت القوم وهم فى حديث فتقطع عليهم حديثهم. وقال: أنصت.. فاذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه وإياك والسجع فى الدعاء فانى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لايفعلونه».

وكان ابن مسعود يذكر كل خميس فقال رجل من القوم لوددت — يا أبا عبد الرحمن — لو أنك ذكرتنا كل يوم. فرد عليه هذا الكنيف الذى قد ملئ علما: «أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم وإنى أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا».

يعلق على هذا الحافظ بن حجر فى الفتح مستنبطا مستخلصا بقوله: وفى هذا استحباب ترك المداومة فى الجد فى العمل الصالح خشية الملال وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين: إما كل يوم مع عدم التكلف وإما يوما بعد يوم فيكون الترك لأجل الراحة ليقبل على الثانى بنشاط وإما يوم الجمعة ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والضابط الحاجة مع وجود النشاط.

والرفق ذو ميادين فسيحة ومجالات عريضة فرفق مع الجهال: إما جهل علم، أو جهل تحضر، ولقد رفق النبي ﷺ بالاعرابى الذى بال فى المسجد وتركه حتى فرغ من بوله وأمر أصحابه بالكف عنه والا يقطعوا عليه بوله

(١) قاص: أى واعظ.

فلما فرغ دعاه النبي ﷺ وأخبره أن المساجد لم تبن لهذا وإنما هي لذكر الله والصلاة .

وجاء أعرابي آخر جذب برداء النبي ﷺ جذبة شديدة وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية فأثر في صفحة عنق النبي ﷺ . ثم قال الأعرابي : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت نبي الرفق والرحمة ضاحكا ثم أمر له بعطاء بأبي هو وأمي ﷺ ما كهر ولا نهر ولا تبرم ولا ضجر .

ومن الذين يخصون بمزيد من الترفق المبتدئون في الاسلام والعلم وطريق الاهتداء ، والغفلة في هذا الجانب قد تؤدي إلى فتنة وانعكاس في المقصود . وقد قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ وأبي موسى لما بعثهما إلى اليمن : « بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا » .

يقول ابن حجر : « والمراد تأليف من قرب اسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف ليقبل وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدرج لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته غالبا الازديار بخلاف ضده » .

وينبغي أن يتمثل القدوة في هذا الباب الرفق بمجالسيه فيتحمل من كان منهم ذا فهم بطيء ويسع بحلمه جفاء ذي الجهالة لا يعنف السائل بالتوبيخ القبيح فيخجله ولا يزجره فيضع من قدره .

وأخيرا فالرفق ليس حقـا مقصورا على بني الانسان بل هو حق محفوظ لكل ذي كبد رطبة يجسد ذلك في أدق صوره بل أغلظ ما يتصور من حالات حين يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته ».

وأى رفق بعد هـذا الرفق فى حالة إزهاق الروح وفصل الرأس عن الجسد، ولنختم هذا بهذا الدعاء النبوى:

اللهم من ولى من أمر أمتى أمرا فرفق بهم فارفق بـه ومن ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه.

الأصل الثالث: موافقة القول العمل:

يقول الله عز وجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾[1].

سبق الحديث قريبا عن الصدق كمظهر أخلاق فى المسلم بصفة عامة وفى القدوة بصفة خاصة.

ولعلك أدركت أن الصدق ليس لفظة تخرج من اللسان فحسب، ولكنه صدق فى اللهجة واستقامة فى المسلك الباطن فيه كالظاهر والقول فيه صنو العمل.

هـذا جانب وجانب آخر أن الناس والنفوس مجبولة على عدم الانتفاع بمن علمت أنه يقول ولا يعمل أو يعـلم ثم لا يعمل ولهـذا قال شعيب عليه السلام: ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾[2].

يقول أبو الدرداء رضى الله عنه: « لا يفقـه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتا ».

(١) سورة الصف، الآيتان: ٢، ٣

(٢) سورة هود الآية: ٨٨

وجانب ثالث وهو ما أشرنا إليه فى مبحث أهمية القدوة من أن كثيراً من الناس لايتوجه نحو العمل حتى يرى واقعاً ماثلا وأنموذجاً مطبقاً يتخذه أسوة ويدرك به أن هذا المطلوب أمر فى مقدور كل أحد .

بل متى يكون المرء قدوة صالحة وأسوة حسنة مالم يسابق إلى فعل ما يأمر به من خير وترك ما ينهى عنه من سوء؟! وقد جاء فى الصحيحين وغيرهما عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه يعنى أمعاءه — فى النار فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أى فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه » .

وقد قيل :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى طبيب يداوى الناس وهو عليل

وهنا مسألة هامة يحسن التنبيه إليها فى هذا المقام وهو أن المسلم حتى ولو كان قدوة مترقيا فى مدارج الكمال قد يغلبه هوى أو شهوة أو تدفعه نفس أمارة بالسوء أو ينزغه الشيطان فتصدر منه زلة أو يحصل منه تقصير ،

فإذا حدث ذلك فليبادر بالتوبة و الرجوع وليعلم أن هذا ليس بمانع من التأسى به والاقتداء فالضعف البشرى غالب والكمال لله وحده ولا معصوم إلا من عصم الله .

وقد حدث مالك عن ربيعة قال سمعت سعيد بن جبير يقول : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شىء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر . قال : وصدق من ذا الذى ليس فيه شىء » .

وقد قال الحسن البصرى لمطرف بن عبد الله بن الشخير : يا مطرف عظ أصحابك . فقال مطرف : إنى أخاف أن أقول مالا أفعل — فقال الحسن : يرحمك الله و أينا يفعل ما يقول ؟ ؟ لود الشيطان أنه ظفر بهذه منكم فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر .

وقال الحسن أيضا : أيها الناس إنى أعظكم ولست بخيركم ولا أصلحكم وإنى لكثير الإسراف على نفسى غير محكم لها ولا حاملها على الواجب فى طاعة ربها ولو كان المؤمن لا يعظ أخاه إلا بعد إحكام أمر نفسه لعدم الواعظون ، وقل المذكرون ولما وجد من يدعو إلى الله جل ثناؤه ويرغب فى طاعته وينهى عن معصيته ولكن فى اجتماع أهل البصائر ومذاكرة المؤمنين بعضهم بعضا حياة لقلوب المتقين وإذكار من الغفلة وأمن من النسيان ، فألزموا — عافاكم الله — مجالس الذكر ، فرب كلمة مسموعة ومحتقر نافع .

و من لطائف الفقه عند أهل العلم رحمهم الله ما ذكروا فى تفسير قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر و تنسون أنفسكم و أنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾(١) .

فالمعنى أن الله ذم بنى إسرائيل على هذا الصنيع حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له بل الذم على الترك وحده وليس على الأمر فإن الأمر بالمعروف مطلوب من العامل و من المقصر و يتأكد هذا المعنى من الآية الثانية فى قوله سبحانه : ﴿ كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ﴾(٢) فانه ذمهم ولعنهم ليس على فعلهم المنكر لحسب

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٤٤

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٧٩

بل على تركهم التناهي عنه فالمقصر عليه واجبان الأول الكف عن التقصير والثاني دعوة المقصرين إلى ترك التقصير . وهو فقه دقيق ينبغي أن ينتبه له الدعاة والمربون وكفى بربك هادياً ونصيراً .

شواهد حية في مواقف القدوة

نعرض في هذه الفقرة إلى بعض الوقائع الماثلة البارزة من سيرة رسول الله ﷺ العملية كشاهد للصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم في ممارسة القدوة لما يطلبه من أتباعه وأثر ذلك السريع في المتابعة والانصياع وفي بعض ما سلف دلالة ظاهرة . لكن ما نختاره في هذه الفقرة أكثر بروزاً في الحياة العملية من سيرة خير البرية نبينا محمد ﷺ وعلى ذلك نقتصر في غير مزيد على سيرة القدوة الأولى وإمام الأئمة نبينا محمد ﷺ وإن كان القارئ الكريم يعلم أن في السلف من بعد النبي ﷺ نماذج ماثلة وتأس محفوظ وفيما سبق إشارات كقصة الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن وغيرها .

في صلح الحديبية وبعد أن فرغ الرسول ﷺ من كتابة الصلح مع قريش أمر عليه الصلاة والسلام الصحابة أن ينحروا ثم يحلقوا من أجل أن يتحللوا من عمرتهم لأنهم قد حصروا ومنعوا من البيت . يقول الراوي : فو الله ما قام منهم رجل واحد حتى قال ذلك ثلاث مرات . . فلما لم يقم منهم أحد ، قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس . فقالت أم سلمة رضي الله عنها : يا رسول الله أتحب ذلك ؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلق لك . فقام فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً .

توضيح موقف وتفسير تصرف

يحسن بالقدوة أن يكون على درجة من الشفافية والتحسس ليبقى بعيداً عن موارد الظنون ومواقع التأويلات .

جاءت أم المؤمنين صفيــــة بنت حيي زوج رسول الله ﷺ لتزوره فى معتكفه فى المسجد فى العشر الأخير من رمضان فمكثت عنده وتحدثت ساعة ثم قامت راجعـــة إلى بيتها فقام معها النبي ﷺ مصاحباً لها حتى يبلغها بيتها حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمـــة مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ فقال لهما النبي ﷺ : « على رسلكما إنما هى صفية بنت حيي » . فقالا : سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهم فقـال النبي ﷺ : « إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئاً » .

قال الحافظ فى الفتح : « وفيه التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتياط من كيد الشيطان والاعتذار » .

ويقول ابن دقيق العيد : وهذا متأكد فى حق العلماء و من يقتـــدى بهم فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب سوء الظن بهم و إن كان لهم فيـه مخلص لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم .

نبي الملحمة

« قذيفة من حديد خير من ألف قذيفة من كلام » .

إن مئات المواعظ والخطب الرنانـــة لا تفعل فعل الشجاع الثابت الجأش وهو ينقض على صفوف الأعـداء يقدم جنوده ليقودهم إلى النصر المؤزر ذلكم هو موقف القـــائد الأول محمـــد بن عبد الله ﷺ فى غزوة حنين حين كانت ساعاتهـا الأولى لثقيف وهوازن التى سبقت إلى صعيد المعركة واحتلت المضايق

وانبثوا فى الشعاب والمواقع المنيعة وبادروا فى استقبال المسلمين بوابل من السهام وكانوا رماة لايخطئون .

فارتاعت الصفوف المتقدمة من المسلمين لهذه المفاجأة المتكاثفة فنكصت كما ذكر الله : ﴿ثم وليتم مدبرين﴾(١) .

وانحاز النبي القائد ذات اليمين منادياً فى الناس : « هلموا إلى أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » . ولنترك العباس — رضى الله عنه — يروى موقف الثبات النبوى يقول : « شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجزامى فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله يركض بغلته قبل الكفار . قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة الا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله : « أى عباس ناد أصحاب السمرة ، فقال عباس — وكان رجلا صيتا — فقلت بأعلى صوتى : أين أصحاب السمرة ؟ يقول العباس : فو الله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها فقالوا : يا لبيك يا لبيك » . فكانت العاقبة نصر المؤمنين : ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾(٢) .

أمنة للصحب الكرام

فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عرى فى عنقه

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٥
(٢) سورة التوبة ، الآية : ٢٦

السيف وهو يقول مهدئاً من روعهم «لم تراعوا، لم تراعوا».

بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام لقد كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس قولا وعملا.

إن المتأمل ليقف متعجباً لهذه الشجاعة المحمدية ينطلق الناس قبل الصوت فيجدون امامهم قد سبقهم بل قد رجع وهم فى بداية الانطلاق إن هذه الدعوة الصامتة للشجاعة مع قوارع القرآن هى التى استنهضت همة الأعمى كابن أم مكتوم ليصر على الجهاد ويحمل الراية، والأعرج كعمرو ابن الجموح ليطالب الجهاد بإلحاح قائلا: «إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه الجنة» فيقاتل حتى يقتل.

كرهت أن يحبسنى

هذا مثال من غير الشجاعة ولكنه منظوم فى سلك السيرة العملية التى ترسم للأتباع تقطع دابر الوسواس لدى بعض المتفيقهة ليميزوا ما كان رياء مما ليس كذلك فقد روى البخارى فى صحيحه عن عقبة رضى الله عنه قال: «صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر فسلم ثم قام مسرعاً فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه ففزع الناس من سرعته فخرج عليهم فرأى أنهم عجبوا من سرعته فقال ذكرت شيئا من تبر عندنا فكرهت أن يحبسنى فأمرت بقسمته». وبعد:

فهذا ما يسر الله سبحانه لعل فيه ما أفاد فإن كان كذلك فلله الحمد والمنة وإن كان سوى ذلك فأرجو أن لا يضن محب بنصح: ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾. وصلى الله على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

خصائص منهج السلف ومميزاته

بقلم : فضيلة الشيخ عبد الله العبيلان
الرياض ــ المملكة العربيــة السعودية

المقصود بالسلف الصالح :

في اللغـــة : يقول بن الفارس : السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق من ذلك السلف الذين مضوا ، والقوم السلاف : المتقدمون .

اصطلاحا : اختلفت آراء البـاحثين حول مفهوم هذا المصطلح وعلى من ينطبق ، على أقوال كثيرة أهمها أربعة :

الأول : يرى البعض تحديد مذهب السلف بفترة معينة لا يتعـــداها ، ثم يزعم أصحاب هذا القول أن الفكـــر الاسلامى قـــد تطور بعد ذلك على يد رجاله .

الثـاني : و البعض الآخر يرى أن السلف نصيون يعتمـدون على النصوص فقط ولا يعولون على العقـــل في شيء وأنهم بالتالي يسلمون للنصوص دون فهم لما دلت عليه ، ويفوضون معانيها إلى الله تعالى ، وأنهم اشتغلوا بما يرونه أنفع من أنواع العبادات والقربات .

الثالث : وفئة تزعم أن ما نشاء من الدراسات العقليـــة في علم الكلام نشأ من مذهب السلف نفسه لا بسبب تأثير خارجي .

الرابع: يزعم أصحابه أن مذهب السلف على عدة اتجاهات وتيارات، وأن هذه التيارات وإن تباينت فى المنهج إلا أنها تلتقى على أنها نشأت وقامت على يد علماء الاسلام.

وقد أخطأ أصحاب هذه الأقوال فى تحديد المقصود بالسلف، وذلك بأنهم نظروا إلى المسألة بناء على أصول منهجية غير صحيحة ولم ينطلقوا من منطلق شرعى واضح.

ولكى نصل إلى مفهوم صحيح يحدد المقصود بمصطلح السلف تحديدا دقيقا لابد لنا من اعتبار بعض الأمور المهمة فى المسألة:

الأمر الأول: معرفة التحديد الزمنى لبيان بداية مذهب السلف وقد تباينت فيه الأقوال أيضا على أربعة أقوال:

١ - فمن العلماء من قصر ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم فقط.

٢ - ومنهم من قال بأنهم الصحابة والتابعون.

٣ - ومنهم من قال بأنهم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين.

٤ - ومنهم من قال بأنهم من كانوا قبل الخمس مائة.

والقول الصحيح المشهور الذى عليه جمهور علماء أهل السنة هو القول الثالث الذى يعتبر المقصود بالسلف من الناحية الزمنية القرون الثلاثة المفضلة التى شهد لها رسول الله ﷺ.

الأمر الثانى: أن التحديد الزمنى غير كاف لتحديد مفهوم السلف لأننا نلاحظ أن كثيرا من الفرق والبدع ظهرت فى تلك الفترة الزمنية لذلك فوجود شخص ما فى هذا الزمن لا يكفى للحكم عليه بأنه سائر على مذهب السلف مالم يكن موافقا للكتاب والسنة فى أقواله وأفعاله، متبعا لا مبتدعا، لذلك نلاحظ أن كثيرا من العلماء يقيد هذا المصطلح عند استعماله فيقول. «السلف

الصالح » وإن كان الإطلاق جائزا لاصطلاح العلماء على ذلك .

وبهـذا فان لفظ السلف حين يطلق يجب أن يصرف لا إلى مجرد السبق الزمنى بل إلى أصحاب رسول الله ﷺ و تابعيهم ومن بعدهم بشرط الالتزام بمنهجهم .

الأمر الثالث : أنه بعـد الفرق وحصول الافتراق أصبح مدلول السلف منطبقا على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج الاسلامى طبقـا لفهم القرون الاولى الفـاضلة ، واعتبر بعض العلمـاء هذا المصطلح مرادفا للاسماء الشرعية الاخرى لأهل السنة والجماعة إلا أنه أخص منها .

الأدلة على وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم مذهبهم :

من القرآن الكريم

قوله تعالى : ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾[١].

وقال تعـالى : ﴿والسابقون الأولون من المهـاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم و رضوا عنه﴾[٢].

فوعد الله عز وجل من اتبع غير سبيله بعـذاب جهنم و وعد متبعـه بالجنة والرضوان .

من السنة

عن عبـد الله بن مسعود رضى الله عنـه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجىء قوم تسبق شهادة

(١) النساء : ١١٥

(٢) التوبة : ١٠٠

أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته »[١].

في حديث العرباض بن سارية الطويل « فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[٢].

فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أمته بأن يتبعوا سنته وسنة من بعده من الخلفاء الراشدين و ذلك عند وقوع الاختلاف والتفرق كما جاء في وصف الفرقة الناجية في حديث الافتراق قوله عليه الصلاة والسلام : « ما أنا عليه اليوم و أصحابي » فمتبعهم يكون من الفرقة الناجية والمبتعد عنهم يكون من أهل الوعيد .

من أقوال السلف

عن عبد الله بن مسعود قال : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »[٣].

وعنه أيضا « إنا نقتدى ولا نبتدى ، ونتبع ولا نبتدع ، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر »[٤].

وعنه أيضا رضى الله عنه « من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أحمد (٤ / ١٢٦ - ١٢٧) وأبوداود (٤٦٠٧) والترمذى (٢٦٧٦) والدارمى (١ / ٤٤) والبغوى « شرح السنة » (١/٢٠٥) .

(٣) أخرجه وكيع فى الزهد (٣١٥) وأحمد (٣ / ١١٠) والدارمى (٢١١) وابن وضاح (١٣) .

(٤) أخرجه اللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (خ ١٥ أ- ١٠٦) .

حذيفة لأبي مسعود «إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف وإياك والتلون فى الدين فان دين الله واحد» قال شيخ الاسلام ابن تيمية: «وبالجملة فالثبات والاستقرار فى أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة»[١]. وذلك ناتج بأن ما هم عليه هو الحق والهدى، قال شيخ الاسلام ابن تيمية «إن ما عند عوام المؤمنين وعلمائهم أهل السنة والجماعة من المعرفة واليقين والطمأنينة والجزم الحق والقول الثابت والقطع بما هم عليه أمر لاينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين»[٢].

٢ ـ اتفاقهم على أمور العقيدة وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان يصف الأصبهانى هذا القول فيقول «ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق أنك لو طالعت إلى جميع كتبهم المصنفة قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وتباعد ما بينهم من الديار وسكون كل واحد منهم فى قطر من الأقطار وجدتهم فى بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد يجرون على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها قولهم فى ذلك واحد ونقلهم واحد لا ترى فيهم اختلافا ولا تفرقا فى شيء ما وإن قل بل لو جمعت جميع ما على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء على قلب واحد وجرى على لسان واحد وهل على الحق دليل أبين من هذا»[٣].

٣ ـ اعتقادهم أن طريقة السلف الصالح هى الأسلم والأعلم والأحكم لا كما يدعيه أهل الكلام أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٥١).
(٢) « (٤/٤٩).
(٣) الحجة فى بيان المحجة لقوام السنة، الأصبهانى، مخطوط.

يقول شيخ الاسلام — فى رد هذه الفرية —: «لقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا فى تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف فى الكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف»[1].

٤ — أنهم أعلم الناس بأحوال النبي ﷺ وأفعاله وأقواله لذلك هم أشد الناس حبا للسنة وأحرصهم على اتباعهـا وأكثرهم موالاة لأهلها يقول شيخ الاسلام «فانه متى كان الرسول ﷺ أكمل الخلق وأعلمهم بالحقائق وأقومهم قولا وحالا لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك وأن يكون أعظمهم موافقة له واقتداء به أفضل الخلق»[2].

و بذلك يتضح أنهم أحق الناس و أولاهم بأن يكونوا الطائفة المنصورة والفرقة الناجية يقول شيخ الاسلام رحمه الله «وبهـذا يتبين أن أحق النـاس بأن تكون هى الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا الرسول عليه الصلاة والسلام وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تميزا بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها تصديقا وعملا وحبا وموالاة لن والاها ومعاداة لمن عاداها»[3].

٥ — أخص مميزاتهم حرصهم على نشر العقيدة الصحيحة و الدين القويم الذى بعث الله به رسوله و تعليم النـاس و إرشادهم والنصح لهم مع الرد على المخالفين والمبتدعين.

٦ — وسطيتهم بين الفرق يقول شيخ الاسلام «أهل السنة فى الاسلام

(١) مجموع الفتاوى (٩/٥).
(٢) « (١٤٠/٤—١٤١) وانظر (٢٦/٤).
(٣) « (٣٤٧/٢)، (١٠٩/٣—٩٧/٤).

كأهل الاسلام بين الملل » ثم بين هذه الوسطة فى مكان آخر قال « فهم وسط فى باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة .

وهم وسط فى باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية .

وفى باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم .

وفى باب أسماء الايمـان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية .

وفى أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام بين الروافض والخوارج(١).

٧ — التزامهم بالأسماء والألقاب الشرعية .

٨ — حرصهم على الجماعة و الألفـة و دعوتهم لهـا وحث الناس عليها ونبذهم الاختلاف والفرقة وتحذير النـاس منها و يلاحظ هذا فى أشهر أسمائهم منهم أهل السنة والجماعة فهذا كما هو موجود فى أصولهم العلميـة النظرية فهو موجود فى حياتهم تطبيقا واقعيا عمليا ؟

◇✻◇✻●✻◇✻◇

(١) مجموع الفتاوى (٣/١٤١) وانظر شرح الطحاوية (ص ٥١٨—٥٢٨) .

النواب السيد صديق حسن خان الحسنى البخارى القنوجي ومـوقفه من النظر العقلى فى اثبات العقـائد

بقلم : الدكتور أختر جمال محمد لقمان
الأستاذ فى دار الحديث بمكة المكرمة

النظر : تقليب البصر والبصيرة لادراك الشيء ورؤيته ، وقد يراد به التأمل والفحص ، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرويه[1] .

وأما المناطقة فمعناه عندهم : الفكر ، وهو ترتيب أمور معلومة للتأدى الى مجهول .

والأمور المعلومة اما تصورية واما تصديقية ، فالمجهولات التصورية نتوصل إليها بواسطة المعلومات التصورية ، وذلك بوضع المعلومات التصورية بهيئة مخصوصة ، بأن نضع الجنس ثم نقيده بالفصل أو الخاصة .

فاذا أردت مثلا أن تعرف ما هو الانسان؟ ، فانه يمكنك التوصل الى مطلوبك التصورى بواسطة أمور تصورية معلومة لك ، ومتعلقة بهذا الموضوع ، ثم ترتبها ترتيبا خاصا ، فتضع الجنس أولا وهو حيوان ، ثم الفصل ثانيا وهو ناطق (حيوان ناطق) وهو الانسان ، وقد كان مجهولا تصوريا ، وكذا المجهول

(١) مفردات القرآن : ٤٩٧

التصديق، وهو العالم حادث مثلا، يمكن الوصول اليه بترتيب مخصوص لمقدمتين معلومتين متعلقتين بهذه الدعوى بأن تقول: العالم متغير وكل متغير حادث ينتج العالم حادث[١].

أما القنوجي فانه قد صرف النظر عن طريق المناطقة، وذهب الى الشرع يأخذ منه، فالنظر عنده: هو تأمل حال المخلوقات للتوصل منها إلى عظمة الخالق، وإلى اصلاح الفطرة ان أصابها شيء.

نرى ذلك واضحا فى تفسيره الآيات التى أمرت بالنظر.

قال تعالى:

﴿هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف، وجاءهم الموج من كل مكان، وظنوا أنهم أحيط بهم، دعوا الله مخلصين له الدين، لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾[٢].

يقول القنوجى: «وفى هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله فى الشدائد . . . . وبيان أن هؤلاء المشركين كانوا لا يلتفتون إلى أصنامهم فى هذه الحالة وما شابها»[٣].

قال تعالى:

﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾[٤].

(١) الوحدانية: ٣٣٤
(٢) سورة يونس: ٢٢
(٣) فتح البيان: ٢٤٩/٤
(٤) الذاريات: ٢١

يقول : « فى حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال . . . . فانه خلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى أن تنفخ فيهم الروح ، ثم تختلف بعد ذلك صورهم وألوانهم و طبائعهم و ألسنتهم ، ثم نفس خلقهم على هذه الصفة العجيبة الشأن من لحم ودم وعظم وأعضاء وحواس ومجـارى ومنافس ، وفى بواطنها وظواهرها من عجـائب الفطرة ، وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان ، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول ، وبالألسنة والنطق ومخارج الحروف ، وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعـة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها .

« أفلا تبصرون » أى تنظرون بعين البصيرة والعبرة الأرض وما فيها ، والأنفس وما فيها فتستدلون بذلك على الخالق الرازق المنفرد بالألوهية »[١] .

وقال تعالى :

﴿أو لم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض﴾[٢] .

يقول : « القصد التعجب من أعراضهم عن النظر فى الآيات البينـة الدالة على كمال قدرتـه وتفرده بالالهية والمعنى : ان هؤلاء لم يتفكروا حتى ينتفعوا بالتفكر ، ولا نظروا فى مخلوقات الله حتى يهتـدوا بذلك إلى الايمان به ، بل هم متبـادرون فى ضلالتهم خائضون فى غوايتهم ، لا يعملون فكرا ولا يمعنون نظرا »[٣] .

وقد اتفق المعتزلة والأشاعرة على وجوب النظر المؤدى الى معرفة الله ،

(١) فتح البيان ١٢٢/٩
(٢) الاعراف : ١٨٥
(٣) فتح البيان ٤٦٩/٣

الا أن المعتزلة يوجبونه من جهة العقل ، بينما الأشاعرة يرون أنه شرعى[1].

ومما يؤخذ على المعتزلة والأشعرية أنهم أمروا بالنظر على منهجهم أى بطريق الجوهر والعرض ، وهذا ما لم يرض به علماء السلف ، فانهم يرون أن هذه التعقيدات فى النظر لم يأت بها الشرع ، بل هى بدعة و وسيلة فى ادخال الشبه فى الدين ، يقول ابن تيمية :

« ان جمهور العامة لا يعرف هذا الدليل ، بل ولا يعرف مسمى الجسم فى اصطلاح المستدلين به ، ولا يعرف أن الهواء يسمى جسما ، بل أكثر الناظرين فى العلم من أهل الفلسفة والكلام والفقه والحديث والتصوف ، لم يعرفوا صحة هذا الدليل ، بل قالوا : انه باطل ، والسلف والأئمة جعلوا هذا من الكلام المبتدع الباطل ، ولم يدع أحد من الانبياء وأتباعهم أحدا إلى الاستدلال على معرفة الله بهذا الطريق ، وانما ابتدعه فى الاسلام ، من كان مبتدعا فى الاسلام ، من الجهمية والمعتزلة ونحوهم ، ولكن الذى يعرفه العامة والخاصة ، أن كل واحد من الآدميين محدث كان بعد أن لم يكن ، وأنه ليس بفاعل نفسه ولم يفعله مثله .

ولهذا استدل سبحانه بذلك فى قوله تعالى ﴿ أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ﴾[2] وكذلك حدوث ما يشهدون حدوثه ، ويعلمون أنواعا من الأدلة غير هذا[3].

---

(١) انظر الارشاد ص ٨ ، شرح المواقف ١٢/١ . تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢١

(٢) الطور : ٣٥

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٤٥٠/٧

بل يرون أن النظر هو التأمل والتفكر والاعتبار في هذا الكون — الأنفس والآفاق — ليصل الانسان الى وحدانية الله تعالى.

كما يقول ابن تيمية: «النظر إلى المخلوقات العلوية والسفلية على وجه التفكر و الاعتبار مأمور به مندوب إليه»[1] وهي — مع أنها أدلة نقلية — أدلة عقلية أيضا، كما صرح به[2].

فالتفكر في السماوات والأرض والكوكب وفي الأنفس، كل هذا أمر بها الشرع، وهو في الوقت نفسه دليل عقلي نحتاج إليه عند ما تطمس الفطرة، وتحتاج إلى ما يجليها، حتى تعود الى صفائها وتبقى متمسكة بإيمانها[3].

هذا هو التفكر الذي أمر الله به عقب الأمر بالنظر، فالتذكر نتيجة للنظر قال تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت فذكر انما أنت مذكر﴾[4].

ان ابن القيم — رحمه الله — يرى أن النظر و التفكر في آيات الله وبدائع مصنوعاته وعجائب مخلوقاته من أجل مقاصد القرآن، واستدل على ذلك بآيات عديدة منها:

﴿ومن آياته الليل والنهار﴾[5].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥ : ٣٤٣

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل ٩ : ٣٧

(٣) مجموع الفتاوى ٦ : ٧٣

(٤) الغاشية : ١٧ - ٢١

(٥) حم السجدة : ٣٧

﴿قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض﴾[١].

﴿أولم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شىء﴾[٢].

وأتى بأمثلة كثيرة مستقاة من آيات الله البينات التى تتضمن من العبر والدلالات على ربوبية الله تعالى وحكمته[٣].

هـذا هو النظر الذى أمر به الشرع فى التفكر فى الكون وما فيه ، تبقى النفس مطمئنة موحدة ، ليس هو النظر بطريقـة معقدة التى جاء بها المنطقيون وأوجبوا الوصول إلى الحق عن طريقه ، وهـذا ما ذهب اليـه القنوجى تبعا للسلف .

++++++++++++++++++++++++++

● دليل وجود الصانع ●

سئل بعض الأعراب : ما الدليل على وجود الصانع الواحـد ، قال : إن البعرة تدل على البعير ، وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوى بهذه اللطافة ومركز سفلى بهذه الكثافة أما يدلان على وجود الصانع الخبير ؟!

وفى القرآن من دلائل التوحيد كثير طيب .

وتكرير قوله : ﴿ لا إله إلا هو ﴾ للتأكيـد ، وفائدة تكريرها الإعلام بأن هذه الكلمة أعظم الكلام وأشرفـه ، وفيه حث العباد على تكريرها والاشتغال بها .

فإنه من اشتغل بها اشتغل بأفضل العبادات ، وبالاشتغال بها ترسخ قدم التوحيد فى قلوب العباد . (الدين الخالص ٢١/١)

---

(١) يونس : ١٠١

(٢) الأعراف : ١٨٥

(٣) انظر مفتاح السعادة ٢١٣/١

أعلام الاسلام:

ابو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى

(٤٠٧ – ٤٩٠ ﻫ)

(٥) ثقافته المتنوعة وآثاره الخالدة

الدكتور محمد إبراهيم محمد هارون

الجامعة السلفية، بنارس

١١ – كتاب الأربعين:

قام جماعة من المحدثين بتأليف كتب بهذا الاسم إعتمادا على ما ورد من الأحاديث التى جاء فيها «من حفظ على أمتى أربعين حديثا مما ينفعها الله به فى دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما»[1].

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلى فى مسنده، قال: ثنا عمرو بن حصين ثنا ابن علاثة ثنا خصيف عن مجاهد عن أبى هريرة مرفوعا. المطالب العالية / النسخة المسندة (٤٢٢).

ومن طريقه رواه ابن عدى فى الكامل (٦/٢٢٢٧)، والبيهقى فى شعب الايمان (٢/١٤٢/أ)، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (١ / ١١٤)، والبكرى فى الأربعين (٢٩).

و رواه الرامهرمزى فى المحدث الفاصل قال: ثنا موسى بن زكريا ثنا عمرو بن الحصين به (١٧٢)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله عن أحمد بن جمهور ثنا عمرو بن حصين به إلا أنه قال: عمرو بن حصين أبو علاثة وهو =

وفى رواية : « من روى عنى أربعين حديثا من السنة حشر يوم القيامة فى زمرة الأنبياء عليهم السلام »[1].

= تصحيف ، والصواب : عمرو بن حصين ثنا ابن علاثة وهو محمد بن عبد الله بن علاثة (١ / ٤٤) .

قلت : فى اسناده عمرو بن حصين العقيلى ، قال أبو حاتم : ذاهب الحديث ، قال أبو زرعة : واه ، قال الدارقطنى : متروك .

ورواه ابن عدى فى الكامل (٦/٢٥٢٨) والبيهقى فى شعب الايمان (٢/١٤٢/أ) وابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (١/٤٤) ، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/١٤٤) ، والبكرى فى الأربعين (٢٨) .

كلهم من طريق خالد بن اسماعيل أبى الوليد نا ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة مرفوعا .

قلت : خالد بن اسماعيل : قال ابن عدى : كان يضع الحديث على الثقات ، وقال الدارقطنى : متروك ، وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به بحال .

قال الحافظ ابن حجر فى تلخيص الحبير (٢ / ٩٣) روى عنه ثلاثة عشر من الصحابة ، أخرجها ابن الجوزى فى العلل وبين ضعفها كلها ، وقد لخصت القول فيه فى المجلس السادس عشر من الاملاء ثم جمعت طرقه فى جزء ليس فيها طريقة تسلم من علة قادحة .

(١) أخرجه ابن عدى فى الكامل (١ / ٢٢٤) ، و البيهقى فى شعب الايمان (١ / ١٤٢ / أ) ، وابن الجوزى فى العلل المتناهية ١/١١٤—١١٥) ، والبكرى فى الأربعين (٢٨) .

كلهم من طريق إسحاق بن نجيح الملطى عن عطاء عن أبى هريرة مرفوعا .

قلت : فى إسناده إسحاق بن نجيح الملطى ، قال أحمد : هو من أكذب الناس ، =

ولكن اختلفت مناهجهم وتنوعت أساليبهم فى اختيار المادة وطرق عرضها، فمنهم من اهتم بجمع الروايات الواردة عن أربعين شيخا له، ومنهم من روى مسموعاته فى أربعين بلدا، ومنهم من جمع أربعين حديثا تتعلق بمختلف المواضع من العبادات والمعاملات والأحكام والمسائل.

فألف كل من: أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزى (ت ١٨١ﻫ). وأبي الحسن محمد بن أسلم الطوسى الكندى (ت ٢٤٢ ﻫ)، وأحمد بن حرب الزاهد النيسابورى (ت ٢٣٤ ﻫ)، وابراهيم بن على الذهلى (ت ٢٩٣ ﻫ)، وأبي العباس حسن بن سفيان الفسوى (ت ٣٠٣ ﻫ)، وأبي العباس محمد بن إسحاق السراج (ت ٣١٣ ﻫ)، وأبي بكر محمد بن الحسين الآجرى (ت ٣٦٠ ﻫ)، وأبي الحسن على بن عمر الدارقطنى (ت ٣٨٥ ﻫ)، وأبي بكر محمد بن عبد الله الجوزقى النيسابورى (ت ٣٨٨ ﻫ)، وأبي بكر محمد بن ابراهيم المقرئ (ت ٣٨١ ﻫ)، وأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى (ت ٤٠٥ ﻫ)، وأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى (ت ٤١٢ ﻫ)، وأبي بكر أحمد بن محمد بن غالب البرقانى (ت ٤٢٥ ﻫ)، وأبي نصر محمد بن على بن عبد الله بن أحمد الودعانى، وأبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهانى (ت ٤٣٠ ﻫ) وأبي سعد أحمد بن ابراهيم النيسابورى، وأبي عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد

= وقال يحيى: معروف، بالكذب و وضع الحديث، وقال النسائى والدارقطنى: متروك.

و رواه أبو نعيم فى أخبار أصبهان مرفوعا بنحوه (١ / ٢٠٠).

قلت: فى إسناده بقية بن الوليد وهو مدلس كثير الرواية عن الضعفاء وقد عنعنه فالاسناد ضعيف.

الصابونى (ت ٤٤٤ هـ)، وأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى (ت ٤٥٨ هـ)، وغيرهم كتبا باسم الاربعين[١].

وتأسيا بمن سلفه من العلماء والمحدثين، قام المؤلف نصر بتأليف كتاب الاربعين، وحذا فيه حذو المحدثين الذين جمعوا الأحاديث المتعلقة بالأحكام، والتزم بالحكم على الروايات الواردة فيه من حيث الصحة والضعف.

ووصفه أبو على البكرى بقوله: «جمع هذه الاربعين فى أربعين بابا من أبواب الفقه»[٢].

فالحديث الاول الذى افتتح به كتابه حديث عمر: «إنما الأعمال بالنيات» ثم قال عقب تخريجه: «هذا حديث صحيح متفق على صحته من حديث أبى سعيد يحيى بن سعيد الانصارى أخرجه البخارى عن الحميدى هذا، وأخرجه مسلم عن غير واحد عن سفيان بن عيينة، وقع إلينا عاليا فكان شيخنا أنبأنا عن رجل عن مسلم».

والحديث الثانى هو حديث أنس بن مالك: «طلب العلم فريضة على كل مسلم الخ ...».

(١) ذكرها كل من النووى فى الاربعين (٢)، والذهبى فى ميزان الاعتدال (١ / ٤٩٢)، والحافظ ابن حجر فى المعجم المفهرس (٢ / ١٧–١٨)، والسيوطى فى طبقات الحفاظ (٧٦، ٣٠٥، ٣٧٨، ٣٨٨، ٤٤١)، وحاجى خليفة فى كشف الظنون (١ / ٥٨)، واسماعيل باشا البغدادى فى هدية العارفين (٢ / ٧٨)، والكتانى فى الرسالة المستطرفة (٧٦)، ورضا كحالة فى معجم المؤلفين (٩ / ٥٢).

(٢) كتاب الاربعين (٦٧).

قال : هذا حديث حسن المتن غريب الاسناد من حديث محمد بن سيرين أبي بكر عن أنس بن مالك ، وغريب فى حديث كثير بن شنظير — بكسر المعجمتين وسكون النون — تفرد به عنه جعفر بن سليمان الضبعى ، وهو من الثقات :

وأما الحديث السابع فهو حديث أبي هريرة : « لن ينجى أحد منكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله الخ . . . » .

فقال عقبة : هذا حديث غريب من حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى ، مع اختلاف فى اسمه ونسبه وغريب من حديث هلال بن على ويقال ابن أبي ميمونة ، وقد خرج البخارى ومسلم غير حديث هذه الترجمة فى كتابيهما — رحمة الله عليهما — فهو ملحق برسميهما ، لأنه صحيح على شرطهما ، والحديث مخرج بغير هذا الطريق من طريق آخر .

ومحمد بن سنان العوقى ، شيخ البخارى ، والعوقة محلة بالبصرة لقبيلة من العرب نزلها فنسب إليها ، وليس من المحدثين من ينسب إلى العوقة إلا محمد ابن محمد هذا ، وأبو نضرة منذر بن مالك بن قصعة صاحب أبي سعيد الخدرى ، والباقى بالفاء العوفى وهم جماعة .

وأما الحديث الخامس والعشرون فهو حديث عبد الله بن عباس فى فضائل صلاة العشاء والفجر : « من أخلص لله عز وجل أربعين صباحا الخ . . . » .

قال : هذا حديث غريب من حديث أبي القاسم مقسم بن يحيى عن أبي العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكنيته سهل بن سعد أيضا أبو العباس ، وليس فى الصحابة من كنيته أبو العباس غيرهما ، تفرد بهذا الحديث سوار بن

مصعب الهمذانى ويقال: سوار الأحمش تركوه.

وأما الحديث السابع والثلاثون: لحديث عبد الله بن عمر: «من أعان مسلما بكلمة أو مشى معه خطوة حشره الله يوم القيامة وأعطاه أجر سبعين شهيدا».

قال: هذا حديث غريب المتن والاسناد من حديث أبي عمرو عبد الرحمن ابن عمرو الاوزاعى، وأوزاع قرية بدمشق اجتمع إليها الناس من كل قبيلة، تفرد به عنه معاوية بن يحيي الصدفى، وكان على بيت المال بالرى، وليس بذاك القوى.

وهذا الكتاب قد إطلع عليه الذهبي حيث اقتبس منه فى «ميزان الاعتدال»[1] وفى «سير أعلام النبلاء»[2] كما وصل الكتاب إلى الحافظ ابن حجر رواية عن شيوخه كما ذكر فى «المعجم المفهرس»[3].

وأورده حاجى خليفة فى «كشف الظنون»[4] واسماعيل باشا البغدادى فى «هدية العارفين»[5].

وتوجد له نسخة خطية فى المكتبة الظاهرية بدمشق فى مجموع يحمل رقم (٧٠، و ٤٢—٦٥) كما جاء فى فهرس الألبانى[6].

ومنه نسخة مصورة فى مكتبة الجامعة الاسلامية برقم (٧٨٠)، وجاء

---

(١) ميزان الاعتدال (٤/ ٣٥٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٤١).
(٣) المعجم المفهرس (٢/ ١٧).
(٤) كشف الظنون (٥٨).
(٥) هدية العارفين (٢/ ٤٩١).
(٦) فهرس الظاهرية (٤٢٥).

على غلاف المخطوطة : أربعون حديثا للشيخ الفقيه الامام الزاهد أبي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي .

رواية الشيخ أبي يعلى حمزة بن أحمد بن كروس السلمي عنه .

رواية أبي المعالي أحمد بن الخضر .

نسخه محمد بن علي بن محمد بن أحمد الحودي ، رابع من شهر شوال سنة ثلاث وعشرين وست مائة بجامع دمشق .

١٢ — المصباح الداعي إلى الفلاح :

كتاب في الحديث ذكره ابن خير الاشبيلي في فهرسته وقال : ثنى به الفقيه المشاور أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن رضا ، والفقيه المشاور أبو القاسم محمد بن عبد الملك بن اسماعيل الصدفي قالا: أخبرنا به الشيخ المقرئ ابو الحسن علي بن خلف بن ذي النون العبسي قال : سمعته من مؤلفه أبي الفتح ببيت المقدس .

وحدثني به أيضا الفقيه القاضي أبو بكر بن العربي شيخنا عن أبي الفتح مؤلفه وروايته عنه بلفظه(١).

١٣ — الأمالي الحادي والعشرون بعد المائة :

توجد له نسخة خطية في دار الكتب الظاهرية بدمشق في مجموع رقمه (٩٤)(٢) ومنه نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الاسلامية تحمل رقم (١٠١٤) ، وهذه النسخة لا تتجاوز ست ورقات روى فيها المؤلف سبعة أحاديث و بعض الآثار تتعلق بالآداب .

---

(١) فهرسة ما رواه عن شيوخه (١٥٩) .

(٢) فهرس الظاهرية (٤٢٦) .

وجاء على غلاف المخطوطة : المجلس الحادى والعشرون بعد المائة من أمالى أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى ، رواية الفقيه أبي الفتح نصر الله بن محمد ابن عبد القوى المصيصى عنه .

رواية الوزير أبي المعالى أسعد بن حمزة التميمى عنه .

رواية الرئيس أبي الحسن على بن محمد بن سعيد بن حمزة التميمى عنه .

سماعا لولده يحيى بن على بن محمد التميمى عفا الله عنه .

وفى أوله : أخبرنا والدى الأمين العدل الرضى علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن سعيد بن حمزة التميمى قراءة عليه وأنا أسمع فى رجب سنة اثنتين وثلاثين وست مائة بمنزله بدمشق ، قال : نا عمى الرئيس الأجل الوزير مؤيد الدين أبو المعالى أسعد بن حمزة التميمى قراءة عليه ونحن نسمع فى خامس ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، قال : أخبرنا الامام أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوى المصيصى قراءة عليه ونحن نسمع فى رجب سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بالزاوية الغربية من جامع دمشق ، قال : أخبرنا الامام الزاهد أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر رحمه الله قرأة عليه وأنا أسمع فى العشر الأول من صفر سنة اربعين واربع مائة .

وناسخ النسخة : هو إسماعيل بن إبراهيم بن مسلم عشية الجمعة رابع عشر خلت من شهر رجب سنة ثمان وخمسين وست مائة .

١٤ — مجلس من أمالى الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسى الزاهد :

رواية الفقيه أبي الفتح نصر الله المصيصى .

رواية الرئيس أبي المعالى أسعد بن حمزة التميمى وأبي الحسين أحمد بن رافع الغنوى .

رواية أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن عنه كتابة.

سماع مالكه إسماعيل بن إبراهيم ولابنته زينب منه.

سمع هذا الجزء على الشيخ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بسماعه من عمر ابن يعقوب محمد بن عبد الله بن أحمد وهذا خطه: يوم الجمعة التاسع عشر من رجب سنة خمس و أربعين وسبع مائة بجامع دمشق، ويقع هذا الجزء في سبع ورقات يشمل خمسة عشر حديثا في فضائل الصوم وأحكام الفطر.

١٧ — المجلس التاسع والأربعون بعد المائتين من أماليه:

ذكره الحافظ ابن حجر في «المعجم المفهرس» و رواه عن أبي هريرة بن الذهبي، أنبأنا القاسم بن المظفر بن عساكر سماعا قال: قرئ على كريمة بنت عبد الوهاب وأنا حاضر بسماعها، عن حسان بن إبراهيم نا الفقيه أبو الفتح نصر المقدسي[1].

(يتبع)

(١) المعجم المفهرس (٢ / ٥٨٠).

عدد صفحات الجزء ٥٦

صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٦) ذو القعدة ١٤١٤ هـ

العدد الخامس مايو ١٩٩٤ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi - 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٥٠ روبية ، فى الخارج ٣٢ دولارا (بالبريد الجوى) ١٢ دولارات (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٤/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٠٩٥٨/٣٢٢١١٦ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

- إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبى ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .
- مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب على رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .
- مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق ووعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .
- إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .
- نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .
- التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

هدى القرآن | آية وتفسير

﴿قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾ (ابراهيم: ٣١).

يأمر الله عباده بطاعته، والقيام بحقه والإحسان إلى خلقه بأن يقيموا الصلاة وهى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكاة والنفقة على القرابات والاحسان على الأجانب، والمراد باقامة الصلاة هو المحافظة عليها وقتا وحدودا وركوعا وسجودا وخشوعا، والانفاق خفية وجهرا وذلك لخلاص أنفسهم يوم القيامة الذى لا يقبل فيه فى أحد فدية بأن تباع نفسه، وقوله تعالى (ولا خلال) أى ليس هناك مخالة خليل فيصفح عمن استوجب العقوبة، بل هناك العدل والقسط، والمراد انه لا ينفع أحدا بيع ولا فدية ولا صدقة أحد ولا شفاعة أحد إذا اتى الله كافرا كما قال تعالى: ﴿واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾.

(تيسير العلى القدير)

فكل امرء يومئذ شأن يغنيه لا ينفعه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وعمل صالح، وقضى حياته فى طاعة الله واتباع سنة نبيه ﷺ، لم يدنس النفس بالسيئات والذنوب ولم يبخل بما آتاه الله من مال، بل ينفقه رضا لربه الكريم لا للرياء والسمعة فى الدنيا وعلى هذا يدل قول الله تعالى: (سرا وعلانية) أى فى كل حال حسب المستطاع وما يناسب الأحوال فى السر والعلن.

(تلخيص: اصغر على السلفى)

فقه السنة	حديث وشرح

عن عابس بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما يقبل الحجر ويقول: إنى أقبلك وأعلم أنك حجر، ولو لا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لم أقبلك. رواه الشيخان.

قوله (يقبل الحجر) أى الحجر الأسود (وأعلم انك حجر) زاد البخارى لا تضر ولا تنفع (ولو لا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لم أقبلك) قال الطبرى: إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام فخشى عمر أن يظن الجهال ان استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل فى الجاهلية فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده فى الأوثان. قال الحافظ: وفى قول عمر هذا التسليم للشارع فى أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة فى اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه. (تحفة الأحوذى)

وفى الحقيقة أن معنى الاسلام يقتضى أن يكون المؤمن كذلك فى كل ما جاء عن النبي ﷺ فانه ليس بلازم أن يعرف الحكمة بل هو مكلف بالاتباع والامتثال بكل ما ورد عن النبي الكريم ﷺ. كما ينبغى للعالم أن ينبه الناس فى مواضع التهمة وفى مظان مزالق الأقدام وغواية القلوب وأماكن الوساوس. كما جاء فى الحديث.

(تلخيص: اصغر على السلفى)

الافتتاحية :

من هموم المسلمين فى الهند

لاشك أن الخطر الأكبر المحدق بالمسلمين فى البلاد هو الخطر الآتى من قبل الجماعات المتطرفة من الهنادك الذين يجاهرون بالعداء للمسلمين، ويرفضون كل قانون وكل خطة وكل اتجاه يمنح المسلمين نوعا من الحماية والكرامة. انهم يعلنون مبدأ « التهنيد » أى اعادة مسلمى البلاد إلى الهندوسية والقضاء على كل ما يميزهم من الدين والحضارة والثقافة. وهذا الاتجاه المعادى للمسلمين ليس وليد اليوم، بل نلمس مظاهرها منذ زمن الانجليز، ولكنه كان خفيا أو خفيفا حيث اقتضت الظروف اتحاد سكان البلاد ضد الاستعمار الانجليزى. ولما استقلت البلاد بدأ الهنادك يشعرون بأن حكم البلاد عاد اليهم بعد قرون طويلة. ومنذ زمن الانجليز كانت بعض المنظمات المتطرفة (ر.س.س.) تعمل فى الخط المذكور، وبعد أن تأسست دولة باكستان ازداد نشاط منظمة ر.س.س. بحجة أن المسلمين اذ أنشأوا دولة باكستان فليس لهم حق البقاء فى هذه البلاد.

وهذا الحزب المتطرف كان نشاطه قاصرا ومحدودا حينما كان حزب المؤتمر قويا بوجود أعضاء مسلمين مؤثرين فيه، ولكن بمرور الزمن وضعف هذا الحزب، وانضم إليه رجال متعصبون من الهنادك، وظهر التنافس حول السلطة والحكم، وهنا نشط حزب ر. س. س. وحاول الوصول الى السلطة باحياء الهندوسية فى نفوس السكان وباثارة قضايا عديدة ضد المسلمين. ولما رأى حزب المؤتمر هذا الاتجاه لحزب ر. س. س. حاول هو الآخر كسب عطف الهنادك والحصول على أصواتهم فى الانتخاب. وهذا الاتجاه صار ملموسا منذ زمن انديرا غاندى، ولما ماتت وجاء ابنها مكانها سارعا هلنا فى الطريق

الذى رسمته والدته، ففتح قفل المسجد البابرى ارضاءا للهندوس، وحاول أن يستميل بهـــذه الخطوة وأمثالهـــا الهنادك الى حزب المؤتمر. ولما رأى حزب ر. س. س. هذه المحاولة من حزب المؤتمر تبنى قضية المسجد البابرى لتعزيز موقفه فى السياسة منذ بداية الثمانينات. ولسبب أو آخر أحرز نجاحا فى أهدافه، واستمال عامـــة الهندوس الى نفسه، ولما شعر بتأييد من الهنـــدوس قام بهدم المسجد البابرى، ونادى ببناء المعبد مكانه. والآن صار الحزبان (ر. س. س. وحزب المؤتمر) يتصارعان فى اجتناء ثمرة هدم المسجد.

ومنذ أن أثيرت قضية المسجد البابرى أنشأ الهنادك المتطرفون عدة منظمات هندوكيـة متطرفة تقوم بتعزيز موقف الهنادك و بنشر الدعاية لصالحهم وبتوجيه التهـــديدات الى المسلمين، و ذلك مثل: (وشو هنـدو بريشد، و بجرنك دل، و رام جنم بهومى مكتى سميتى وغيرها) وهذه المنظمات كلها تقف وراء حزب بهارتيه جنتا (B. J. P.) الذى يمثل المتطرفين من الهنادك، ويعارض بقوة الدستور العلمانى الذى يمنح المسلمين، ولو لفظيا، نوعا من الحقوق الأساسية.

وحركة التهنيد أو محاولة رد المسلمين الى الهندوكيـــة كانت قد بدأت فى زمن الانجليز، وبالضبط بعد ثورة عام ١٨٥٧ م، وعرفت حينذاك باسم حركة « شدهى ». نجحت هذه الحركة فى أهدافها الخبيثة الى حدما، ولكن تصدى لها علماء المسلمين فى ذلك الوقت، وبذلوا جهدا ومالا حتى حقق الله لهم النجـاح فى تثبيت المسلمين على الاسلام. و فى السبعينات من هـذا القرن نشرت أخبـار تفيد بدخول عدد من الهنـادك المنبوذين فى الاسلام فى ولاية « تامل نادو » فى جنوب الهند. و هنا نشطت الأحزاب الهندوكية المتطرفة فى بعض الولايات مثل « راجستهان » « وهريانه »، فقـــامت باغراء الفقراء من المسلمين الذين يجهلون الدين ويعيشون فى مناطق بعيـدة فى القرى والأرياف، وقدمت لهم مساعدات مالية، وأحيانا استخدمت وسائل التخويف والتهـديد، ونجحت فى صرف بعض المسلمين عن الاسلام. ظهر نشاط الهنـادك هـــذا فى عام ١٩٧٥ م فى ولايـــة

راجستهان، واستمر الى عام ١٩٩٠ م ولا يستبعد أن يعود من جديد، لا سمح الله. و هذه الأحزاب الهندوكية تدعى أنها نجحت فى تحويل أكثر من أربعين ألف مسلم الى الهندوكيـة فى ظرف عشر سنوات. وقـد نشرت مجلة أردية معاصرة تقريرا عن حركة الارتداد فى راجستهان يفيد بأن الأحزاب الهندوكية المتطرفـة تبالغ فى عدد المرتدين لتعزيز موقفها بين الهنادك، ولكسر معنويـة المسلمين فى البلاد. وقد أشار التقرير الى أن المنظمات الاسلامية فى «راجستهان» تصدت لحركة الارتداد، و نجحت فى تثبيت المسلمين على الاسلام. ولكن على المسلمين أن يتابعوا الأحداث، ويراقبوا النشاط المعادى لهم حتى لا يفاجئوا بما لا يسر. وهـذا التقرير لم يشر الى نوع من موجـة الارتداد الكبيرة، ولكنه حذر من النشاط المعادى الذى يقوم به حزب ر. س. س. والأحزاب المعاونة لها بصدد مضايقة المسلمين وتهديدهم.

والنحلة القاديانية مركزها و منشأها فى قاديان بولاية بنجاب. والقاديانيون منتشرون فى مختلف أنحاء الهند، وقد سمعنا أنهم يمارسون الآن نشاطهم فى شمال الهنـد وشرقها فى الحدود المتاخمة لمملكة نيبال. و حيث يوجد تنقل حر دون جواز سفر بين الهند و نيبال فإنهم يدخلون نيبال، و ينشرون هناك نحلتهم بين المسلمين الفقراء، وذلك بتقديم دعم مالى لهم. ونشاطهم هـذا يبدو أقوى من نشاط الشيعة، ولكن مع ذلك لا يعتبر نشاطا مكثفا غير عادى.

وهـذا البيان مبنى على التقارير الواردة فى بعض الجرائد والمجـلات والمقالات المنشورة فيها، وعلى اجابات العلماء الذين اتصلت بهم واستفسرتهم عن هذا الموضوع. ولا تزال الحاجة ماسة الى دراسة ميدانية تتم فيها زيارة المناطق التى يخشى فيهـا ظهور حركة الردة، للاطلاع على ما يجرى فيهـا من النشاطات المعادية للاسلام.

والمتتبع لأحوال البلاد يعرف أن دور المدارس و المنظمات الاسلاميـة مهم جـدا فى الحفاظ على الكيان الاسلامى والشخصية المسلمة فى هذه المنطقة،

و تتجلى هذه الأهمية حينما ندرس أحوال المناطق التى تقع فريسـة لحركة الردة أو للطوائف المناهضة للاسلام ، فإن المسلمين فى هذه المناطق يفشو فيهم الجهل بالدين ، وتتغلب عليهم النزعة المادية ، ويتلاشى عندهم الشعور بالمسئولية الأخروية .

وهـذه المدارس و المنظمات تحسنت أحوالها كثيرا بالدعم الذى يحصل لها من المحسنين فى البـلاد العربية . ولـكن عديـدا من هذه المدارس و المنظمات لا تحسن التصرف فى الأموال التى تحصل عليها باسم الدين ، بل ترفع بها مستواها المعيشى ، وتنفقها على الأقارب .

ولدى هــذه المدارس و المنظمات اتجــاه قوى الى انشاء المبانى الضخمة الكبيرة بالمساعدات الحاصلة ، وهذا يضر الاسلام والمسلمين من ناحيتين . الأولى أن الناحية المعنوية تغيب عن الأذهان ، فالناس يفتخرون بالمبانى العالية ، ويهملون ناحيـة بناء السيرة و التحلى بالأخلاق الفاضلة ، ولذلك نرى أن الأغلبية من المسلمين لا تزال بعيدة عن أحكام الدين ، وتمـارس علنا أعمال الشرك والبدع . فالواجب على المسئولين عن المدارس والمنظمات أن يهتموا ببناء السيرة وبالتزام النـاس بأحكام الدين. اننا نرى فى البلاد مساجــد كثيرة عمرت بالمساعدات الخارجية ، ولـكن لا نرى الناس يعمرونها بالصلوات والذكر والتلاوة .

والثانيـــة أن المبانى الفخمة فى المناطق الفقيرة تلفت أنظار غير المسلمين ، وتعطيهم فكرة سيئة عن المساعـدات التى تحصل للسلمين ، وتحمل الأشرار من الكفار على اشاعـــة المفتريات ضد المسلمين ، وعلى تحريض المخابرات ضدهم ، وعلى اختلاق الأباطيل والأكاذيب .

والله نسأل أن يرزقنا الحـكمـة والبصيرة ، وينصرنا على أعداء الاسلام ، وصلى الله على رسوله وسلم .

■■

خطبة الجمعة وأهميتها فى الإسلام

بقلم : سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل
الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوى
امام وخطيب المسجد الحرام

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، محمد وآله وصحبه . وبعد :

فلقد عنى الإسلام بتبصير الناس ، وتذكيرهم بدينهم ، وبيان أصوله ومقاصده ، وشرح محاسنه ومزاياه ، وترسيخ ذلك فى نفوس الناس ، وحثهم على الالتزام به ، والتقيد بأوامره ونواهيه على الدوام والاستمرار .

لذا شرع الإسلام مواعظ موسمية ، أوجب بعضها ، واستحب البعض الآخر منها ، وكان من أعظم هذه المناسبات الوعظية الدعوية التى شرعها الإسلام ، وأوجبها فى كل أسبوع مرة ، إقامة صلاة الجمعة التى هى من أكبر فروض الإسلام ، ومن أعظم مجامع المسلمين ، وفيها من الفوائد العظيمة ، والمنافع الكثيرة ، للفرد المسلم ، وللمجتمع الاسلامى ، ما لايمكن حصره ، أو يستطاع عده ، وإن من أعظم منافع صلاة الجمعة ما شرع الاسلام فيها من خطبتين هما شرط لصحتها ، وقد وضع الشارع لها أصولا وضوابط ، متى ما التزم بها ، وعمل بمقتضاها ، تحققت منها المقاصد الشرعية التى أرادها الشارع من مشروعيتها ، وإن الاخلال أو التقصير فى شيء من تلك الأصول والضوابط ، يضعف الهدف

من مشروعيتها؛ ويقلل الفائدة المأمولة منها.

هذا وإن الكلام عن خطبة الجمعة، وأهميتها فى الإسلام، وعناية الشارع بها يقتضى تركيز الكلام عنها من أمرين رئيسيين هما:

١ — الخطيب. ٢ — الخطبة.

الأمر الأول: الخطيب.

هو العنصر الأساسى فى خطبة الجمعة فبقدر أهليته لهذه المسؤولية الدعوية الجليلة، يتحقق الأثر الأكبر، والنفع الأعظم منها.

لذا فقد أولى الاسلام خطيب الجمعة أهمية كبرى، وعناية عظمى، يظهر ذلك واضحا فى قيـــام النبى ﷺ بهذا الأمر بنفسه، وعدم اسناده إلى غيره طول حياته عليه الصلاة والسلام، وهكذا سار على نهجه، وسلك هديه، خلفاؤه الراشدون من بعده، وكذا من بعدهم من خلفاء الدولة الاسلامية، وأمرائها على البلدان، كانوا يتولون خطبة الجمعة بأنفسهم، كما كان يسند أمرها على مر العصور الاسلاميـة وفى مختلف البلدان والأمصار إلى أعيـــان العلماء ومشاهير الدعاة الذين اشتهروا بغزارة علمهم، وسعة فكرهم.

ولكى تتحقق المقاصد الشرعية من خطبة الجمعة فإنه يجب أن يعنى باختيار الخطباء الأكفاء، وتهيئتهم لهذا العمل الجليل الذى هو من أجل مقـامات الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

ويجدر ألا يولى هذا الأمر إلا لأفضل الناس علمـــا، وأعمقهم فقهـا، وأبعدهم نظرا، وأوسعهم فكرا، ممن يتصف بالحلم والأناة، والحكمة والرزانة، والصلاح والاستقامة، والأخلاق الكريمة، والشمائل الحميدة، ليكون قدوة لغيره،

وإسوة لأهل بلده ومجتمعه، بأفعاله وأقواله، فإن ذلك أحرى فى انتفاع الناس بوعظه وتذكيره، وقبولهم لنصحه وتوجيهه.

ومما ينبغى أن يتصف به الخطيب أيضا أن يكون ذا قدرة جيدة على إلقاء الخطبة، مع فصاحة اللسان، وسلامة المنطق والبيان، وقوة الصوت، و رباطة الجأش، وغير ذلك من الصفات التى يحسن الاتصاف بها.

الأمر الثانى: الخطبة.

اهتم الشارع الحكيم بخطبة الجمعة إهتماما بالغا، واعتنى بها اعتناء كثيرا، ومن مظاهر ذلك ما يأتى:

١ — الحث على التبكير فى الحضور إلى صلاة الجمعة، والاستماع إلى الخطبة، والترغيب فى ذلك، وبيان ما فيه من الثواب الجزيل، والاجر الكبير، فمن الأدلة على ذلك قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله و ذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ والمراد بالذكر هنا: خطبة الجمعة.

وأما الأحاديث فى ذلك فهى كثيرة منها: قوله عليه الصلاة والسلام: «من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته، ثم يصلى معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام» رواه مسلم فى صحيحه.

٢ — وضع الحماية والحصانة لخطبة الجمعة، حيث أوجب الشارع الانصات والإصغاء أثناء إلقائها، ونهى عن الانشغال عنها، أو التشويش على المستمعين لها.

وقد رتب الشارع على الاستهانة بهذه الحرمة، وعدم رعاية هذه الحصانة،

ذهاب فضيلة الجمعة وثوابها ، عمن فعل ذلك ، عقوبة لـه و زجرا ، وفى هذا يقول العلامة ابن القيم رحمه الله فى كتابه « زاد المعاد » عند ذكر هديه ﷺ فى صلاة الجمعة : « وكان يأمر الناس بالدنو منه » ويأمرهم بالانصات ، ويخبرهم أن الرجل إذا قال لصاحبه : أنصت فقد لغا ، ويقول « من لغا فلا جمعة له » وكان يقول عليه الصلاة والسلام : « من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذى يقول له : أنصت ، ليست له جمعة » رواه الامام أحمد (١ / ٢٣٠) .

هذا ، وإن من أهم ما يجب التركيز عليه من أمور الخطبة ما يلى :

أولا : زمن الخطبة ، وأسلوبها .

ينبغى أن يكون زمن الخطبة قصيرا ، فإن خير الكلام ما قل ودل ، ولم يطل فيمل ، كما قاله الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه .

أما من حيث الأسلوب فحرى بالخطيب أن يكون أسلوبه فى خطبته أسلوبا عربيا فصيحا ، واضح الدلالة على المعنى المراد ، بعيدا عن الاغراب فى الكلام ، وتكرار المعانى ، والحشو فى الألفاظ ، فيتخير من الألفاظ أجزلها ، ومن العبارات أسلسها ، بحيث لا يخفى على ذوى الافهام العادية ، والمعرفة المحدودة ، المراد من كلامه ولا يستهجن العالم والمثقف عباراته وأسلوبه .

كما ينبغى للخطيب أن يعنى برفع صوته أثناء الخطبة قـدر طاقته ، وأن يلقيهـا بحماس واهتمام ، فإن لحسن الالقـاء أثره الكبير فى جذب انتبـاه المستمعين وإصغائهم .

وقد كان من هديه ﷺ فى خطبته أنه إذا خطب احمرت عيناه ، واشتد غضبه ، وعلا صوته .

هذا وإن الايجاز فى الخطبة والاختصار فيها أحرى بإدراك السامعين لها، وتأثرهم بما يلقى فيها من نصائح وعظات، و توجيهات و إرشادات، بخلاف الاطالة فإنها مدعاة للسآمة و الملل، مهما بلغ الخطيب من الفصاحة والبلاغة، وحسن البيان، ومهما كان الموضوع من الأهمية بمكان، مما قد يفوت المقصود، أو يقلل من حصول الهدف المنشود.

ولقد كان هديه عليه الصلاة والسلام، فى خطبة الجمعة الاختصار وعدم الاطالة، كما فى خطبه المروية عنه ﷺ وكما جاء وصفها فى بعض الأحاديث بأنها كلمات يسيرات، كما فى الحديث الذى رواه أبوداود فى سننه عن جابر بن سمرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ: «أنه كان لا يطيل الموعظة يوم الجمعة وإنما هى كلمات يسيرات» وقد أكد عليه الصلاة والسلام هذا الفعل بالأمر بالاختصار فى الخطبة، وعدم الاطالة فيها كما فى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه». وجاء فى بعض الروايات بعد هذا قوله عليه الصلاة والسلام «فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحرا» وزاد الطبرانى وغيره «وانه سيأتى بعدكم قوم يطيلون الخطب ويقصرون الصلاة» و روى الطبرانى فى معجمه الكبير أن النبي ﷺ كان إذا بعث أميرا قال له «أقصر الخطبة وأقلل الكلام فإن من الكلام لسحرا».

قال العلامة الشوكانى فى نيل الأوطار: «وإنما كان إقصار الخطبة علامة من فقه الرجل لأن الفقيه هو المطلع على جوامع الألفاظ، فيتمكن بذلك من التعبير باللفظ المختصر على المعانى الكثيرة».

لايعلم أكثرهم عنها شيئا ، لكونها فى مجتمعات أخرى غير مجتمعهم .

وأسوأ من ذلك أن يعتمد موضوع الخطبة على ما قد تنشره بعض المصادر غير الموثوقة كالاعتماد على ما تذكره بعض الصحف والمجلات ، خصوصا الأجنبية من آراء وأفكار .

وإن التحدث عن تلك القضايا المشار إليها قد يكون له مردوده السيء على المخاطبين ، لأنه ربما كانت أذهان أكثرهم خالية عنه ألبتة ، فحينما يتحدث عنها خطيب الجمعة قد يحمل البعض على البحث عنها ، والتعرف عليها ، ويكون عليهم من الأضرار والمفاسد فى ذلك أعظم من ضرر السكوت عن بيانها ، والتحذير منها إن كان فيها شيء من الضرر .

وختاما نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدى الخطباء والدعاة إلى ما فيه عز الإسلام والمسلمين ، وأن يوفق جميع المسلمين للتمسك بدينهم والاهتداء بهدى نبيهم ، إنه تعالى سميع مجيب ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

النواب صديق حسن خان الحسنى البخارى القنوجى ومو قفه من التقليد والايمان

بقلم : الدكتور أختر جمال محمد لقمان
الأستاذ فى دار الحديث بمكة المكرمة

هل التقليد يكفى لصحة الايمان ؟

ان هذه المسألة قد اختلف فيها النـاس ، و تناقضت فيها المذاهب ، فمنهم من يرى أن التقليـــد المحض يفيد فى الايمان بالله ، بينما الآخرون يذهبون الى أن الايمان لايعتد به الا اذا كان عن استدلال .

بل يزعم البعض أنه لايصح الا بعد معرفة الأدلة من علم الكلام ، حتى بالغ البعض ، فكفر واعوام المسلمين ، يقول القنوجى :

« الطرف الأول : قول من قال : يكفى التقليد المحض فى اثبات وجود الله تعالى ونفى الشريك منه . . . . ومنهم من بالغ فحرم النظر فى الأدلة » .

والطرف الثانى : قول من وقف صحة ايمان كل أحد على معرفة الأدلة من علم الكلام .

كما يستشهد بالغزالى[1] : أسرفت طائفة فكفر واعوام المسلمين ، و زعموا

(١) فيصل التفرقة ص ٢٠٢

أن من لم يعرف العقائد الشرعية بالأدلة التى حرروها فهو كافر ، فضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلو الجنة مختصة بشرذمة يسيرة من المتكلمين »[١].

والقنوجى يرى أن المسألة تحتاج الى البسط والتفصيل ، واجتناب الافراط و التفريط ، فلا يجوز اطلاق القول بحرمة التقليد ولا بحرمة النظر ، بل النظر لأهل العلم و المعرفة وأهل الحاجة إليه ، والتقليد لمن دونهم ، يقول مستشهدا بحافظ صلاح الدين العلائى[٢] :

« من لا له أهلية لفهم شىء من الأدلة أصلا و حصل له اليقين التام بالمطلوب ، اما بنشأته على ذلك ، أو لنور يقذفه الله تعالى فى قلبه ، فانه يكتفى فيه بذلك .

ومن فيه أهلية لفهم الأدلة لم يكتف منه الا بالايمان عن دليل ، ومع ذلك فدليل كل أحد بحسبه ، وتكفى الأدلة المجملة التى تحصل بأدنى نظر ، ومن حصلت عنده شبهة وجب عليه التعلم الى أن تزول عنه »[٣].

فالقنوجى يرى صحة ايمان المقلد ، وذلك بعد جزمه بوجود الله كجفاة العرب الذين أسلموا بغير أن يعرفوا الأدلة عليه . يقول : « المطلوب من كل أحد التصديق الجزمى الذى لاريب معه بوجود الله تعالى ، والايمان برسله وبما جاءوا به كيفما يحصل ، و بأى طريق إليه يوصل ، ولو كان عن تقليد محض ،

(١) عون البارى ٥٦٥/٦ ، الدين الخالص ١٣٣/١

(٢) هو الشيخ الامام العلامة الحافظ صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدى العلائى الدمشقى ، برع فى الحديث ومعرفة الرجال والمتون والعلل ، توفى فى ٧٦١ بالقدس الشريف ، ذيل تذكرة الحفاظ ، . . . للسيوطى ص ٤٣ ، الدر الكامنة ٩٠/٢ ، التنبيه والايقاظ للحسينى ص ٣٦٠

(٣) الدين الخالص ١٤٧/١ ، عون البارى ٥٧٤/٦

اذا سلم من التزلزل ، و احتج بعضهم بما تواتر عن النبي ﷺ ثم الصحابة أنهم حكموا باسلام من أسلم من جفاة العرب ، فقبلوا منهم من غير التزام بتعلم الأدلة »[1] .

هذا وقد هاجم الذين يشترطون النظر ، ويقولون إن الايمان لا يتصور الا اذا خرج الانسان عن دائرة التقليد ، وقال إنها جريمة فى وجه الأمة الاسلامية .

يقول نقلا عن الشوكانى[2] : « فيا لله العجب من هذه المقالة التى تقشعر بها الجلود وترجف عند سماعها الأفئدة فانها جناية على جمهور هذه الأمة المرحومة وتكليف لهم بما ليس فى وسعهم ولا يطيقونه ، وكفى الصحابة الذين لم يبلغوا درجة الاجتهاد ولا قاربوها الايمان الجلى ولم يكلفهم رسول الله ﷺ وهو بين أظهرهم بمعرفة ذلك ولا أخرجهم بذلك عن الايمان بتقصيرهم عن البلوغ الى العلم بذلك بأدلته »[3].

وأغرب من هذا أن من ينكرون التقليد فى زعمهم ، يدعون الى تقليد أصولهم التى أستوردوها من فلاسفة اليونان ، وهم لا يعرفون ذلك ، فهؤلاء يشبهون فى وادى الجهل والضلال .

يقول القنوجى : « والعجب أن من اشترط ذلك من أهل الكلام ينكرون التقليد وهم أول داع إليه ، حتى استقر فى الأذهان أن من أنكر قاعدة من القواعد التى أصلوها فهو مبتدع ولو لم يفهمها ولم يعرف مأخذها ، وهذا هو

(١) الدين ١/١٤٢ ، عون البارى ٦/٥٧٠

(٢) ارشاد الفحول ص ٢٦٦

(٣) الانتقاد الرجيح ص ٧٠

التصديق الجازم أول ما تبلغه الدعوة »[١] .

وقال الشوكانى : « ومن أمعن النظر فى أحوال العوام وجد ايمانها صحيحا فان كثيرا منهم نجد الايمان فى صدره كالجبال الرواسى ، ونجد بعض المتعلقين بعلم الكلام المشتغلين الخائضين فى معقولاته التى يتخبط فيها لا يزال ينقص ايمانه وتنتقض فيه عروة عروة ، فان أدركته الألطاف الربانية نجا والا هالك ، ولهذا تمنى كثير من الخائضين فى هذه العلوم المتبحرين فى أنواعها فى آخر أمره أن يكون على دين العجائز »[٢] .

وقال علاء الدين السمرقندى[٣] : « وأما التقليد فى التوحيد وأمور الدين ففيه كلام بين أهل الأصول . . . . والصحيح أنه متى وجد الاعتقاد والجزم على طريق التقليد من غير شك وارتياب ، فانه يكون ايمانا صحيحا »[٤] .

---

(١) لوامع أنوار البهية ٢٦٩/١

(٢) ارشاد الفحول ص ٢٦٦

(٣) هو محمد بن أحمد أبو بكر علاء الدين السمرقندى صاحب « تحفة الفقهاء » شيخ كبير فاضل ، الفوائد البهية ص ١٥٨

(٤) ميزان الأصول ص ٦٧٦

الشعر الإسلامي :

قصيدة أسماء الله الحسنى

++++++++++++++++++++

بقلم : الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رح

++++++++++++++++++++++++++

المقدمة

الحمد لله القائل « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » وصلاة الله وسلامه على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان أما بعد فيقول العبد الفقير لرحمة ربه محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الحسيني اطلعت على قصيدتين في أسماء الله الحسنى إحداهما للحافظ الضمياطي المصري رحمه الله التزم فيها أن يجعل كل بيت مشتملا على اسمين والثانية للعلامة أحمد بن عبد العزيز الهلالي لم يلتزم فيها عددا خاصا في كل بيت فيشتمل البيت الواحد على ثلاثة أسماء أو أربعة وظهر لي ان انظم قصيدة تشتمل على أسماء الله الحسنى و التزم إسما واحدا في كل بيت و الباقي دعاء فيسر الله ذلك ونظمتها في العاشر من ذي القعدة سنة ١٣٩٧هـ، والله أسال ان ينفعني بها وينفع بها من شاء من عباده الصالحين .

بدأت باسم الاله الواحد الأزلي ... ذا الفضل والجود والاحسان لم يزل

ثم الصلاة على محمد وعلى ... آل النبي ذو الإكرام والنزل

لله أسماؤه الحسنى فسائله ... بها بصدق يكون الخير فيه جلي

نظمتها قاصدا وجـه الاله بها مسهـلا حفظها للسـائلين ولى
فقات والله أسأل الإعـانـة فى ما قد قصدته والتوفيق فى عملى
إنى من الله أرجو اليسر فى عجل و أن ينجينى ربى من الوجل
و أنت رحمانتا دنيا وآخـرة فارحم بفضلك ضعفى أعطنى أملى
ويا رحـيما بكل المؤمنين أجب دعاء عبـد ضعيف لج فى الزلل
يا مالكا عبـدك المضطر مبتهل إليك ما لى سواك مبرى عللى
قدوس طهر فؤادى كى أكون على هـدى وذكرك ربى دائما شغلى
و ياسلام سلامات تصـاحبنى من كل سوء ومن عيب ومن خطل
يا مؤمنا أعطنى أمنـا وعافيـة طول الحياة ويوم الهول والخجل
ويا مهيمن أمن جمعنا أبدا من المخاوف فى التفصيل والجمل
ويا عزيزا لك العز العظيم لجـد لنا بعز إلى الآبـاد متصـل
جبار إنى كسير أنت تجبرنى واكسر عداتى فى الابكار والأصل
النهـنـا متكبر نعظـمـه فمن تكبر فاردده إلى السفل
ياخالق الخلق هب لى خيرهم أبد وكف عنى أذى ذى المكر والحيل
يا بارئا جـد ببرء منك فى عجل والبس الجسم منـه سابغ الحلل
و يا مصور حبب لى دعـاك فما إن يعترى طلـبى شىء من الملل
غفـار فاغفر ذنوبا أنت تعلمها قـد أوقعتنى فى خسر و فى خلل
قهار فاقهر عـدوا ظل يحقرنى حتى يرى فى الورى أدنى من الجعل
وهاب هب لى رزقا واسعا غدقا و العلم والفقـه مقرونين بالعمل

رزاق إنى فقــير أنت ترزقــنى ... فيسر الرزق وابعثــه عـلى عجل

فتــاح أسالك الفتح المبين لــكى ... تردى عـداتى وإن كانوا على القلل

عليم جــد لى بعلم منـك يحملنى ... على التقى واحمنى من عصبة الجدل

ياقابض اقبض عـدوا جاء يختلنى ... واضربه بالضر والإفلاس والخبل

يا باسط الجود والنعماء تبسط لى ... رزقى وأنفقــه فى أحسن السبــل

ياخافض اخفض عداة الذكر كلهم ... و رافضين حــديث أفضل الرسل

يـا رافع ارفع لنـا ذكرا ومنزلة ... بقفونـا المصطفى فى القول والعمل

أنت المعز فمن أعززتـه ارتفعت ... رايات نصر لـه فى السهل و الجبل

أنت المـذل فمن أذللتـه انهزمت ... أجنــاده وهوى فى شــر مدخل

ويا سميع الدعــا أدعوك مبتهلا ... و أنت ربى مجيب كل مبتــهــل

ويا بصير بحـالى قـد مضى بصرى ... هب لى البصيرة كى أنجو من الخطل

إنى إلى الحـكم الأعلى أحاكم من ... بغى عــلى ولم يصغى إلى عــذل

فربنا العـدل من قد جـاء يظلمنى ... خــذه بالقصم والإتلاف والعلل

الطف بنا يالطيف فى الحياة وجد ... بحسن خاتمــة عند انقضا الأجل

وهب لنـــا يا خبير خبرة وحجى ... به نسير بجــد دون ما كسل

وهب لنا ياحليم الحلم حين نرى ... من بعض إخواننا شيئا من الزلل

أنت العظيم فعظم أجرنـــا كرما ... وجـــد علينـــا بفضل غير منتقل

أنت الغفور فهب لى منك مغفرة ... لـكل ذنب و هب لى أعظم النحل

ويـا شكور اجعلنى شـاكرا أبدا ... لمـــا مننت بــــه و أعطنى سؤلى

واعل قدرى يا على عنـدك ثـ ... ـم عند كل الورى من سافل وعلى

ويا كبير اجعل الاكبار يصحبنى ... واصغر القرن واجعلـه من السفل

ويا حفيظا عـلى الأشياء أجمعها ... بارك جهودى واحفظنى من الفشل

ويـا مقيت فيسر قوتنـا أبـدا ... من الحلال ونجنـا من البخل

أنت الحسيب فحسبى أن أنال رضا ... ك كنت فى حزن أم كنت فى جذل

ويـا جليل فأعط حزبنـا أبـدا ... عز الجلالة واحفظـنا من الوجل

ويـا كريم العطـايا نحن فى ظما ... فأعطنـا الورد فى نهل وفى علل

أنت الرقيب فجد بالستر منك على ... مـا كان منى من ذنب ومن خلـل

ويا مجيب الدعا أجب دعائى واحـ ... ـفظنى بفضلك من ذل ومن خجل

يا واسع الجود وسع رزقنا أبدا ... وامنن علينـا بخل ناصر وولى

ويا حكيم فهب لى حكمة وهدى ... وامنن بنصر مبين شـافيـا غللى

ويا ودود فهب لى الود أجمعـه ... حتى أفوز بشوق جـد مكتمـل

ويا مجيـد فمجـدنا بذكرك فى ... عسر ويسر بـلا عجز ولا مـلـل

يا باعث ابعث لنا النصر المبين على ... محاربين لدين الحـق فى عجـل

أنت الشهيد على قوم طغوا وبغوا ... وحاربوا دين خير الخلق والرسل

يا حق أعداء دين الحق قد غدروا ... وحاربوا نشره بالمكر والحيـل

ويا وكيل عليك اليوم معتمدى ... فكن نصيرى واحفظنى من الخطل

ويا قوى فقو اليـوم زمرتنـا ... على الجهاد بجد دونما كسل

ويـا متين فآت حزبنـا أبـدا ... واجعلـه كالطود دوما شامخ القلل

ويا ولى تولنا بنصرك واجـ ـعل من يحاربنا يسير فى الوحل
ويا حميد فوفقنا لحمدك فى عسر و يسر وفى أمن وفى وجل
وأنت محص لمن عادى الهدى أبداً فأوقعنهم بما كادوه من دخل
يا مبدئ أعطنا أمناً وعافية إذا أقمنا و فى الأسفار و النقل
و يا معيد أعد للدين صولته كما تقدم فى أسلافنا الأول
و أنت محيى الرفاة أحى أنفسنا بسنة المصطفى فى القول و العمل
ويا مميت اجعل التهليل يصحبنا عند الممات لكى ننجو من الخجل
يا حى أحى فؤادى كى أكون على نهج السلامة فى حلى و مرتحلى
يا رب انك قيوم فلا أحد يقوم إلا بما توليه من نحل
يا واجد جد لنا طرآ بمعرفة بها نحل الذى استعصى من العضل
يا ماجد هب لنا مجداً يميزنا عن الألى قد غدو من زمرة الهمل
يا واحد هب لنا التوحيد أجمعه واجعله حليتنا ننجوا من العطل
وأنت يا ربنا الهنا أحد لا يرتضى الشرك إلا كل ذى خبل
يا فرد أنت بخلق الخلق منفرد فمن يوحدك يبلغ غاية الأمل
وأنت يا صمداً من يقصدنك يفز بكل خير على الآمال مشتمل
وأنت يا قادر قدر لنا ظفراً على الذين بغوا من جملة الدول
وأنت مقتدر بالحلم متصف فاغفر لنا ذنبنا يا غافر الزلل
ويا مقدم قدم وفدنا أبداً واجعل على فضلك المرجو متكل
و يا مؤخر أخر من يحاربنا واجعله يا سيدى فى زمرة السفل

يا أول اجعل مقامى أولا كرماً ... و حبك اجعله لى أحلى من العسل

يا آخر أخرن أعداءنا أبداً ... و جد علينا بنصر جد مكتمل

يا ظاهر أظهرن حزب الرشاد على ... من جاء يخدعهم بالخبث و الدخل

يا باطن فاجعلن باطنى أبداً ... خلواً من الغم و الأضغان والدغل

وأنت والى الألى يستنصرون على ... أعدائهم بك فى الأبكار و الأصل

يا ربنا المتعال فاحنا أبداً ... من كل ذى إحن للرشد منتحل

ومنك يا بر أرجو البر يغمرنى ... حتى أجىء غداً فى أفضل الثلل

تواب تب و تقبل و اكفنا أبداً ... أذى ذوى الشر من حاف و منتعل

وأنت منتقم رب انتقم لى من ... كل العدا وارمهم بالذل و الهبل

ويا عفو إعف عن ذنبى فإنك ذو ... فضل عظيم على المستعتب الوجل

ويا رؤوفاً بكل المؤمنين أقل ... عثار عبد ضعيف مسرف خجل

يا مالك الملك هب لى بغيتى كرما ... وكف عنى أذى ذى البغى والخطل

يا ذا الجلال والإكرام اغفرن زللى ... وكن معى أبدا فى الحادث الجلل

يا مقسط هب لنا القسطاس يصحبنا ... إذا حكمنا بعدل دون ما خلل

يا جامع الناس فاجمع شملنا أبدا ... على الهدى باتباع أفضل الرسل

وأغننا يا غنى بالغنى كرما ... وامنن برزق يرى كالوابل الهطل

وأنت مغنى الورى والعبد فى ظمأ ... فاسقه عللا من بعد ما نهل

يا مانع امنع عبيداً يحتمى بك من ... ظلم العداة و أهلكهم على عجل

يا ضار إنى مضرور و مفتقر ... إلى رضاك فجد بالسول و الأمل

وأنت يا نافع انفعنى بمعرفة بها تزيننى من وصمة العطل
وأنت نور وقلبى مظلم وهل فامنن بنور وأمن مذهب وملى
وأنت هاد فجد لى بالهدى أبدا حتى أسير بلا خبط ولا وحل
ويا بديع السما والأرض خذ بيدى وسهل السير لى فى أقوم السبل
وأنت وحدك باق لا تزول ومن سواك يلقى الفنى فى السهل والجبل
يا وارث الأرض والآفاق جد كرما بحسن خاتمة عند انقضا أجلى
ويا رشيد بنهج الرشد تسلكنى حتى أجيء غداً فى أحسن الحلل
ويا صبور فهب لى الصبر أجمله على النوائب فى حلى ومرتحلى
ويا مغيث الورى لا أستغيث سوا ك إن غوثك لى يغنى عن الخول
ويا قريب بنيل القرب منك فجد إنى ببابك ما لى عنه من حول
إنى بأسمائك الحسنى دعوتك لا يخيب فيك الرجا يا واحدا أزلى
ثم الصلاة وتسليم يصاحبها على الذى جاءنا بأفضل الملل
محمد المصطفى والآل كلهم ما أترب العيس حاد سار بالابل

★

ابو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى
(٤٠٧ — ٤٩٠ ﻫ)

ثقافته المتنوعة وآثاره الخالدة
++++++++++++++++++++++

(الحلقة السادسة والأخيرة)

الدكتور محمد إبراهيم محمد هارون
الجامعة السلفية، بنارس

١٨ — الحجة على تارك المحجة :

إن كتاب الحجة — المؤلف فى موضوع الاعتصام بالكتاب والسنة ولزوم اتباع ما فيهما — كتاب فريد فى بابه، نفيس فى موضوعه ومادته، لم يسبق أحد من العلماء — حسب علمى — قبل أبى الفتح إلى تاليف كتاب بهذا الاسم والموضوع.

وهو يتألف من مائة وستة عشر بابا تشمل أهم موضوع من موضوعات العقيدة وهو الاعتصام بالكتاب والسنة والحث على الاتباع والنهى عن الابتداع وذم الكلام وأهله.

ويحوى الكتاب ما يزيد على سبع مائة نص من أحاديث مرفوعة وآثار عن الصحابة والتابعين ومن دونهم من الأئمة، وبهذا التوسع الموضوعى الشامل أصبح الكتاب من أقدم المؤلفات فى الباب وأشملها موضوعا وأكثرها استيعابا بالمادة العلمية.

اعتمد المؤلف فيه على مصادر العقيدة الأصلية — كتاب الله وسنة رسوله ﷺ — وسلك مسلك المحدثين فى سوق الأحاديث والآثار وأقوال العلماء بالأسانيد المتصلة، مقتديا فى ذلك بعلماء السلف الذين سبقوه فى هذا المجال، فأورد الأدلة من الكتاب والسنة تحت عناوين دالة على المراد فى ايراد ذلك النص.

ومؤلف هذا الكتاب هو أحد كبار الأئمة الأعلام فى القرن الخامس وله جهود عظيمة فى خدمة العلوم الاسلامية حيث شارك فى أكثر من مجال، وقد وصف بالامام الحافظ المحدث الفقيه، فكونه محدثا تظهر شخصية الحديثية فى هذا الكتاب فقد جمع عددا كبيرا من الأحاديث والآثار المتعلقة بالموضوع لم يستوعبه كتابه آخر.

وتزداد أهمية وتمتاز من بين كتب المعاصرين الذين أمعنوا فى هذا المجال، فى كثرة أبوابه و تنوع مادته حيث عقد فيه المؤلف أبوابا لم يسبقه أحد من معاصريه من العلماء، ومن هنا تظهر درايته وتفقهه، فكان هذا الكتاب ثمرة ناضجة من ثمار هذا المحدث الفقيه.

ثم إننا نرى أن الآثار المروية عن الصحابة والتابعين ومن دونهم توجد فى الكتاب بكثرة حيث بلغ عددها تسعين وثلاث مائة أثر.

وهذه الآثار لها قيمة علمية كبيرة، فقد تعد وثيقة نفيسة وصورة حية صادقة لما كان عليه سلفنا الصالح من الصحابة و التابعين ومن بعدهم كما تحدد لنا موقف الأمة الاجماعى تجاه الفرق المنحرفة وأهل الأهواء الضالة.

فلذا يعتد هذا الكتاب مرجعا هاما لمعرفة هذه الآثار.

ثم إن المؤلف ـ رحمه الله ـ قد أودع فى الكتاب قسطا كبيرا من الأحاديث

أعلام الاسلام:

ابو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي
(٤٠٧ — ٤٩٠ هـ)

ثقافته المتنوعة وآثاره الخالدة

++++++++++++++++++++++

(الحلقة السادسة والأخيرة)

الدكتور محمد إبراهيم محمد هارون
الجامعة السلفية، بنارس

١٨ — الحجة على تارك المحجة :

إن كتاب الحجة — المؤلف في موضوع الاعتصام بالكتاب والسنة ولزوم اتباع ما فيهما — كتاب فريد في بابه، نفيس في موضوعه ومادته، لم يسبق أحد من العلماء — حسب علمي — قبل أبي الفتح إلى تاليف كتاب بهذا الاسم والموضوع.

وهو يتألف من مائة وستة عشر بابا تشمل أهم موضوع من موضوعات العقيدة وهو الاعتصام بالكتاب والسنة والحث على الاتباع والنهي عن الابتداع و ذم الكلام وأهله.

ويحوي الكتاب ما يزيد على سبع مائة نص من أحاديث مرفوعة وآثار عن الصحابة والتابعين ومن دونهم من الأئمة، وبهذا التوسع الموضوعي الشامل أصبح الكتاب من أقدم المؤلفات في الباب وأشملها موضوعا وأكثرها استيعابا بالمادة العلمية.

اعتمد المؤلف فيــه على مصادر العقيدة الأصلية ــ كتــاب الله وسنة رسوله ﷺ ــ وسلك مسلك المحــدثين فى سوق الأحاديث والآثار وأقوال العلمــاء بالأسانيــد المتصلة، مقتديا فى ذلك بعلماء السلف الذين سبقوه فى هذا المجال، فأورد الأدلة من الكتــاب والسنة تحت عناوين دالـة على المراد فى ايراد ذلك النص.

ومؤلف هذا الكتــاب هو أحد كبار الأئمة الأعلام فى القرن الخامس وله جهود عظيمة فى خدمة العلوم الاسلامية حيث شارك فى أكثر من مجال، وقد وصف بالامام الحافظ المحدث الفقيه، فكونه محدثا تظهر شخصية الحديثية فى هذا الكتاب فقد جمع عددا كبيرا من الأحاديث والآثار المتعلقة بالموضوع لم يستوعبه كتابه آخر.

وتزداد أهمية وتمتاز من بين كتب المعاصرين الذين أمعنوا فى هذا المجال، فى كثرة أبوابه وتنوع مادته حيث عقد فيه المؤلف أبوابا لم يسبقه أحد من معاصريه من العلماء، ومن هنا تظهر درايته وتفقهه، فكان هذا الكتاب ثمرة ناضجة من ثمار هذا المحدث الفقيه.

ثم إننا نرى أن الآثار المروية عن الصحابة والتابعين ومن دونهم توجد فى الكتاب بكثرة حيث بلغ عددها تسعين وثلاث مائة أثر.

وهذه الآثار لها قيمة علمية كبيرة، فقد تعد وثيقة نفيسة وصورة حية صادقة لما كان عليه سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم كما تحدد لنا موقف الأمة الاجماعى تجاه الفرق المنحرفة وأهل الأهواء الضالة.

فلذا يعتبر هذا الكتاب مرجعا هاما لمعرفة هذه الآثار.

ثم إن المؤلف ـ رحمه الله ـ قد أودع فى الكتاب قسطا كبيرا من الأحاديث

والآثار الواردة فى فضائل القرآن والاعتصام به، ممـا يجعلنا نقول إنه أيضا مصدر مهم للأحاديث والآثار الواردة فى فضائل القرآن.

وسبقت الإشارة فيما تقدم إلى أن المؤلف بصفة كونه أحد أئمة الشافعية الكبار وينسب إلى هذا الإمام الكبير من أئمة السلف، فقد أورد آرائه وأقواله فيما يتعلق بموضوع الكتاب.

والكتاب يعطينا صورة واضحة عن الواقع الذى كان يعيشه المجتمع الإسلامى فى عصر المؤلف من انتشار البدع والمنكرات و وجود كثرة الفرق المنحرفة و أهل الأهواء الضالـة مع محاولة لعلاجه وهو العودة بالأمـة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة.

كما يتميز هذا الكتاب بايراد عقيدة مفصلة لبعض الأئمة من السلف كأبى عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزى (ت ١٨١ هـ) وأبى عبد الله أحمد ابن محمـد بن حنبل الشيبانى (ت ٢٤١ هـ) وأبى نصر بشر بن الحـارث الحافى (ت ٢٢٧ هـ) ومحمد بن يحيى الذهلى (ت ٢٥٨ هـ) وأبى زرعة عبيـد الله بن عبـد الكريم الرازى (ت ٢٦٤ هـ) وأبى حاتم محمد بن ادريس بن المنذر الرازى (ت ٢٧٧ هـ) ومن هنـا قال الذهبى فى وصف الكتـاب أنه مجلد فى السنـة، وتبعه حاجى خليفة فى «كشف الظنون» فعرفه بقولـه: كتـاب يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة.

و أورده الكتانى فى «الرسالة المستطرفة» ضمن الكتب المؤلفة فى السنة.

وقد ألفت عدة كتب ومؤلفـات فى هذا القرن، وسلك مؤلفوها نفس المسلك ولكن أكثرهم لم يختاروا منهجا يجمع بين رواية الأحاديث والآثار بالأسانيد المتصلة الدالة على الاعتصام بالكتاب والسنة والنهى عن الخوض فى

الكلام وبين عرض أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة . لحوى هذا الكتاب عددا كبيرا من الأحاديث والآثار المتعلقة بموضوع الكتاب مع ذكر العقيدة السلفية الأصلية ، بخلاف كثير من الكتب التى لم تستوعب إلا جانبا واحدا .

والكتاب توجد له نسخة خطية فى دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم (٣١١٨٤) حديث (١٢٩٥) .

وتقع المخطوطة فى مائة وأربعين صفحة ، وصفحاتها تتراوح ما بين خمسة وعشرين إلى ثلاثين سطرا ، يتألف كل سطر من خمس عشرة إلى عشرين كلمة .

نسخها الشيخ محمد بن محمد الحريرى الحلبى نهار الأبصار مستهل سنة سبعة عشر وألف من الهجرة .

١٩ — جزء من حديثه :

جزء من حديث الفقيه الإمام العالم الزاهد أبى الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسى .

رواية أبى يعلى حمزة بن أحمد بن فارس السلمى عنه .

رواية الشيخ الأمين أحمد بن حمزة بن على السلمى عنه .

رواية الشيخ زين الدين أبى العباس أحمد بن عبد الدائم وأبى عبد الله محمد ابن عبد الهادى يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى عنه .

سماع منهما لعبد الحافظ بن عبد المنعم المقدسى .

هكذا جاء على غلاف النسخة الخطية الموجودة فى دار الكتب الظاهرية برقم (١١٠)[١]، ومنه نسخة مصورة فى مكتبة الجامعة الاسلامية برقم (١٥٧٣) .

(١) فهرس الظاهرية (٤٢٥) .

ويقع الجزء فى ثمان ورقات وفيه ثمان عشرة حديثا فى فضل العلم.

وناسخه محمد بن عبد الهادى يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى ، كتبه فى يوم الاثنين السابع من شهر صفر سنة ست وعشرين وسبع مائة.

وقد وصل هذا الجزء إلى الحافظ بن حجر فقال فى « المعجم المفهرس » أخبرنى به أبومحمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن عمر فيما قرأت عليه ، أنا محمد بن أحمد بن تمام ، وأبوبكر محمد بن الرضى ، وأحمد ابن الشحاع ، وأحمد بن على الجزرى ، ومحمد بن أبى بكر بن طرخان ، أنا ابن عبد الدائم قال : أخبرنا محمد بن إسماعيل خطيب مرو ، قال ابن الجزرى وابن الرضى حضورا وزاد ابن الفرضى ومحمد بن عبد الهادى حضورا قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن حمزة بن على الموازينى السلمى ، أنا أبو يعلى حمزة ابن أحمد بن فارس ، أنا الشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم به[١].

٢٠ ــ المجلس الحادى والتسعون بعد الثلاث مائة :

قال الحافظ ابن حجر فى « المعجم المفهرس » : أخبرنا أبوهريرة بن الذهبى اجازة ، أنبأنا القاسم بن المظفر بن عساكر سماعا قال : قرئ على كريمة بنت عبد الوهاب وأنا حاضر بسماعها ، عن حسان بن إبراهيم نا الفقيه أبو الفتح نصر به[٢].

٢١ ــ المجلس السابع والأربعون بعد الثلاث مائة :

ذكره الالبانى فى « الفهرس الظاهرية » وهو فى مجموع رقمه (١٣) ق ٩٤ــ٩٨[٣].

---

(١) المعجم المفهرس (١ / ١٢٨).

(٢) نفس المرجع (٢ / ٥٨٠).

(٣) فهرس الظاهرية (٤٢٥).

٢٢ — أربعة أحاديث من أماليه :

كذا ذكره الألباني في « الفهرس المذكور » وهو في مجموع برقم (١١٠) ق ٢٥٤—٢٦٢[١].

٢٣ — الأربعون من أماليه :

ذكره الألباني في « فهرس الظاهرية » و ذكر أنه في مجموع رقمه (٦٧)[٢].

قلت : لم أتمكن من الإطلاع عليه لعدم وجود مجموع بهذا الرقم في مكتبة الجامعة الاسلامية ضمن المخطوطات المصورة من دار الكتب الظاهرية بدمشق .

ولولا اختلاف رقمه عن الرقم الموجود على كتاب الأربعين له ، لاحتمل أن يكون كتاب الأربعين .

٢٤ — كتاب في نسب النبي ﷺ وقرابته :

ذكره بروكلمان في « تاريخ الأدب العربي »[٣] و ذكر أن له نسخة في المكتبة العامة في الجزائر برقم (١٨٠٣) .

٢٥ — كتاب في جمع طرق حديث قبض العلم :

ذكره الكتاني في « الرسالة المستطرفة »[٤] .

++++++++++++++

وبعد أن أعطينا فكرة مفصلة وشاملة عن بعض جوانبه الثقافية ، لا بد من التنويه أن ثقافته — رحمه الله — لم تقتصر في المجالات العلمية السابقة ، أو

(١) فهرس الظاهرية (٤٢٥) .
(٢) فهرس الظاهرية (٤٢٥) .
(٣) تاريخ الأدب العربي (١٧٩/٦) .
(٤) الرسالة المستطرفة (٨٣) .

الفنون المذكورة التى تقدم ذكرها ، بل حوت وشملت فنونا أخرى متعددة .

فقد ظهر لى من خلال إستعراض كتاب الاربعين له أن حظه من علم المؤتلف والمختلف أيضا كبير جدا .

فإن من لم يكن له نصيب وافر منه ، لا يمكن له أن يصدر أحكاما لها صلة بهذا العلم .

واكتفى بذكر بعض الأمثلة من الكتاب المذكور لتبرهن على ما قلت :

فقال عقب حديث سعد بن أبي وقاص : « من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا الخ . . . » .

قال : هذا حديث صحيح محفوظ من حديث أبي الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى امام مصر فى وقته ، عن الحكيم بن عبد الله بن قيس بن مخرمة — وحكيم — بضم الحاء ، وكذلك حكيم بن محمد بن قيس بن مخرمة ، ورزيق بن حكيم ، وعبد الله بن حكيم هو أبو بكر الداهرى ، وحكيم بن سعد أبو التحيا — بالتاء — والباقون بفتح الحاء كثير .

أخرجه مسلم وحده عن محمد بن رمح وقتيبة بن سعيد عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب بالحديث وقع إلينا عاليا من حديث عيسى بن حماد ، وقد حدث عنه مسلم فكان شيخنا أخبرنا عن رجل عن مسلم(١).

قال عقب حديث أنس : « صلاة الرجل فى بيته بصلاة ، وصلاته فى مسجد القبائل خمسة وعشرين . . . الخ » .

قال : هذا حديث غريب ما رواه عن أنس بن مالك إلا رزيق ، هذا الراء غير منقوطة قبل الزاى منقوطة وأيضا رزيق مولى لعمرو ، ورزيق بن حيان ،

(١) كتاب الاربعين (٨) .

و رزيق بن كريم ، و رزيق بن حكيم ، وهشيم بن رزيق المالكى ، ومحمد ابن رزيق بن جامع ، وعبد الله بن رزيق البصرى وهو ابن أبي جزء ، و رزيق ابن الورد ، وأحمد بن عبد الله بن رزيق البغدادى جد شيخنا أبي الحسين محمد بن مكى من قبل أمه ، كلها مشتق من الرزق بالراء قبل الزاى ، وما بقى من الرجال فهو بالزاى قبل الراء إلا أنه مختلف فى رزيق بن شعيب .

تفرد فى هذا الحديث عن رزيق أبو الخطاب الدمشقى ، وعنه هشام ابن عمار ومخرجه من دمشق[1].

وقال عقب حديث أبي الدرداء : « فرغ الله إلى كل عبد من خمس من رزقه وأجله الخ . . . » .

هذا حديث غريب من حديث أم الدرداء عن أبي الدرداء عويمر وغريب من حديث يونس بن ميسرة بن حلبس — بمهملتين فى طرفيه وموحدة — وله أخ يقال له أيوب من أهل دمشق وهناك آخر : يقال له حليس بن محمد وابنه غالب ، وحليس — بضم الحاء والياء — صاحب أبي هريرة ، تفرد به عنه الوزير بن الصبح الدمشقى[2].

كما تظهر براعته وإلمامه — رحمه الله — فى باب العقيدة لمن نظر فى كتابه « الحجة على تارك المحجة » فانه بصفة كونه صاحب عقيدة ومؤلف فى العقيدة ، أورد فيه قسطا كبيرا من عقائد علماء السلف ، حتى غطت هذه العقائد ثلث الكتاب المذكور كما ذكرنا فيما تقدم .

---

(١) المرجع السابق (٢٧) .
(٢) « « (٢٨) .

تسمية المفتين

بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة

(١)

بقلم : الدكتور سليمان بن عبد الله العمير
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة فى الجامعة الاسلامية
بالمدينة النبوية المنورة

المقــدمــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فهذا تقييد ينتظم تسمية المفتين فى مسألة : « الطلاق الثلاث بلفظ واحد وأنها تقع واحدة » دفعنى إلى جمعه ما رأيته من كثرة التشنيع على شيخ الاسلام ابن تيميــة ، وتلميذه ابن القيم — رحمهما الله تعالى — بسبب إفتائهما فى هذه المسألة ، ورميهما تبعا لذلك بالبدعة والخروج عن جادة السلف وخرق الاجماع و تحليل الفروج . إلى غير ذلك من التهم والأباطيل التى لا تصدر إلا من شخص قد تمزق فؤاده من خمود كلمته وانتشار علم هذين الشيخين الامامين على مر العصور والأزمان .

وقد ألف العلامة برهان الدين بن الامام شمس الدين ابن قيم الجوزية رسالة — وهى مطبوعة — فى اختيارات شيخ الاسلام ابن تيمية وما نسب إليه

فيه الانفراد عن بقية العلماء وقسمها أربعة أقسام. قال عن القسم الأول: وهو «ما يستغرب جدا فينسب إليه أنه خالف فيه الإجماع لندرة القائل به وخفائه على الناس لحكاية بعضهم الإجماع على خلافه» وذكر من أمثلة هذا القسم فى الطلاق فقط عشر مسائل منها: مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد. وكان قد قال قبل ذلك: لا نعرف له مسألة خرق فيها الإجماع. ومن ادعى ذلك فهو إما جاهل أو كاذب. انتهى[1].

وقد التزمت فى هذا التقييد ذكر كل من وقفت عليه منسوبا إليه الإفتاء بهذا القول — أعنى كون الثلاث واحدة — ولو مرة واحدة كشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، أو كان يفتى به أولا ثم رجع عنه كابن رجب الحنبلى، أو كان يفتى به أحيانا وبالقول الآخر أحيانا كالمجد ابن تيمية — رحم الله الجميع —.

وليس الغرض من هذا الجمع ترجيح هذا القول على ما ذهب إليه الجمهور من وقوع الثلاث، فقد كتب فى هذا الموضوع عدة مؤلفات، وصدرت فيه عدة فتاوى من الطرفين، ورجح كل فريق ما رآه، ولكل وجهة هو موليها «فليختار العاقل ما يوجب الإنصاف. ويختار جوابا يقدم به على رب العباد ولا يختار شيئا حمية ورياء، فإن الدنيا مفروغ منها وهى زائلة، فيتخذ لنفسه ما يصلح لرمسه، وليتخذ جوابا يقف به بين يدى الله عز وجل حين يقف حاسرا عريانا مكشوف الرأس حيرانا. فالدنيا جميعها ما تساوى فلسا. ولينصف حيث يحق الإنصاف، ولا يقل فى المسائل باجتهاد نفسه، فإن العلماء رعاة على دين الله والراعى مسئول عن رعيته... والحذر كل الحذر من أن يبيح ما حرم

(١) «اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١١)

أو يحرم ما حلل أو يتكلم فى صفات الله بغير علم أو يقول ما يخرج به عن الإسلام »[١].

وقد قدمت بين يدى هذا الجزء عشرة مباحث ، رغبة فى زيادة الإفادة والإيضاح وهى غير خافية على أهل العلم .

وهذا بيانها :

* المبحث الأول : تعريف الطلاق .
* المبحث الثانى : حكمه .
* المبحث الثالث : أدلة مشروعيته .
* المبحث الرابع : الطلاق فى الإسلام .
* المبحث الخامس : الطلاق عند الأجانب .
* المبحث السادس : أقسام الطلاق .
* المبحث السابع : أقوال أهل العلم فى مسألة الطلاق الثلاث .
* المبحث الثامن : نقض دعوى الإجماع فى هذه المسألة .
* المبحث التاسع : المصنفات فى هذه المسألة .
* المبحث العاشر : بعض الفوائد واللطائف المتعلقة بالمسألة .

المبحث الأول : تعريف الطلاق

الطلاق فى اللغة : هو التخلية . يقال طلقت الناقة : إذا سرحت حيث شاءت . والإطلاق : الإرسال . ويقال : طلقت المرأة ، وطلقت بفتح اللام

(١) « سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث » ليوسف بن عبد الهادى : (٨٠) .

وضمها ، تطلق بضم اللام وفتحها ، طلاقا و طلقة ، وجمعها : طلقات ، بفتح اللام لا غير ، فهى طالق ، وطلقها زوجها فهى مطلقة[١] .

وأما فى الشرع : فهو حل عقدة التزويج فقط[٢] .

المبحث الثانى : حكمه

ذكر بعض الفقهاء أن الطلاق تعتريه الأحكام التكليفية الخمسة :

فيكون حراما : إذا كان بدعيا كأن يطلقها فى الحيض أو فى طهر جامعها فيه .

ويكون مكروها : إذا وقع بغير سبب مع استقامة الحال .

ويكون واجبا : فى عدة صور كطلاق الحكمين فى الشقاق إذا رأيا ذلك ، وطلاق المؤلى بعد التربص إذا أبى الفيئة .

و يكون مندوبا : و ذلك عند تفريط المرأة فى حقوق الله الواجبة عليها مثل الصلاة ونحوها ولا يمكنه إجبارها عليها . أو تكون له امرأة غير عفيفة .

ويكون مباحا : إذا كان لا يريد المرأة ولا تطيب نفسه بتحمل مؤنتها من غير حصول غرض الاستمتاع بها[٣] .

(١) « المطلع على أبواب المقنع » : (٣٣٣) .

(٢) « فتح البارى » : (٣٤٦/٩) .

(٣) انظر « المغنى » : (٣٢٣/١٠ ، ٣٢٤) ، « طرح التثريب » : (٩٢/٧) ، « فتح البارى » : (٣٤٦/٩) .

« الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس »

فعد منها عشرة آداب :

الأول : رعاية المصلحة فى إيقاعه ، بعد التروى والتحاكم .

الثانى : إيقاعه فى حال الخوف من عدم إقامة حدود الله .

الثالث : أن لا يكون القصد بإيقاع الطلاق مضارة الزوجة .

الرابع : أن يطلق لداع لا يتأتى معه اتخاذها زوجة .

الخامس : أن لا يطلق ثلاثا دفعة واحدة .

السادس : أن يشهد على الطلاق .

السابع : أن لا يكون فى حال الغضب .

الثامن : أن ينوى الطلاق . لحديث : « إنما الأعمال بالنيات . . . » .

التاسع : أن يكون التطليق مأذونا فيه من جهة الشارع .

العاشر : أن يكون بإحسان ، لا بإساءة ولا بفحش من الكلام ، ولا بغى ولا عدوان[1] .

(البحث موصول)

---

(١) انتهى بتصرف من كتاب : « حياة شيخ الإسلام ابن تيمية » للعلامة الشام الشيخ محمد بهجت البيطار : (٤٦ — ٤٨) .

أثر الأندلس الإسلامية فى أوروبا من الوجهة العلميــة و الفنيــة

بقلم الأستاذ : محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

ليس هنـــاك طريق يوضح لنـــا مدى تأثير المسلمين فى « الأندلس » فى حضارة « أوروبا »، ومقدار ما قدموه لها من علوم و معارف وفنون وآداب انتقل الأوروبيون على ضوئها من ظلمات الجهالة و وحشية البداوة إلى نور الحضـارة ومدارج الرقى ، الا تصور حال « أوروبا » وما وصلت إليـــه عند ما أدخل العرب حضارتهم إليها .

إننا لو رجعنا إلى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين لوجدنا مراكز الثقافة فى «أوروبا» كانت عبارة عن أبراج يقطنها فئـــة من الناس يفخرون بأنهم أميون لا يعرفون القراءة والكتابة ، ولوجدنا أرباب العلم والمعرفة وقادة العلم كانوا من الرهبان المساكين الذين استبد الحق والجهل بعقولهم ، واستولى عليهم الطيش والتعصب الأعمى ، إلى حد أنهم كانوا يقضون أغلب أوقاتهم فى كشط كتب الأقـــدمين القيمة ، التى دونهـــا العرب من عصارة تفكيرهم ، وخلاصة تجاربهم عدة قرون ، ليتكون لديهم بعد ذلك مجموعـــة من الصحائف والرقوق تفيدهم فى نسخ كتب العبادة.

يقول جوستـاف لوبون فى كتـابه حضارة العرب : « ان همجية أوروبا

ومما ساعد على قيــام تلك النهضة العظيمة فى بلاد « الاندلس » سيـاسة التسامح التى اتبعها العرب تجاه أهل الذمة، فأقبل المستعربون على استعمال اللغة العربية وتفضيلها على اللغـة اللاتينية، مما أوجد مدرسة كبيرة من غير المسلمين يقوم أفرادها بدور السفراء بين حضارة العرب أهالى غرب « أوروبا» المتلهفين على تعرف علوم العرب ومعارفهم.

لقد عاشت « أوروبا عالة على نتاج القرائح العربية، وبقيت ترجمات كتب العرب وخاصة الكتب العلميـة تعتبر هى المصدر الوحيد للتـدريس فى جامعات أوروبا مدة خمسة قرون أو تزيد، واستمر تأثر أوروبا ببعض العلوم العربية إلى القرن الثامن عشر، حيث كانت تدرس كتب ابن سينا فى الطب بتوسع فى جامعة « مونبلييه » بـ « فرنسا »، فقضت شهرته على شهرة جالينوس.

بلغ تأثير العرب فى جامعات أوروبا من الاتساع بحيث شمل كثيرا من المعارف التى عجز الاوروبيون عن التقدم فيها ولو لخطوة واحدة واضحة، مثل علوم الفلسفة، حيث ظل ابن رشيد بفلسفته ومؤلفـاته حجة بالغة فى هذا الفن بجامعات فرنسا منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادى، وبقى نفوذ العرب العلمى واضحا فى جامعات ايطاليا وفرنسا إلى القرن الثامن عشر الميلادى.

ان المسلمين فى أسبانيــا كانت لهم طرق وأساليب أدب أدت إلى ضبط الأمور، وكفالة النظام، وضمان الحرية، ولم يكن المـــدار حينذاك فى أنظمة الحكم على الوظائف والمناصب، وإنما كان المعول كله على شعور كل فرد ممن يشغل هذه الوظائف بواجبه.

ومن أجل ذلك انتجت أنظمـة الحكم عنـــد المسلمين استقرارا ورخاء شملا كل مرافق الدولـــة، وظهر على الناس كما بدأ على الدولة أنها محكومة

حكما صالحا فى روحه وفى مقوماته ، لأن الدولة أعطت لأفرادها من الرفاهية والاستقرار النفسى ما استطاعوا به أن يبرزوا فى ميادين الفكر والانتاج العقلى، فى كافة العلوم والفنون والآداب ، حتى تبوأت بهذا التراث مكان الزعامة الفكرية فى أوروبا ، التى لم تكن تعلم شيئا عن الحياة العقلية والأدبية والفنية .

لقد قدمت « أسبانيا » المسلمة للعالم الأوروبى كل مقومات الحضارة ، وسلمت كل المعارف من نتاج القرائح العربية والنضوج اليونانى والرومانى إلى تلاميذها فى أوروبا ، فانتفعوا بهذه العلوم وجنوا ثمارها .

وأخذ الأوروبيون ينسبون لأنفسهم فضل العلم والمعرفة ، والسبق فى مضمار الحضارة والتقدم ، حتى كشف بعض المستشرقين المنصفين عن فضل المسلمين على أوروبا ، واعترفوا بما كان لهم من ماض مجيد وأياد بيض على الحضارة والرقى :

وعند ما رجع الشرق إلى كتبه القديمة ، وتراثه المهجور ، وجده يحوى كل أصل من أصول الحضارة التى زعم الغربيون أنها من صنعهم ، واكتشفت العلماء المسلمين أخيرا أن القانون الفرنسى الذى بلغ ذروة التقدير العالمى إنما هو فى الأصل مأخوذ من تعاليم الاسلام ، ومنقول برمته عن مذهب الامام مالك — رضى الله عنه — لأنه كان المذهب السائد فى بلاد الأندلس ولم تستطع القوة ولا الجبروت محو اثاره من النفوس ، وظل أمر سكان الأندلس رغم خروج المسلمين منها يجرى على ما كان يجرى عليه أيام أن كانت البلاد تحت سيطرة الاسلام والمسلمين من ناحية العادات والتقاليد ، ولذلك نقل الفرنسيون هذه العادات والنظم وألفوا منها قانونهم ، وعند ما أراد العلماء أن يرجعوا إلى الأصل الذى أخذ منه الفرنسيون ، وجدوا أن القانون الفرنسى مأخوذ من مذهب الامام مالك .

لقد قام العرب بدورهم خير قيام فى تطوير الفكر العلمى، وهيأوا الأسباب لظهور الفكر العلمى والنهضة العلمية الحديثة ، ولو لا نتاج هذه القرائح العربية لتأخر سير المدينـة عدة قرون ، يقول فلوريان : لقد عرف العرب فى العصر الاسلامى بانكبابهم على الدرس ، وسعيهم فى ترقية العلم والفن .

ويقول ويلز : كانت طريقة العربى أن ينشر الحقيقة بكل استقامة وبساطة ، وان يجلوها بكل وضوح وتدقيق ، غير تارك منها شيئا فى ظل الابهام ، فهذه الخاصة جاءتنا من العرب ، ولم تهبط على أهل العصر الحاضر من اللاتينى .

ويعترف البارون « دى فو » بأن الرومان لم يحسنوا القيام على التراث الذى تركه اليونان ، وأن العرب كانوا على خلاف ذلك ، فقد حفظوه واتقنوه ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل تعدوه إلى ترقية ما أخذوه وتطبيقه باذلين الجهد فى تحسينه وانمائه حتى سلموه للعصور الحديثة .

ويقول سارتون : لو لم ينقل إلينا العرب كنوز الحكمة اليونانيـة لتوقف سير المدينـة بضعة قرون ، فقد كانوا أعظم معلمين فى العـالم ، فى القرون من الثامن حتى الثانى عشر الميلادى .

وختاما لهذا الموضوع أقول : أن الأوروبيين تناولو مشعل العلم والحضارة من أيدى العرب ، فاستضاءوا به بعد ظلمة ، وبلغوا به بعد ذلك ما بلغوه من هذا الضيـاء العميم الذى انكشف به أحدث العلوم ، ولو لم يحمل العرب هذا المشعـل شرقا وغربا لكان من أعسر الأمور أن يقدح الأوروبيون نوره من جديد ؟ (مع الشكر لجريدة العالم الاسلامى)

◇✱◇✱●✱◇✱◇

يهود اليوم . . . ليسوا يهودا

إن القارئ لتاريخ الشعب اليهودى ، يفاجا دوما بالتناقضات المذهلة ، التى تنفى وتنسف أى دعوى من اليهود أنفسهم بأنهم شعب سامى (والتى أصبحت عند الكثير منا حقيقة مسلم بها) وبأنهم شعب موحد الدم ومتجانس .

إن الابحاث التاريخية تثبت أن يهود اليوم لا ينتمون الى شعب واحد ، وأن أصولهم هى عبارة عن خليط لا ينظمه ناظم ، بل تثبت أن الاجداد المتهودون ليهود اليوم ، لم يروا أرض فلسطين ، وليس هناك أى موقف تاريخى يجمعهم بأرض ميعادهم .

السامية حقيقتها . . .

● المقصود بكلمة شعوب سامية ، أى تلك الشعوب التى يعود أصلها إلى ابن نوح عليه السلام « سام » وقد اطلق هذه التسمية بعض المستشرقين على الشعوب التى عاشت فى شبه الجزيرة العربية وقامت بسلسلة من الهجرات المتعاقبة الى الأجزاء الشمالية والشرقية من شبه الجزيرة مكونة ممالك وحضارات الهلال الخصيب القديمة و بلاد الرافدين .

ولو نظرنا فى جنس هؤلاء كلهم لوجدنا عربا (أسماهم علماء الانساب والتاريخ المسلمين بالعرب البائدة) ولعلنا أنه من الخطأ تسمية تلك الشعوب شعوباً سامية ، ولكن الاصح أن يطلق عليها شعوباً عربية .

يهود اليوم هل هم ساميين حقا ؟

● ينقسم اليهود إلى قسمين : الاشكنازيم والسفارديم .

يكون الاشكنازيم أكثر من ٩٠٪ من الشعب اليهودى حاليـاً ويفترقون عن السفارديم افتراقا واضحا فى ملامح وجوههم وأجسامهم . ففى حين نجـد أن ملامحهم وتقاطيع وجههم تدل على انتسابهم للقبائل الخزرية ، نجد اقترابا واضحا فى الشبه بين السفارديم الذى يشكلون أقل من ١٠٪ من اليهود والعرب ، مما يؤكـد صلة القربى .

ولا يخفى على الكثير تاريخ السفارديم وأصولهم وإلى من ينتسبون ، فقـد أجمع البـاحثون على أن معظمهم يعود أصلة الى الأسباط الاثنى عشر ، أى من نسل يعقوب عليه السلام .

انما تظهر صعوبة معرفة حقيقـــة تاريخ الاشكنازيم ، من خلال حلقـات تاريخية مفقودة أسقطت بفعل اليهود أنفسهم ، حتى لا يبقى أدنى شك فى دعواهم بالانتماء إلى السامية .

إن البـاحث فى تاريخ الاشكنازيم ، لا يستطيع أن يتجاهل تلك الحلقـات المفقودة ، والحقائق المدفونة ، والتى عند إماطت اللثام عنها ، يكتشف مدى زيف تاريخ اليهود .

القبائل الخزرية

● أشرنا سابقا إلى أن الاشكنازيم هم أكثر من ٩٠٪ من يهود اليوم ، وأن أصولهم تعود إلى القبائل الخزرية ، وعند دراسة تاريخهم نجـد أنهم قبائل مختلطة ذوات أصول تركية فنلندية مغولية تترية ، تحركت الملايين

منها فى القرن الأول الميلادى من أواسط آسيا سالكة طريقا بريا شمال بحر قزوين، لغرض الغزو والفتح صوب شرق أوربا.

واستقر بها المقام فى المنطقة الواقعة غرب الأورال بين نهرى الدون والفولغا، ثم تمركزت فى منطقة واسعة من أوربا الشرقية، شملت أجزاء من روسيا الحالية وبولندا وهنغاريا، مكونة ما عرف فى التاريخ باسم مملكة الخزر، التى دوخت المنطقة كلها بالسلب والنهب والغزو. بحيث لم يكن القرن الثامن الميلادى يحل حتى أضحت تحتل القسم الأعظم فى أوربا الشرقية، واتخذت من مدينة «أتيل» عاصمة لها.

اما عن ديانتهم فكانت وثنية، حالهم فى هذا حال اخوانهم المغول، وكانوا يقدسون بكل قذارة فرج الرجل والمرأة، فى حياة إجتماعية إباحية ومنحلة أخلاقيا.

ولقد اصطدم بهم المسلمون، حينما كسروا شوكة الامبراطورية الفارسية، واتجهوا شمالا عام ٦٣٧ م، وهزموهم فى مواقع كثيرة شر هزيمة وحطموا جيوشهم فى عام ٧٣٧ م، (١١٩ هـ)، ما لبثت أن انسحبت منها فيما بعد.

أما عن كيفية تحولهم إلى اليهودية، فحسب ما ذكر «البكرى الأندلسى» المتوفى سنة ١٠٩٤ م (٤٨٧هـ)، أن الملك كان يعتنق الوثنية ثم اعتنق المسيحية ثم شعر بعدم الارتياح لها، فأشار عليه احد ولاته بتقصى الأديان، فبعث إلى اليهود الذين فى مملكته طالبا منهم عالم، وطلب من المسيحيين عالما، وبعث إلى الأمويين فى ذلك الوقت طالبا منهم عالما مسلما، فأما اليهودى فقد استطاع التأثير على الملك بكل دهاء وخبث، حينما تغلب بمكره على غريمة الاسقف المسيحى الذى لم يكن بارعا فى الحجة.

أما العالم المسلم ، فقد نصب له اليهود مقتلا فى الطازبق فأصابوه وتخلصوا منـــه ، فأعتنق الملك الخزرى اليهودية وأمر شعبـــة بإعتناقها ، وتم هـــذا فى عام ٧٤٠م .

وقد قاتلهم المسلمون فى حروب كثيرة بقيادة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، الذى كان فى ذلك الوقت قائدا للجيس ، واستطاع أن ينزل بهم الهزائم ويسحق جيوشهم .

أما عن دوام مملكتهم فقـــد دامت تقريبا ٣ قرونـــ ، زالت على يد الامبراطورية الروسيـــة الناشئة فى ذلـك الوقت ، فأراحت الخلق من رعبهم وسلبهم ونهبهم .

وأما أحفادهم فإننا نراهم اليوم ويدعون باليهود الشرقيين ويستوطنون كل دول أوربا ، وإن كانت نسبتهم الضخمة مركزة فى أوربا الشرقية .

أما عن دورهم فى الحركة الصهيونية وهيمنتهم عليهـا ، فإننا نشير إلى أن « تيودور هرتزل ، مناحيم بيغنـــ ، اسحاق شامير ، سيغموند فرويـــد ، حاييم وايزمانـــ ، دافيد بن غوريون ، يتسحاق بن نسنى » كل هؤلاء تعود أصولهم إلى الخزر ، وغيرهم كثيرون .

كل هذا يؤكـد حقيقة زيف ادعاءات اليهود فى مطالبهم ، وعدم استنادها على أية أدلة ثابتة دامغـة ، ولـكن منـــ خلال إحتلالهم للأجهزة الاعلامية المؤثرة استطاع اليهود إسقاط كل هـذا ، والصاق السامية فى جنسهم ، لاثبات حق وجودهم فى شبه الجزيرة العربية فى فلسطين ؟

● ●

عدد صفحات الجزء ٥٦

صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٦)	Vol. 26	ذو الحجة ١٤١٤ هـ
العدد السادس	June 94 No. 6	يونيو ١٩٩٤ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi – 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI – 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٥٠ روبية ، فى الخارج ٣٢ دولارا (بالبريد الجوى)
١٢ دولارات (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٤/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٠٩٥٨/٣٢٢١١٦ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

- إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكرى، والتعصب المذهبى، وتبليغ رسالة الاسلام، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية.
- مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمبادىء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.
- مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق ووعى وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.
- إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.
- نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.
- التوجيه الدينى السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، ليتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد؟

هدى القرآن | آية وتفسير

﴿والله يعـــلم ما تسرون وما تعلنون ، والـــذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحيـاء وما يشعرون أيان يبعثون﴾ ، (النحل : ١٩–٢١)

يخبر تعالى انه يعلم السرائر كما يعلم الظواهر، وسيجزى كلا بعمله خيرا كان أم شرا ، ثم أخبر أن الأصنام التى يدعونها من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، وقوله تعالى (أموات غير أحياء) أى لا أرواح فيها فلا تسمع ولاتبصر ولا تعقل (وما يشعرون أيان يبعثون) أى لا يدرون متى يـكون بعثهم فـكيف يرتجى عند من هذه صفاته نفع أو ثواب أو جزاء؟ إنما يرجى ذلك من الذى يعلم كل شيء من السرائر والظواهر وهو خالق كل شيء . الأمر الذى ينبغى أن يتنبه له أن الأصنام الذى يعبدونها ما كانوا يعبدونها لذاتها ، إنما كانوا يعبدون من وراءها من الصالحين الـذين نحتت هذه الأصنـام والأوثان على صورتهم ، زاعمين انهم يقربونهم إلى الله زلفى بعبادتهم تماثيلهم بأشخاصهم مع أنهم أموات لا يسمعون ، ولايبصرون ولايعقلون ، وأما مشركو زماننا فهم يعبدون الأصنام لذاتها ، كذلك عباد القبور فانهم يعبدون هذه القبور ومن فيها من الصالحين الذين لا يستطيعون نفعا ولا ضرا لأنفسهم فى حياتهم فضلا عن بعـــد مماتهم ، والذين يصنعون شبيه القبور بالأوراق والأقصاب والقضبان بأيديهم ثم يتضرعون إلى هذه الصور فى شهر محرم الحرام اقبح حالا من هؤلاء المشركين كلهم .

(تلخيص : اصغر على السلفى)

فقه السنـــة | حديث وشرح

عن أبي هريرة رضى الله عنـــه: أن النبي ﷺ كان إذا رفأ الانسان، إذا تزوج قال: بارك الله وبارك عليك وجمع بينكما فى الخير. (الترمذى).

قوله (إذا رفأ الانسان) بفتح وتشديد الفاء مهموز معناه دعا له. قاله الحافظ فى الفتح، وفى القاموس: رفأه ترفئــــة وترفيا قال له، بالرفاء والبنين أى بالالتئام وجمع الشمل، انتهى، وكانت هذه ترفئة الجاهلية ثم نهى النبي ﷺ عن ذلك وأرشد إلى ما فى هذا الحديث فروى بقى بن مخلد عن رجل م بنى تميم قال: كنا نقول فى الجاهلية بالرفأ والبنين فلما جاء الاسلام علمنا نب قال. قولوا بارك الله لكم وبارك فيكم وبارك عليكم، وأخرجه النسائى والطبرا عن عقيل بن أبي طالب: انه قدم البصرة فتزوج امرأة فقالوا له بالرفأ والبن فقال: لا تقولوا هكذا وقولوا كما قال رسول الله ﷺ: اللهم بارك لهم وبا عليهم و رجاله ثقات. (قال بارك الله وبارك عليك) وفى رواية غير التره بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير. (تحفة الأحوذ

هذا هو الدعاء للتزوج علمناه الرسول ﷺ فعـــلى المسلم أن يأخذ الدعاء ويجتنب عن أقوال الجاهليـــة الاولى والفاظ الجاهلية القرن العشرين المستوردة من اليهود والنصارى فانه للأسف قد فشا فى المجتمع الاسلامى هذا الشيء الكثير نعوذ بالله من ذلك.

(تلخيص: اصغر على الـ

افتتاحية :

مؤتمر علماء أهل الحديث بالهند

جمعية أهل الحديث المركزية فى الهند تمثل عن الجماعة التى تدعو إلى التمسك بالكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، وإلى محاربة البدع والشرك، ولا توجب تقليد امام من الائمة الاربعة أو غيرهم. أفراد هذه الجماعة منتشرون فى شبه القارة الهندية ويعرفون بأهل الحديث، كما أن اخوانهم فى العقيدة والعمل يوجدون فى شتى بقاع العالم، و يعرفون بألقاب عديدة. جمعية أهل الحديث تأسست ١٩٠٦ م، وبدأت تمارس نشاطها فى التدريس والتأليف والدعوة.

إنها عملت نحو أربعين سنة فى الهند الخاضعة للاستعمار الانجليزى، ثم واصلت عملها فى الهند الحرة. وكلنا نعلم صعوبة العمل الاسلامى فى العصر الانجليزى، ولكن الجمعية حافظت بتوفيق الله على كيانها وأنشطتها ووسعت نطاق عملها، وخاصة فى السنوات الأخيرة. وتاريخ هذه الجمعية حافل بالمكارم والمفاخر ولكنه لم يدون بعد فى كتاب، وبعض المؤلفين كتبوا عن أهل الحديث ضمن موضوع أو آخر، ولم يبرزوا اعمالها كجماعة تمتاز بين جماعات المسلمين بأصولها ومناهجها وأهدافها. والشكاية فى مثل هذا المقام غير مجدية فان الانسان لا يحك جلده مثل ظفره، فالمسئولية على جماعة أهل الحديث وعلى الجمعية المركزية لها أن تقوم بتدوين تاريخ الجماعة وخاصة بعد استقلال الهند حيث نشطت فى البلاد جماعات أخرى تعمل للاسلام والمسلمين وتزعم أنها وحدها تمثل عنهم.

جماعة أهل الحديث امتازت بأمور كثيرة أهمها: أنها اهتمت بنشر التوحيد الخالص الذى جهله كثير من المسلمين فى الهند مع النطق بكلمة لا إله

انصبت عليها حروب الإبادة ، ومعارك الاستئصال من الصليبية الحاقدة ، كل ذلك زال وأبيد بسبب الفرقة ، وحروب الطوائف . ألا يقال : ما أشبه الليلة بالبارحة ؟ ؟ ألا يدرك البصير المتأمل أن الفرقة فى المسلمين قائمـة ؟ رب بلاء طائفى ، وتمزق فكرى ، يعبث بالديار وبالصدور .

ماذا استفاد المسلمون من التاريخ ؟ وأين الدروس من عبر الماضى ؟

فى عصرنا المعاصر فشا التعليم فى البلاد المسلمين ، و انتشرت المدارس و اكتظت بالمناهج ماذا تعلموا من تاريخ الأندلس ؟ و ماذا تضمنت مناهجهم من أبناء أسلافهم فى الأندلس ؟ لا يعرف الطلاب من هذه المناهج إلا الحياة الأدبية ، والمقطعات الشعريـة ، و الموشحات الأندلسية ، لا يعرفون إلا تاريخ الحياة الرخيـة المترفـة ، لم يلقنوا بصدق كيف ضاع ذلك الفردوس ؟ لم تملأ جوانحهم ، ولم يلق فى روعهم كيف تقطعت الأندلس من قبل أهلها أولا ، ثم أجهز عليها الصليبيون آخرا .

فى المناهج أديرت الظهور بقصد أوبغير قصد عن التفاصيل التى تحرق الأكباد ، وعن الأسباب التى أدت إلى الهلاك و الفساد .

لم تعط جريمـة الإبادة حقها ، ولم يشخص داء الفرقـة حق التشخيص ، و لم يقفوا وقفـة صادقـة عند سوء المصير . بينما يلقن اليهود بنى قومهم ، و يذكرون العالم — فى كل ساعـة و حين — دروس الحرب النازيـة على الطريقة اليهودية .

فى الأندلس سكاكين العداء النصرانى نزلت بالساحة هناك فمحت الشعب بأكله و أزالت الإسلام من جزيرة الأندلس .

ومضات من التاريخ السالف

استمعوا — رعاكم الله — إلى هذه الومضة من ذلك التاريخ السالف:

كان المعتمد بن عبـاد أكبر ملوك الطوائف بإشبيلية، يحارب الفونسو السادس النصرانى فاستشار المعتمد بعض أصحابه فى الاستعانة بالأمير: يوسف ابن تاشفين أحـد حكام المسلمين فى بلاد المغرب، فأشارت عليه بطانة السوء بنصيحة كاذبة خاطئة، وقالوا:

(نخشى، أن ابن تاشفين، إذا دخل الأندلس يستولى عليها ثم لا يخرج منها) فأجابهم المعتمد إجابة حاسمة فى حكمة بالغة وبصيرة نافذة: (لأن أرعى الجمال أحب إلى من رعى الخنازير).

ومراده من ذلك معلوم: فالخضوع لملك مسلم خير من أتبـاع ملك كافر حاقد.

ما أكثر العبر أقل الاعتبـار!!! أف لقلب لا يعتصر ألما! ويا حسرتا على عين لا تذرف دمعا!، بل إن لم تنزف دمـا استبيح فى كثير من المواقع الحى، واسترخصت الدماء وإلى ربنا المشتكى.

ها هى بلاد المسلمين بعـد أن فشت فيهـا الفرق، والأحزاب، ينهشها الأعداء ليأكلوا القاصية والدانية. (إن حـال كثير من بلاد الإسلام تسير فى نفس الطريق الأندلسى. وتحفر لنفسهـا حفرا قـد تتضاءل أمامهـا مآسى الأندلس. كم فى بقاع الإسلام وديار المسلمين من تتهددهم طريقـة الإبادة الأندلسية؟! الصومال تقطعها الحرب الأهلية يذبح فيها المسلمون بعضهم بعضا، وفى بعض دول غرب إفريقيا حال مشابه. وهاهم فى بورما يطردون من بيوتهم

و يهجرون من أوطانهم ، و يجردون من ممتلكاتهم تنتهك حرياتهم ، و يساقون سوق النعاج إلى خارج ديارهم ، و فى كشمير من ذلك حال مشابه .

أما الجزء المسلم من أوربا الشرقية عموماً وفى بلاد البوسنا والهرسك خصوصا ، ذلك الجزء الذى عاش فى الإسلام مئات السنين ثم رزح تحت لواء الشيطان الأحمر متلقيا حروب إبادة . فلما انجلت غمته خلفه أهل الصليب الحاقد فهام يبادون بالطريقة الأندلسية . إنهم الأحفاد يفعلون فعل الأجداد . بطون تبقر ، وأعراض تنتهك ، ومدن تدك .

ليس فى سياسات الصليبية ولا فى مفاوضتها إلا أحد خيارين : إما الكفر وإما الإبادة ولن تجد غير ذلك تفسيرا ولا مصيرا اللهم إلا طول النفس و التنفيذ المرحلى ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾(١) ، ولا تكاد تجد فى المسلمين حراكا ، و إن سمعت فلا تسمع إلا همسا .

اليهود والنصارى يقيمون الدنيا ثم لا يقعدونها من أجل رجل واحد ، وقد تكون مشكلته كما يقولون : إنه يعادى السامية . يحركون هيئات العالم ومنظماته و مجالسه من أجل حادثة خطف تهمهم أو قضية تفجير تعنيهم ولا يكترثون بما يمتلىء به العالم من قضايا التفجير و الخطف المنتشرة .

و حينما يقتل المسلمون تقوم و سائل الإعلام المعادية ، و منها بعض و سائل المسلمين المغفلة أو المغرضة ، بتفسير هذه الأحداث الدامية على أنها نزاعات عرقية ، و مشكلات عنصرية .

---

(١) البقرة آية (٢١٧)

وعلم الله والناس أنها لم تكن إلا من أجل الدين والإسلام ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾[١].

أعيذكم بالله — يا إخوانى — من الابتلاء بداء التبلد وموت الإحساس وأنتم تتلون الكتاب: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾[٢]. ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾[٣] ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾[٤].

أعيذكم بالله أن يكون ذلك فيكم، وفيكم سنة رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا»[٥]. «مثل المؤمنين فى توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[٦]. «لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[٧].

يقال كل ذلك — أيها المسلمون — وفى وسط هذا الحزن الكئيب، وهذه المآسى المتوالية يشرق انتصار الجهاد فى أفغانستان، ويستبين بها الطريق. وفى مواقف المسلمين المتضامنة فى القضية الأفغانية مواقف سياسية داعمة وقفتها هذه

---

(١) البروج آية (٨)
(٢) الحجرات آية (١٠)
(٣) الفتح آية (٢٩)
(٤) المائدة آية (٥٤)
(٥) متفق عليه من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه.
(٦) هذا حديث متفق على صحته من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنهما.
(٧) حديث متفق على صحته من حديث جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه.

البلاد بحكامها وأهلها، ووقف معها دول إسلامية أخرى بشعوبها: دماء شباب زكية، وبذل مال مشكور، وضراعة ودعاء إلى رب البرية، بمثل هذا الدعم، وبمثل هذه المواقف، وبمثل هذا التعاضد تحمي الديار، وبإذن الله يكون الانتصار، وتغرس المهابة، وتقوى كلمة المفاوض، ويمحى العار.

وفي هذا الخضم يحق لنا أن نتساءل: هل يكون طريقنا إلى القدس، وطريقنا إلى كشمير وبورما ودعمنا لإخواننا في البوسنا والهرسك، هل يكون طريقنا هذا كطريقنا إلى كابول؟ هذا هو المأمول وما ذلك على الله بعزيز: ﴿والله غالب على امره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[1].

كلمات ناصحة

وفي خضم هذه النشوة أيضا نتوجه لإخواننا بهذا النداء: يا رجال الأفغان: لئن استبشرتم، واستبشرنا معكم بهذا النصر المؤزر الذى أطل وأضاء عليكم وعلينا أهل الإسلام في ليل حالك. فالحذر الحذر أن تقتلوا هذه البشرى، أو تئدوا هذه الفرحة.

إن كره الكفار وحدكم، وآلام الاحتلال جمعتكم، فاحذروا أن تفرقكم أطماع السياسة ومنافسات الرئاسة. إن لم يجمعكم الإخلاص والحق فلسوف يفرقكم الباطل والهوى.

أذكروا الآلاف من الشهداء، والأرامل، واليتامى، أذكروا الآف الشباب الذين هرعوا إليكم مقاتلين، أرواحهم في أكفهم، تفرقت دماؤهم، وأشلاؤهم مع أبنائكم في الجبال والوهاد، يريدون أن يطهروا أرض الاسلام

(١) يوسف آية (٢١)

من رجس الشيطان، وكفر الشيوعية.

لقد بدأتم جهادكم فقراء حفاة، أسلحتكم قليلة، ومعدات عدوكم ثقيلة، كنتم تقاتلون فى السهل والوعر بالخيل والبغال، وكانت جحافل الروس تمتطى الطائرات، وتعلو المصفحات. فجاء الحق وظهر أمر الله. فإياكم أن ينخر سوس السياسة فى مجدكم العظيم. ﴿واذكروا إذا أنتم قليل . . . ﴾(١) الآية.

أقيموا دولة الإسلام التى تسع الجميع بخيرها وعدلها ورحمتها ﴿الذين إن مكنـاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾(٢).

يا رجـال أفغانستان: لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم وقد علمتم وعيد الله لبنى إسرائيل إن هم فعلوا ذلك ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾(٣) فهذا وعيد الله، وهذه سنته.

إننا نربأ بكم أن يوصم عملكم، أو يفسر جهادكم بأنه قد ضاع أمام إغراءات السلطة ولمعان الكراسى، لقد أهلك الله عدوكم، واستخلفكم فى الأرض لننظر كيف تعملون. وهذا هو الأمل: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾(٤).

---

(١) الأنفال آية (٢٦)
(٢) الحج آية (٤١)
(٣) البقرة آية (٨٥)
(٤) المنافقون آية (٨)

موقف و عبرة من أحداث الهجرة

إن سيرة محمد ﷺ بكل ما فيها من مواقف و وقائع ، محل لكل تأمل ، و حق لكل تدبر ، و تأمل يحرك القلوب ، و يستثير الهمم ، و يقود إلى العمل ، و تدبر يزيد فى الإيمان ، و يزكى الخلق ، و يقوم المسيرة المباركة ، و إن فيها لخبرا ، و إن فيها لعبرا .

مع إطلالة كل عام هجرى جديد ، تهفو النفوس المؤمنة إلى حدث ميمون غير مجرى تاريخ البشرية . فكشفت به — بإذن الله — غمة ، و انجلت به — بفضل الله — ظلمة ، وقامت على الحق والهدى دولة .

ذلكم الحدث ، هو هجرة الرسول ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة .

و فى تناول هذا الحدث العظيم لا ينبغى للتأمل أن يقف موقف السرد القصصى بل ، يحال أن يخلص منه إلى العبر والدروس المستفادة ، لتكون نبراساً يضىء الطريق ، ويزيل الغبش ، ويوضح الهدف .

درس الهجرة يؤكد أن الاستمساك بالدين ، هو الهدف الأسمى لكل مسلم ، والسياج الحامى لكل حق ، إذا حفظ الدين فقد حفظت الأنفس والأموال ، و صينت الحرية و الكرامات ، و التفريط بالدين مآله هلاك النفوس ، وخراب الديار ، و ضياع الحقوق .

إن من سنن الله الثابتة : أن القوى المعنوية هى الحافظة للقوى المادية ، فالعقيدة و الأخلاق و مناهج التربية ، هى الوسيلة للحفاظ على أى مكسب مادى ، وإذا حصل تفريط أو تساهل فلا يغنى مال ، ولا تنفع قوة .

الهجرة والعقيدة

العبرة من الهجرة، تقرر أن الأمة الصحيحة فى عقيدتها، الطاهرة فى أخلاقها، المستقيمة فى تربيتها، يغدو سلطانها أكثر تماسكا، وأقوى منعة، وأطول بقاء. وإن كانت مضطربة فى نظمها ومبادئها، فإنها فى طريق الاضمحلال تسير، ومكتسباتها نحو الزوال تنحدر.

الهجرة مسؤولية

إن الهجرة ليست هروبا من واقع، ولا نكوصا عن مسؤولية، إنها فى ذاتها مشقة وأذى. ماذا بعد مفارقة الأهل والأوطان، فالإخراج من الديار قرين القتل فى كتاب الله ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم، ما فعلوه إلا قليل منهم﴾(١). والمصطفى ﷺ يقول، وهو يخرج من مكة: «والله إنك لأحب البقاع إلى الله، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت»(٢).

الهجرة وشمولية التكاليف

فى دروس الهجرة وعبرها، إذا كان معنى الدين عند غير المسلمين، ينحصر فى عبادات وطقوس محدودة، ذات أوقات معلومة، وأماكن معينة، يزاولها أصحابها حين يجتمعون عليها فى معابدهم، وغاية ما يريدون بقعة من الأرض، يؤدون فيها تلك الطقوس والشعائر إذا كان هذا معنى الدين عندهم، فإن الإسلام الذى رضيه الله لنا دينا، وأتم به علينا النعمة، وأكمله عقيدة وعبادة، وآدابا وأخلاقا لايتحقق على وجهه إلا إذا ساد البقعة كلها تقام فيها أحكامه،

---

(١) النساء: ٦٦

(٢) أخرجه النسائى فى الكبرى وابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن صحيح.

وتشيع فيها آدابه ، إضافة إلى قيام الشعائر ، ورسوخ العقائد ، وإذا تعذر على المسلم إقامة دينه ، والالتزام بآدابه ، وجب عليه أن ينتقل إلى مكان يتحقق فيه ذلك تكثيرا لسواد المسلمين ، ونصرة لله فى العالمين .

ولأجل هذا عاتب القرآن أقواما ، استكانوا واستضعفوا فى غير عذر ، فلبثوا فى أرض كانوا فيها غير قادرين على إقامة الدين على وجهه ، ولم ينهضوا لتأييد إخوانهم فى بلاد الله الواسعة ، ذلك أنهم باستضعافهم غير المعذور ، يجرون على أهل الإسلام ضعفا حين يرضون بالإقامة فى ديار الكفر ، متخلفين عن تقوية الإسلام فى دياره ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الأرض . قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة ، فتهاجروا فيها ؟ ! فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا﴾(١). واليسر فى مبادىء الإسلام غير منكور ، فيقدر العذر الشرعى لأهله ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوا غفورا﴾(٢).

الهجرة دعوة متحركة

إن الهجرة فى حقيقتها : معرفة الحق والانتقال إليه والاستمساك به ، ثم الانتقال به ، والدعوة إليه ، والصبر على الأذى فيه ، تلك هى طريق رسل الله ، والسائرين على دروبهم ؛ وفى القرآن الكريم حكاية عن إبراهيم — عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام — : ﴿وقال إنى مهاجر إلى ربى ، إنه هو العزيز الحكيم﴾(٣).

---

(١) النساء : ٩٧

(٢) « ٩٩

(٣) العنكبوت : ٢٦

استمساك بالإسلام وانتقال به من موقع إلى موقع . فالهجرة حركة و دعوة وجهاد . والمهاجر لا يزال فى ساحة الدعوة ، والجهاد ليس بخارج عنهـا ، إذا ضعف فى موطن انتقل إلى موطن يكون فيه أكثر نفعا ، وأكثر ضرا . تحرف لقتال أو تحيز لفئة من غير تول للدبر .

الهجرة ومخاطر الأعداء

درس آخر يحسن الوقوف عنـده طويلا : حين قامت الهجرة ، و وجد المؤمنون عند أهل طيبة النصرة ثارت ثائرة كفار قريش ، وأجمعوا أمرهم على اتخاذ مواقف حاسمة ، وكان من ذلك أن تمالؤوا على قتل صاحب الدعوة ورئيسها محمد ﷺ ، يبتغون من ذلك إيقاف مد الإسلام و ذلك دأب المبطلين فى كل زمان و مكان ، نعم حين يئسوا من جدوى محاولاتهم الأولى ، وحين لاحظوا أن المؤمنين صاروا يتفلتون من أيديهم منتقلين إلى مواقع أقوى ، وأماكن أرحب ، لجؤوا إلى قتل الصالح والنيل منه ظنا منهم أن فى ذلك قضاء على الدعوة أو سدا لطريقها ، ألا ساء ما يظنون .

وهذا موقف مشابه فى إلصاق التهم بالصالحين والمصلحين فهؤلاء عتبـة ابن ربيعة ، والعبـاس بن المطلب ، وأبوجهل بن هشام ، يمرون على دار عمر ابن ربيعة ، وقد خلت من أهلها فقـد هاجر رب الدار ، و زوجه ، وأخوه . فنظروا إلى الدار مع دور أخرى ، تخفق أبوابها ، ليس بها ساكن كل قد هاجر إلى الله و رسوله . فقال عتبة : هذا من عمل ابن أخيك ، فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا وقطع بيننا .

سبحان الله ! هذا هو شأن أبي جهل ، وأمثاله ، يجرمون ويفسدون ، ثم يلقون بالتبعـة على غيرهم ، يريدون قهر المؤمنين ، فإذا أظهر المؤمنون عزة

لقد برزت أخوة الاسلام وآثار الايمان بين المهاجرين والأنصار عقيدة وسلوكا أخوة تسامت فوقها كل الأغراض والماديات ، كانت برهانا صادقا على العقيدة الصافية الخالصة . وبدون رباط العقيدة لا يتم تآخ ، ولا تأتلف قلوب ، وطلب ذلك من غير هذا الطريق وهم وسراب . فهل يدرك ذلك المسلمون ؟ بل ، ما هان المسلمون أفرادا وأمما إلا حين ضعفت بينهم أواصر الأخوة ، وتنكر أحدهم لصاحبه .

أين أخوة المهاجرين والأنصار التى ربطت ايثار ذوى اليسار بعفة ذوى الخصاصة ؟ أين هذا من مبادىء هذا العصر بإنسانيته الكاذبة وحقوقه المزيفة ؟ مبادىء ملفقة أمدت الموسرين بأسباب الجشع والطمع ، وأوقدت فى صدور ذوى الحاجة نار الحقد والحسد ، أشعلت سعير الفتنة بين الطبقات ، وسنت فى ذلك نظما ، وتشريعات فتذبذب هؤلاء وأولئك ، فأظلمت بهم السبل ، واختلطت عليهم المسالك ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[١].

وبعد : فهذه هى الأحداث وتلك عبرها فهل من مدكر ؟ ؟

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) النحل : ٣٣

درس فى المنهج

بقلم : فضيلة الشيخ عبد الله العيلان ، الرياض

● لأهل السنة والجماعة منهجهم كما أن لأهل البدع مناهجهم :

تميز أهل السنة والجماعة فى تعاملهم مع النصوص الشرعية وفى تقرير مسائل الاعتقاد مسلكا قويما ومنهجا سديدا جنيا على الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح فكانت ثمراته اعتقادا سليما نقيا وثباتا على الحق و مجانبة للأهواء والبدع ولما سلك أهل الأهواء والبدع طريقا غيره وخالفوه وقعوا فيما وقعوا فيه من الآراء الشاذة والشبهات المضلة ، يقول الشاطبي — رحمه الله — « إن الراسخين طريقا يسلكونها فى اتباع الحق وإن الزائغين على طريق غير طريقهم »[1].

● مخالفة أهل الأهواء والبدع لمنهج أهل السنة و الجماعة فى النظر والاستدلال كان سببا للتفرق :

كان إعراض أهل الأهواء والبدع عن الطريق المشروع سببا فى مخالفتهم لمذهب أهل السنة و الجماعة وكان ذلك بالتالى سببا لمفارقتهم الجماعة التى أمروا بلزومها يقول شيخ الاسلام — رحمه الله — « إنما اختلف أهل الكلام لما أعرضوا عن الكتاب والسنة فلما دخلوا فى البدع وقع الاختلاف وهكذا طريق العبادة عامة ما يقع فيه من الاختلاف إنما هو بسبب الإعراض عن الطريق المشروع فيقعون فى البدع فيقع فيهم الخلاف »[2].

---

(١) الاعتصام ١ / ٢٢٣

(٢) مجموع الفتاوى ١٩ / ٢٧٤

٣ — اتباعهم للتشابهات وتخرصهم فى الكلام على الكتـــاب والسنة مع جهلهم باللغة العربية وجهلهم بأقوال السلف الصالح حتى أصبح شعار أهل البدع هو ترك انتحال اتباع السلف .

٤ — تحريفهم للأدلة عن مواضعها بأن يرد الدليل على مناط فيصرفونه عن ذلك المناط إلى أمر آخر موهمين أن المناطين واحد .

٥ — فتحهم لباب التأويل الفاسد للنصوص الشرعية بدون دليل ولقد كان هذا الأمر من أعظم عوامل تفرق الأمة الاسلاميـــة بل والأمم الأخرى من قبلهم يقول ابن القيم - رحمه الله - « وبالجملة فافتراق أهل الكتاب وافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين منهم فرقة إنما أوجبه التأويل »(١).

ويقول ابن أبى العز الحنفى «وهل خرجت الخوارج واعتزلت المعتزلة ورفضت الروافض به وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد »(٢).

٦ — تحكيم العقل فى النقل وتقديمه عليه واعتبار العقل هو الأصل والأساس فيما يقبل ويرد وفيما يصح أو لا يصح وما يجوز على الله أو ما لا يجوز .

٧ — الغلو والافراط فى مسائل الاعتقاد كغلو المتصوفة فى مسألة المحبة وكغلوهم فى الصالحين و المشايخ وكغلو الخوارج و المعتزلة فى آيات الوعيـــد وغلو الجبرية فى إثبات القدر .

٨ — استدلالهم بحكايات منقولة إما مكذوبة عن أحد الأئمـــة ، وإما منقولة عن مجهول من الناس على حجية عمل من الأعمال التعبدية .

وهكذا تبين لنـا كيف أن مخالفة أهل الأهواء والبدع لمنهج أهل السنة

---

(١) اعلام الموقعين ٤ / ٣٢٧

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٩

والجماعة فى النظر والاستدلال كان من أعظم أسباب تفرقهم عنهم ومفارقتهم .

● ذكر بعض الوسائل التى تعين على الوصول إلى الحق :

الخامسة : اتباع سبيل السابقين الأولين ، فالسابقون الأولون من سلف هذه الأمة هم أفضل القرون وهم خير الناس بعد الأنبياء عليهم السلام والصواب فى أقوالهم أكثر من الصواب فيمن جاء بعدهم ، وخطأهم أخف من خطأ غيرهم لذلك كانت العناية بأقوالهم وأفعالهم أكثر فائدة ونفعا للمسلمين من أقوال وأعمال غيرهم ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية « فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم ومعرفة إجماعهم ونزاعهم فى العلم و الدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم و نزاعهم و ذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوما وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم »[1]. ثم قال « ومن الاقتداء بهم اتباع منهجهم فى النظر والاستدلال » والحق واضح لكل من تأمله فالحق أبلج والباطل لجلج .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها سواء » (أخرجه ابن ماجه ح : ٥) وابن أبي عاصم فى السنة (ح : ١٧) وصححه الشيخ ناصر الدين الألبانى انظر صحيح ابن ماجه (٦/١) والسلسلة الصحيحة وفى الأثر الذى يرويه يزيد بن عميرة عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا » أخرجه أبو داود فى سننه .

---

(١) الفتاوى ٢٠ / ٢٤

تسمية المفتين
بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة

بقلم : الدكتور سليمان بن عبد الله العمير
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة فى الجامعة الاسلامية
بالمدينة النبوية المنورة

(٢)

المبحث الخامس : الطلاق عند الأجانب

تختلف الحال بالنسبة للطلاق عند أمم الكفر والإلحاد عنه فى دين الإسلام ، ففى الوقت الذى يكون الطلاق فى الإسلام من حق الزوج وهو الذى يملك إيقاعه وحده ، نجد فى قوانين أولئك القوم سلبا لهذا الحق من الزوج فلا يقع الطلاق عندهم إلا بموافقة المحكمة وسواء طلبه الزوج أو الزوجة. فالمحكمة هى التى تقرر ما إذا كانت الحياة الزوجية صالحة للبقاء والاستمرار أم أنه لا بد من الانفصال والافتراق. وليس لأحد الطرفين حق التدخل فى ذلك إلا بمقدار ما يتقدم به ابتداء من طلب الفسخ قبل أن تنظر المحكمة فى ذلك ، وتقول كلمتها الأخيرة فى الموضوع.

هذا من ناحية تقنين الطلاق عند أمم الغرب. أما عن واقع الطلاق وأسبابه ودوافعه عندهم ، فيتحدث الشيخ محمد بهجت البيطار عن ذلك فيقول :

أما الطلاق فى أوربا وأميركا: فالظاهر أنه لا يكون إلا لأسباب تقع بين الزوجين خاصة، ولكنهم يطلقون لأهون الأسباب وأيسرها، كقص الشعر، وحلق اللحية، ولباس السهرة، ونحو ذلك، ولذلك كثر عندهم كثرة هائلة، وهو طلاق باعثه السآمة والملل، وحب التنقل، وله عواقب وخيمة، ومنها ضياع النسل.

وقد نشرت جريدة الأهرام — أول سنة ١٣٥٤هـ وسنة ١٩٣٥م — انتقاداً القاضى «لندسى» أشهر قضاة الطلاق فى لوس أنجلوس فى ولاية كاليفورنيا»

خلاصته: أن الحياة الزوجية ستزول من بلادهم — أمريكا الشمالية — وتحل محلها الإباحة والفوضى فى العلاقة ما بين النساء والرجال فى زمن قريب، وهى الآن كشركة تجارية ينقضها الشريكان لأوهى الأسباب، خلافاً لهداية جميع الأديان، إذ لا دين ولا حب يربطهما، بل الشهوات والتنقل فى وسائل المسرات. انتهى.

ومن غريب الاتفاق: أنى قرأت فى صحيفة دمشقية صدرت اليوم — ١٣٧١/٧/٢٢هـ ١٩٥٣/٤/١٦م — كلمة عن الطلاق عند الأميركيين وأسبابه، يتبين منها أن نزول المرأة الأمركية — فتاة ومتزوجة — إلى ميدان العمل الخارجى هو الذى آثارها على طبيعتها وشريعتها. ودعاها إلى كراهية البيوت والأزواج والأولاد!!! فقد زادت نسبة النساء العاملات فى السنوات الأخيرة بمقدار ٥٠٪ فى حين أن الرجال لم يزيدوا إلا بمقدار ٣٠٪.

ومما يدل على أن المرأة الأمريكية تفوق جميع نساء العالم نفوذاً: انتشار الطلاق فى أمريكا. والمشاهد: أنه كلما قوى نفوذ المرأة كثر الطلاق، لأن قدرة المرأة على الاستقلال بنفسها — استقلالا ماديا وأدبيا — يهون عليها

أمر مفارقتها زوجها. ولهذا نجد أن نسبة الطلاق فى أمريكا ثمانيـــة أمثالها فى بريطانيا ، كما نجد أن ٧٠ % من حالات الطلاق تقع بناء على طلب الزوجات ، لا على طلب الأزواج. وقلما نجد الآن فتاة أمريكية ترضى أن تكون ربـــة بيت فقط ، بل كل فتاة تريد أن تعمل وأن تكسب كالشباب ، وبعد الزواج ترفض المرأة أن تبقى فى بيتها !!

قلت : سبب هذا الانحلال الخلقى ، والتدهور الاجتماعى : هو تخلى الرجال عن النساء ، بل دفعهن فى تيار العمل ، واللهو خارج المنزل ، فاختل نظام البيوت ، وتقوضت دعائم الأسرة ، وهذا هو الذى يقلدهم فيه من بلاد الشرق عبيد الشهوات ، حتى تتعطل الحياة المنزلية ، وتقفر البيوت من أهلها .

إذا لم تكن فى منزل المرء حرة مدبرة ضاعت مصالح داره[1]

المبحث السادس : أقسام الطلاق

قسم الفقهاء الطلاق إلى قسمين :

طلاق السنة ، وطلاق البدعة :

١ – فأما طلاق السنة . فهو : أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه . وزاد بعضهم أن يشهد شاهدين . وسمى بطلاق السنة : لأنه الطلاق الذى وافق أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ .

٢ – وأما طلاق البدعة . فهو : أن يطلقها فى الحيض أو فى طهر جامعها فيه ولم يتبين أمرها أحملت أم لا ؟

وزاد الجمهور : أن يطلقها أكثر من واحدة ، وخالف فى ذلك الشافعى فلم يره بدعة .

(١) المصدر السابق : (٤٨ – ٥٠) .

وسمى بطلاق البدعة: لأن المطلق خالف السنة وترك أمر الله رسوله ﷺ[١].

وقد ذكر ابن العربي فى «أحكام القرآن»: أن طلاق السنة ما جمع سبعة شروط وهى: أن يطلقها واحدة، وهى ممن تحيض، طاهراً، لم يمسها فى ذلك الطهر، ولا تقدمه طلاق فى حيض، ولا تبعه طلاق فى طهر يتلوه، وخلا عن العوض[٢] انتهى.

ومفهومه أنه إذا اختل شرط من هذه الشروط صار طلاق بدعة والله أعلم.

المبحث السابع: أقوال أهل العلم فى مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد

الأقوال المشهورة فى المسألة التى يذكرها العلماء ويتناقلونها فى كتبهم: أربعة أقوال. وهى:

الأول: أنه يقع ثلاثا. سواء كان مدخولا بها أم لا.

وهو قول جمهور الصحابة والتابعين. وإليه ذهب الأئمة الأربعة.

الثانى: يقع واحدة. دخل بها أم لم يدخل.

وهذا القول منقول عن طائفة من الصحابة. وقال به بعض التابعين وطائفة من أتباع الأئمة الأربعة وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية.

---

(١) «المغنى»: (٣٢٤/١٠)، «مجموع الفتاوى»: (٧٢/٣٢) «فتح البارى»: (٣٤٦/٩).

(٢) «أحكام القرآن»: (١٨٢٥/٤).

الثالث: يقع واحدة في غير المدخول بها، وثلاثا في المدخول بها.
وبه قال بعض أصحاب ابن عباس كسعيد بن جبير، وهو مذهب إسحاق بن راهوية، وأقره ابن رجب.

الرابع: لا يقع به شيئاً، وهو قول بعض المعتزلة والشيعة[1].

المبحث الثامن: نقض دعوى الإجماع في هذه المسألة

كثيراً ما يحكى الإجماع على مسألة من المسائل، وبعد البحث والتقصي يتبين خلاف ذلك ويتضح أن المسألة خلافية، وليست مجمعاً عليها، وهذا في المسائل الفقهية أكثر منه في غيرها[2]. ومنها مسألتنا هذه، فقد نقل الإجماع فيها غير واحد من أهل العلم على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثاً. وممن حكى ذلك: أبو بكر الجصاص، وابن عبد البر، والباجي، وابن العربي، وغيرهم.

لكن رد دعوى الإجماع هذه جمع من المحققين، وبينوا أن المسألة من مسائل النزاع لا من مسائل الإجماع.

وإليك بعض نصوصهم في ذلك:

---

(١) تنظر هذه الأقوال الأربعة في: «مذاهب الحكام» للقاضي عياض وولده: (٢٨٦)، «مجموع الفتاوى»: (٨/٣٣)، «زاد المعاد»: (٥/٢٤٧) «سير الحاث» ليوسف بن عبد الهادي: (٦٨).

(٢) ينظر: «الصواعق المرسلة» لابن القيم: (٢/٥٨٣ — ٦٣١) فقد ذكر في هذا الكتاب إحدى وعشرين مسألة فقهية ادعى فيها الإجماع وليس كذلك: وكذا تنظر الاستدراكات التي كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية على إجماعات ابن حزم بالرغم من تشدد الأخير وتثبته فيما يحكيه في الإجماع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(والنزاع بين السلف فى ذلك - أى فى طلاق الثلاث هل يلزمه واحدة أو يقع ثلاثاً - ثابت لا يمكن رفعه، وليس مع من جعل ذلك - أى الثلاث ثلاثاً - شرعا لازماً للأمة حجة يجب اتباعها من كتاب، ولا سنة ولا إجماع، وإن كان بعضهم قد احتج على هذا بالكتاب، وبعضهم بالسنة، وبعضهم بالإجماع، وقد احتج بعضهم بحجتين أو أكثر من ذلك، لكن المنازع يبين أن هذه كلها حجج ضعيفة، وأن الكتاب والسنة والاعتبار إنما تدل على نفى اللزوم، وتبين أنه لا إجماع فى المسألة) انتهى[1].

وقال ابن القيم فى «الصواعق المرسلة» :

(فصل : ومن ذلك نقل من نقل الإجماع على أن المتكلم بالطلاق الثلاث فى مرة واحدة يقع به الثلاث، وقال بموجب علمه وما بلغه، وإلا فالخلاف فى هذه المسألة ثابت من وجوه)[2].

وذكر عشرة أوجه.

وقال فى «إغاثة اللهفان» :

(وهذه المسألة مسألة نزاع بلا نزاع بين أهل العلم الذين هم أهله. والنزاع فيها من عهد الصحابة إلى وقتنا هذا. وبيان هذا من وجوه)[3].

ثم ذكر عشرين وجها.

وقال ابن حجر - بعد حكايته للخلاف فى المسألة - :

---

(١) «مجموع الفتاوى» : (٩١/٣٣)

(٢) «الصواعق المرسلة» : (٦١٩/٢ - ٦٢٨) .

(٣) «إغاثة اللهفان» : (٣٢٩/١ - ٣٤٥)

(و يتعجب من ابن التين حيث جزم بأن لزوم الثلاث لا اختلاف فيه ، وإنما الاختلاف فى التحريم . مع ثبوت الاختلاف كما ترى) انتهى[١].

المبحث التاسع : ذكر المصنفات فى هذه المسألة نفياً و إثباتاً

أفرد جمع من العلماء قديماً وحديثاً مسألة الطلاق الثلاث بعدة مصنفات ، وهى دائرة بين التصنيف فى وقوع الثلاث ، والرد على من خالف ذلك ، وبين التصنيف فى كونه لا يقع إلا واحدة ، و الاستدلال على ذلك .

و هناك من صنف فى الجمع بين القولين و خرج برأى ثالث وسط .

وفيما يلى بيان بما تم الوقوف عليه من تلك المصنفات :

● أولا : المصنفات فى وقوع الثلاث :

١ - « الرد على من قال : الطلاق الثلاث لا يقع » .

للإمام أبى عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبرى الحنبلى (ت ٣٨٧ هـ) .

٢ - « تحرير الأبحاث فى تقرير وقوع الطلاق الثلاث » .

للشيخ إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبرى الشافعى (ت ٧٣٢ هـ) ذكره فى فهرست كتبه المسمى « الهبات الهنيات » .

٣ - « مشكل الأحاديث الواردة فى أن الطلاق الثلاث واحدة » .

للإمام زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى . (ت ٧٩٥ هـ) .

٤ - « الإغاثة فى حكم الطلاق بالثلاثة » .

للشيخ أحمد بن حسن الطلاوى الشافعى .

مطبوع سنة ١٣٢٩ هـ .

---

(١) « فتح البارى » : (٣٦٣/٩)

٥ – «لزوم طلاق الثلاث دفعة بما لا يستطيع العالم دفعه».

لمحمد الخضر بن عبد الله بن مايأبى الشنقيطى المالكى (ت ١٣٥٣ هـ) مطبوع سنة ١٤٠٨ هـ.

٦ – «القول الجامع فى الطلاق البدعى و المتتابع».

للشيخ محمد بخيت المطيعى الحنفى (ت ١٣٥٤ هـ). مطبوع سنة ١٣٢٠ هـ.

٧ – «الإشفاق على أحكام الطلاق».

لمحمد زاهد الكوثرى (ت ١٣٧١ هـ). مطبوع.

٨ – «براهين الكتاب والسنة الناطقة على وقوع الطلقات المجموعة منجزة أو معلقة».

للشيخ سلامة هندى العزامى القضاعى الشافعى (ت ١٣٧٦ هـ).

طبع مرتين الأولى سنة ١٣٦٦ هـ و الثانية سنة ١٣٨٠ هـ.

٩ – «لزوم الطلاق الثلاث فى كلمة واحدة».

للشيخ أحمد بن عبد العزيز آل مبارك.

طبع مرتين. الثانية منهما سنة ١٤٠٢ هـ.

١٠ – «بحث اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فى حكم الطلاق الثلاث بلفظ واحد».

منشور فى مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثالث لعام ١٣٩٧ هـ وفى أبحاث هيئة كبار العلماء: (٢١٧/١ – ٤٢٢).

١١ – «طلاق الثلاث بلفظ واحد، حكمه و وقوعه».

إعداد الدكتور: عوف بن على الشريف.

مطبوع. بدون تاريخ.

● ثانيا : المصنفات فى وقوعه واحدة .

١٢ — « مقالة فى طلاق الثلاث » .

لابن القطان : على بن محمـــد بن عبد الملك المغربى المالكى المشهور بابن القطان (ت ٦٢٨ هـ)[١] .

١٣ — « رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية فى هذه المسألة » .

فقد صنف فيها عدة مصنفات . كما سيأتى فى ترجمته . وفى المجلد الثالث والثلاثين من « مجموع الفتاوى » بعض منها .

١٤ — « الأحاديث والآثار المتزايدة فى أن الطلاق الثلاث واحدة » .

لابن رجب الحنبلى .

صنف ذلك أولا ثم رجع عنـــه وصنف مشكل الأحاديث الواردة . المتقدم .

١٥ — « التحفة والفائدة فى الأدلة المتزايدة على أن الطلاق الثلاث واحدة » .

١٦ — « الرد على من قال أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثاً » .

١٧ — « الرد على المعترضين على ابن تيمية فى الطلاق » .

١٨ — « الرسالة إلى ابن رجب فى الطلاق الثلاث » .

كل هذه الأربعة للشيخ جمال الدين يوسف بن أحمد بن أبى عمر المقدسى الصالحى الحنبلى . من آل قدامة (ت ٧٩٨ هـ) .

١٩ — « الحجج المتعاضدة على أن الطلاق الثلاث بلفظ أو ألفاظ رجعة واحدة » .

للإمام المتوكل على الله إسمـــاعيل بن الإمام القاسم بن محمـــد الزيدى

---

(١) « الذيل والتكملة » للمراكشى : (١٦٨/١/٨) وانظر : « سير أعلام النبـــلاء » : (٣٠٦/٢٢) .

(ت ١٠٨٧ هـ). مخطوط مصور فى مكتبة الجامعة الإسلامية.
برقم: ٢٥٤.

٢٠ - «رسالة فى حكم أن الطلاق لا يتبع الطلاق على الراجح».
للإمام محمد بن على الشوكانى (ت ١٢٥٠ هـ).

٢١ - «نظام الطلاق فى الإسلام».
للشيخ أحمد محمد شاكر (ت ١٣٧٧ هـ).
مطبوع سنة ١٣٥٤ هـ وصورت عنه الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧ هـ.

٢٢ - «رسالة فى الطلاق الثلاث».
بقلم فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
لا تزال مخطوطة.

● ثالثاً: المصنفات فى الجمع بين القولين.

٢٣ - «سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث».
ليوسف بن حسن بن عبد الهادى الحنبلى (ت ٩٠٩ هـ).
طبع مرتين الأولى سنة ١٣٧٢ هـ والثانية سنة ١٣٩٨ هـ.

المبحث العاشر: بعض الفوائد المتعلقة بهذه المسألة

● الفائدة الأولى:

خالف ابن حزم ظاهريته فى هذه المسألة، فرأى أن الطلاق الثلاث يقع ثلاثا كما هو نصه فى «المحلى»: (٤٧٢/١١) ومثله عنه أيضا فى «مذاهب الحكام»: (٢٨١) للقاضى عياض وولده. وفى «مجموع الفتاوى»: (٨٢/٣٣) لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«إغاثة اللهفان»: (٣٤٥/١) لابن القيم.

● ثانيا: المصنفات في وقوعه واحدة.

١٢ – «مقالة في طلاق الثلاث».
لابن القطان: علي بن محمد بن عبد الملك المغربي المالكي المشهور بابن القطان (ت ٦٢٨ هـ)(١).

١٣ – «رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة».
فقد صنف فيها عدة مصنفات. كما سيأتي في ترجمته. وفي المجلد الثالث والثلاثين من «مجموع الفتاوى» بعض منها.

١٤ – «الأحاديث والآثار المتزايدة في أن الطلاق الثلاث واحدة».
لابن رجب الحنبلي.
صنف ذلك أولا ثم رجع عنه وصنف مشكل الأحاديث الواردة. المتقدم.

١٥ – «التحفة والفائدة في الأدلة المتزايدة على أن الطلاق الثلاث واحدة».

١٦ – «الرد على من قال أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثاً».

١٧ – «الرد على المعترضين على ابن تيمية في الطلاق».

١٨ – «الرسالة إلى ابن رجب في الطلاق الثلاث».
كل هذه الأربعة للشيخ جمال الدين يوسف بن أحمد بن أبي عمر المقدسي الصالحي الحنبلي. من آل قدامة (ت ٧٩٨ هـ).

١٩ – «الحجج المتعاضدة على أن الطلاق الثلاث بلفظ أو ألفاظ رجعة واحدة».
للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد الزيدي

---

(١) «الذيل والتكملة» للمراكشي: (١٦٨/١/٨) وانظر: «سير أعلام النبلاء»: (٣٠٦/٢٢).

(ت ١٠٨٧ هـ). مخطوط مصور فى مكتبة الجامعـة الإسلاميـة. برقم: ٢٥٤.

٢٠ - «رسالة فى حكم أن الطلاق لا يتبع الطلاق على الراجح».
للإمام محمد بن على الشوكانى (ت ١٢٥٠ هـ).

٢١ - «نظام الطلاق فى الإسلام».
للشيخ أحمد محمد شاكر (ت ١٣٧٧ هـ).
مطبوع سنة ١٣٥٤ هـ وصورت عنه الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧ هـ.

٢٢ - «رسالة فى الطلاق الثلاث».
بقلم فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
لا تزال مخطوطة.

● ثالثاً: المصنفات فى الجمع بين القولين.

٢٣ - «سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث».
ليوسف بن حسن بن عبد الهادى الحنبلى (ت ٩٠٩ هـ).
طبع مرتين الأولى سنة ١٣٧٢ هـ والثانية سنة ١٣٩٨ هـ.

المبحث العاشر: بعض الفوائد المتعلقة بهذه المسألة

● الفائدة الأولى:

خالف ابن حزم ظاهريته فى هذه المسألة، فرأى أن الطلاق الثلاث يقع ثلاثا كما هو نصه فى «المحلى»: (٤٧٢/١١) ومثله عنـه أيضا فى «مذاهب الحكام»: (٢٨١) القاضى عياض وولده. وفى «مجموع الفتاوى»: (٨٢/٣٣) لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«إغاثة اللهفان»: (٣٤٥/١) لابن القيم.

بخطه، وأنه لم يكن منه إنكار لذلك غير قوله : لا كثر الله فينا مثل هذا . قال :

(وكان الواجب عليك مع ارتفاع قدرك و موقعك من قلوب العباد أن تقدم إليه بمن معك فتخبره بأن القائل بهذا خارجي ! مبتدع فى الإسلام بدعة عظيمة ! فإذا لم تقطعوها أنت و مثلك ، ذهب الناس وصاروا كلهم أولاد زنى . وهو أمر أجمع عليه أهل الفتيا والأئمة بالأمصار كلها لم يختلف منهم فيه مختلف)[١] انتهى .

● الفائدة الثالثة :

قال ابن القيم فى « الإغاثة » : الناس لا بد لهم فى باب الطلاق من أحد ثلاثة أبواب يدخلون منها :

أحدها : باب العلم و الاعتدال الذى بعث الله تعالى به رسوله ﷺ ، و شرعه للأمة رحمة بهم و إحساناً إليهم .

والثانى : باب الآصار و الأغلال الذى فيه من العسر و الشدة و المشقة ما فيه .

والثالث : باب المكر والاحتيال الذى فيه من الخداع والتحيل والتلاعب بحدود الله تعالى ، واتخاذ آياته هزواً ما فيه .

و لكل باب من المطلقين و غيرهم جزء مقسوم[٢] .

---

(١) « مذاهب الحكام » : (٢٨٥)

(٢) « إغاثة اللهفان » : (٣٥٤/١)

● الفائدة الرابعة :

جميع أئمة الدعوة الإصلاحيــة فى نجد ابتداء من الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ) و انتهاء بالشيخ محمد بن إبراهيم (ت ١٣٨٩ هـ) لم يحفظ عنهم الإفتاء فى هــذه المسألة – أى أن الثلاث واحــدة – إلا ما كان من الشيخ محمد بن عبد الوهاب فإنه أفتى بها مرة واحدة ثم لم يعد إلى ذلك[1].

● الفائدة الخامسة :

من تقرير للشيخ محمد بن إبراهيم فى الاعتذار عن شيخ الإسلام ابن تيمية و تلميذه ابن القيم و توجيه اختيارهما فى هذه المسألة . يقول فيه رحمه الله :

(ثم مشهور فى ذلك كلام الشيخين ، وقد أكثرا فى ذلك ، وبسطا ، ولكن تعرف أن زمن شيخ الإسلام ليس مثل زمن النبى ﷺ الذى الناس لم يتمادوا فيه ، ولا فى زمان عمر الذى لما أدبهم انكفوا ، بل كان فى زمان شيخ الإسلام مفسدة أخرى وهى التحليل المحرم فشا فيه ، فرأى أن لا يقع خشية الوقوع فى التحليل ، يقول كوننا نقول يراجعها خير من كوننا نقول يقع ثم يرجعون إلى التحليل الذى حلله بعض أهل المذاهب وهو أردأ الأقوال ، فالشيخ وابن القيم يقولان إذا صار أنه من باب العقوبة فهنا محذور قد ترتب على هذا وهو التمادى فى التحليل المحرم . ومن أسباب إكثار الشيخ فى المسألة أنه قصد تبرئة نفسه من أنه مخالف للحق والصواب ، وهو و تلميذه لم يقوما مقام إنكار على

(١) « الدرر السنية » : (٣٨٦/٤) ، « فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم » : (٢٥/١١ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨).

من أمضى الثلاث ، إنما هو مقام ذب لمن جهل الحكم الشرعى و رداً لمسألـــة التحليل ، و إلا فهما ما بدعا ولا ضللا من قال ذلك ، لا سيما و أمهرهم عمر ، ولا قال : إنهم مجتهدون مخطئون .

و « الشيعة » لا ترى الثلاث إلا واحدة ، و أعداء شيخ الإسلام يقولون إن مذهبه مذهب الرافضة ، واختياره ليس موافقاً من جميع الوجوه لمذهب الرافضة ، إنما الشيخ فى شىء مخصوص بشرطه ، و لكن العدو يقول فى عدوه ما شاء إذا كان لا يخاف الله ولا ينصف .

فمن غلط و جهل من أفتى به على هـــذا التغليظ فهو غلطان ، وجنى على عمر ، و الصحابة . ومن قال : إنه ذات الحـــكم النبوى ، فهو غلط . ومن قال : إنه خلاف الحكم النبوى فقـــد غلط إذا كانت العلة موجودة ، أما إذا كانت مفقودة ، أو كانت علة أكبر كما فى وقت شيخ الإسلام وهو التحليل ، فلا)[1].

● الفائدة السادسة :

وللشعر دوره فى هـــذه المسألة . فقد نقل الشيخ محمد بهجت البيطار فى كتابه عن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية مقتطفات من قصيدة (المطلقة) للشاعر العراقى معروف الرصافى (ت ١٣٦٤ هـ) فى الانتصار لمذهب ابن القيم و شيخه ابن تيمية ـــ رحمهما الله ـــ .

يقول الشيخ البيطار : ومطلعها :

بدت كالشمس يحضنها الغروب   فتـــاة راع نضرتها الشحوب
منزهـــة عن الفحشاء خود   من الخفرات آنســة عروب

---

(١) « فتاوى الشيخ ابن إبراهيم » : (٣٩/١١)

و منها :

حليلة طيب الأعــراق زالت ... به عنها و عنه بهـا الكروب
رمى ورعت فلم تر قط منـه ... ولم ير قط منهـــا ما يريب

و منها :

فغاضب زوجها الخلطاء يومـا ... بأمر للخــلاف بــه نشوب
فـأقسم بالطــلاق لهم يمينــا ... و تلك أليــة خطأ وحوب
و طلقهـــا على جهل ثلاثـا — ... كذلك يجهل الرجل الغضوب
و أفتى بالطـــلاق طلاق بت ... ذوو فتيـــا تعصبهم عصيب
فبـــانت منـــه لم تأت الدنايا ... ولم يعلق بهـــا الذام المعيب
فظلت و هى باكيـــة تنـــادى ... بصوت منـه ترتجف القلوب
لماذا يا نجيب صرمت حبلى؟ ... وهل أذنبت عندك يا نجيب؟

و منها :

فأطرق رأسه خجلا و أغضى ... وقال ودمع عينيــه سكوب
نجيبـــة أقصـــرى عنى فانى ... كفانى من لظى الندم اللهيب
و ما و الله هجرك باختيـارى ... ولـكن هكـذا جرت الخطوب

وقد ختمها بقوله :

ألا قل فى الطـلاق لموقعيـــه ... بما فى الشرع ليس له وجوب
غلوتم فى ديـــانتكم غلوآ ... يضيق ببعضــه الشرع الرحيب

أراد الله تيسيراً و أنتم ... من التعسير عنـــدكم ضروب

و قـــد حلت بأمتكم كروب ... لـــكم فيهن لا لهم الـــذنوب

وهى حبل الزواج ورق حتى ... يكاد إذا نفخت لــــه يذوب

كخيط من لعاب الشمس أدلت ... به فى الجو هـــاجرة حلوب

يمزقـــه من الأفواه نـفث ... و يقطعـــه من النسم الهبوب

فدى ابن القيم الفقهاء كم قد ... دعـــاهم للصواب فلم يجيبوا

ففى إعلامـــه للنـــاس رشد ... ومزدجر لمن هو مستريب

نحـــا فى مـا أتاه طريق علم ... نحاها شيخـه الحبر الاديب[1]

و بين حـــكم دين الله لـكن ... من الغـالين لم تعـــه القلوب

لعل الله يحـدث بعـــد أمرآ ... لنـا فيخيب منهم من يخيب[2]

(البحث موصول)

★

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية .

(٢) « حيـاة شيخ الإسـلام ابن تيمية » للبيطار : (٥٥ — ٥٧) ، و القصيدة بتمامها فى « ديوان الصافى » : (٥٤ — ٥٨) الطبعة السادســة ، و نشرت أيضاً فى آخر كتاب « إغاثة اللهفان » فى حكم طلاق الغضبان ، لابن القيم .

كلمة حق

تحية لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

بقلم : عبد الكريم عبد الله نيازى

● كان العالم الاسلامى يعيش فى ضعف وتخلف وانحطاط . فقد خيم الظلام الرهيب على كل أجزائه . وانتشر فساد الأخلاق . وعمت الفوضى والاضطراب كل أرجاء الأمة الاسلامية . بدع وخرافات . دجل وشعوذة . تصوف والحاد . جهل وشرك . ظلمات بعضها فوق بعض . أدعياء وجهلاء ومرتزقة . سذج وبسطاء يعلقون التمائم والتعاويذ فى أعناقهم . وأدعياء العلم من المتصوفة والمرتزقة يشيعون الخرافات . والتماس البركات عند القبور !!

● غابت تعاليم القرآن الكريم . ومبادىء السنة النبوية المطهرة . فاستبيحت الحرمات . واغتصبت الاعراض . وسفكت الدماء . ونهبت الأموال . وعمت الرذيلة !!

● حتى مكة المكرمة والمدينة المنورة . فقد نالهما ما نال سائر مدن الاسلام . وبلاد نجد كانت تعيش هى الأخرى فى فوضى وفتن . وحروب طاحنة . ومعارك عنيفة . وأمراء يحكمون لا تربطهم علاقة . ولا توحدهم كلمة !!

● وبينما الجزيرة العربية تموج بالشرك والبدع والفوضى وسفك الدماء . والعالم الاسلامى غارق فى ظلمات الجهل والشرك والالحاد . إذا بصوت قوى يدوى فى قلب الجزيرة العربية . مهد الاسلام . ومهبط الوحى . ومنزل القرآن . وإذا بدعوة جديدة قوية . تنطلق فى كل مكان من العالم الاسلامى . انه صوت الامام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ودعوة التوحيد لله وحده لا شريك له !!

● وعاش الامام (محمد بن عبد الوهاب) حياته يجاهد فى نشر الدعوة التوحيدية الصحيحة فى كل انحاء العالم الاسلامى . ومضى إلى رحاب الله تعالى !!

● ولكن مدرسة الامام (محمد بن عبد الوهاب) ما تزال تؤدى رسالتها فى سبيل الاسلام والمسلمين . وقضايا الاصلاح الدينى والاجتماعى والثقافى . وبعد وفاة الامام (محمد بن عبد الوهاب) ينهض رائد كبير من مدرسة الامام . يحمل الراية . ويواصل المسيرة . ويدوى صوته قويا فى كل آفاق العالم الاسلامى !!

● إن الرائد الكبير والصوت القوى . هو الامام الجليل سماحة الشيخ (عبد العزيز بن عبد الله بن باز) . صوت الحق والايمان والاسلام . أروع وأعظم من أنجبت الجزيرة العربية بعد الامام محمد بن عبد الوهاب . وأنبغ وانطق من حمل راية التوحيد حتى الآن . رحابة صدر . وطهارة قلب . ونقاء نفس . واشراقة روح . وصفاء وجدان . فما أروعها من نفس طاهرة . مطمئنة بالايمان . وما أعظمه من قلب مشرق عامر باليقين والحب والخير . وما أنبله من عالم فاضل . وشيخ جليل . وباحث مقتدر . ومجدد كبير . ومصلح عبقرى . ينشر الدعوة الاسلامية . بكل ما جمعت نفسه الكبيرة من تجارب وحكم . وعلم وثقافة ومعرفة . فى رحابه الخير والأمل . وفى قلبه العلم والنور . وفى طلعته مشاعل النور التى تحدد للانسانية معالم الطريق !!

● وإذا كانت الأمم تنهض وتتطور بفضل علمائها وروادها . فإن الامام الجليل عبد العزيز بن باز . يعتبر علامة مشعة مضيئة . ونقطة تحول بارزة فى تاريخ الاسلام الدينى فى هذا العصر . رائد من الرواد العظام . الذين منحوا الأمة الاسلامية العلم والثقافة الاسلامية الأصيلة . والفكر الدينى البناء .

وان تاريخ العمل الاسلامى. الذى أرسى هو دعائمه الصحيحة. سوف يسجل — بعد عمر مديد ان شاء الله — اسمه وتاريخه وجهوده بحروف من نور. باعتباره خير من يدافع عن الاسلام. ويوضح الجوانب المشرقة فى العقيدة الاسلامية. وينشر الدعوة الاسلامية فى كل أرجاء العالم. وباعتباره رائدا للفكر الاسلامى فى هذا العصر. وشامخة من شامخات الثقافة الاسلامية ومجددا لشباب الاسلام لهذا الجيل. والأجيال القادمة. وعلما للتربية الاسلامية. وعملاقا من عمالقة الفكر والثقافة والمعرفة. ومصلحا واماما ومجددا أثرى الحياة بفكره وعلمه واجتهاده وعصارة فكره. فإذا كانت الأمة تنهض وتتقدم بفضل جهود رجال العلم فيها. فان سماحة الشيخ (عبد العزيز بن باز) هو الدعامة القوية للصحوة الاسلامية. والرمز الخالد. والتاريخ النابض. للفكر الاسلامى الذى سوف تبنى عليه الأمة تقدمها وحضارتها عبر قرون وقرون !!

● ان مفخرة العمل الاسلامى ممثلة فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة. ما تزال شاهدة عيان على نبوغ الشيخ الامام ابن باز. وعمله المتواصل. وسعيه الدائب. ونشاطه المستمر لخدمة الدعوة الاسلامية. يعتبر من الانجازات الكبرى التى تفخر بها الأمم والشعوب[1] !!

● ونيله جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام تقديرا لنضاله العلمى والدينى. ومكانته الفكرية. وكفاحه من أجل الاسلام والمسلمين عبر حياته الطويلة المديدة المباركة ان شاء الله. هو كسب كبير للعمل الاسلامى. وانتصار رائع للدعوة الاسلامية. التى ما يزال بارك الله فى عمره يحمل مشعلها. ويواصل نشرها. ويؤدى رسالتها. وما أروعها من رسالة شريفة مقدسة ! حمل عبئها الأنبياء والمرسلون !!

● ان سماحة الشيخ (ابن باز). بشخصيته الرائدة. وثقافته الواسعة.

---

(١) كتبت هذه السطور حين كان الشيخ نائب رئيس الجامعة.

ومؤلفاته العلمية الغزيرة. ومقالاته الاسلامية الكثيرة. وبحوثه الدينية المتعددة. وانتمائه الاسلامى الكبير. بأصولـــه العربية العريقـــة. يعتبر علامة بارزة على الطريق. وكتبه وأبحاثه التى يسير فيها على منهج الامام محمد بن عبد الوهاب. تمتاز بدقة المنهج. وغزارة العلم وسعة الاطلاع. والاحاطة بشتى التفاسير والروايات والأسانيد والمأثورات. اعتمادا على الاجتهاد والعقل فى فهم كتاب الله. وسنة رسوله ﷺ. وتعميقا وترسيخا لقواعد الشريعة الحقة. وأحكام العقيدة الصحيحة.

● وعلاوة على ذلك فإن سماحة الشيخ ابن باز. يعتبر مجـددا لشباب الاسلام. ومجتهدا كبيرا. ومصلحا عظيما. وعبقرية فذة وعلما خفـاقا من أعلام الاسلام. و رائدا وحارسا للعقيدة السلفية الصافية. وصاحب مدرسة علمية من مدارس الفكر الاسلامى الموصول الحلقات إن شاء الله.

● و إذا كنت قـــد تحـدثت عن كل هذه النواحى من مظاهر العبقرية والنبوغ والكفاح فى سبيل الدعوة الاسلاميـة هو فيها كلها علم من أعلام البحث العلمى والنضال الموصول فى سبيل العقيدة فإننى قد أبقيت الجانب الأهم من حياة الرجل. فمن الممكن أن نجد عالما كبيرا. وباحثا مجيدا ومناضلا فى سبيل الدعوة الاسلامية فى الليل والنهار ولكننا قل ما نجد فى كل العصور الاسلامية الرجل الذى تتمثل حياته فى عقيدته ببساطة. الرجل الذى يفعل ما يقول ويقول ما يفعل الرجل المتصل قلبه بالسماء. ولسانه بالله. و وجدانه بالحياة الآخرة.

تحية لهـــذا المجاهد فى سبيل الاسلام. ونشر الـدعوة. وارساء دعائم الاصلاح. وتصحيح مسار العقيدة. بعلمه. وعقله. وكفاحه. واجتهاده. وجهوده.

تحية للامام الشيخ (عبد العزيز بن عبد الله بن باز).

الرضى وأثره النفسى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمـــد خاتم الأنبياء والرسل أجمعين وبعـــد :

فإن الايمـان بالله سبحانه و تعالى يورث فى نفس المؤمن الرضى عن الله سبحانه وتعالى ، والرضى بما قـــدر الله سبحانه وتعالى . فالمؤمن لا يتحسر على الماضى . ولا يلقى الحاضر جزوعا ساخطا ، ولا يواجه المستقبل خائفا وجلا . إنه يعيش آمن النفس ، وإيمانه مصدر أمنـه . قال تعالى : ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام : ٨٢] .

ولـكى نعلم مدى ما يصنعه الايمـــان من أمن و سلام فى نفس صاحبه ، ولـكى تـكون الموازنة بينة ظاهرة بين المؤمن وغيره ، لاحظ هذين النموذجين من الناس .

ترى رجلا يقول : إننى أعيش فى خوف دائم ، فى رعب من النـــاس ، و رعب من نفسى . لا الثروة أعطتنى الطمأنينـــة ولا المركز الممتـاز أعطانيها ، ولا الصحة ولا الرجولة ولا المرأة ولا المـال . ضقت بكل شىء بعد أن جربت كل شىء . إننى أكره نفسى ، أخاف من نفسى . ألا ترى النـــاس ينظرون إلى بحسد ، ألا تحس بالخوف يفتح فمه لـكى يلتهمنى مع هذه الهموم ؟ المال عندى ، المركز والجاه والصحة والمرأة وكل شىء بين يدى . ومع ذلك لا أشعر بالأمن ولا بالسعادة . . .

هذا نموذج لنفسية أولئك المحرومين من حلاوة الايمان وبرد اليقين ، وهو يصور لنـا ما يعانيــه هؤلاء من رعب و خوف وقلق وتعب نفسى لم يخفف وطأته عليهم وفرة المال والجاه ونعيم الدنيا كله .

مقابل هذا نرى نموذجا آخر لنفس مؤمنة وأم مؤمنة. أمرها ربها أن تلق بولدها وفلذة كبدها فى عرض البحر و وعدها برده إليها فاستجابت لايمانها وصدقت بكلمات ربها و وعده. وألقت ابنها فى اليم ليلقيه اليم بالساحل، ليأخذه عدوه المتربص. كل هذا وقلبها مطمئن بالايمان. اسمعوا قول الله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخاف ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين. فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ [القصص: ٧–٨] واستجابت الأم وصدقها الله وعده. ﴿فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ [القصص: ٣١].

الناس يخافون من أشياء كثيرة وأمور شتى. ولكن المؤمن سد أبواب الخوف كلها. فلم يعد يخاف إلا الله وحده، يخافه أن يكون فرط فى حقه، أو اعتدى على خلقه، والناس بالنسبة له لا يملكون له ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

لقد دعا أبوالأنبياء إبراهيم إلى توحيد الله وتحطيم الأصنام، فخوفه قومه من آلهتهم التى دعا إلى نبذها فقال إبراهيم متعجبا: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾ [الأنعام: ٨١] وقد عقب الله على ذلك حاكما بين الفريقين. ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام: ٨٢].

إذاً، الايمان بالله هو أعظم أسباب الأمن والطمأنينة وبالتالى يكون الجحود بالله أو الشك فيه أو الشرك به أعظم أسباب الخوف والاضطراب والرعب. قال تعالى: ﴿سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا...﴾ [آل عمران: ١٥١].

المؤمن آمن على رزقه أن يفوت، فإن الأرزاق فى ضمان الله الذى

لايخلف وعده، ولايضيع عبده. وقد خلق الأرض مهادا، وبارك فيها أقواتها، وجعل فيها معايش، ووعد عباده فيها بكفالة الأرزاق وعدا كرره وأكده وأقسم عليه. وعد كريم لايبخل، قدير لا يعجز، حكيم لا يعبث ﴿... وكان وعد ربي حقا...﴾ [الكهف: ٩٨]، ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [الذاريات: ٥٨]، ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون. فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ [الذاريات: ٢٢—٢٣]، ﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها...﴾ [هود: ٦]، ﴿وكأى من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم...﴾ [العنكبوت: ٦٠].

بهذه الضمانات يعيش المؤمن حياته آمنا على رزقه مطمئنا إلى أن الله لن يهلكه جوعا، وهو الذى يطعم الطير فى الوكنات، والسباع فى الفلوات، والأسماك فى البحار، والديدان فى الصخور.

لقد كان المؤمن يذهب إلى الجهاد متمنيا الموت فى سبيل الله ومن خلفه ذرية ضعافا، ولكنه كان يوقن أنه يتركهم فى رعاية رب كريم، هو أبر بهم وأحنى عليهم منه. تقول الزوجة عن زوجها وهو ذاهب فى سبيل الله: أننى عرفته أكالا وما عرفته رزاقا، ولئن ذهب الأكال لقد بقى الرزاق، الله رب العالمين. المؤمن آمن على أجله فإن الله قدر له ميقاتا مسمى، أياما معدودة، وأنفاسا معدودة. لا تملك قوة أن تنقص من هذا الميقات أو تزيد فيه. ﴿... فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون﴾ [الأعراف: ٣٤]، ﴿ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها...﴾ [المنافقون: ١١]، ﴿... إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾ [نوح: ٤]، ﴿... وما يعمر من معمر ولاينقص من عمره إلا فى كتاب...﴾ [فاطر: ١١]. أجل، المؤمن يؤمن أن الله كتب على كل نفس متى تموت وأين تموت. قال الشاعر:

ومن كانت منيته بأرض ... فليس يموت فى أرض سواها

وبهذا ألقى عن كاهله هم التفكير فى الموت والخوف على الحياة. هذا الأمن

على الرزق والأجل منح المؤمن السكينة والطمأنينــة كما منحه القوة فى مواجهة الحياة وما فيها من طغيان وجبروت... لقد هدد الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير بالقتل فقال له سعيد: لو علمت أن الموت فى يدك ما عبدت إلها غيرك.

المؤمن لا يعيش فى خوف من الموت، أنه زائر لابد من لقائه والخوف منه لا يرده. ﴿قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم...﴾ [الجمعة: ٨]، ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيــدة...﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿... قل لوكنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم...﴾ [آل عمران: ١٥٤]. و يهون الموت على المؤمن لأن الموت مصير الناس قبله من النبيين والصديقين و الشهداء والصالحين: فلا عليه إذا اقتفى إثرهم وسار على دربهم ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر: ٣٠]، ﴿كل نفس ذائقــة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيـامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ [آل عمران: ١٨٥]. فالموت ليس عدما محضا، إنه انتقال من حيـاة إلى حياة ومن طور إلى طور.

قيل لأعرابي اشتد مرضه: إنك ستموت. فقــال: وإلى أين يذهب بي بعد الموت. قيــل: إلى الله. فقــال: ويحكم وكيف أخاف الذهاب إلى من لا أرى الخير إلا من عنده؟ إن الايمان بالله سبحانه وتعـالى هو الذى يؤدى إلى الأمن النفسى الذى يسعى إليــه كل إنسان. قال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقــاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون﴾ [فصلت: ٣٠] ●◇●

(العباد — بيروت)

عدد صفحات الجزء ٥٦

صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٦) — محرم ١٤١٥ هـ

العدد السابع — يوليو ١٩٩٤ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi - 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٥٠ روبية ، فى الخارج ٣٢ دولارا (بالبريدالجوى) ١٢ دولارات (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٤/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٢١١٦/٣٢٠٩٥٨ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبى ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر المسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .

◇ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .

◇ التوجيه الدينى السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل النابعة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

هدى القرآن	آية وتفسير

﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمـــات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾، (البقرة: ٢٥٧).

يخبر تعالى أنه يهدى من اتبع رضوانه سبل السلام فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح المبين السهل المنير وأن الكافرين إنما وليهم الشيطان يزين لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات ويخرجونهم ويحيدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر والإفك (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ولهذا وحد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات لأن الحق واحد والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة كما قال (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) وقال تعالى (وجعل الظلمات والنور) وقال تعالى (عن اليمين وعن الشمائل) إلى غير ذلك من الآيات التى فى لفظها إشعار بتفرد الحق وانتشار الباطل و تفرده وتشعبه وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى حدثنا على بن ميسرة حدثنا عبد العزيز ابن أبى عثمان عن موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد قال يبعث أهل الأهواء أو قال تبعث أهل الفتن فمن كان هواه الإيمان كانت فتنته بيضاء مضيئة ومن كان هواه الكفر كانت فتنته سوداء مظلمـــة، ثم قرأ هذه الآية: ﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

(تفسير ابن كثير ١/٣١٢)

(إعداد: اصغر على السلفى)

فقه السنـة | حديث وشرح

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لكل نبي دعوة مستجابة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة إن شاء الله من مات منهم لا يشرك بالله شيئا. (أخرجه الشيخان).

قوله (لكل نبي دعوة مستجابة) قال النووي: معناه أن كل نبي له دعوة متيقنة الإجابة وهو على يقين من إجابتها وأما باقي دعواتهم فهم على طمع من إجابتها وبعضها يجاب وبعضها لايجاب. وذكر القاضي عياض: أنه يحتمل أن يكون المراد لكل نبي دعوة لأمته كما في الروايتين الأخيرين يعني من روايات مسلم بلفظ: لكل نبي دعوة دعاها لأمته. وبلفظ: لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته وزاد مسلم في رواية: فتعجل كل نبي دعوته (وإني اختبأت دعوتي) أي ادخرتها وجعلتها خبيئة من الاختباء وهو الستر (شفاعة لأمتي) أي أمة الإجابة يعني لأجل أن أصرفها لهم خاصة بعد العامة وفي جهة الشفاعة أو حال كونها شفاعة (وهي) أي الشفاعة (نائلة) أي واصله حاصلة (إن شاء الله) هو على جهة التبرك والامتثال لقوله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) (من مات منهم) أي من أمتي (لا يشرك بالله شيئا) أي من الأشياء أو من الإشراك وهي أقسام عدم دخول قوم النار، وتخفيف لبثهم فيها وتعجيل دخولهم الجنة ورفع درجات فيها. قال ابن بطال في هذا الحديث بيان فضل نبينا ﷺ على سائر الأنبيـاء حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة، ولم يجعلها أيضا دعاء عليهم بالهلاك كما وقع لغيره ممن تقدم. (تحفة الأحوذي ١٠/٦٢–٦٣)

(اعداد: اصغر على السلفى)

الافتتاحية :

مؤتمر علماء أهل الحديث بالهند

سبقت الاشارة فى الافتتاحية الماضية إلى مؤتمر علماء أهل الحديث الذى انعقـد فى دهلى فى الأسبوع الأخير من شهر ذى الحجة ١٤١٤ هـ بدعوة من جمعية أهل الحديث المركزية. و النشرة التى أصدرتها الجمعية بهـذه المناسبة تسلط الضوء على الظروف و الأحوال التى دفعت المسئولين إلى عقد المؤتمر، تقول النشرة :

« إن الأمة الاسلاميـة فى الهند تواجه العديد من المشكلات والتحديات، فالجهـل بأساسيات الدين عام، وأغلبيـة المسلمين تبتعد عن أحكام الشريعة يوما بعد يوم، وتنشغل بالأفكار الفاسدة والنظريات الزائفة والتقاليـد الباليـة، وتخضع لعوامل التفرق والانتشار، وتبتلى بالبـدع والخرافات، وتمارس أعمال الشرك وتنسى التوحيد. تعبد القبور وينتشر التصوف الجاهلى والحضارة الوثنية، وتسود الاتجاهات المنحرفة، وتنفق سوق الأصنام والأوثان. يقبـل النـاس على الحضارة المادية الكافرة ويعرضون عن الأسوة المحمدية، ويتنكرون لمعانى الاخلاص والتضحية والايثار والمواساة، ويتوجسون خيفة من الجهاد، وتنشط الحركات الباطلة، وتفتك بالمجتمع نظرياتها الالحادية. »

« لعب علماء أهل الحـديث دورهم فى مثل هذه الظروف فى المـاضى، فنشروا دعوة الاسلام الحقة، وقاموا بتوجيه النـاس فى مجال العلم والسياسة، ونجحوا فى رفع مستواهم فى الاعتقاد والسلوك. »

وقد أثمرت هذه الجهود بتوفيق الله تعالى، وحدث تحول كبير في حياة الناس فتابوا عن الشرك والبدع، وأخلصوا في التوحيد واتباع سنن المصطفى ﷺ، وضربوا مثالا رائعا في الايثار والتضحية والاخلاص والاستقامة، كان ايمانهم بالله قويا، وتمسكهم بالدين مخلصا، فأثروا في المجتمع تأثيرا بالغـا، وصارت كلمتهم مسموعة لدى الناس، وتمتعت شخصياتهم بالقبول والتقدير. ونحن في هذا المؤتمر مطالبون بالشعور بمسئولياتنا، وبتقدير الظروف والأحوال التي نعيشها، وبتلمس الأخطاء و الأدواء التي تسربت إلى صفوفنـا، وبالتخلي عن الأهواء والميول التي تضر بأهدافنـا. ان الجماعة في حاجة إلى القدوة، وهذه القدوة لا يتحقق إلا بأعمالنـا وسلوكنا، فطوبى للعلمـاء الذين يرفعون منزلة الجماعة بأعمالهم وتضحياتهم في سبيل الحق.

وفي المؤتمر وزعت كلمة أمير الجمعية الشيخ مختار أحمد الندوى مطبوعة في ٤٥ بالقطع المتوسط. وقد تناول في هذه الكلمة النقاط التالية:

حاضر الجماعات الاسلامية بالهند ومناهجها وأهدافها، منزلة علماء أهل الحديث، علمـاء أهل الحديث حماة منهج السلف، جماعة متمسكة بالحق، التعريف بأهل الحديث، ميزات أهل الحـديث، صراط الاسلام المستقيم، التفرق في الدين، تقسيم مؤسف للدين، حكم تقليد المذاهب الأربعـة، التعصب المذهبي أضعف المسلمين، سبيل الحق واحد، أئمـة السلف و دعوتهم إلى التمسك بالكتاب والسنة، الدين كامل لايقبل التغير، حفظ كلام الرسول ﷺ مثل القرآن الكريم، الصحابة أخلصوا في العمل بالكتاب والسنة، موقف الخلف من السلف، جماعة الصحابة والتابعين ومن تبعهم، شيخ الاسلام ابن تيميـة وجهوده، ابن القيم وجهوده، انتشار مذهب السلف في الهند، حركة أهل الحديث في عصر المغول،

الشاه ولى الله وكتابه حجة الله البالغة ، امام الهند الشاه محمد اسماعيل ، شيخ الكل السيد نذير حسين ، النواب صديق حسن الحسنى البخارى ، دعوة أهل الحديث مؤسسة على الكتاب والسنة ، عبادة الله وحده ، التشريع حق الله وحده ، لا مكان للشخصيات فى الدين ، الجهاد ضد عبادة الشخصيات ، علماء الحق لايخافون لومة لائم ، نداء إلى علماء أهل الحديث ، حركة تدريس القرآن ، حركة الحفاظ على السنة ، مقاومة فتنة انكار السنة ، الحياة الاجتماعية وضرورة الدعوة إليها ، حركة اصلاح المجتمع .

وبهذه النقاط استوعبت كلمة أمير الجمعية ميزات المنهج السلفى الذى تتبعه جماعة أهل الحديث فى الهند ، وطبيعة الدعوة السلفية ، ومراحلها التى مرت بها ، ورجالها البارزين الذين دعوا هذه الدعوة ونشروها بمواقفهم البطولية ، وأشارت إلى الأمراض التى تسربت إلى الأمة الاسلامية فانحرفت بها عن الصراط المستقيم وأوقعتها فى مهالك الجمود والتعصب ، وفى بداية الكلمة استعرض الأمير واقع الجماعات الاسلامية فى الهند وموقفها من جماعة أهل الحديث وخاصة بعد اثارة موضوع الطلقات الثلاث فى المجلس الواحد ، وأشار إلى الأخطاء التى يرتكبها ويصر عليها أتباع هذه الجماعات ، وإلى المواقف التى تؤدى إلى تفريق كلمة المسلمين مع شدة احتياجهم إلى الاتحاد والتعاون فيما بينهم وخاصة بعد التهديدات والتحديات التى تواجههم من قبل الأحزاب المتطرفة التى تؤمن بالطائفية والعنصرية .

وفى المؤتمر ألقى الشيخ عبد الوهاب الخلجى أمين عام جمعية أهل الحديث المركزية كلمته الترحيبية ، وتكلم فيها على النقاط التالية :

حركة أهل الحديث فى شبه القارة الهندية فى الماضى والحاضر ، نظام الجماعة

وقوته، الدعوة والدعاة. شبان أهل الحديث ومشكلاتهم، التربية الدينية والخلقية لعامة أهل الحديث، تصحيح الأخطاء والقضاء على سوء التفاهم، أحوال المسلمين الشخصية فى الهند، الاتجاهات المعاصرة للعلم والتحقيق والحركة السلفية، اعداد كتب المناهج الدراسية حاجة العصر الملحة، انشاء بيت المال، منزلة أئمة المساجد ومشكلاتهم، دعم مدارس أهل الحديث، الأمة الاسلامية فى الهند ومشكلاتها العويصة.

وقد استغرق تفصيل هذه النقاط ١٦ صفحة بالقطع المتوسط قد تناول فيها الأمين العام بعض الأمور المهمة، وأهاب بعلماء أهل الحديث لأداء مسئولياتهم وبذل جهودهم للنهوض بالجماعة وتوجيه الناس إلى الوجهة السليمة.

انه استعرض أحوال المسلمين من ناحية فذكر ابتعادهم عن التوحيد الخالص وارتمائهم فى حضيض الشرك والبدع وعبادتهم للقبور واستغاثتهم بالموتى وانشغالهم بالعادات والتقاليد عن تعاليم الاسلام الصافية. ومن ناحية أخرى أشار إلى الأوضاع المتدهورة فى البلاد وإلى سياسة الاثارة والتحريض والطائفية والعنصرية التى تنتهجها بعض الأحزاب السياسية والدينية ضد المسلمين فى الهند. ان الحلول العديدة تطرح للتغلب على المشكلات الناجمة، ولكن الأمين العام يؤكد أن العودة إلى الكتاب والسنة هى الحل الأسلم، وهى التى يحتاج إليها المسلمون فى العصر الحاضر.

وفى هذه الكلمة يبرز الأمين العام أهمية المؤلفات التى تساعد فى تكوين الفكر السلفى، وترد على الاتجاهات المعادية لهذا الفكر، وكذلك ينوه بعناية الجمعية بالشباب السلفيين الذين يستطيعون النهوض بالجمعية والجماعة بطاقاتهم المتنوعة، ويشير إلى ضرورة العناية بكتب المناهج، وذلك لأن الجمعية لا توفق

فى تحقيق أهدافها إلا إذا وجدت رجالا يحملون أفكارا سليمة و رؤية واضحة من جماعة أهل الحديث وأهمية أصولها ، وكذلك تمس الحاجة إلى تربية أفراد الجماعة تربية عملية وخلقية تناسب وتعاليم الاسلام.

إنى حضرت المؤتمر فى يومه الأخير، وكتبت السطور الماضية بعد الاطلاع على كلمتى أمير الجمعية وأمينها العـام. أما المقالات والبحوث التى قدمت إلى المؤتمر والقرارات والتوصيات التى اتفق عليهـا المؤتمرون فإنها تنشر فى عدد خاص لجريدة الجمعية ، ويطلع عليها القراء الكرام فيما بعد ان شاء الله تعالى. وبما أن الجمعية منظمة سلفية قديمـة لها تاريخها الطويل المشرق، وينتمى إليها أكثر من ١٥ مليون نسمـة ، فإنى كفرد متواضع من أفراد جماعة أهل الحديث أود أن أوجه كلمة قصيرة إلى منسوبى الجمعية وأفراد الجماعة راجيا أنها تحظى بعناية وتفكير منهم.

إن الجمعيات والمنظمات لا تنجح ولا تؤثر فى العصر الراهن إلا إذا تمتع أعضاؤها ومنسوبوها بوعى وبصيرة وايثار وتضحية واتحاد وتعاون . فعلى الجمعية أن تفكر فى هذه الناحية، وتطلب من أعضائها أن يضحوا فى سبيل دعم الجمعية بنصيب وافر وجزء صالح من أوقاتهم وأموالهم وجهودهم.

وعلى أفراد الجماعة أن يفكروا فى انتمائهم إلى الجماعة ، و يحققوا معنى هذا الانتماء، انه لا يعنى تحزبا وطائفيـة ، بل يهدف إلى صنع رجال مخلصين صادقين فى إيمانهم ، حريصين على التمسك بالكتاب والسنة ، متمسكين ومعتزين بالأصول والمبادىء التى تبنتهـا الجمعية. ان الواقع الذى نعيشه مؤلم جدا ، إننا ننادى ونهتف بالجمعية والجماعة ، ولكن أعمالنا وجهودنا تتجه اتجاها آخر. إن القلوب متنافرة، والجهود مشتتة ، والأهداف متنوعة ، فكيف تقوم الجماعة

قائمة فى مثل هذه الأحوال ؟

ان الجماعات الاسلاميـــة التى تعمل فى الساحة الآن فشلت فى كثير من المجالات ، وبدأ النـــاس يشعرون بضرورة العودة إلى الكتاب والسنة والتخلى عن التقليـد والجمود وفتح باب الاجتهاد وما إلى ذلك من الأمور التى اعتنت بها جماعة أهل الحديث من البـداية . وهذا الوضع يقتضى أن يهب أفراد الجماعة لقيـــادة العالم الاسلامى ولتصحيح المفاهيم الخاطئـة ولمقاومة الأعمال المنحرفة الضالة ولتفضيل ناحية التربيـــة ولبناء الشخصية الاسلامية بعيـدة عن المكاسب والأغراض التافهـة . ان أسوة الرسول ﷺ فى مجال العقيدة والعمل واضحة بينة ، والتمسك الصحيح بهـــذه الأسوة الحسنة هو الذى يحل مشكلات البشرية ، واقنـاع الناس باتبـاع هذه الأسوة من واجب الجماعة ، فهل يستعد أفراد الجماعة لأداء هذا الواجب ؟ نرجو التوفيق من الله تعالى ؟

(الدكتور مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهرى)

شعر عن المؤتمر

يمينا إنمـــا دلهى تنير بمؤتمر يقل لـه النظير
بمؤتمر يبث النور فيها فأليلهـــا كأنهرها تصير
بمؤتمر ينظمـــه دعـاة إلى خير بهم للهند نور
وهم أهل الحديث فأنجم هم لمن هو فى دجى ليل يسير

(من شعر: ن . ك . أحمد مولوى من كيرالا)

تسمية المفتين
بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة

بقلم : الدكتور سليمان بن عبد الله العمير
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة فى الجامعة الاسلامية
بالمدينة النبوية المنورة

﴿٣﴾

﴿ موضوع الرسالة فى تسمية المفتين
بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة ﴾

اعلم أن قدوة المفتين فى هذا هو نبينا و رسولنا محمد — ﷺ — فهو إمام المفتين فى هـــذه المسألة . فقد كان الطلاق فى عهده ﷺ : طلاق الثلاث واحدة . كما دل عليه الحديث الذى رواه مسلم فى « صحيحه » عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : «كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة . . . »[1] الحديث .

و فى رواية أخرى : « أن أبا الصهباء قال لابن عباس : أتعلم أنما كانت الثلاث تجعل واحـــدة على عهد النبى ﷺ و أبى بكر ، و ثلاثاً من إمارة عمر ،

(١) « صحيح مسلم » : (١٨) كتـاب الطـلاق ، ٢ باب طلاق الثلاث ، حـــديث رقم ١٤٧٢ .

فقال ابن عباس : نعم »[١] .

وفي رواية ثالثة : « إن أبا الصهباء قال لابن عباس : هات من هناتك . ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر واحدة ؟ فقال : قد كان ذلك ... » الحديث[٢] .

وقد أفتى ﷺ ركانة بن عبد يزيد بأن تطليقاته الثلاث في مجلس واحد إنما هي واحدة . كما رواه الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس — رضي الله عنه — قال : طلق ركانة بن عبد يزيد أخو بني المطلب امرأته ثلاثاً في مجلس واحد ، فحزن عليها حزناً شديداً ، قال : فسأله رسول الله ﷺ : كيف طلقتها ؟ فقال : طلقتها ثلاثاً ، فقال : في مجلس واحد ؟ قال : نعم ، قال : فإنما تلك واحدة فارجعها إن شئت قال : فراجعها . فكان ابن عباس يرى إنما الطلاق عند كل طهر[٣] .

قال ابن حجر : وهذا الحديث نص في المسألة لا يقبل التأويل الذي في غيره من الروايات الآتي ذكرها[٤] انتهى .

يشير إلى روايات حديث مسلم الذي تقدم قبل هذا الحديث .

أما ما احتج به المخالفون مما ورد عن النبي ﷺ دالا على أن الثلاث

---

(١) « المصدر السابق » .

(٢) « المصدر السابق » .

(٣) « مسند أحمد » : (١/٢٦٥) ، وهو من رواية داود بن الحصين عن عكرمة . وفي روايته عنه كلام كما في « التقريب » : (٩٥) . وقد جود إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في « الفتاوى » : (٣٣/٨٥) و أيده على ذلك سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز كما في « مجلة الدعوة » : (عدد ١٠٠٦) .

(٤) فتح الباري » : (٩/٣٦٢) .

تقع ثلاثاً . فهو دائر بين أمرين : إما أن يكون صحيحاً ثابتاً غير صريح فى الدلالة ، و إما أن يكون صريح الدلالة لكنه ضعيف أو باطل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر الحديثين المتقدمين : (ولم يثبت عن النبي ﷺ خلاف هذه السنة بل ما يخالفها إما أنه ضعيف ، بل مرجوح . و إما أنه صحيح لا يدل على خلاف ذلك)[١] انتهى .

و قال فى موضوع آخر :

(ولا نعرف أحداً طلق على عهد النبي ﷺ امرأته ثلاثاً بكلمة واحدة فألزمه النبي ﷺ بالثلاث ولا روى فى ذلك حديث صحيح ولا حسن ، ولا نقل أهل الكتب المعتمد عليها ، فى ذلك شيئاً . بل رويت فى ذلك أحاديث كلها ضعيفة باتفاق علماء الحديث ، بل موضوعه)[٢] انتهى .

و بعد هذا فإلى تسمية المفتين بأنها طلقة واحدة :

١ ــ الخليفة الراشد : أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ خليفة رسول الله ﷺ . المتوفى سنة ١٣ هـ وهو واحد من المائة و نيف و ثلاثين نفساً الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول ﷺ . وهو من المرتبة الثانية : مرتبة المتوسطين فى الفتيا . كما ذكر ذلك ابن حزم[٣] و نقله عنه ابن القيم[٤]. وقد عده ابن القيم مفتياً فى هذه المسألة استناداً إلى حديث مسلم السابق . فقال :

(١) « الفتاوى » : (٧١/٣٣) .
(٢) « الفتاوى » : (١٢/٣٣ ، ١٣) .
(٣) فى « الإحكام فى أصول الأحكام » : (٨٦٩/٥) .
(٤) فى « إعلام الموقعين » : (١٢/١) .

(وأما أقوال الصحابة فيكفى كون ذلك على عهد الصـديق ومعه جميع الصحابة لم يختلف عليه منهم أحد . ولا حكى فى زمنه القولان)[١] .

٢ ـ الخليفـة الراشد : عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ . المتوفى سنة ٢٣ هـ وهو من المرتبة الأولى : مرتبة المكثرين من الفتيا .

عده ابن القيم مفتياً فى هـذه المسألـة مدة ثلاث سنين من خلافتـه[٢] ـ على أكثر الروايتين كما مر فى حديث مسلم ـ ثم إنه بعد ذلك أمضى الثلاث لما رأى استعجال الناس فى الطلاق .

٣ ـ عبـد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ المتوفى سنة ٣٢ هـ وهو من المكثرين من الفتيا ، كما ذكره ابن حزم[٣] .

نقل عنه الإفتاء فى هـذه المسألة : ابن مغيث فى وثائقه[٤] . و ابن القيم فى بعض كتبه[٥] . وهو إحدى الروايتين عنه . و الرواية الأخرى : أنه تلزمه الثلاث[٦] .

٤ ـ عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة ،

---

(١) « إغاثة اللهفان » : (٣٠٧/١) ، و ينظر : « زاد المعاد » : (٢٧٠/٥) ، « إعلام الموقعين » : (٣٤/٣) ، « الصواعق المرسلة » : (٦١٩/٢) .

(٢) « إعلام الموقعين » : (٣٤/٣) .

(٣) « الإحكام فى أصول الأحكام » : (٨٦٩/٥) .

(٤) ينظر : « مـذاهب الحـكام » : (٢٨٢) ، « تفسير القرطبى » : (١٣٢/٣) ، « مجموع الفتاوى » : (٨٣/٣٣) ، « فتح البارى » : (٣٦٣/٩) .

(٥) « إعلام الموقعين » : (٣٤/٣) ، « الصواعق المرسلة » : (٦٢١/٢) .

(٦) « إغاثة اللهفان » : (٣٤٦/١) .

المتوفى سنة ٣٢ هـ. كان رضى الله عنه ممن يفتى على عهد رسول الله ﷺ وهو من المرتبة الثانية فى الفتيا.

نقل عنه ابن مغيث إفتاءه بهذه المسألة[١]، وكذا ابن القيم[٢].

٥ — الزبير بن العوام — رضى الله عنه — حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته. المتوفى سنة ٣٦ هـ. من المرتبة الثانية فى الفتيا.

نقل عنه ابن مغيث إفتاءه بهذه المسألة، وكذا ابن القيم[٣].

٦ — الخليفة الراشد: على بن أبى طالب — رضى الله عنه —. المتوفى سنة ٤٠ هـ وهو من المكثرين من الفتيا.

نقل عنه الإفتاء فى هذه المسألة: ابن مغيث فى وثائقه. وابن القيم فى بعض كتبه. وهذا إحدى الروايتين عنه. وعنه رواية أخرى بلزوم الثلاث[٤].

٧ — عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما —. المتوفى سنة ٦٨ هـ: حبر الأمة وترجمان القرآن فقد ثبت عنه بأصح إسناد — كما يقول ابن القيم[٥] — أنه أفتى بأن الثلاث واحدة. وذلك ما رواه أبو داود بسنده إلى ابن عباس — رضى الله عنهما — قال:

---

(١) تنظر: « المصادر السابقة » فى هامش (٤).

(٢) ينظر: « المصدرين السابقين » فى هامش (٥).

(٣) تنظر: « المصادر السابقة » فى هامش (٤)، و (٥).

(٤) تنظر: « المصادر السابقة » فى هامش (٤)، و (٥)، و (٦).

(٥) فى « الإغاثة »: (١/٣١٠) وقال فى موضع آخر: وهذا الإسناد على شرط البخارى. « الإغاثة »: (١/٣٢٩).

« إذا قال : أنت طالق ثلاثاً بفم واحد ، فهي واحدة »[١]. وصح عنـــه أيضاً أنه أفتى بلزوم الثلاث كما في « سنن أبي داود »[٢]. وغيرها.

قال ابن القيم : (وعن ابن عباس فيه[٣] روايتان :

إحداهما : موافقة عمر — رضى الله عنـــه — تأديباً وتعزيراً للطلقين ،

والثانية : الإفتاء بموجبه)[٤].

وقال شمس الحق العظيم أبادى : ففتوى ابن عباس هـــذه تناقض فتواه الأولى. فإذن لم يبق الاعتبار إلا على روايته[٥].

٨ — خلاس بن عمرو الهجرى البصرى المتوفى قبل المائة كما يقول الذهبي[٦]. ثقه أخرج له الجماعة ، سمع عماراً ، وعائشة ، وغيرهما.

ذكره شيخ الإسلام ابن تيميـــة ، وكـــذا ابن القيم فى جملة المفتين فى هذه المسألة[٧].

٩ — عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس ، وأحد تلاميذه. المتوفى سنة ١٠٤ هـ.

---

(١) سنن أبي داود بشرح عون المعبود » : (٢٧١/٦).
(٢) « سنن أبي داود بشرح عون المعبود » : (٢٦٩/٦).
(٣) أى حديث ركانة بن عبد يزيد.
(٤) « الإغاثة » : (٣٠٥/١).
(٥) « عون المعبود » : (٢٧٠/٦) ويقصد بروايته : روايته لقصد ركانة الذى أفتاه النبي ﷺ بأن طلاقه الثلاث فى مجلس واحد إنما هى طلقة واحدة.
(٦) « ميزان الاعتدال » : (٦٥٨/١).
(٧) « مجموع الفتاوى » : (٨/٣٣) ، « إعـــلام الموقعين » : (٣٥/٣) ، « الصواعق المرسلة » : (٦٢١/٢).

قال ابن القيم : (وأما التابعون فأفتى به عكرمة ، رواه إسماعيل ابن إبراهيم ، عن أيوب ، عنه)[١].

١٠ – طاوس بن كيسان اليماني . المتوفي سنة ١٠٦ هـ . من كبار تلاميذ ابن عباس .

قال ابن القيم : (وكان طاوس وعكرمة يفتيان بأن الثلاث واحدة)[٢].

١١ – الحارث بن يزيد العكلي . الكوفي الفقيه . ثقة من كبار تلاميذ إبراهيم النخعي . وهو من الطبقة السادسة إلا أنه قديم الموت .

ذكره ابن القيم في جملة المفتين في هذه المسألة[٣].

١٢ – محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر . المتوفى سنة بضع عشرة ومائة .

ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من جملة المفتين في هذه المسألة[٤].

١٣ – الحجاج بن أرطاة النخعي الكوفي القاضي الفقيه . المتوفى سنة ١٤٥ هـ .

ذكر المازري في « المعلم » أنه ممن يختار أن الثلاث واحدة[٥]. وكذا

---

(١) « إعلام الموقعين » : (٣/٣٥) ، وينظر : « مجموع الفتاوى » : (٣٢/٣١٢) ، (٣٣/٨) .

(٢) « إغاثة اللهفان » : (١/٣٠٥) ، وينظر : « إعلام الموقعين » : (٣/٣٥) ، « مجموع الفتاوى » : (٣٢/٣١٢) ، (٣٣/٨) ، « تفسير القرطبي » : (٣/١٢٩) .

(٣) « إعلام الموقعين » : (٣/٣٥) .

(٤) « مجموع الفتاوى » : (٣٣/٨) .

(٥) « المعلم بفوائد مسلم » : (٢/١٩١) .

ذكره ابن العربي في « الناسخ و المنسوخ »[١]، و القرطبي في « تفسيره »[٢].

١٤ – جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالصادق . المتوفى سنة ١٤٨ هـ

ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في جملة المفتين في هذه المسألة[٣].

١٥ – محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي . صاحب السيرة . المتوفى سنة ١٥٠ هـ

ذكر الجصاص في « أحكام القرآن » عنه : أن الطلاق الثلاث ترد إلى الواحدة[٤]. وكذا حكاه عنه الحافظ ابن حجر في « فتح الباري »[٥].

و ذكره عنه ابن القيم في « إغاثة اللهفان » و قال : (كان يقول جهل السنة فيرد إليها)[٦].

و قال ابن القيم في موضع آخر : (قال أبو عبد الله – أي الإمام أحمد – : (وكان هذا مذهب ابن إسحاق يقول : خالف السنة فيرد إلى السنة)[٧].

١٦ – محمد بن مقاتل الرازي الحنفي المتوفى سنة ٢٤٨ هـ قاضي الري . من الطبقة الثالثة من أصحاب أبي حنيفة . حكى عنه الفتوى في هذه المسألة المازري في

---

(١) « الناسخ و المنسوخ » : (٨٨/٢) .
(٢) « تفسير القرطبي » : (١٢٩/٣) .
(٣) « مجموع الفتاوى » : (٨/٣٣) .
(٤) « أحكام القرآن » : (٨٥/٢) .
(٥) « الفتح » : (٣٦٢/٩) .
(٦) « إغاثة اللهفان » : (٣٠٥/١) ، « الصواعق المرسلة » : (٦٢٧/٢) .
(٧) « الإغاثة » : (٣٤٠/١) .

« المعلم »[١]. والطحاوي ، والجصاص . كما ذكره ابن القيم[٢].

١٧ — داود بن علي الظاهري . المتوفى سنة ٢٧٠ هـ

ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] وابن القيم[٤] في جملة المفتين في هذه المسألة . كما يقول ابن القيم في « الإعلام » : (وأما أتباع تابعي التابعين فأفتى به داود بن علي ، وأكثر أصحابه . حكاه عنهم أبو المغلس ، وابن حزم ، وغيرهما)[٥] .

١٨ — محمد بن عبد السلام الخشني الأندلسي القرطبي . المتوفى سنة ٢٨٦ هـ

قال الذهبي : حج ولقي الكبار . . . وأريد على قضاء الجماعة فامتنع وتصدر لنشر الحديث ، وكان أحد الثقات الأعلام[٦] انتهى .

ذكره ابن مغيث في « وثائقه » من جملة المفتين في المسألة ، ونعته بأنه فريد وقته وفقيه عصره . كما نقل ذلك عنه : القاضي عياض ، والقرطبي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم ، والحافظ ابن حجر[٧] . وغيرهم .

---

(١) « المعلم بفوائد مسلم » : (١٩١/٢) .

(٢) « الصواعق المرسلة » : (٦٢٣/٢) ، « إعلام الموقعين » : (٣٥/٣) .

(٣) « مجموع الفتاوى » : (٨/٣٣) .

(٤) « الصواعق المرسلة » : (٦٢٢/٢) ، « إغاثة اللهفان » : (٣٤٥/١) .

(٥) « إعلام الموقعين » : (٣٥/٣) .

(٦) « سير أعلام النبلاء » : (٤٥٩/١٣) .

(٧) انظر : « مذاهب الحكام » : (٢٨٢) ، « تفسير القرطبي » : (١٣٢/٣) ، « مجموع الفتاوى » : (٨٣/٣٣) ، « إغاثة اللهفان » : (٣٤٥/١) ، « فتح الباري » : (٣٦٢/٩) .

١٩ ــ ابن رتباع . شيخ هدى .

هكذا ذكره القاضى عياض ، و القرطبي ، و شيخ الإسلام ابن تيميــة ، وابن القيم ، و غيرهم ، نقـلا عن ابن مغيث فى « وثائقه »[١] ، ولم أجد له ترجمة .

٢٠ ــ أصبغ بن الحباب .

هكـذا ذكره من تقدم نقلا عن ابن مغيث فى « و ثائقه » . ولم أجد له ترجمة .

٢١ ــ أحمد بن بقى بن مخلد . المتوفى سنة ٣٢٤ هـ

ولى قضاء الجماعــة مقروناً مع الصــلاة و الخطبــة سنة أربع عشرة و ثلاثمائة . و كان يفتى فى حداثة سنـــه مع الشيوخ . ذكره ابن مغيث فى جملة المفتين فى المسألة . كما نقله عنه من تقدم .

٢٢ ــ أحمد بن محمد بن مغيث الصدفى الطليطلى . المتوفى سنة ٤٥٩ هـ

كبير طليطلة وفقيهها . كما يقول القاضى عياض .

ذكر مسألة الطلاق الثلاث فى « وثائقـــه »[٢] و أشـار إلى الخلاف فيها ثم ذكر قول من يراها واحدة و نسبـــه إلى عدة من الصحابـة و ذكر حجته و أنه اختارها جمع من علماء قرطبة[٣] .

---

(١) « المصادر السابقة » .

(٢) و اسم الكتـــاب : « المقنع فى أصول الوثائق و بيان ما فى ذلك من الدقائق » كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية فى « مجموع الفتاوى » (٨٣/٣٣) .

(٣) ينظر كلام ابن مغيث هـذا فى : « مـذاهب الحكام » للقاضى عياض و ولده محمد : (٨٣) ، « تفسير القرطبي » : (١٣٢/٣) ، « مجموع الفتاوى » : (٨٣/٣٣) ، « إغاثــة اللهفـــان » : (٣٤٤/١) ، « المعيـــار المعرب » : (٤٣٨/٤) ، « فتح البارى » : (٣٦٢/٩) .

و هذا الصنيع من ابن مغيث يدل على أنه ممن يختار هذا القول . وهو ما استظهره ابن القاضي عياض فى « مذاهب الحكام » ، فإنه قال : (قال محمد : وهو مذهبه أعنى أحمد بن مغيث ، يدل على ذلك ظاهر كلامه فى مقنعه)[1] انتهى .

٢٣ — محمد بن القاسم بن هبة الله التكريتى . أبو النجم . الفقيه الشافعى . المتوفى سنة ٦٢٤ هـ

قال عنه ابن كثير فى وفيات سنة أربع و عشرين و ستمائة : (تفقه على أبى القاسم بن فضلان ، ثم أعاد بالنظامية و درّس بغيرها وكان يشتغل كل يوم عشرين درساً ، ليس له دأب إلا الاشتغال و تلاوة القرآن ليلا و نهاراً ، وكان بارعاً كثير العلوم قد أتقن المذهب و الخلاف .

وكان يفتى فى مسألة : الطلاق الثلاث بواحدة ، فتغيظ عليه قاضى القضاة أبو القاسم عبد الله بن الحسين الدامغانى فلم يسمع منه ، ثم أخرج إلى تكريت فأقام بها . ثم استدعى إلى بغداد فعاد إلى الاشتغال ، وأعاده قاضى القضاة نصر بن عبد الرزاق إلى إعادته بالنظامية ، وعاد إلى ما كان عليه من الاشتغال ، و الفتوى ، والوجاهة إلى أن توفى هذه السنة رحمه الله تعالى)[2] انتهى .

٢٤ — مجد الدين ابن تيمية أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر بن محمد بن على بن تيمية الحرانى . المتوفى سنة ٦٥٢ هـ ، جد شيخ الإسلام ابن تيمية ، وصاحب كتاب « المحرر » و « المنتقى » وغيرهما .

---

(١) « مذاهب الحكام » : (٢٨٢) .

(٢) « البداية » لابن كثير : (١٣٢/١٣) .

كان الشيخ جمال الدين ابن مالك — صاحب « الألفية فى النحو » — يقول فيه : ألين للشيخ المجد الفقه كما ألين لداود الحديد[١].

كان المجد ممن يفتى بهذه المسألة لكن لا على سبيل الدوام بل فى بعض الأحيان كما ذكر ذلك عنه حفيده شيخ الإسلام ؛ إذ يقول : (وكان يفتى بذلك أحياناً الشيخ أبو البركات ابن تيمية ، وهو وغيره يحتجون بالحديث الذى رواه مسلم فى « صحيحه »[٢] . .) إلى آخر ما قال . وبين فى موضع آخر أن جده يفتى بالقول الآخر — وهو لزوم الثلاث — إذا كان الأمر يستدعى ذلك : فقال : (ولهذا كان طائفة من العلماء ، مثل أبى البركات يفتون بلزوم الثلاث فى حال دون حال كما نقل عن الصحابة . وهذا إما لكونهم رأوه من باب التعزير الذى يجوز فعله بحسب الحاجة كالزيادة على أربعين فى الخمر ، والنفى فيه ، وحلق الرأس . وإما لاختلاف اجتهادهم ، فرأوه تارة لازماً ، وتارة غير لازم)[٣] انتهى.

٢٥ — شيخ الإسلام وعلم الأعلام أبو العباس : أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام الشهير بابن تيمية . المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله .

وهو الذى شهر هذه المسألة فى عصره وأفتى بها واحتج لها بالكتاب والسنة والنظر الصحيح ، وتابعه على ذلك جمع من علماء الحنابلة وبعض الشافعية كما سيأتى ذكرهم إن شاء الله .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن فى ضمن جواب له عن هذه المسألة :

(١) « سير أعلام النبلاء » : (٢٩٢/٢٣) .
(٢) « مجموع الفتاوى » : (٨٤/٣٣) . وينظر : « إغاثة اللهفان » : (٣٤٣/١) ، « الذيل على طبقات الحنابلة » : (٢٥٣/٢) لابن رجب .
(٣) « مجموع الفتاوى » : (٩٣/٣٣) .

(وأما طلاق الثلاث، فإنه يقع عند الجمهور مفرقاً، أو مجموعاً، وهو الذى عليه العمل سلفاً، وخلفاً من خلافة عمر ومن بعده، وهو كذلك عند الأئمة الأربعة، وهو الأصح فى مذاهبهم عند أصحابهم. وإن كان الخلاف فيه إنما اشتهر عن شيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم — رحمهما الله — أقوى مما كان الأمر عليه فى عهد رسول الله ﷺ وخلافة أبى بكر، وصدر من خلافة عمر)[1] انتهى.

وقال العلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر:

(وكان العلماء المصلحون المجتهدون فى كل عصر يفتون بالقول الصحيح الراجح، من بطلان الطلاق البدعى، ومن وقوع الثلاث بمجتمعة طلقة واحدة، فبعضهم يجاهر بفتياه، ويصدع بالحق، وبعضهم يفتى بحذر، خشية العامة والدهماء، حتى قام الإمام المجدد العظيم شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الشهير بابن تيمية (٦٦١ — ٧٢٨) فنصر المذهب الحق، وأبان للناس عنه، ودعاهم إليه، لا يخشى فى ذلك إلا الله)[2] انتهى.

وقد ألف شيخ الإسلام فى هذه المسألة عدة مصنفات كما ذكر ذلك ابن أبى العز الحنفى[3]، وابن عبد الهادى[4] وقد سبب له ذلك بعض

(١) «الدرر السنية»: (٣٨٥/٤).

(٢) «نظام الطلاق فى الإسلام»: (٧٣).

(٣) فى كتابه: «التنبيه على مشكلات الهداية»: الورقة: (٨٨/ب) مخطوط مصور فى مكتبة الجامعة الإسلامية. برقم: ٢٨٠١. ونصه فيه كما يلى: وقد صنف فى هذه المسألة الشيخ تقى الدين ابن تيمية مصنفات لكنه منفرد عن الجماعة، والمسألة مهيبة لأن الأئمة الأربعة على وقوع الثلاث. انتهى.

(٤) «فى العقود الدرية» (٢١٤).

المحن[1] و تعرض لعدة ردود عنيفة من قبل ابن السبكي ، و الزملكاني ، وابن جهبل ، وابن الفركاح ، والعز ابن جماعة ، والحصنى ، و غيرهم . والآن قد اندرست تلك الردود بموت أصحابها ، وبقيت فتاوى ابن تيمية وأجوبتـــه فى هـذه المسألة ، وفى غيرها تنير الطريق ، وتهدى السبيل ، و يأبى الله و المؤمنون إلا شيخ الإسلام ابن تيمية . فأما الزبد فيذهب جفاء و أما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

وقد تتبعت عدد الصفحات التى بحث فيها الشيخ هذه المسألـــة فى المجلد الثالث و الثلاثين من مجموع الفتاوى فكانت كما يلى :

من صحيفة ٧ إلى صحيفة ٤٤
من صحيفة ١٦ إلى صحيفة ٦٧
من صحيفة ٧٠ إلى صحيفة ٧١
من صحيفة ٧٢ إلى صحيفة ٧٤
من صحيفة ٨١ إلى صحيفة ٩٨

(البحث موصول)

(١) وفى هذا يقول الشيخ سليمان بن سحمان المتوفى سنـــة ١٣٤٩ هـ فى نظمه للمسائل التى انفرد بها شيخ الإسلام ابن تيمية عن الأئمة الأربعة : المسألة الثامنة عشر :

ومما جرى منها عليه فوادح عظام وجاءت نحوه بالزلازل
بإفتائه أن الطلاق إذا أتى ثلاثاً بلفظ واحد غير كامل
ولا واقع بل إن تلك جميعها لواحـــدة فى قيلـــه كالأماثل
من الصحب فى عهد النبى وبعده إلى أن أجيزت فى عقوبة عادل
و لو فرقت إذا هى لم تكن على سنة المعصوم أفضل فاضل

انتهى من « ديوان ابن سحمان » المسمى : « عقود الجواهر المنضـدة الحسان » : (٥٢٢ ، ٥٢٣) .

التراث الاسلامى :

ذم التـأويـل

تأليف : أبو محمد عبد الله بن أحمد ، المعروف بموفق الدين ابن قدامة المقدسى
(٥٤١ — ٦٢٠ هـ)

++++++++++++++++++++++

تحقيق وشرح :
أبو القاسم عبد العظيم ، مثو

الحمد لله الذى له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . وصلى الله على محمد الذى أرسل بالمحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لايزيغ عنها إلا هالك . وعلى آله وأصحابه ومن والاه ، وسلك سبيله ، واستن بسنته ، واهتدى بهديه إلى يوم الرجعى .

أما بعد ! فإنى ما كنت أعرف ابن قدامة إلا من حيث كتابه « المغنى » — فى الفقه ، الذى أخذناه جائزة التخرج فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام . ولعله ما ذلك إلا من قلة بضاعتى ، وقصارى حظى من تراث سلفنا الصالح — رحمهم الله — .

وفى مثل هذه الأيام فى السنة الماضية — يناير سنة ١٩٨٥ م — أخذت صورة كتـــاب « فضل علم السلف على علم الخلف » للإمام ابن رجب الحنبلى

(٧١٦ — ٧٩٥ هـ) من مكتبة الشيخ أبي المكارم محمد على المئوى (١١٧٤ — ١٣٥٢ / ١٨٥٨—١٩٣٣)[١] وقمت بتحقيقه[٢]، وإذا فى أثناء التحقيق احتجت إلى مراجعته على الأصل، وإذا أنا أطلع على أصله المطبوع فى مكتبة « المدرسة العالية العربية » بمدينة مئو ناة بنجن ـ الهند، فى مجلد، فيه كثير من رسائل السلف، ومنها كتاب « ذم التأويل » لابن قدامة المقدسى، المطبوع سنة ١٣٠٢هـ فى المطبعة الأحمدية، الواقعة فى قرية شكرانوان، من بلاد الهند، فصورته واقتنيته لنفسى.

وشاء الله أن أقوم بتدريس كتاب « شرح العقائد النسفية » للإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى (٧٢٢ — ٧٩١ هـ) فى السنة الدراسية الجارية للدرسة. وهذا الكتاب كما يقال: فيه كل شىء إلا العقائد السليمة الصافية على طريقة السلف الصالح. ولما مررت بدراسة مباحث الصفات فى الفصل الدراسى الثانى، ورأيت الزلل فى نفس الطلبة هممت أن تكون محاضراتى الأخيرة مبنية على عقائد السلف — رحمة الله عليهم — فى باب الذات والصفات. فجعلت أتتبع كتب القوم، وتقرر لدى أن يتم تحقيق رسالة ابن قدامة لصغر حجمها، وعظم فوائدها. وقد قضى الله فى علمه أن يتم ذلك بحسن توفيقه.

(١) لى بحث طويل عن حياته وآثاره، فى اللغة الاردية، قدمته كرسالة التخرج فى الجامعة السلفية، ومقال عن آثاره العلمية، طبع فى مجلة الاسلام ـ دلهى.

(٢) تم طبع كتاب « فضل علم السلف » فى مجلة الجامعة السلفية، الأعداد ٧—١٠ لسنة ١٩٨٨م.

فسلكت فيها مسلك الإيجاز، مع مراعاة الظروف والأحوال إلا ما تحتاج إلى الإطالة والإطناب فأطلت وأطنبت. فما كان منها معزوا عزوتها إلى مصادرها، وما كان حبلها على غاربها من غير عزو ولا إحالة، خرجتها من مظانها من كتب القوم، مع الشرح للغوامض التى لا يهتدى إليها إلا بالإشارة إليها. وما وقع من الأسامى والأسانيد فلم أتعرض لترجمة رجالها، لظهورها وحصرها وافية فى عدة من الكتب، ومنها: تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي، وتاريخ الخطيب وابن عساكر وابن كثير. إلا إذا كان بعض رجالها مجهولين، أو ضعفاء، أو غير ثقات فقد أشرت إليهم إحالة على المصادر. والنصوص الواردة فى الكتاب قد تكون زائدة فى بعضها، أو ناقصة على المصادر المذكورة فى الهامش، أو فيها اختلاف حرف أو حرفين فلم أتعرض للفرق بينها، إلا إذا وقع اختلاف فى المعنى، وكل ما وقع من زيادة بين المعقفين فهى منى إذا لم تكن مرقومة، وإلا رقمتها وأشرت فى الهامش إلى المصدر الذى زيدت منها. وجئت بفوائد لطيفة فى التحقيق لا يطلع عليها إلا من قرأها بالدقة وأمعن النظر فيها. وما كل ذلك إلا بتوفيق من الله سبحانه، فلله الشكر على ما أنعم وأولى.

«رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على، وعلى والدى، وأن أعمل صالحا ترضاه، وأصلح لى فى ذريتى، إنى تبت إليك، وإنى من المسلمين».

وصلى الله على محمد وآله وأصحابه وسلم.

نبذة عن حياة المؤلف وأعماله

اسمه ونسبه : هو أبو محمد ، موفق الدين ، عبد الله بن أحمد بن محمد[١] بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله بن حذيفة بن محمد بن يعقوب بن القاسم ابن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، العدوى ، القرشى ، المقدسى ، الصالحى .

عرف بـ « ابن قدامة » و بـ « موفق الدين » المقدسى .

مولده وطفولته : ولد ببلدة « جماعيل » من أعمال « نابلس » بفلسطين ، فى شعبان سنة ٥٤١ هـ .

استولى على بلاده الصليبيون ، وهو فى الثامنة من عمره ، وهاجر والده إلى دمشق مع أسرته سنة ٥٥١ هـ ، ونزلوا فى مسجد أبى صالح ظاهر الباب الشرقى ، ثم انتقلوا بعد سنتين إلى سفح قاسيون من صالحية دمشق .

دراسته ومشيخته : حفظ القرآن الكريم ، وتلمذ على والده وعلى الآخرين ، وله رحلات علمية . تلمذ على شيوخ دمشق ، وسافر إلى بغداد ، والموصل ، ومكة المكرمة .

فمن مشيخته فى دمشق :

الشيخ أبو المكارم عبد الواحد بن أبى طاهر الأزدى (م — ٥٦٥) .

والشيخ أبو المعالى عبد الله بن عبد الرحمن الدمشقى (م — ٥٧٦) .

وفى بغداد (سافر إليها من سنة ٥٦٠ هـ إلى سنة ٥٦٤ هـ وقيل : إلى سنة ٥٦٧ هـ) .

الشيخ عبد القادر الجيلانى (م — ٥٦١) .

والشيخ هبة الله الحسن بن هلال الدقاق (م – ٥٦٢) .
والشيخ أبو طالب المبارك بن خضير بن على الصيرفى (م – ٥٦٢) .
والشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقى البغدادى المعروف بابن البطى (م – ٥٦٤) .
والشيخ أبو الحسن مهذب الدين سعد الله بن نصر الدجاجى (م – ٥٦٤) .
والشيخ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد البزار (م – ٥٦٥) .
والشيخ أبو الفضل أحمد بن صالح الجيلى (م – ٥٦٥) .
والشيخ أبو الفتح نصر بن فتيان النهروانى المعروف بـ «ابن المنى» (م – ٥٨٣) .
والكاتبة شهدة بنت أحمد أبى نصر بن الفرج الدينورى (م – ٥٧٤) .
وخلق كثير من أعلام بغداد وعلماءها ، منهم الامام يحيى بن ثابت ، وابن تاج القراء ، وأبو زرعة وغيرهم .

وفى الموصل (وذلك فى رجوعه من بغداد إلى دمشق) :
الشيخ أبو الفضل الامام ، خطيب الموصل .

وفى مكة المكرمة :
امام الحنابلة الشيخ أبو محمد المبارك بن على بن الحسين الطباخ (م – ٥٧٥) .

زملاءه : الظاهر أن زملاءه كثيرون ، لطول معالجته بالدراسة على أساتذة مشهورين ، ونذكر من بينهم :
الشيخ الحافظ تقى الدين عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى الجماعيلى (م – ٦٠٠) وكان ابن خالته .
والشيخ عماد الدين إبراهيم بن عبد الواحد المقدسى الجماعيلى (م – ٦١٤)

أخو الحافظ عبد الغنى المقدسى .

والشيخ أبو عمر بن قدامة المقدسى (م — ٦٠٧) أخو المترجم له الكبير .

والناصح الحنبلى الشيخ عبد الرحمن بن نجم السعدى (م — ٦٣٤) .

والشيخ شهـــاب الدين أبو القاسم عبـــد الرحمن بن إسماعيل بن شامة المقدسى (م — ٦٦٥) مؤرخ الدولة الصلاحية .

تلامذتـــه : واستقر الامام الموفق بعد رحلاته الطويلة هذه ، واشتغل بالتدريس والتأليف ، واستفاد منه خلق كثير ، ومن جهابذتهم :

الشيخ بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم السعدى (م — ٦٢٤) وطبقة .

وابن أخيـه الشيخ قاضى القضـاة شمس الدين عبـــد الرحمن بن أبى عمر (م — ٦٨٢) وطبقة .

وبين الطبقتين من لايحصى عددهم من العلماء والفقهاء والمحدثين وغيرهم .

مؤلفـــاته : مؤلفات الموفق كلهـــا جليلة ، ورسائلة لا يحصرها العد ، ونذكر منها على حروف المعجم :

الاستبصار فى نسب الانصار « فى الأنساب وتاريخ القبائل » .

البرهان فى مسئلة القرآن « فى أصول الدين » .

التبيين فى نسب القرشيين « فى الأنساب وتاريخ القبائل » .

التوابين « فى الزهد والرقاق » .

جواب مسألة وردت من صرخد « فى أصول الدين » .

ذم التأويل « وهو كتابنا الذى بين أيدينا ، فى أصول الدين » .

ذم الموسوسين « فى الفقه ، ويسمى ذم الوسواس » .

رسالة فى تحريم النظر فى كتب أهل الكلام « فى أصول الدين » .

رسالة إلى الشيخ فخر الدين بن تيمية فى تخليد أهل البدع فى النـــار « فى أصول الدين ».

الرقة والبكاء « فى الزهد والرقاق ».

روضة الناظر وجنة المناظر « فى أصول الفقه ».

صفة العلو « فى أصول الدين ».

العـــلو « فى أصول الدين ».

العمدة « فى الفقه ».

فضائل الصحابة « فى أصول الدين ».

فضائل عاشوراء « فى الفضائل ».

فضائل العشر « فى الفضائل ».

قنعة الأريب فى الغريب « فى اللغة ».

القدر « فى أصول الدين ».

الكافى « فى الفقه ».

لمعة الاعتقاد « فى أصول الدين ، ويسمى : الاعتقاد ».

المتحابين فى الله « فى الزهد والرقائق ».

مجموعة فتاوى.

المغنى « فى الفقه المقارن والفقه الحنبلى ».

المقنع « فى الفقه ».

مقدمة فى الفرائض « فى الفرائض ».

مختصر فى غريب الحديث « فى اللغة ».

مختصر علل الحديث للخلال « فى الحديث ».

مختصر الهداية لأبى الخطاب « فى الفقه ».

مشيخة شيوخه ومشيخة أخرى « رسائل كثيرة فى الحديث ».

مناسك الحج « فى الفقه ».

منهاج القاصدين فى فضائل الخلفاء الراشدين « فى أصول الدين ».

قيمة مؤلفاته العلمية : سبق بنا أن مؤلفاته كلها جليلة ، وقد أثنى عليها أئمة هذا الشأن :

قال الإمام أبو شامة : صنف كتبا حسانا فى الفقه وغيره .

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلى : له التصانيف الكثيرة الحسنة فى المذهب فروعا وأصولا . وفى الحديث واللغة والزهد والرقائق . وتصانيف فى أصول الدين فى غاية الحسن ، أكثرها على طريقة المحدثين مشحونة بالأحاديث والآثار بالأسانيد . ولم يكن يرى الخوض مع المتكلمين فى دقائق الكلام ولو بالرد عليهم . وكان كثير المتابعة للمنقول فى باب الأصول وغيره ، ولا يرى اطلاق ما لم يؤثر من العبارات .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : ما رأيت فى كتب الاسلام فى العلم مثل « المحلى » و « المجلى » (لابن حزم) ، وكتاب المغنى للشيخ موفق الدين ابن قدامة فى جودتهما وتحقيق ما فيهما .

وقال : لم تطب نفسى بالفتيا حتى صارت نسخة من « المغنى » عندى .

عقيدته ومذهبه : كان الشيخ الموفق — رحمه الله — يعتقد اعتقادا جازما على طريقة السلف الصالح ، لايشوبه زيغ ، ولايعتريه زلل . لم يكن يرى الخوض مع المتكلمين فى دقائق الكلام ، وكان يأمر بالإقرار والإمرار لما جاء فى الكتاب والسنة من الصفات ، من غير تفسير ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تحريف ، ولا تأويل ، ولا تعطيل .

وكتابنا الذى بين أيدينا خير دليل على عقيدته .

أما مذهبه فى الفقه ، فقيـل إنه كان حنبليا فى الفروع ، وليس كذلك . لأنه من يرى كتبه ، ويطالع مؤلفاته فى الفقه بالدقة والإمعان يرى أنه يأخذ من الكتاب والسنة ، ويربط المسائل بالأدلة .

جهاده ودعوته : أما جهاده — رحمه الله — فكان يغزو فى سبيل الله ، كلما سنح له سانح . وكان من الأبطال المجاهدين الذين قاموا ضد الصليبين لتطهير الأرض المقدسة ، وتحرير القدس الشريف من أيديهم .

ولما حشد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب (م — ٥٨٩) جيوش الاسلام فى سنة ٥٨٣ هـ لقمع الصليبين وتطهير الأرض المقـدسة منهم ، كان الإمام الموفق ، وأخوه الشيخ أبو عمرو شباب أسرتهما ، ونجباء تلاميـذ هذا البيت من المجاهدين تحت هذه الروايات المظفرة . وكان للشيخ الموفق ولأخيه وخاصـة تلاميـذهما خيمة يتنقلون بها مع المجاهدين ، وكانا موضع الحرمة والرعاية من الملك العادل ابن السلطان صلاح الدين . ثم كان للموفق مثل ذلك ، بل أكثر منه عند الملك العزيز ابن الملك العادل حفيد السلطان صلاح الدين .

وأما دعوته : فكان — رحمه الله — يقوم بتدريس العلوم الدينية والفنون الإسلامية ويلق الوعظ والخطب فى الجوامع وغيرها ، وكان يناظر خصمه ويجادله بالتى هى أحسن ، وكان من طريقة مناظرته أنه لا يكاد يناظر أحدا إلا وهو يتبسم ، حتى قال بعض الناس : هذا الشيخ يقتل خصمه بتبسمه .

وأقام مدة يعمل حلقـة بجامع دمشق يناظر فيها بعد الصلاة ، ثم ترك ذلك فى آخر عمره .

وكان يشتغل عليه الناس من بكرة إلى ارتفاع النهار، ثم يقرأ عليه من بعد الظهر إلى المغرب، وربما بعد المغرب وهو يتعشى. وكان لا يرى لأحد ضجرا، وربما تضرر فى نفسه ولا يقول لأحد شيئا.

نماذج من شعره: وللإمام الموفق – رحمه الله – نظم كثير حسن وقيل: إن له قصيدة فى عويص اللغـة. ومن شعره – رحمه الله – [من مجزوء الرجز]:

لا تجلسن ببـاب من ... يأبى عليك دخول داره
وتقول حاجاتى إليـ ... ـه يعوقها إن لم أداره
واتركه واقصد ربهـا ... تقضى ورب الدار كاره

وله [من الوافر]:

كئوس الموت دائرة علينا ... وما للمرء بد من نصيب
إلى كم تجعل التسويف دأبا ... أما يكفيك إنذار المشيب
أما يكفيك أنك كل حين ... تمر بقبر خل أو حبيب
كأنك قد لحقت بهم قريبا ... ولا يغنيك إفراط النحيب

وقال سبط ابن الجوزى: وأنشدنى الموفق لنفسه [من الطويل]:

أبعد بياض الشعر أعمر مسكنا ... سوى القبر، إنى إن فعلت لأحمق
يخرق عمرى كل يوم وليلـة ... فهـل يستطيع رفوما يتخرق
كأنى بجسمى فوق نعشى ممددا ... فمن سـاكت أو معول يتحرق
ويحثو على الترب أوثق صاحب ... ويسلمنى للقـبر من هو مشفق
فيا رب كن لى مؤنسا يوم وحشتى ... فإنى بمـا أنزلتـه لمصدق

وفاتـه : انتقل الشيخ الموفق إلى رحمة ربه وفسيح جناته يوم السبت فى يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠ هـ، وصلى عليـه من الغد فى ازدحام كثير ، وحمل إلى سفح قاسيون فى صالحيـة دمشق ، فدفن فوق جامع الحنـابلة إلى الشمال ، تحت المغارة المعروفة بمغارة التوبة . فرحمه الله ، رحمة واسعة .

مناقبه وسيرته : الإمام الموفق ــ رحمه الله ــ مناقب كثيرة وفضائل وكرامات . وقد أفرد سيرته الحافظ ضياء الـدين المقدسى (م ــ ٦٤٣) صاحب المختارة فى جزئين .

كما أفردها شيخ الاسلام شمس الدين الذهبي (م ــ ٧٤٨) فى كتاب .

وممن ترجم له أو ذكر نبذا من مناقبه وسيرته :

الحافظ ابن رجب الحنبلى (م ــ ٧٩٥) فى الذيل على طبقات الحنابلة .

والناصح الحنبلى عبد الرحمن بن النجم السعدى (م ٦٣٤) .

والشيخ شمس الدين يوسف ، المعروف بـ « سبط ابن الجوزى » (م ــ ٦٥٤) فى مرآة الزمان .

والشيخ محب الـدين محمد بن محمود ابن النجـار (م ــ ٦٤٣) فى الذيل على تاريخ بغداد .

والشيخ شهاب الدين أبوالقاسم عبدالرحمن بن اسماعيل بن شامة المقدسى (م ــ ٦٦٥) مورخ الدولة الصلاحية .

والشيخ أبوالفتح ابن المنى (م ــ ٥٨٣) شيخ الإمام الموفق .

والشيخ أبو بكر محمد بن معالى ابن غنيمة (م ــ ٦١١) .

والحافظ أبوعمرو بن الصلاح (م٦٤٣) .

والإمام النحوى أبوعمرو عثمان بن عمر ابن الحاجب (م ــ ٦٤٦) .

والشيخ أبوعثمان عبد الله بن عبد العزيز اليونيني (م – ٦١٧).

والشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام.

والشيخ اسماعيل الكاتب.

والحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى (م ٦٥٦).

والشيخ الشاعر جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف الأنصارى ، الصرصرى البغدادى (م – ٦٥٦) فى قصدة لامية.

والنواب صديق حسن خان البوفالى (م – ١٣٠٧) فى « التاج المكال » و « أبجد العلوم » وغيرها.

وقد أجمعت كلمتهم على أنه – رحمه الله – إمام ، عالم ، مفسر ، فقيه ، أصولى ، عابد ، زاهد ، مجاهد ، واعظ ، خطيب ، مدرس ، مؤلف ، حافظ ، ثقة ، ثبت ، حجة ، على وجهه النور ، وعليه الوقار والسكينة ؟

كانوا قدوة

إن صلاح الدين – رحمه الله – بدأ بنفسه فغيرها ، واستشعر المسئولية أمام الله عز وجل ، فأنهى واقع العطالة والفساد والتجزئة فى عالم المسلمين ، وبنى جيل التحرير ، وكذلك قام الفقهاء والعلماء والأمراء والقادة بمسئولياتهم ، فكان نصر الله ، وكان تحرير المقدسات ، ذلك أن المجتمع المفكك الفاقد لثقافته لايمكن أن ينتج قوة عسكرية قادرة ومتماسكة ، والانسان المتخلف ثقافيا واقتصاديا وتربويا لايمكن أن يكون متفوقا عسكريا ... ومهما ارتفعت أصواتنا فى استدعاء « صلاح الدين » جديد ، واشتدت معارك الشعارات على أرضنا ، فلا سبيل إلى التحرير واسترداد بيت المقدس دون العزم على إعداد جيل التحرير الذى يمثل الوليد الشرعى لعقيدة الأمة و وجودها التاريخى ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

(نظرات فى مسيرة العمل الاسلامى)

تعريف ونقـد:

تضعيف حديث

«كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع»

والرد على

من صححه وحسنه

++++++++++++++++++

بقلم: عبد الرؤف عبد الحنان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾.

أما بعد: فهذه الرسالة كانت فى الأصل مقالا لى كان قد نشر فى جريدة «أهل الحديث» تاريخ ٩/٦/١٤١١هـ الموافق ٢٨/١٢/١٩٩٠م وعدد ٥٢ الصادرة بلغة الأردية من لاهور بباكستان.

وكان موضوعه حديث «كل أمر ذى بال لايبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع» وفى رواية له «بسم الله الرحمن الرحيم» بدل «بحمد الله» وله بعض الروايات الأخرى أيضا وسيأتى ذكرها فى «الخاتمة» إن شاء الله. وكنت قد خرجت فيه هذا الحديث وتكلمت على اسناده بالتفصيل وبينت انه حديث ضعيف.

وكان فيه رد على أدلة تاج الدين السبكى التى أتى بها فى «طبقاته» لاثبات هذا الحديث وهى أدلة لا تسمن ولا تغنى من جوع كما ستعرف.

ومنذ ان نشر مقالى هذا فى الجريدة المتقدم ذكرها كنت أنوى طبعه فى رسالة مستقلة كما كنت أنوى أن أنقله إلى اللغة العربية حتى يعم نفعه.

وقبل أن أقوم بهذا العمل اهدانى صديق الفاضل أبو سيف أحمد بن على الأثرى رسالة صغيرة تسمى بـ «الاستعاذة والحسبلة ممن صحح حديث البسملة» للسيد أحمد بن محمد بن الصديق الغمارى.

فلما اطلعت على هذه الرسالة وجدت ان مؤلفها يذهب إلى تحسين هذا الحديث بلفظ «الحمد» وأما بلفظ «البسملة» فحكم عليه بأنه موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ.

وعندى أن الحديث لا يصح لا بلفظ «الحمد» ولا بلفظ «البسملة» ولا بغيرهما من الألفاظ.

أما بلفظ «الحمد» فهو ضعيف. وأما بلفظ البسملة «فهو واه» كما ستري ذلك من خلال قراءتك لهذه الرسالة.

وقد أضفت إلى هذه الرسالة الرد على أدلة الغمارى — وإن كانت هى لا تختلف كثيرا عن أدلة السبكى — وأرجو أن أكون قد وفقت فيما كتبت. فإن كان ما جاء فيها صوابا، فمن فضل الله وإن كان خطأ فمن نفسى. وأسأل الله عز وجل العفو والعافية ●●

نص الحديث :

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : «كل أمر ذى بال لايبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع» وفى رواية له «كل كلام» بدل «كل أمر ذى بال» وفى أخرى له «كل كلام أو أمر ذى بال».

تخريجه :

أخرجه بالرواية الأولى النسائى فى السنن الكبرى (٦/ ١٢٧/ ١٠٣٢٨) وفى العمل أيضا (٤٩٤) وابن ماجه (١٨٩٤) فى النكاح، باب خطبة الحاجة وابن حبان (١/١٠٢/١—٢— تحقيق كمال يوسف، ١٩٩٣ موارد)، والخرائطى فى فضيلة الشكر (١٧) والدارقطنى (١/٢٢٩) فى أول كتاب الصلاة وأبو يعلى الخليلى فى الارشاد (١/٤٤٨/١١٨) والبيهقى فى السنن (٣/ ٢٠٨ — ٢٠٩) وفى الدعوات أيضا (١) والخطيب فى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (٢/١٢٨) والديلمى فى مقدمة الفردوس (١/ ٣٦—٣٧) والبكرى فى الأربعين (ص ٢١—٢٢) والرهاوى فى الأربعين وعنه النووى فى شرح مسلم (١/٤٣)[1] والسبكى فى الطبقات (١/٦—٧).

وبالرواية الثانية : أخرجه أبوداود (٤٨٤٠) فى الأدب، باب الهدى فى الكلام.

والرواية الثالثة : عند أحمد (٢/٣٥٩/ ١٦/ ٢٩٠/ ٨٦٩٧— تحقيق الشيخ أحمد شاكر).

والحديث صححه ابن حبان وابن البيع والسبكى وأحمد شاكر وحسنه ابن الصلاح والعراقى والنووى وغيرهم ولكن الصواب أنه حديث ضعيف لايرتق

(١) النووى لم يسق اسناده كاملا وإنما ساقه إلى الرهاوى فقط.

إلى درجة الحسن ، فضلا عن درجة الصحة كما سيأتي .

اسناده :

الأوزاعي عن قرة بن عبد الرحمن عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه . وهذا اسناد ضعيف لأن قرة بن عبد الرحمن تكلموا فيه .

قال أحمد : منكر الحديث جدا وقال ابن معين في رواية ابن أبي خيثمة : ضعيف الحديث ، وقال أبو زرعة : الأحاديث التي يرويها مناكير ، وقال أبوحاتم والنسائي والدارقطني : ليس بقوي ، وقال أبوداود : في حديثه نكارة .

وقال المنذري في مختصر السنن (٧ / ١٩٠) : وفي اسناده قرة وهو ابن عبد الرحمن بن حيوئيل المعافري المصري كنيته أبو محمد ويقال : أبو حيويل ، قال الامام أحمد : منكر الحديث جدا .

وأما ابن عدي فقال : ارجو انه لا بأس به ، الكامل (٢٧٦/٦) وأورده ابن حبان في ثقاته (٣٤٣/٧) .

فتبين من هذه الأقوال أن قرة ضعيف ثم هو مع ضعفه قد خالف جمعا من الثقات لأنهم رووا هذا الحديث مرسلا لا موصولا وهم يونس بن يزيد وعقيل بن خالد وشعيب بن أبي حمزة وسعيد بن عبد العزيز . . لذا قال أبو يعلى الخليلي: هذا الحديث لم يروه عن الزهري إلا قرة وهذا ليس عند عقيل ولا غيره من المكثرين من أصحاب الزهري (يعني موصولا) .

وقال أبو داود والبيهقي عقب هذا الحديث : رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلا .

قلت : وكذا رواه الحسن بن عمر عن الزهري مرسلا أيضا أخرجه من طريقه النسائي وعنده طريق عقيل وسعيد أيضا وطريق شعيب ، أخرجه

ابن راهويه فى مسنده كمـا فى الاستعاذة والحسبلة للغمارى (١١) ، وأما طريق يونس فينظر من أخرجه .

« علم مما تقدم ان خمسة من الرواة رووا هذا الحديث عن الزهرى مرسلا. وكلهم ثقات فإذاً لا قيمة لرواية قرة الموصولة فى مقابل رواية هؤلاء الثقات، لذا قال الدارقطنى عقب هذا الحديث :

« تفرد به قرة عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة وأرسله غيره عن الزهرى عن النبى ﷺ ، وقرة ليس بقوى فى الحديث ، و رواه صدقه عن محمد ابن سعيد عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن النبى ﷺ ولايصح الحديث وصدقه ومحمد بن سعيد ضعيفان والمرسل هو الصواب .

وقال النسائى: والمرسل أولى بالصواب[١].

وهو ظاهر كلام أبى داود والبيهقى حيث قالا عقب تخريجه : رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبد العزيز عن الزهرى عن النبى ﷺ مرسلا .

وقال البغوى فى شرح السنة (٥١/٩) : و روى عن قرة عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة .

فى كلامه هذا اشعـار بضعف رواية قرة حيث جاء بصيغة التمريض ، وهذا هو الصواب ، وأما قول النووى فى شرح المهذب (٧٣/١) وفى شرح مسلم (٤٣/١) ، وفى الأذكار أيضا (١٠٣) : ان رواية الموصول اسنادها جيد ففيه تساهل ظاهر و زاد فى الأذكار .

(١) كلام النسائى هذا لا يوجد فى النسخة المطبوعـة من « السنن الكبرى » ولا من « عمل اليوم والليلة » وإنما نقله عنه المزى فى تحفة الاشراف (١٣/٣٦٨/١١٣٤١) .

وإذا روى الحديث موصولا ومرسلا فالحكم للاتصال عند جمهور العلماء لأنها زيادة ثقة وهي مقبولة عند الجماهير.

قلت: رواية الموصول تفرد بها قرة وهو ليس بثقة بل ضعيف كما عرفت حاله. فزيادته زيادة ضعيف لا زيادة ثقة فهي مردودة مقبولة.

علم من هذا ان الحديث لا يصح موصولا وإنما صح مرسلا. والحديث المرسل من أقسام الحديث الضعيف عند المحدثين.

قال الإمام مسلم في مقدمة صحيحه (١٣٢/١): «والمرسل من الروايات في أصل قولنا وقول أهل العلم بالاخبار ليس بحجة».

موقف السبكي من الحديث:

ولقد بذل السبكي جهدا كبيرا في تصحيح الحديث وجاء على ذلك بأدلة لا تسمن ولا تغني من جوع فلننظر إلى أدلته.

أدلتـــه:

جاء السبكي على ما ذهب إليه بدليلين:

١ — الدليل الأول: قال: قرة بن عبد الرحمن عنـدي في الزهري ثقة ثبت فقد قال الأوزاعي: ما أحد أعلم بالزهري منه». الطبقات (٩/١).

٢ — الدليل الثاني: قال: إن قرة قد توبع عليه تابعه يونس بن يزيد فرواه عن الزهري كما سيأتي والأوزاعي نفسه فحدث به عن الزهري كما سبق ومحمد ابن الوليد الزبيدي فرواه عن الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه كما سيأتي وأنا لا أقول أن السندين إلى يونس بن يزيد وإلى الأوزاعي عن الزهري صحيحان ولكني أقول يقوى بهما حديث قرة الطبقات (١٣/١).

الرد على أدلته :

الرد على دليله الأول من وجهين :

أ – قول الأوزاعى الذى استند إليه السبكى فى جعل قرة ثقة ثبتا قد تعقبه ابن حبان فقال فى ثقاته (٣٤٣/٧) : هذا الذى قاله يزيد بن السمط[1]، ليس بشىء يحكم به على الاطلاق، وكيف يكون قرة بن عبد الرحمن اعلم الناس بالزهرى وكل شىء روى عنه لا يكون ستين حديثا، بل اتقن الناس فى الزهرى مالك ومعمر والزبيدى ويونس وعقيل وابن عيينة هؤلاء الستة أهل الحفظ والاتقان والضبط والمذاكرة وبهم يعتبر حديث الزهرى إذا خالف بعض أصحاب الزهرى بعضا فى شىء يرويه .

ب – ليس المراد من قول الأوزاعى ان قرة ثقة ثبت فى الزهرى بل المقصود منه انه اعلم بحال الزهرى من غيره . قال يزيد بن السمط : ثنا قرة ابن حيوئيل قال : لم يكن للزهرى كتاب إلا كتاب فيه نسب قومه وكان الأوزاعى يقول : ما أحد أعلم بالزهرى من ابن حيوئيل .

رواه الفسوى فى المعرفة والتاريخ (٦٤١/١) وابن عدى فى الكامل (٢٠٧٦/٦) واللفظ له .

قال الحافظ فى التهذيب (٣٣٤/٨) بعد ان ذكر قول الأوزاعى هذا : فيظهر من هذه القصة ان مراد الاوزاعى أنه أعلم بحال الزهرى من غيره لا فيما يرجع إلى ضبط الحديث وهذا هو اللائق والله أعلم .

(١) هكذا فى الثقات وليس هذا قول يزيد بن السمط وإنما هو قول الأوزاعى رواه عنه يزيد بن السمط . انظر : الجرح والتعديل (٧ / ١٣٢) والكامل (٢٠٧٦/٦) وتهذيب التهذيب (٣٣٣/٨) .

فعلم من هذا أن المراد من قول الأوزاعى ان قرة أعلم بحال الزهرى لا أنه ثقة ثبت فى الزهرى ولو كان قرة ثقة، أو ثقة ثبتا فى الزهرى لما كان هذا خافيا على أئمة هذا الشأن.

والفهم الذى فهمه السبكى من قول الاوزاعى المذكور لم يوافقه عليه أحد من أئمة هذا الفن لأنهم ذكروا فيمن هو أتقن وأثبت فى الزهرى مالكا وعقيلا ومعمرا وشعيبا ويونس وسفيان بن عيينة وزياد بن سعد والزبيدى[1] ولم يذكر واحد منهم قرة فيمن هو أتقن وأثبت فى الزهرى.

والعجب من السبكى كيف جعل قرة ثقة ثبتا فى الزهرى وهو ليس بثقة لا فى الزهرى ولا فى غيره بل هو ضعيف، وقد تقدم ما قال فيه أئمة الجرح والتعديل[2] وأورده العقيلى فى الضعفاء الكبير (٣/٤٨٥) وابن الجوزى فى الضعفاء والمتروكين (١٧/٣) والذهبى فى ديوان الضعفاء (٢٥٢/٢) وفى المغنى (٢/ ٥١٤) وفى الميزان أيضا (٣/ ٣٨٨). وأكثر ما يقال فيه: انه حسن الحديث فى الشواهد وقد أخرج له مسلم فى الشواهد.

وقال العجلى: يكتب حديثه تاريخ الثقات (ترجمة رقم ١٣٨٥) وأورده الذهبى فى معرفة الرواة أيضا (ترجمة رقم ٢٨٢) وقال: صويلح روى له مسلم فى الشواهد وضعف.

---

(١) راجع للتفصيل تهذيب التهذيب (٣١٩/٣ — ترجمة زياد، ٤/١٠٥—١٠٧—٣٠٧—٣٠٨— ترجمة سفيان وشعيب، ٧/ ٢٢٨— ترجمة عقيل، ٩/٤٤٤ — ترجمة الزبيدى، ١٠/ ٦ — ٧، ٢١٩ — ترجمة مالك ومعمر، ١١/ ٣٩٦— ٣٩٧ — ترجمة يونس).

(٢) انظر ص (٣).

وقال الحافظ فى التقريب : صدوق له مناكير . فإذا كان هذه حال قرة . فكيف يقال انه ثقة ثبت فى الزهرى كما ادعاه السبكى أو أن روايته الموصولة زيادة ثقة كما قاله النووى .

محاولة غريبة من السبكى :

ولقد سلك السبكى مسلكا غريبا فى تقوية حديث قرة هذا فقال بعد ان ذكر أقوال الجرح فيه :

قلت : هذا الجرح ان قبل فلا أقبله فى حديث الزهرى ولئن قبلته فيه فلا أقبله فى هذا الحديث منه فللحديث قرة عندى درجات أدناها حديثه عن غير الزهرى كحديثه عن عطاء ابن أبي رباح ومنصور بن المعتمر وكحديثه عن حبيب بن أبى ثابت وأعلاها حديثه عن الزهرى لما عرفت من خصوصيته به لاسيما ما حدث به عنه الأئمة مثل الأوزاعى امام أهل الشام والليث بن سعد امام أهل مصر وأعلا منها هذا الحديث بخصوصه فهو من أثبت أحاديثه عن الزهرى لأنه انضم إلى تحديث الأوزاعى به عنه وقبوله إياه منه أعنى الأوزاعى حدث به أيضا عن شيخه الزهرى وان قرة توبع عليه . الطبقات (١/١٠-١١) .

قلت : السبكى جانبه الصواب هنا وكلامه هذا ظاهر البطلان إذ لو سلك كل مسلكه فى قبول الجرح وعدم قبوله لحصل الفوضى ولوثق الضعفاء وضعف الثقات وصحت الأحاديث الضعيفة وضعفت الأحاديث الصحيحة[1].

وأما ما ذكره من خصوصية قرة بالزهرى فقد تقدم الجواب عنها . وأما

(١) انظر ما قاله ابن عبد الهادى فى « الصارم المنكى فى الرد على السبكى » صفحة ٦ وما بعدها ، بشأن تقى الدين السبكى والد تاج الدين السبكى .

ما ادعاه من متابعة قرة فالرد على هذا الادعاء كالآتى :

الرد على الدليل الثانى :

الدليل الثانى للسبكى على ما ذهب إليه هو ان قرة توبع على وصل الحديث تابعه على ذلك الأوزاعى ويونس بن يزيد ومحمد بن الوليد الزبيدى .

قلت : متابعة الأوزاعى ويونس والزبيدى ليست بشىء وإليك التفصيل :

أولا : متابعة الأوزاعى :

قلت : الأوزاعى لم يتابع قرة وإنما المحفوظ أنه روى هذا الحديث عن الزهرى بواسطة قرة ولم يروه عنه مباشرة فى طريق صحيح هكذا رواه عنه (أعنى الأوزاعى) جمع من الثقات ، لذا قال أبو يعلى الخليلى ، وحديث الأوزاعى عن قرة مشهور رواه الكبار عن الأوزاعى : الوليد بن مسلم وأبو المغيرة وعبيد الله بن موسى وابن المبارك عن الأوزاعى والمعول عليه[1]، الارشاد (٤٤٩/١) .

وقال الديلمى : محفوظ من حديث الأوزاعى عن قرة رواه الناس عنه ، منهم عبد الله بن المبارك وعبيد الله بن موسى والمعافى بن عمران وأبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج والوليد بن مزيد وبقية بن الوليد وأبو سعيد موسى ابن أعين وعبد الحميد بن حبيب بن أبى العشرين وغيرهم ، قد ذكرنا طرقه فى كتاب « التبيان »[2] مقدمة الفردوس (٣٧/١—٣٩) .

(١) هكذا فى النسخة المطبوعة من « الارشاد » ولعل الصواب « وهو المعول عليه » والله أعلم .

(٢) يوجد فى النسخة المطبوعة من « الفردوس » بعض الأخطاء فى هذا الكلام ولا داعى لذكرها هنا .

قلت : وفى « وغيرهم » الوليد بن مسلم وشعيب بن اسحاق أيضا وهؤلاء عشرة كاملة وكلهم ثقات رووه عن الأوزاعى عن قرة عن الزهرى .

والكتب التى خرجت منها هذا الحديث يوجد فيها طرق هؤلاء كلهم سوى طريق المعافى بن عمران والوليد بن مزيد وبقية بن الوليد وإليك ذكر من أخرج هذه الطرق .

١ — طريق عبد الله بن المبارك أخرجه أحمد .

٢ — طريق الوليد بن مسلم أخرجه أبو داود والنسائى والدارقطنى والديلمى والبكرى والسبكى .

٣ — طريق عبيد الله بن موسى أخرجه ابن ماجه والبيهقى فى « الدعوات » والبكرى والخطيب والبغدادى والسبكى .

٤ — طريق أبى المغيرة أخرجه الخرائطى والبيهقى والسبكى .

٥ — طريق عبد الحميد أخرجه ابن حبان والخليلى .

٦ — طريق شعيب بن اسحاق أخرجه ابن حبان[1] .

٧ — طريق موسى بن أعين أخرجه الدارقطنى .

وأما طريق المعافى بن عمران والوليد بن مزيد وبقية بن الوليد فأخرجه الديلمى فى « التبيان » كما أشار هو فى « مقدمة الفردوس » .

(يتبع)

---

(١) قال السبكى : قد أخرج ابن حبان هذا الحديث فى « صحيحه » من طريقين الطبقات (١ / ٨) .
قلت : ظاهر كلامه ان ابن حبان أخرجه من طريقين عن أبى هريرة وليس الأمر كذلك وإنما أخرجه من طريقين عن الأوزاعى فقط .

أعلام أكرمتهم ولاية بوفال

++++++++++++++++++++++++

بقلم : الدكتور أبو حاتم البنارسى
المحاضر فى قسم اللغة العربية بجامعة بنارس

++++++++++++++++++++++++

ولاية بوفال عرفت بعنايتها العلميــة و خدماتها الدينية وجودها وكرمها و فطانــة أهلها و نباهتهم ، إن الأطلال المنهدمــة من عماراتها القديمة الشامخة و مساجدها و حصونها الرائعة العظيمة تحكى بلسان حالها عن تشجيعاتها العلمية وتقديراتها المهمة فى مدة من الزمن .

إن هــذه الولاية كانت تأسست فى القرن السادس عشر الميلادى ، ومنذ أن أسسها النواب دوست محمد خان لم يزل يعتنى برقيها وتطورها . ولو استعرضنا عصور النواب دوست محمد خان والنواب سلطان جهان بيكم إستعراضا تاريخيا لعلمنا أن عصور ملكات بوفال خاصة كانت عصورا ذهبية تاريخية . و قدتم الإعتناء فيها بالعلماء الكرام و الفضلاء العظام و الأدباء المشاهير ، وقد أتى على مآثرها الأدبية والعلمية كثير من الأجلة ، و قد تحققت للناس فوائد عظيمة بطبعها الكتب الكثيرة النادرة ، وقد ارتبط كثير من العلماء الكرام و الأدباء العظام بهــذه الولاية من عصر النواب دوست محمــد خان إلى عصر النواب سلطان جهان بيكم ، و هؤلاء الأجلة الفضلــة لم يزالوا يسحرون قلوب النــاس

بعلومهم و فضلهم و زهدهم و تقواهم ، و الناس ما زالوا يستفيدون من فيوضهم وعلومهم ، ولذا ينبغي أن أخص حالات بعض العلماء الأفاضل ، الذين يعترف بخدماتهم العلميـة و اثرائهم الأدب العربي ، و ينظر إليهم بسبب هذه الصفات الجليلة بنظر التقدير و التحسين إلى اليوم.

● الشيخ حسين بن محسن اليماني (١٢٤٥ – ١٣٢٧ هـ) :

هو الشيخ الامام العلامة المحدث القاضي حسين بن محسن بن محمد اليماني الأنصاري الخزرجي الشافعي.

ولد ببندر الحديدة من اليمن في ١٤/ جمادى الأولى سنة ١٢٤٥ هـ ، و بعد بلوغه سن التمييز شرع في قراءة القرآن الكريم على رجل من قريته و ختمه في حياة أبيـه ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وبعـد وفات والده سافر إلى قرية المراوعة فمكث بها ثماني سنين ، واشتغل بعد إتقان النحو وغيره بالفقه الشافعي حتى اتقن حق الإتقـان ، ثـم درس من كتب الحـديث ، سنن ابن ماجـه و النسائي و أبي داود و الترمذي و صحيحي البخاري و مسلم على العلامة السيد حسن بن عبد الباري الأهدل ، ثم توجه بعد ذلك إلى مدينة زبيد من أرض اليمن ، وقرأ هناك الأمهات الست وغيرها على السيد العلامـة سليمان بن محمد ابن عبد الرحمن الأهدل و نال منه إجازة عامة ، ثم سافر إلى مكـة المكرمة وأدى فريضة الحج و بعـد ذلك قرأ على العلامة القاضي أحمد بن محمد بن علي الشوكاني أطرافا من الأمهات الست ، ثم قدم بوفال في عهد شاه جهان بيكم مع زوجتـه وأولاده واستوطنها فاكرمته غاية الإكرام وعنيت بقيامه و طعامه و راحته عناية تامة ، وقد كانت تفتخر على خدمته وإكرامه ، وقد فوضت إليه التـدريس بدار الحـديث. قال النواب : وله علم نـافع و عمل صالح و فكرة

صحيحة وهمة فى إشاعة علم الحديث و رنيمة .

وقد انتشر صيته فى بلاد الهند فرحل إليه طالب علم الحديث من كل ناحية ، و قد تتلمذ عليه فى بوفال و دهلى جمع كثير من العلماء ، ولم يزل محطا الطلاب و منهلا صافيا يرد الرواد إليه من كل صوب و قطر إلى أن توفاه الله ليلة الأربعاء ١٠/ جمادى الأولى (١٣٢٧هـ) ببوفال وهو يطالع جزءا من فتح البارى شرح صحيح البخارى .

ومن أشهر تلامذتـه و أخصهم النواب صديق حسن خـان ، و مولانا ذو الفقار أحمد النقوى البوفالى ، و مولانا أبو محمد إبراهيم الآروى ، و مولانا محمد بشير السهسوانى و غيرهم .

وله تاليفات قيمة كثيرة النفع ، منها : (١) التحفة المرضية فى حل بعض المشكلات الحديثية (٢) القول الحسن المتيمن فى ندب المصافحـة باليد اليمنى و أن التى أظهرها أهل اليمن (٣) البيان المكمل فى تحقيق الشاذ و المعلل ، (٤) الفتاوى باسم نور العين ، (٥) تعليقـات على مواضع شتى من سنن أبي داود و سنن النسائى(١) .

● مولانا السيد عبد البارى (١٢٦٦ – ١٣٠٣هـ) :

هو الشيخ العالم الكبير أشجع المناظرين برهان المتكلمين عبـد البارى ابن حجـة الإسلام سراج أحمد بن آل أحمد الحسينى النقوى السهسوانى أحد العلماء المبرزين فى العلوم العربية .

---

(١) ابجد العلوم ص ٨٨٦ – ٨٨٧ ، و نزهـة الخواطر ١١١/٨ – ١١٥ ، و حياة شمس الحق و أعماله ص ٢٤٨ – ١٥١ .

ولد بسهسوان (١٢٦٦ هـ) وأخــذ فى تحصيل العلم، وقــد فرغ من قراءة المختصرات فى النحو و الصرف و المنطق و بعض كتب الحكمة و الأدب و هو فى السادس عشر من عمره، و لما توفى والده الكريم جاء به المولوى السيد الأمير حسن السهسوانى معه إلى ميرت، و أكمل هناك كتبا دراسية، وفى ذلك الوقت ألف هداية المبتدعين فى رد الشرك، ثم باشارة من السيد الأمير حسن حضر عند حضرة الشيخ السيد نذير حسين الدهلوى المحدث، و حصل منه على الاجازة للصحاح الست ولم يسمح الحاجى على جان له بأن يرجع إلى وطنه المألوف إلى أن تمت خمسة أشهر.

وفى هذه المدة جرت المناظرة بين الأساقفة النصارى و استمرت، و عند رجوعــه إلى الوطن المألوف سنح له أن يقيم بعليكره، وفى الوقت نفسه كان سوامى ديانند مؤسس الآرية (فرقة هندوكية) مقيما هناك، فالتمس أعيان هذه البلدة منه أن يناظر معه، فرضى الشيخ وأما سوامى ديانند فقد رفض المناظرة الشفوية، فتقررت المناظرة الكتابية، وبعد مداولة عدة و رقات المناظرة من الطرفين ترك سوامى ديانند الجبهة وفر من ميدان المناظرة.

وكذلك عند ما عين الشيخ أستاذ الأدب والحساب فى المدرسة العربية فى آكره، فناظر هناك أيضا عماد الدين الأسقف، وفر هـــذا الرجل أيضا من ميدان المناظرة قائلا: إنى أخاف الفتنة من المناظرة الشفوية فغضب عليه نصارى آكره. وفى مدة إقامته بآكره صنف كتابا ضخما، وهو «إعلام الأحبار والأعلام بأن الدين عند الله الإسلام»، فأثبت تفوق الإسلام وعلوه بين جميع الأديان الموجودة، و قد عاونه النواب صديق حسن خان فى طباعة هذا الكتاب ومن الوقت نفسه قامت المراسلة بينهما حتى طلبه النواب إلى بوفال و أشركه فى بلاط

الملك. وكان مفرط الذكاء، سريع الإدراك، قوى الحفظ، جيد المشاركة فى المناظرة، وله يد بيضاء فى البحث و المناظرة، يحضر المجالس و المحافل يتكلم ويناظر ويفحم الكبار من أحبار الهنود والنصارى، كذا ذكرت بعض المناظرة التى تدل على ما وصفته به.

وكان سليم الجسم، موفور الصحـــة، فلذلك كانت النواب الشاه جهان بيكم تلقبه بلقب أسد رباط الملك. وقد قامت العلاقة الودية فى بوفال ووثقت بينـــه وبين مولانا السيد ذى الفقار أحمد النقوى، و مولانا الشيخ محمـــد المجلى شهرى، و مولانا عبـــد الرشيـــد الكشميرى، و مولانا الحكيم معز الدين القشاورى.

وله تعليقات على الكتب الدراسية و مصنفات أخرى، منها:

(١) إعلام الأحبار والأعلام بأن الدين عند الله الإسلام، (٢) هداية المبتدعين، (٣) ترجمة القائد إلى العقائد.

توفى بمدينة بوفال (١٣٠٣ هـ)[1].

● مولانا محمد سعيد البنارسى (١٢٧٤ — ١٣٢٢ هـ):

هو الشيخ العالم الكبير المحدث محمد سعيد البنارسى، أحد العلماء المشهورين، ولد (١٢٧٤ هـ) فى بيت هندوكى وثنى معزز بقرية كنجاه فى ولاية بنجاب وكان اسمه السابق مول سنك بن كرك سنك بن كاهن سنك. أسلم بتوجيه الشيخ عبيد الله البائلى، وذلك أنه كان مدير البريد فى كجرانواله، فوفق للذهاب إلى لاهور، وقد تولد فى قلبه طلب الحق، فتشرف بلقاء مولانا الشيخ عبيد الله المذكور

(١) نزهة الخواطر ٣١٤/٨، وحياة العلماء ص ٨٠ — ٩٠.

جديد الإسلام صاحب تحفة الهند، وكان هذا الشيخ يقدر على أن يدفع جنون المذهب الهندوكي بنفخة مثل نفخة عيسى — عليه الصلاة والسلام — فانقلبت حقيقة مول سنك بمحمد سنك، أي تشرف بدين الإسلام واعتنقه، فبلغ ذلك والده كرك سنك، فأسرع السير إلى كجرانواله، وأخذ به إلى هرى دوار فشد عباد الأصنام في بها كيرتي الزنار على عنقه، ولتدراك هذه الجرعة كلفوه رعى البقرة وترتيل الأناشيد على الطريقة المروجة عند الهنادك، ولكنهم كانوا يجهلون أن الإسلام قد دخل ورسخ في قلبه، وهولا يخرج بإخراج أحد. ففوض البقرة إلى أخيه الكبير كوفال سنك، وأخذ يسبح نفسه بسبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم، ولما تفسح له المجال وسنحت له الفرصة فرمن هناك وألقى على عنقه ربقة الإسلام مرة أخرى، ثم لم يسع أبوه في ارتداده، فترك التوظيف وكان بارعا في الفنون الرياضية، عارفا باللغة الفارسية، فسافر لتحصيل العلوم العربية والإسلامية إلى ديوبند، وقرأ هناك العلوم المتداولة من النحو والعربية والفقه وشيئا من المنطق والحكمة على أساتذة المدرسة العربية، ثم اشتغل بتحصيل الحديث ومطالعته. وهو الذي صرفه إلى الحنيفية السمحة من الحنفية الضيقة، وهذا هو سبب إخراجه من دار العلوم ديوبند. ولكن أرض الله واسعة، فسافر إلى دهلي، لأن فيوض الشيخ السيد نذير حسين الدهلوي العلمية كانت آنذاك جارية مستمرة، فلازمه وتشبع بعلومه الجمة من الحديث والتفسير وحصل على سند هذه العلوم، وفي ذلك الوقت كتب أبوه رسالة إلى الشيخ السيد نذير حسين جاء فيها «قد نشأ وابنى ترعرع في تنعم وترفه، فعليكم أن تكرموا عليه بنظر العناية والشفقة، فقرأها الشيخ فابتلت عيناه بالدموع.

وقـد حصل على الإجازة من الشيخ عباس بن عبـد الرحمن تلميذ القاضى الشوكانى فى مكة المكرمة .

ثم اشتغل بالدرس و الإفادة فى المدرسة الأحمدية بآرة ، بإصرار الحاج الشيخ الحافظ مولانا أبو محمـد إبراهيم الآروى : ثم رجع إلى مدينـــة بنارس وأسس بها المدرسة السعيدية ودرس بها واشتغل بالتحقيق والدقيق إلى وفاته .

وكان كثير الاشتغال بالمباحثـــة و المناظرة و الرد على المقلدين من الأحناف ، ذاعناية تامة بالمسائل الخلافية . وقد أعانه النواب صديق حسن خان البوفالى وأجرى له منحة مالية لأجل نشره مذهب السلف والمحدثين .

وقد تخرج عليـــه خلق كثير من شمال الهنـــد و بيهار و بنجال . و له مصنفات و رسائل كثيرة أكثرهـا ردود مفحمـة على متعصبى المذهب المقلدين الجامدين ، منها :

(١) هدايـــة المرتاب فى رد كشف الحجاب ، وقد أعجب بـــه النواب صديق حسن خان البوفالى ، فقرر له خمسين روبية شهرية ، (٢) السكين لقطع حبل المتين للشيخ ظهير أحسن شوق النيموى الحنفى ، (٣) كسر العرى بإقامة الجمعة فى القرى ، كتبه ردا على رسالة أوثق العرى للشيخ رشيد أحـــد الكنكوهى ، (٤) دفع البهتان العظيم عن حديث الرسول الكريم ، (٥) البرهان الجلى فى الرد على الدليل القوى .

وكل هذه الكتب و الرسائل مفيدة جدا وثمينة .

● الشيخ أبو المكارم محمد على المئوى المتوفى (١٣٥٢ هـ) :

هو الشيخ الفاضل أبو المكارم محمد على بن الشيخ فيض الله المئوى ، كان من أشهر العلماء السلفيين .

ولد بمئو من مديرية[1] أعظم كره ، و قرأ مبادئ العلوم على الشيخ حسام الدين المئوى ، ثم أخذ عن المحدث الحافظ عبد الله الغازيفورى وغيره من شيوخ مدرسة چشمة رحمت بغازيفور ، و أسند الحديث عن المحدث السيد نذير حسين الدهلوى ، ثم قدم لكناؤ ودرس الطب على الطبيب عبد العزيز الكنوى ، و جد فى البحث و المطالعة و الاشتغال حتى برع فى كثير من العلوم .

ثم اشتغل بالتدريس و التأليف و المناظرة و الطباعة . بذل جهوده لنشر السنة وإحيائها ونشر العقيدة السلفية والدفاع منها ، وقد أعطاه النواب صديق حسن خان البوفالى منحة مالية فصرف عمره فى العلم و بناء المساجد ، وألف رسائل و مؤلفات كثيرة تزيد على الخمسين أكثرها ردود على مخالفى السنة . و من مؤلفاته و رسائله :

(١) الجواب السديد عن مقالات أهل التقليد ، (٢) إقامة الدلائل على سماع علقمة من أبيه وائل ، (٣) التحقيق الحسن فى إثبات القميص فى الكفن ، (٤) عمدة التحقيق فى إثبات الضحايا إلى آخر أيام التشريق ، (٥) هداية الورى إلى إقامة الجمعة فى القرى ، (٦) البحث القوى عن سيرة النبى ، (٧) الروض الأحمر فى منافع الدهن الأحمر ، (٨) عمدة القانون فى الرد على خير الماعون .

وكان رحمه الله متصفا مشتهرا بالصفات الجليلة و الأوصاف الحميدة و الأخلاق العالية و الآداب الفاضلة من الجود و السخاء و الغنى والقناعة ، بل كان قدوة السلف الصالح وأسوتهم فى القول الحق والصواب . وكان محسود

(١) صارت مئو منذ عدة سنوات مديرية مستقلة .

العصر في الفطانــة والصدق والوثاقة ، كان هادئا ساكتا ، ومع ذلك يضرب به المثل في البداهة والارتجال في الجواب ، فلهذا نظر إليه معاصروه بنظر التعظيم و التقدير و التكريم والتوقير ، وقــد أنشد العلامة تقي الدين الهلالي المراكشي المتوفى في ثنائه العاطر و مدحه الجميل :

قصدت أبا المكارم كي أراه بشوق كان يجــذبني إليــه

فلمـــا أن رأيت رأيت فردا ولم أر من بنيـــه من لديه

و من جانب آخر انه علق على السبع المعلقات الحواشي الجيدة الأنيقــة و التعليقات المفيدة . ولـه مهارة تامة وصلاحية كاملة في قرض الشعر وإنشاده إلا أنه لم يكن يقوله إلا قليلا ، وهاهو من شعره :

كتـــاب لو تراه بعين فهم رأيت الحق فيها بلا حجاب

كتـــاب ناطق بلسان حال بـــأني كامـل في كل بـــاب

و إني غـــالب في كل بحث بإسكـــات المخالف بالجواب

★

صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٦) صفر ١٤١٥ هـ

العدد الثامن أغسطس ١٩٩٤ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi – 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI – 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٥٠ روبية ، فى الخارج ٣٢ دولارا (بالبريد الجوى) ١٢ دولارات (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٤/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٠٩٥٨/ ٣٢٢١١٦ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

- إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكرى، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الاسلام، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية.
- مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمبادىء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.
- مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.
- إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.
- نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.
- التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

هدى القرآن | آية وتفسير

قال تعالى : ﴿إذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾ ، (الاسراء : ٦٧) .

يخبر تبارك وتعالى إن الناس إذا مسهم ضر دعوه منيبين إليه مخلصين له الدين . ولهذا قال تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل) أى ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله تعالى كما اتفق لعكرمة بن أبى جهل لما ذهب فارا من رسول الله ﷺ حين فتح مكة ، فذهب هاربا فركب فى البحر ليدخل الحبشة ، فجاءتهم ريح عاصف ، فقال القوم بعضهم لبعض : إنه لا يغنى عنكم إلا أن تدعو الله وحده ، فقال عكرمة فى نفسه : والله ان كان لا ينفع فى البحر غيره فانه لا ينفع فى البر غيره ، اللهم لك على عهد لئن أخرجتنى منه لأذهبن لأضعن يدى فى يد محمد فلأجدنه رؤفا رحيما ، فخرجوا من البحر ، فرجع إلى رسول الله ﷺ فاسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وارضاه . وقوله تعالى (وإذا نجاكم الآية) أى نسيتم ما عرفتم من توحيده فى البحر وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له (وكان الانسان كفورا) أى سجيته هذا ينسى النعم ويجحدها إلا من عصم الله .

(تيسير العلى القدير)

هذا كان ديدن المشركين فى الجاهلية حيث كانوا يدعون الله تعالى ولكن المشركين فى جاهلية القرن العشرين ماذالوا يدعون غير الله فى أحرج الساعات .

(اعداد : اصغر على السلفى)

فقه السنة | حديث وشرح

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب (الترمذي وغيره).

قال المظهر: يعني مشي الواحد منفردا منهي وكذلك مشي الاثنين ومن ارتكب منهيا فقد أطاع الشيطان ومن أطاعه فكأنه هو، ولذا أطلق ﷺ اسمه عليه، وفي شرح السنة: معنى الحديث عندي ما روى عن سعيد بن المسيب مرسلا: الشيطان يهم بالواحد والاثنين وإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم، وقال الخطابي: معناه أن التفرد والذهاب وحده في الأرض من فعل الشيطان وهو شيء يحمله عليه الشيطان ويدعوه إليه وكذلك الاثنان، فإذا صاروا ثلاثة فهو ركب أي جماعة وصحب. قال: والمنفرد في السفر ان مات لم يكن بحضرته من يقوم بغسله و دفنه وتجهيزه، ولا عنده من يوصي إليه في ماله ويحمل تركته إلى أهله و يورد خبره إليهم، ولا معه في سفره من يعينه على الحمولة، فإذا كانوا ثلاثة تعاونوا وتناوبوا المهنة والحراسة وصلوا الجماعة وأحرزوا الحظ فيها.

(تحفة الأحوذي)

والذي يعرف مشقة السفر ويعتري الرجل فيه من المتاعب والمصائب وبما يحتاج إلى من يعنيه في سفره وحله أثر حاله يعرف قيمة هذه التوجيهات الرشيدة القيمة التي يرشد إليها هذا الحديث.

(اعداد: اصغر علي السلفي)

الافتتاحية :

صور من نشاط المدارس الإسلامية فى الهند

توطئة وتنويه : سعادة الدكتور نثار أحمد الفاروقى ، رئيس وأستاذ قسم اللغة العربية بجامعة دهلى ، و رئيس تحرير مجلة « ثقـــافة الهند » كلفنى بمهمة التعريف ببعض المدارس الكبيرة لجمـــاعة أهل الحديث فى الهند ، وهى فى الحقيقة مهمة شاقـــة قد يصعب القيام بها على رجل متواضع مثـــلى ، ولكننى امتثلت أمر الدكتور الفـاروقى حفظـــه الله و رضيت بتحمل هذه المهمة الشاقة نظرا إلى أمرين اثنين :

الأول : أن كتابتى المتواضعة قد تكون مساهمة فى التعريف بحركة الهند العلمية والثقافية الاسلامية التى تواصلت فى البلاد ، وتكرم الدكتور الفـــاروقى بجدارة بتحمل مسئوليـة التعريف بها فى العالم عامة وفى البلدان العربية خاصة . وهذه خطوة مباركة نافعة يستحق عليها الدكتور الفاروقى كل ثناء وتقدير من جميع المشتغلين بالعـــلم والأدب ، وبذلك يخلد اسمه فى صفحات التاريخ ، إن شاء الله تعالى ، لأنه اعتنى بجزء مهم من تاريخ الهند الثقافى المتمثل فى المدارس العربيـة الاسلامية والشخصيات العلميـــة المتعلقة والمؤلفات التى أعدها منسوبو هذه المدارس ، وبذلك خدم العلم والثقافة فى جانب ، وفى الجانب الآخر رفع مستوى مجلة « ثقـافة الهند » بتوسيع نطاقها وتنويع منشوراتها حتى اهتمت بها المجلات العربية العالمية ، وأقبل عليها الباحثون والكتاب المشتغلون بتاريخ الهند العلمى والثقـافى . والأمل قوى فى أن اتجاه المجلة هذا يستمر ، ويدرك أهميته المسئولون عنها .

والثانى: أن مدارس أهل الحديث فى الهند حلقة مهمة فى تاريخ المدارس العام، وهى مع قلتها أدت دورا ملموسا فى الحفاظ على العلوم الاسلامية واللغة العربية فى البلاد؛ فإذا سنحت فرصة لالقاء الضوء على نشاط هذه المدارس فإن استغلالها واجب دينى وعلمى معا، عسى أن تحظى هذه الكتابة بعناية خبراء التعليم والتربية فيطلعوا على تاريخ المدارس الاسلامية فى الهند، و يتكرموا بتقديم توجيهاتهم وتجاربهم التى تنير السبيل لهذه المؤسسات التعليمية، وتجعل افادتها أعم وأشمل.

اشتغال المسلمين بالعلم: تاريخ المسلمين الطويل يدل على أن اشتغالهم بالعلم وعنايتهم بنشره وتعميمه بين الناس لم يكن على سبيل الاختيار والهواية، بل نشطوا فى هذا المجال من منطلق دينى وبدافع من عقيدتهم، فالقرآن الكريم أمرهم بالتزود بالعلم وأحاديث الرسول ﷺ فرضت عليهم طلب العلم، ونبيهم عليه الصلاة والسلام ضرب لهم مثالا رائعا بتربية جيل الصحابة رضى الله عنهم وبتعليمهم الكتاب والحكمة. وبتوفر هذه الدواعى انطلق المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها يعلمون الناس أحكام القرآن والسنة، ويعتبرون ذلك خدمة دينية عظيمة يثاب القائم بها أحسن الجزاء. والايمان بأهمية العلم هو الذى حملهم على انشاء المدارس وجمع الكتب ومساعدة العلماء وتشجيع الطلاب وتخصيص الأوقاف بالمدارس، ثم إنهم استنوا فى هذا الباب بأسوة الرسول عليه الصلاة والسلام الذى جعل مسجده مدرسة للمسلمين وموئلا للعلماء والطلاب.

شهادة عالم فرنسى: وبناء على النصوص الكثيرة فى القرآن الكريم التى تحث على مواصلة البحث فى الكون وأدامة النظر فى الآفاق، أثنى كثير من العلماء والباحثين، مسلمين وغير مسلمين، على موقف الاسلام من العلم، ففى سنة ١٩٧٨م

ظهر كتاب للعالم الفرنسى المعروف (موريس بوكاى) باسم (التوراة والانجيل والقرآن والعلم) قارن فيـــه بين موقف التوراة والانجيل وموقف القرآن من العلم ، وصرح بأن مقررات الكتابين الأولين تعارض نظريات العلم الحـــديث بينما يوجد توافق بينها وبين ما قرره القرآن الكريم . وفى هذا الكتاب يقول المؤلف عن فضل الاسلام على العلم وعلى الحضارة الأوربية :

« وسنرى فى هذا الجزء من الكتـــاب أن القرآن يدعو إلى تطوير العلم ، ويحوى العديد من النظرات عن أحداث طبيعية مع تفصيلات موضحة لها تبدو شديدة الاتفاق مع معطيات العلم الحديث ، وليس فى الوحى اليهودى — المسيحى مثيل لهذا النوع »[1].

ويقول فى نفس الكتاب :

« فكانت مكتبة الخليفة فى قرطبة تحتوى على (٤٠٠,٠٠٠) كتاب ، وكان ابن رشد يعلم فيهـا ، وينقل فيها العلم اليونانى والهندى والفارسى . ولهذا كان النـاس يذهبون إليها من مختلف البلدان الأوربيـــة للدراسة ، كما يذهبون فى أيامنا هذه لاتمام بعض الدراسات فى الولايات المتحدة . وكم من مخطوطات قديمة وصلتنا بواسطة الأدباء العرب الذين حملوا الثقافة إلى البلدان المفتوحة . وكم من دين علينا نحو الثقافة العربية فى الرياضيات والفلك والطبيعة وعلم طبقات الأرض وعلم النبات والطب . وللمرة الأولى أخذ العلم سمة العالمية فى الجامعات الاسلامية »[2].

---

(١) التوراة والانجيل والقرآن والعلم (ترجمة عربية) ص ١١٠

(٢) نفس المصدر ص ١١١

العناية بالعلوم المتنوعة : كثر الحديث فى هذا العصر فى أوساط المسلمين عن الفصل بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية ، وبذلك يخيل للبعض أن الاسلام لم يهتم بالعلوم الدنيوية ، و ركز عنايته حول العلوم الدينية فقط . ولكن المسلمين الأوائل لم يقعوا فى هذا اللجاج ، ولم يقصروا الهمة على علم دون علم ، بل نشطوا فى تعلم العلوم المتنوعة ونشرها بين الناس ، نعم اشترطوا أن يكون العلم نافعا غير ضار ، ويحقق للمجتمع خيرا وسعادة . ومن هنا كان اقبال المسلمين على تحصيل العلوم الدينية اقبال الظمآن على الماء البارد ، فان وجودهم تحقق بالدين ، وكرامتهم توفرت بعلومه ، وفى نفس الوقت اهتموا بالعلوم العربية والعلوم الانسانية التى تتضمن التاريخ والاجتماع والتربية وعلم النفس والجغرافيا ، واهتموا بعلوم الطب والتمريض ، وبالعلوم العسكرية وعلوم الأنساب والحساب والفرائض وأمثالها . ولم تكن مساهمتهم فى هذه العلوم شكلية ضئيلة ، بل أخلصوا فى تعلمها ونشرها ، وبذلوا أموالا طائلة وعناية بالغة فى ذلك . ونظرة سريعة إلى آثارهم العلمية ومؤلفاتهم النافعة تكشف لنا عن مدى تضحيتهم فى سبيل العلم والثقافة(١).

ميزة نظام التعليم الإسلامى : نهض التعليم فى العصر الاسلامى لأسباب عديدة ، منها أنه كان عاما وميسرا للغنى والفقير والمالك والمملوك والحر والعبد دون أى تفرقة بينهم ، فكان كل منهم مخولا لأن يتعلم ما يريد ، ولذلك رأينا أن العبيد أو أبنائهم تولوا مناصب التدريس فى العصر الأموى كما يتضح من الحوار الذى جرى بين الامام الزهرى وبين عبد الملك بن مروان ، وقد ذكره

(١) الحركة العلمية فى عصر الرسول وخلفائه للدكتور محمد السيد الوكيل ص ٤٩

ابن الصلاح فى مقدمته(١).

الاهتمام بتعليم المرأة: ومن مظاهر عناية الإسلام بالعلم أنه أمر بتعليم المرأة ما ينفعها فى دينها و دنياها، ويساعدها فى أداء واجبها نحو البيت والأسرة والأمة. والمعروف فى هذا الباب قول النبى ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(٢)، و يدخل فى هذا الحكم الرجال والنساء على حد سواء، بل الأمر أوكد فى حق النساء لأن مسئولية تربية الجيل المسلم تقع عليهن قبل الرجال وأكثر منهم.

ومن هنا صرح العلماء بالعناية بهذه الناحية، يقول ابن حزم: «ويجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهن، إما بأنفسهم أو بالاباحة لمن لقاءه من يعلمهن، وفرض على الامام أن يأخذ الناس بذلك، وأن يرتب أقواما لتعليم الجهال»(٣).

والمسلمون فى صدر الاسلام عرفوا أهمية هذا التوجيه النبوى، وأتاحوا فرصة الدراسة والتعلم أمام النساء، فقد ورد أن الشفاء بنت عبد الله العدوية علمت حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها الكتابة بعلم رسول الله ﷺ(٤).

وعدّ العلماء من النساء المتعلمات فى عصر الرسول عليه الصلاة والسلام: عائشة وحفصة وأم سلمة، أمهات المؤمنين، وأم أيمن وأم عطية وعاتكة بنت زيد والخنساء بنت الشريد وقتيلة بنت النضر، رضى الله عنهن.

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٣٦٠

(٢) الطبرانى فى الأوسط، وابن ماجه ١ / ٨١

(٣) الاحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ٢ / ١١٦

(٤) نظام الأسرة فى الاسلام ص ٣٣

وقد صرحت كتب الحديث بأن النبي ﷺ كان يخرج إلى النساء فيعظهن ويعلمهن ، لأن ترك النساء بغير تعليم يؤدى إلى جهلهن بما يجب عليهن من أمور دينهن وحقوق أزواجهن وتربيـة أولادهن . والنساء نصف المجتمع ، وتعليمهن يرفع من مستوى الأمة ، ويمكنهن من القيام بواجبهن ، وبذلك يسهمن فى تطوير الحياة فى الأمة التى يعشن فيها .

ولا داعى لتخصيص نوع من العـلم بالنسبة للنساء فإن قول النبى ﷺ لا يتحمل ذلك ، يقول الدكتور محمد الوكيل :

« وليس المراد بالتعليم تعليم العلوم الشرعية فقط ، حيث لا مانع أن تتعلم الطب لتعالج الاناث ، وتتعلم المفيـد من العلوم لتعلم النساء إلى غير ذلك من العلوم التى تفيد بها بنى جنسها ، ولا يشترط عليها الاسلام إلا شرطين :

الأول : أن تطلب العلم بحشمة ووقار فلا تخالط الأجانب ، ولا تزاحم الرجال فى مجالسهم .

والثانى : أن يكون ما تتعلم مما يعود عليها بالنفع والخير »[1].

(للبحث صلة)

(الدكتور مقتدى حسن محمد ياسين الأزهرى)

(١) الحركة العلمية ص ٣٦

النواب صديق حسن خان الحسنى البخارى القنوجى ومو قفه من التأويل للنصوص الدينية

بقلم : الدكتور أختر جمال محمد لقمان
الاستاذ فى دار الحديث بمكة المكرمة

إن خير القرون كانوا على التسليم التام بما جاء به الكتاب والسنة، وخاصة فى مسائل العقيدة فلم يؤثر عنهم خلاف وجدال حول مسائل الأسماء والصفات، «بل كلهم على اثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلا، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا، ولم يبدوا لشيء منها ابطالا، ولا ضربوا لها أمثالا، ولم يدفعوا فى صدورها وإعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالايمان والتعظيم، وجعلوا الامر فيها كلها أمرا واحدا، وأجروها على سنن واحد، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عضين، وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه»[1].

ثم خلف من بعدهم خلف وصلوا بعقولهم إلى ما ظنوه الحق، وعلى هذا

(١) اعلام الموقعين ١ / ٤٩

بنوا مذاهبهم ، ثم ذهبوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فإن وجدوا ما فى كل منهما يوافق ما ذهبوا إليه أبقوه على ظاهره ، وإن وجدوه يخالف ما ذهبوا إليه أولوه .

وهنا نجد أن العقول هى التى تحكمت فى النص مع أن الواجب كان هو العكس ، حيث كان يجب تحكيم النص وجعله المرشد للعقل ، ومن اتباع هذه الأهواء نجد الفساد الذى دخل على المسلمين فلم يعد هناك ضابط ولا مرشد ، وتشعبت بالناس الطرق .

وإن المتتبع للفكر الذى ينسب إلى الإسلام يجد هذه النتيجة ، فنجد المعتزلة يذهبون إلى نفى الصفات ، بينما الأشاعرة يثبتون بعضها وأولوا باقيها بألفاظ بعيدة عما أوقعهم فى التعطيل والتحريف ، وكذلك الفلاسفة حينما أولوا كل آيات النعيم والعذاب الجسمانيين وقالوا بالروحانى فقط ، حيث لا جنة ولا نار موصوفين بما جاء به القرآن الكريم ، وكانت الشيعة بضلالاتها أسوأ مثال .

هذا ما أزعج المخلصين لدينهم فوقفوا من التأويل موقف العداوة ، لا كرها للمؤولين لذاتهم ولكن حبا للدين ودفاعا عن الوحى .

معنى التأويل :

التأويل لغة : الرجوع ، وهو من آل يؤول إذا رجع[1].

وقال الجوهرى : التأويل : تفسير ما يؤول إليه الشىء[2]، والتأويل عند السلف له معنيان :

---

(١) لسان العرب ١١ : ٣٢ ، معجم مقاييس اللغة ١ : ١٥٩ ، المصباح المنير ١ : ٣٩

(٢) الصحاح ٤ : ١٦٢٧

الاول : هو الحقيقة التى يؤول إليها الكلام ، وهو نوعان :

أ ـ الانشاء ، فتأويل الامر هو نفس الفعل المأمور به ، كما قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ يقول فى ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى يتأول القرآن ، تعنى قوله : «فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا»[١].

ب ـ الاخبار ، فتأويله عين الامر المخبر به إذا وقع[٢]، وهذا يشتمل على اخبار الله عن الامور الغيبية كاليوم الآخر ، والجنة والنار ، ويشتمل على صفاته تعالى أيضا التى لا يعلم كيفيتها إلا الله سبحانه[٣].

الثانى : التأويل بمعنى التفسير والبيان ، وذلك فى اصطلاح كثير من المفسرين القدامى كابن جرير ونحوه ، وأهل الفقه والحديث[٤].

كما يقول القنوجى : «التأويل يطلق ويراد به فى القرآن شيئان :

أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه ، ومنه قوله : ﴿هذا تأويل رؤياى﴾[٥]، ومنه قوله : ﴿هل ينظرون إلا تأويله ، يوم يأتى تأويله﴾[٦] أى حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد .

والثانى: التأويل هو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء ، كقوله : ﴿نبئنا

---

(١) البخارى ٢ : ٢٩٩ ، مسلم ١ : ٣٥٠
(٢) مجموع الفتاوى ١٣ : ٢٧٧ ، مختصر الصواعق ١ : ١٢
(٣) شرح الطحاوية ٢٣٣ ، مختصر الصواعق ١ : ١٠
(٤) جامع البيان ٣ : ١٨٢
(٥) يوسف : ١٠٠
(٦) الأعراف : ٥٣

بتأويله﴾(١) أى بتفسيره(٢).

أما التأويل بمعنى صرف الكلام عن ظاهره المعارض للعقل إلى ما يخالف ظاهره —كما نجده عند المتكلمين— فهو تأويل مذموم، بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه، فهم يتأولون بعض ما جاء فى اليوم الآخر وفى آيات القدر والصفات(٣).

إن القنوجى رحمه الله لا يعتمد على علم الكلام و المتكلمين فى أساليبهم ومناهجهم فى مسائل التوحيد، بل نرى أنه يهاجمهم ويشدد النكير على صنيعهم، وأن التأويل فى باب العقيدة لم يحدث إلا من علم الكلام و الفلسفة، وقد لاحظنا أن القنوجى سلك فى التأويل نفس ما سلك فى علم الكلام، لما فيه من اثارة الحيرة والشبهات، وزلزلة العقيدة.

فالمطلوب هو الايمان بما وصف الله به نفسه فى الكتاب، أو وصفه به رسوله الأمين ﷺ بدون تعطيل أو تأويل أو تكييت أو تشبيه، لا تتجاوز الكتاب والسنة، وهذا مذهب سلف الأمة وأئمتها، فالمعانى المفهومة من الكتاب والسنة لا تؤول ولا ترد استنادا إلى الشبهات، بل معانيها واضحة مفهومة فى صدور خير القرون، اثبات بلا تأويل، وتنزيه بلا تعطيل.

والتأويل عنده شئ خطير جدا، وثلمة بارزة فى بنيان الدين، ومؤد إلى ارتباك فى فهم العقيدة النقية الصافية، يقول: «لو ذهبنا إلى تأويل كل

(١) يوسف: ٣٦
(٢) فتح البيان ٢: ١٦
(٣) فتاوى ١٣: ٢٩٥

صفة ، وكل لفظة منها ، وقعنا فى حيص بيص[١] ، وكنا على مراحل شاسعة من أصل التوحيد المطلوب »[٢].

إن تأويل النصوص الواردة فى الكتاب والسنة من عمل الشيطان ، بل هو نوع من التحريف والتكذيب ، الذى لا يرضاه الله و رسوله ، ولا نجد واحدا من السلف أول شيئا من صفات الله تعالى ، بل نهى عنه فى كل زمان ومكان .

« ولهذا لا نجد أحدا من سلف الأمة وأئمتها أول شيئا من صفات الرحمن ، بل صرحوا بأن ذلك من اتباع خطوات الشيطان ، وأن التأويل فرع التكذيب ، وأن صرف الكلام — بلا برهان شرعى و دليل سمعى — ضرب من التحريف ، والخوض فى ذلك قسم من البدعة والهذيان »[٣].

ويرى القنوجى أن التأويل عمل عدوانى ، وابتداع فى الدين ، لم يأمر الله و رسوله ﷺ بتغيير مفاهيم آيات الصفات ، بل فى هذا استخفاف بحق الله تعالى ، يقول :

قد اعتدى الناس حتى أحدثوا بدعا	فى الدين بالرأى لم تبعث به الرسل
حتى استخف بحق الله أكثرهم	وفى الذى حملوا من حقه شغل[٤]

الأمر الذى ندب إليه الشارع وحث عليه هو اجراء الصفات كما جاءت ، بدون تعرض لها بعمل ليس عليه برهان ، والتأويل لم يثبت فى حديث ، ولم يرد

(١) وقعوا فى حيص بيص : أى اختلاط من أمر لامخرج لهم ولامحيص منه ، وأيضا فى شدة وضيق ، اللسان (حيص بيص) .

(٢) الدين ١ : ١٥٣

(٣) أيضا .

(٤) الانتقاد : ٢٩

عن الصحابة العدول رضى الله عنهم على لسان المصطفى ﷺ، لو كان التأويل من الدين، لنقل إلينا، لأن البيـان لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة، فمن أوجبه فهم ممن يحللون الحرام ويحرمون الحلال، ويخـالفون الله و رسولـه، يقول القنوجى: «لم ينقل عن النبى ﷺ، ولا عن الصحابة من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك يعنى المتشابهات ولا المنع من ذكره، ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل الله إليه من ربه وينزل عليه ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾(١) ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إلى الله تعالى مما لا يجوز مع حثه على تبليغ الشاهد الغـائب حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وما فعل بحضرتـه، فدل على أنهم اتفقوا على الايمـان به على الوجه الذى أراد الله تعالى فيها، وأوجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾(٢) «فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم»(٣).

وإن التأويل الذى أوجبه المؤولون ليس إلا تنفيذا لأوامر الشيطان الذى يجرى فى الانسان مجرى الدم، ليزيل لذة الايمان وحلاوته وحقيقته عن المؤمنين ويبعد عن الطريق المستقيم حتى يصير مفقود الايمـان الذى أمر الله تعالى به، كما يقول القنوجى: «اياك أن تؤول أخبـار الصفات، فإن فى ذلك دسيسة من الشيطان، ليفوت المؤمن الايمان بعين ما أنزل الله تعـالى، قال الله تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليـه من ربه والمؤمنون﴾(٤) وهذا المؤول مـا آمن

---

(١) المائدة: ٣

(٢) الشورى: ١١

(٣) الانتقاد: ١٢

(٤) البقرة: ٢٨٥

حقيقة الإيمان إلا بما أوله بعقله ففاته الإيمان بعين ما أنزل الله تعالى فليتأمل»[(١)].

وتأويل آيات الصفات أو حملها على المتشابهات، وكذلك الأحاديث الصحيحة التي وردت في صفات الله تعالى، هو عادة أعداء الحديث وديدنهم، فهم يبغضون أهل الحديث ويحسدونهم، ويسمونهم حشوية، وتارة مشبهة، مع انهم آمنوا وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله وهو ما ذهب إليه السلف الصالحون من الصحابة والتابعين أي اجراء الصفات على ظاهرها بدون تأويل، يقول: «ولا نرد ما أخبر به الصادق المصدوق عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله لتسمية أعداء الحديث متبعيه حشوية، ولا نجحد صفات خالقنا من علوه على خلقه، واستوائه على عرشه لتسمية الفرعونية المعطلة لمن أثبت ذلك مشبها»[(٢)].

فمن يرى أن حمل آيات الصفات على ظاهرها هو مثار الشبهة والشك، ولا تزول هذه الشبهة إلا بالتأويل، فهو مكذب لما جاء به الرسول ﷺ «ومتبع غير سبيل المؤمنين، بل هو موافق لفرعون ومخالف لموسى حيث أنكر الفرعون بأن الله فوق السماوات، يقول القنوجي: «من اعتقد أنه ليس في السماوات إله يعبد، ولا على العرش إله يصلى له ويسجد، وأن محمدا لم يعرج به إلى ربه ولا نزل القرآن من عنده، فهو معطل فرعوني، فإن فرعون كذب موسى في أن ربه فوق السماوات، فقال: ﴿يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات، فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾[(٣)]. . .

(١) الانتقاد: ١٤

(٢) الدين ١: ١٠٣

(٣) المؤمن: ٣٦، ٣٧

فمن وافق فرعون وخالف موسى ومحمدا فهو ضال، . . . ومن لم يعتقد ما جاء به الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، أن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، يكون مكذبا للرسول، متبعا غير سبيل المؤمنين بل يكون فى الحقيقة معطلا لربه، نافيا له، فلا يكون له فى الحقيقة إله يعبد، ولا رب يسأله ويقصده، وهذا قول الجهمية ونحوهم من اتباع فرعون المعطل»[١].

والذى يحمل كلام الله و رسوله على التأويلات البعيدة المستوردة، لا يؤمن عليه الكذب فى كل أقواله، ولايعتمد عليه فى أفعاله، بل له الويل والهلاك، يقول: كيف لايخشى الكذب على الله و رسوله ﷺ من يحمل كلامه على التأويلات المستنكرة والمجازات المستكرهة التى هى بألغاز والأحاجى أولى منها بالبيان والهداية، وهل يأمن على نفسه أن يكون ممن قال الله فيهم: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾[٢]،[٣].

وما من فساد طرأ على الدين من اختلاف الأمم، و وقوع الفتنة، وأراقة الدماء بين المسلمين وغيرها، إلا وسببها التأويل، والابتعاد عن منهج السلف الصالح.

كما يستشهد القنوجى بابن القيم[٤] الذى يوضح فيه أن تمزق الدين وادخال العقائد الباطلة، إنما هو بسبب التأويل، يقول: فأصل خراب الدين والدنيا إنما هو التأويل الذى لم يرده الله و رسوله بكلامه، ولا دل عليه أنه

(١) قطف الثمر ص: ٤
(٢) الأنبياء: ١٨
(٣) فتح البيان ٢: ١١، قصد السبيل: ١١
(٤) اعلام الموقعين ٤ / ٢٥١

مراده، وهل تختلف الامم على أنبيـــائهم إلا بالتأويل، وهل وقعت فى الأمة فتنة صغيرة أو كبيرة إلا بالتأويل . . . وبالجملة فافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إنما أوجبه التأويل . . . وإنما دخل أعداء الاسلام من المتفلسفة والقرامطة والاسماعيلية والنصيرية من باب التأويل .

فـــا امتحن الاسلام بمحنة قط إلا وسببها التأويل، فان محنتـــه إما من المتأولين، وإما أن تسلط عليهم الـكفـــار بسبب ما ارتكبوا من التأويل، أو خالفوا فى ظاهر التنزيل، وتعللوا بالأباطيل .

وهل دخلت طائفة الالحاد من أهل الحلول والاتحاد إلا من باب التأويل .

وهل فتح باب التأويل إلا مضادة ومناقضة لحكم الله فى تعليمه عبـــاده البيان الذى امتن فى كتابه على الانسان بتعليمه إياه[١] .

ومن أكبر جنايات فى الشريعة الاسلامية التى جناها المتكلمون، أنهم أولوا كثيرا من الآيات استنادا على أنها لا ينبىء ظاهرها عن حق، ومفهومها عن قصد، وقالوا إن التأويل هو الذى قصده الشرع، وهيهات، هذا صنيع الـذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه، ويبطلون الشرائع بحمل ذلك التأويل من الذرائع، فرقوا الدين تمزيقا .

يقول نقلا عن ابن رشد[٢]: «وأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه، وهؤلاء أهل الجدل والكلام، وأشد ما عرض على الشريعة من هذا الصنف أنهم تأولوا كثيرا مما ظنوه ليس على ظاهره، وقالوا إن هذا التأويل هو

(١) فتح البيان ٢ : ١٢، قصد السبيل : ١١
(٢) مناهج الأدلة : ١٨١

المقصود به ، وإنما أمر الله به فى صورة المتشابه ابتلاء لعباده واختبارا لهم ، ونعوذ بالله من هذا الظن بالله ، بل نقول : إن كتاب الله العزيز إنما جاء معجزا من جهة الوضوح والبيان ، فما أبعد عن مقصد الشارع من قال فيما ليس بمتشابه أنه متشابه ، ثم أول ذلك المتشابه بزعمه ، وقال لجميع الناس ان فرضكم هو اعتقاد هذا التأويل ، مثل ما قالوه فى آية الاستواء على العرش وغير ذلك ، مما قالوا ان ظاهره متشابه .

فهذه هى حالة الفرق الحادثة فى هذه الشريعة ، وذلك أن كل فرقة منهم تأولت غير التأويل الذى تأولته الفرقة الأخرى ، وزعمت أنه هو الذى قصده الشرع ، حتى تمزق الشرع كل ممزق ، وبعد جدا من موضوعه الأول»[1].

إن التأويل هو من باب تغيير الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وقد فطرهم على الحق ، ومن الفطرة قبول ما جاء به الرسل بدون خوض فى آيات الله تعالى ، فالذين يحاولون تغييرها وتزييفها هم يكيدون الإسلام ، ويبغضون تعاليم الدين ، ويخفون العداء للرسل فى قلوبهم ، ويسعون فى فسخ الشريعة المحمدية ، التى لا خفاء فيها ولا غموض ، ويوردون عليها اشكالات وشبهات ، فيجعلونها من باب المتشابهات التى لابد من تأويلها ، يقول القنوجى : «قال رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح[2]: كل مولود يولد على الفطرة أى فطرة الاسلام ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول أبو هريرة : «اقرأوا إن شئتم» فطرة الله التى فطر الناس

(١) قصد السبيل ص : ١٣ ، فتح البيان ٢ : ٤٣

(٢) البخارى ١١ : ٤٩٣ ، مسلم ٤ : ٢٠٤٦

عليها لا تبديل لخلق الله[1] هذا معنى قول عمر بن عبد العزيز : « عليك بدين الأعراب والصبيان فى الكتاب ، يعنى عليك بما فطرهم الله عليه ، فإن الله فطرهم على الحق ، والرسل بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها ، لابتحويل الفطرة وتغييرها .

وأما أعداء الرسل كالجهمية الفرعونية ونحوهم ، فيريدون أن يغيروا فطرة الله ودين الله ويوردون على الناس شبهات بكلمات مشتبهات لايفهم كثير من الناس مقصودهم بها ، ولايحسن أن يجيبهم »[2].

إن المتأولين الذين جعلوا التأويل من الدين ليسوا من الفرقة الناجية التى أشار إليها النبى ﷺ فى حديثه عن افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، ثم حددها بقوله : هى التى ما أنا عليه وأصحابى ، وهم غير مؤولين بلا شك ، كما يقول مستشهدا بابن رشد : « ولما علم صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، إن مثل هذا يعرض ولابد فى شريعته ، قال ﷺ : « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة »[3] ويعنى بالواحدة التى سلكت ظاهر الشرع ولم تؤوله »[4].

---

(١) الروم : ٣٠

(٢) قطف الثمر ص : ٦

(٣) حديث افتراق الأمة رواه باختلاف الألفاظ الترمذى ٥ : ٢٥ ، وقال : حسن صحيح ، أبوداود ٤ : ١٩٨ ، وابن ماجه ٢ : ١٣٢١ ، وأحمد ٢ : ٣٣٢ ، والدارمى ٢ : ٢٤١ ، والحاكم ١ : ١٢٨ ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، وقال بعد أن ساق بعض الطرق : هذه أسانيد تقام بها الحجة فى تصحيح الحديث ، والآجرى فى الشريعة ص : ١٤ ، وابن أبى عاصم فى السنة ٢ : ٤٦٣ ، وصححه ابن ماجه ، فتاوى ٣ : ٣٤٥

(٤) قصد السبيل ص : ١٤

إن المتأولين لو عرفوا مسالك التأويل وما نجم عنه من فساد وشر فى الأمة الاسلامية، ومن تمزيق الدين وتشتيته. وظهور الزنادقة فى الاسلام، لأحبوا الممات بدلا من هذه الحياة.

كما يقول القنوجى: «ولو علم المتأولون كلام الله و رسوله ﷺ بالتأويلات التى لم يردها، ولم يدل عليها كلامه أى باب شر فتحوا على الأمة بالتأويلات الفاسدة، وأى بناء للاسلام هدموا بها، وأى معاقل وحصون استباحوها، كان أحدهم لأن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه أن يتعاطى شيئا من ذلك»[1].

نظرا إلى هذه المفاسد التى ذكرت فى السطور الماضية، نرى الأئمة من السلف يدعون الناس إلى البعد عن التأويل، وسلوك سبيل السلف من الصحابة والتابعين، وهو امرار النصوص على ظواهرها، لوكان التأويل من أمور الدين لكان اهتمام الصحابة به أكثر فأكثر منا، كما يقول عن الجوينى: «ذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، واجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى[2]، والذى نرتضيه رأيا وندين به اتباع سلف الأمة، وقد درج صحابة الرسول ﷺ على ترك التعرض لمعانيها، و درك ما فيها . . . لوكان تأويل هذه الظواهر مسوغا أو محبوبا لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الاضراب

(١) فتح البيان ٢ : ١١

(٢) ليس مذهب السلف هو تفويض المعانى، بل هى مفهومة، وإنما التفويض للكيفية، راجع قطف الثمر ص: ٩

من التأويل، كان ذلك قاطعا بأنه الوجه المتبع»[١].

ويحكى عن سفيان الثورى ومالك بن أنس وابن عيينة وابن المبارك انهم قالوا: «أن تروى هذه الأشياء ويؤمن بها، ولا يقال كيف؟»، وفى رواية: امروها بلا كيف، وروى عنهم أيضا: ان اجراء الصفات كما هى ليس بتشبيه، وإنما التشبيه أن يقال سمع كسمع وبصر كبصر»[٢].

وامام أهل السنة وقامع البدعة أحمد بن حنبل يطعن فيمن كان عقيدته مخالفة لما كان عليه سلف هذه الأمة.

فمن عول على التأويل أورد الحكم إلى المتشابه فعاقبته وخيمة، يقول القنوجى: «قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب نبينا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق»[٣].

والإمام أبوحنيفة رحمه الله يكفر من أنكر علو الله تعالى كما يقول القنوجى عن مولانا الزائر[٤]: روى البيهقى عن الامام أبى حنيفة إن الله فى

(١) فتح البيان ٢ : ١٠، الانتقاد : ٢٢، عون البارى ٦ : ٥٨٢، وانظر أعلام الموقعين ٤ : ٢٤٦

(٢) الانتقاد : ٧

(٣) الانتقاد : ١٦، انظر حادى الأرواح : ٣٦

(٤) هو محمد فاخر محمد يحيى زائر الاله آبادى، من كبار علماء الهند، وله عدة مؤلفات، توفى فى سنة ١١٦٤، تراجم علماء هند ص: ٢٧٤

السماء ، وقال الإمام نفسه فى الفقه الأكبر: من قال : لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض كفر ، لأن الله تعالى يقول : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[١] وعرشه فوق السماوات[٢].

وهذه العقيدة يدين بها أبو الحسن الأشعرى امام طائفة الأشعرية ، كما حققه الدهلوى[٣]: «أقرأنى أبو طاهر المدنى[٤] بخط أبيه أن الشيخ أبا الحسن قال فى كتابه[٥]: إنى على مذهب أحمد فى مسألة الصفات ، وأن الله فوق العرش[٦].

(١) طـه : ٥

(٢) قال القنوجى : ليست هذه الرواية المنسوبة إلى الإمام الأعظم فى بعض نسخ الفقه الأكبر ، وهى فى بعضها موجودة ، ويؤيد وجودها إيراد الحافظ ابن القيم اياها فى النونية منسوبة إلى الفقه الأكبر (انظر شرح القصيدة النونية ١ : ٤٤٧) ورواية البيهقى المتقدمة ، ونقل الثبت الثقة الزائر اياها ، ولعله أسقطها منه بعض من ليس من أهل هذه العقيدة ، الانتقاد : ١٣

(٣) هو الشاه ولى الله أحمد بن عبد الرحيم المحدث الدهلوى ، سلطان علماء الهند فى عصره ، منحه الله حظا وافرا من العلوم النقلية والعقلية ، وكانت وفاته سنة ١١٧٦هـ ، أبجد العلوم ٣ : ٢٤١ ، تراجم علماء حديث هند ص : ٣٨

(٤) هو أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكردى المدنى ، كان مجتهدا فى الطاعة ومشتغلا بالعلم والمذاكرة ، رقيق القلب كثير البكاء ، توفى فى سنة ١١٤٥هـ ، أبجد العلوم ٣ : ١٦٨ ، سلك الدرر ٤ : ٢٧

(٥) الابانة ص : ٨

(٦) الانتقاد ص : ١٣

تعقيب :

نرى فيما تقدم أن القنوجى — رحمه الله — يوجب الأخذ بأسلوب الكتاب والسنة فى تقرير العقائد ، كما يرى أن الاعتماد على المتكلمين وأسلوبهم سبب الحيرة والضلال ، وأن الخوض واقحام العقل فيما لا طاقة له به من أمور العقيدة من البدع التى حذر منها السلف .

هذا وكما يرى تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة فى كل قضية من قضايا العقيدة ، وعدم رد شيء منها أو تأويله ، بل يشدد النكير على المؤولين ويهاجمهم ويقرر أن التأويل عمل شيطانى وهو سبب ظهور الزنادقة فى الاسلام .

هذا الموقف الذى سار عليه القنوجى هو تأييد لمذهب السلف من وجه ، و دفاع عنه من وجه آخر .

فقد ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث الى تحريم علم الكلام(١).

يقول الامام أحمد بن حنبل : « لا تجالسوا أهل الكلام وان ذبوا عن السنة »(٢).

والامام ابن قتيبة قد اغتر فى أول أمره بالمتكلمين ، ثم شاهد جرأتهم على الله تبارك وتعالى ، كما يقول : « فربما حضرت بعض مجالسهم ، وأنا مغتربهم ، طامع أن اصدر عنه بفائدة ، أو كلمة تدل على خير ، أو تهدى لرشد ، فأرى من جرأتهم على الله تبارك وتعالى ، وقلة توقيهم ، وحملهم أنفسهم على العظائم لطرد القياس ، أو لئلا يقع انقطاع ، ما أرجع معه خاسرا نادما »(٣).

(١) احياء علوم الدين ١ : ٩٥
(٢) مناقب الامام أحمد بن حنبل ص : ٢٠٥
(٣) تأويل مختلف الحديث ص ٦١

يقول ابن تيمية : إن الفلاسفة والمتكلمين من أعظم بنى آدم حشوا وقولا للباطل وتكذيبا للحق فى مسائلهم و دلائلهم، لا يكاد — والله أعلم — تخلو مسألة واحدة عن ذلك »(١).

وقد تحدث الشاطبي رحمه الله عن بعض طرق الاستدلال عند المتكلمة فذكر منها : « ردهم للأحاديث التى جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم، ويدعون أنها مخالفة للمعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل، فيجب ردها، كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، و رؤية الله عز وجل فى الآخرة... — و ذكر عدة أحاديث — ثم قال: وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول.

وربما قدحوا فى الرواة من الصحابة والتابعين رضى الله تعالى عنهم — وحاشاهم — وفيمن اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وامامتهم، كل ذلك ليردوا به على من خالفهم فى المذهب(٢).

إن التأويل الذى وقع فيه المتكلمون هو من أبشع الفتن فى تاريخ الأمة، فقد رأى الامام ابن القيم رحمه الله أن جميع ما عرض فى هذه الشريعة من الفساد والخراب فهى من قبل التأويل، و ذكر الأمثلة على ذلك من واقع التاريخ، ثم قال : « لو ذهبنا نستوعب ما جناه التأويل على الدنيا والدين، وما نال الأمم قديما وحديثا بسببه من الفساد لاستدعى ذلك عدة أسفار »(٣).

وقال ابن الوزير : « فاعلم أن منشأ معظم البدع يرجع إلى أمرين واضح

(١) نقض المنطق ص ٢٤
(٢) الاعتصام ١ / ٢٣١
(٣) أعلام الموقعين ٤ / ٢٥٤

بطلانهما ، فتأمل ذلك بانصاف وشد عليه يديك ، وهذان الأمران الباطلان هما : الزيادة فى الدين باثبات ما لم يذكره الله تعالى و رسله عليهم السلام من مهمات الدين الواجبة ، والنقص منه بنفى بعض ما ذكره الله تعالى و رسله من ذلك بالتأويل الباطل »(١).

هذا وأن ما ذهب إليه القنوجى أن المؤولين ليسوا من الفرقة الناجية هو ما قد سبق إليه ابن رشد — كما مضى — وإليه يميل ابن تيمية ، كما يقول : ان أحق الناس بأن تكون هى الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة : الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها ، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعا لها ، تصديقا وعملا و حبا و موالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها ، الذين يروون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة ، فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول ، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل يعتقدونه ويعتمدونه »(٢).

(١) ايثار الحق على الخلق ص : ٨٦

(٢) فتاوى ٣ : ٣٤٧

تسمية المفتين
بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة

بقلم : الدكتور سليمان بن عبد الله العمير
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة فى الجامعة الاسلامية
بالمدينة النبوية المنورة

﴿ ٤ ﴾

٢٦ – عمر بن سعد الله بن عبد الأحد الحرانى . زين الدين الحنبلى .
الشهير بابن نجيح .
المتوفى سنة ٧٤٩ هـ .

تفقه و برع فى الفقه ، و الفرائض . و لازم شيخ الإسلام ابن تيمية ، و تخرج به ، قال ابن حجر : (وناب عن ابن المنجا ، و درس بالضيائية ، وكان يحكم بالمسائل التى انفرد بها ابن تيمية ، و طال امتناع السبكى من تنفيذ ذلك حتى قال لمستنيبه ابن المنجا : هذا الذى يحكم به نائبك إن قلت لى إنه مذهب أحمد بن حنبل نفذته ، فقال : لا أقول ذلك لكن إذا حكم بشىء حكمت بصحته)(١) انتهى.

وكان رحمه الله متحرياً فى أقضيته ، شديد المراقبة لله فى ذلك .

(١) « الدرر الكامنة » : (٢٤٣/٣) .

قال ابن رجب :

(حدثني الإمام العلامة عز الدين حمزة بن شيخ السلامية عنه، أنه قال له : لم أقض قضيــة إلا و قــد أعــددت لها الجواب بين يدى الله تعالى)[١] انتهى .

٢٧ – ابن القيم : شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قيم الجوزية . المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

من أشهر المفتين بهذه المسألة، و المنتصرين لها . وقد بحثها بحثاً مستفيضاً في كثير من كتبه، وأبدأ فيها وأعاد، وناقش أدلة المخالفين، و فندها . و بسط ذلك بسطاً لا يوجــد عند غيره، و كتبه التي بحث فيها هذه المسألة هي : « إغاثة اللهفان » : (١/٣٠٠ – ٣٥٤) في أربع وخمسين صحيفة من طبعة مصطفى البابي الحلبي . بتحقيق : محمد سيد كيلاني .

« زاد المعاد » : (٥/٢٤١ – ٢٧١) في ثلاثين صحيفة من طبعة مؤسسة الرسالة . بتحقيق : شعيب و عبد القادر الأرنؤوط .

« إعلام الموقعين » : (٣/٣٠ – ٥٠) في عشرين صحيفــة من طبعــة عبد السلام بن محمد شقرون . بتحقيق : طه عبد الرؤوف سعد .

« الصواعق المرسلة » : (٢/٦١٩ – ٦٢٨) في تسع صحائف من طبعة دار العاصمة . بتحقيق : الدكتور علي بن محمد الدخيل الله .

و بحثه لها فيها و إن كان فيه نوع تكرار، و إعادة، إلا أنه معذور في ذلك كما بينــه فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد – حفظه الله – أثناء حديثه عن قضية التكرار عند ابن القيم في مسألة الطلاق الثلاث

(١) « الذيل على طبقات الحنابلة » : (٢/٤٤٣) .

بلفظ واحد. إذا يقول: (ووجه البسط والتكرار المقتضى لها – أى لمسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحـــد – من أوضح الأشياء وأبينها. ويكفى عذراً له فى ذلك أنه حبس لأجلها وامتحن وأوذى فى ذلك: لأن الفتوى بجعل الطلاق الثلاث بلفظ واحد إنما يقع طلقـــة واحدة. أمر مستنكر لدى الأجلة من العلماء فضلا عن طلاب العلم، وعامـــة الخلق. إذ هم يكادون أن يطبقوا على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد: يقع ثلاثاً لا واحدة فلا تنقيص إذاً ولا ملامة إذا رأينا ابن القيم يكرر الحديث عن هـــذا المبحث ويزيده فى البسط والبيان ليظهر ما يعتقده ديناً، وشرعا، مؤيداً له بشتى وجوه الأدلة من الكتاب والسنة، والمعنى، واللغة)[1] انتهى.

وما أشار إليه فضيلـــة الشيخ بكرهنا من الحبس والإيذاء لابن القيم بسبب فتواه بمسألة الطلاق قد ألمح إلى شىء منه الحافظ ابن كثير فى كتابه «البداية» فى ترجمة ابن القيم إذ قال: (وقد كان متصدياً للإفتاء بمسألة الطلاق التى اختارها الشيخ تقى الدين بن تيمية، وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضى القضاة تقى الدين السبكى وغيره)[2] انتهى.

وقال فى أثناء كلامه على حوادث سنة خمسين وسبع مائة: (وفى يوم الثلاثاء سادس عشر جمـــادى الآخرة حصل الصلح بين قاضى القضاة تقى الدين السبكى وبين الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزيـــة على يدى

(١) «ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده»: (١٢٨).
(٢) «البداية» لابن كثير: (١٤/٢٤٦، ٢٤٧).

الأمير سيف الـدين بن فضل[١] ملك العرب فى بستان قاضى القضاة ا وكان قدنقم عليه إكثاره من الفتيا بمسألة الطلاق)[٢] انتهى.

٢٨ — ابن كثير: إسماعيل بن كثير بن ضوء القرشى الدمشقى. أبو الفـداء عماد الدين. المتوفى سنة ٧٧٤ هـ.

قال ابن قاضى شهبة: (قال ابن حجى: وكان فقيهاً، جيد الفهم، صحيح الذهن، يستحضر شيئاً كثيراً. وقال غير الشيخ: كانت له خصوصيـة بابن تيمية، ومناضلة عنه، واتباع له فى كثير من آرائه، وكان يفتى برأيه فى مسألة الطلاق، وامتحن بسبب ذلك وأوذى)[٣] انتهى.

٢٩ — ابن أبى المجد: يوسف بن ماجد بن أبى المجد بن عبد الخالق الشيخ الفقيه العالم جمال الدين المرداوى الحنبلى.

المتوفى سنة ٧٨٣ هـ.

قال ابن حجر: (كان من فضلاء الحنابلة، الشديدى التعصب لشيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية، كثير الاعتناء بالنظر فى كلامه، مثابراً على الفتوى بقوله فى مسألة الطلاق، وكان ينصر مسائله الأصولية)[٤] انتهى.

---

(١) بن عيسى بن مهنا. أحـد أمراء الأعراب الأجواد الأمجاد كما يقول الحافظ ابن كثير. مات مقتولا على يد أحـد بنى عمه سنة ٧٥٩ هـ «البداية والنهاية» لابن كثير: (٢٧٦/١٤).

(٢) «البداية» لابن كثير: (٢٤٤/١٤).

(٣) «طبقات الشافعية» لابن قاضى شهبة: (٨٦/٣).

(٤) «تاريخ ابن قاضى شهبـة»: (٧٨/٣/١). وينظر: «المقصـد الأرشد»: (١٤٨/٣)، «الجوهر المنضد»: (١٧٩).

و قال ابن عبد الهادى : (وقد أوذى غير مرة بسبب ذلك ، و يمتحن ، و يتوب ، ثم يعود ولا يرجع)[١] انتهى .

وكان ابن أبي المجد محباً لشيخ الإسلام ابن تيمية و يدافع عنه بيده إذا قدر على ذلك .

يقول ابن حجر : (وكان شديد التعصب لمسائل ابن تيمية ، و سجن بسبب ذلك ، ولا يرجع حتى بلغه أن الشيخ بهاء الدين ابن المصرى حط فى دروسه على ابن تيمية بالجامع ، فجاء إليه وضربه بيده وأهانه)[٢] انتهى.

٣٠ — ابن رجب الحنبلى :

عبد الرحمن بن أحمد بن رجب . زين الدين أبو الفرج الدمشقى . شيخ الحنابلة . المتوفى سنة ٧٩٥ هـ.

كان يفتى بمسألة الطلاق وصنف فيها مصنفاً و هو : « الأحاديث و الآثار المتزائدة فى أن الطلاق الثلاث واحدة »[٣] ثم رجع عن ذلك وصار يفتى بقول الجمهور و صنف فى ذلك : « مشكل الأحاديث الواردة فى أن الطلاق الثلاث واحدة »[٤].

---

(١) « الجوهر المنضد » : (١٧٩) .

(٢) « إنباء الغمر » : (٢/٢٨٣) .

(٣) ينظر : « الجوهر المنضد » : (٥٠) .

(٤) « سير الحاث » ليوسف بن عبد الهادى :(٣٨ ، ٤٢) ، وقد ذكر ابن عبد الهادى فى « سير الحاث » أيضاً : (٦٥) عن جده جمال الدين الإمام الآتى بعد هذه الترجمة : أن ابن رجب ما عمل كتابه — أى فى كون الثلاث ثلاث — إلا حية ، و ذلك أنه كان متباغضا هو و أولاد مفلح و الحنابلة المقادسة فعمل هذا الكتاب لأجلهم . انتهى فالله أعلم بحقيقة الحال .

قال ابن حجر: (ونقم عليه إفتاؤه بمقالات ابن تيمية!! ثم أظهر الرجوع عن ذلك فنافره التيميون! فلم يكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء)[١] انتهى.

٣١ – يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الشيخ أبي عمر المقدسي الصالحي جمال الدين الإمام. من آل قدامة. المتوفى سنة ٧٩٨ هـ وهو جد يوسف بن عبد الهادي صاحب «سير الحاث» و «الجوهر المنضد» و غيرهما.

صنف عدة مصنفات في مسألة الطلاق منها: كتاب «التحفة و الفائدة في الأدلة المتزايدة على أن الطلاق الثلاث واحدة» و كتاب «الرد على المعترضين على ابن تيمية في الطلاق» و كتاب آخر في «الرد على من قال أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثاً» وله أيضاً «الرسالة إلى ابن رجب في الطلاق الثلاث»[٢].

قال ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد»: (له الكلام الكثير على مسألة الطلاق و سمعت والدي يذكر أن له فيها قريباً من سبعين كراسة)[٣] انتهى.

و قال أيضاً: (و قال في مسألة الطلاق الثلاث...: إني لم أقلد في ذلك ابن تيمية. و يذكر أنه قد نذر على نفسه نذراً ألف درهم لمن جاءه

---

(١) «إنباء الغمر»: (١٧٦/٣).

(٢) و هذا الرد على ابن رجب إنما هو بعد رجوعه عن الفتوى بهذه المسألة و موافقته للجمهور كما تقدم بيانه.

(٣) «الجوهر المنضد»: (١٧٥).

بدليل قاطع فى ذلك ، وأنه متى وجد دليلا قاطعاً رجع إليه ، وجعل ذلك لمن أتاه به ، وأخبرنى بعضهم أنـه قد كان وضع ألفاً فى كيس وعلقه فى بيته)[١] انتهى .

وقال ابن قاضى شهبة : (قال شيخنا شهاب الدين ابن حجى : وكان — أى المترجم — مولعاً بالفتوى بمسائل الطلاق المنسوبة إلى ابن تيمية ، ويسأل المناظرة عليها)[٢] انتهى .

وقال ابن حجر فى « إنباء الغمر » : (وكان يعاب بفتواه بمسألة الطلاق التيمية)[٣] !! انتهى .

وذكر ابن عبد الهادى أيضاً عنه أنه كان يفتى بهذا القول قال : (ولم يرد عنه أنه أفتى بغيره)[٤] انتهى .

وقد نقل عنه حفيده فى « سير الحاث » نقولا عديدة من مختلف كتبه التى ألفها فى تأييد هذه المسألة منها هذا النص .

يقول ابن عبد الهادى : (ثم قال — أى جده — فى آخر هذا الكتاب : فصل : فقد اجتمع عندى من الدلائل الصحيحة على صحة القول بأن الطلاق الثلاث واحدة سبعة أبواب من دلائل صحيحة ، لا يعرف اجتماع مثلها على قول فى مسألة خلافية ، بل ولا فى مسألة إجماعية فيما عرفت ، ولا أعرف للقول بمضى طلاق الثلاث فى مثل هذا الوقت ، وقد قامت سوق التحليل

(١) « الجوهر المنضد » : (١٧٥) ، « سير الحاث » : (٥٨، ٦٥) .
(٢) « تاريخ ابن قاضى شهبة : (١/٣ : ٦٠١) .
(٣) « إنباء الغمر » : (٣/٣١٢) .
(٤) « سير الحاث » : (٥١) .

له مجالا فى دين الإسلام ولا فيه شبهة صحيحة ولا قوية . ولا هذا يشكل على من يفهم ، و ينصف ، و يريد الله هدايته إلى قبول الحق إذا تبين بعد نظره فى هذه الدلائل فإن كل باب منها على انفراده يكفى حجـة بين يدى الله ، و عند من يفهم و ينصف)[1] انتهى .

٣٢ – محمد بن خليل بن محمـد بن طوغان المنصفى الحريرى الحنبلى . المتوفى سنة ٨٠٣ هـ .

أبو عبد الله شمس الدين مفتى المسلمين . اشتغل كثيراً حتى صار عالماً بالفقه على مذهب الإمام أحمد ، وكان إماماً ، علامة ، فقيهاً ، حافظاً ، متقناً ، نبيهاً .

قال ابن حجر :

(و قد حصلت له محنة بسبب مسألة الطلاق المنسوبة لابن تيمية ، ولم يرجع عن اعتقاده)[2] انتهى :

و قال ابن مفلح : (صحب الإمام زين الدين ابن رجب ، وأخذ عنه ، ثم نافره[3] و انفصل عنه . وكان يمتى بفتوى الطلاق على اختيار الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، و امتحن بسبب ذلك)[4] انتهى .

---

(١) « سير الحاث » : (٦٣) .
(٢) « إنباء الغمر » : (٣٢٤/٤) .
(٣) ينظر ترجمة ابن رجب المتقدمـة : حيث قال ابن حجر : « فنافره التيميون » فيكون مقصود ابن حجر هو هذا المترجم .
(٤) « المقصد الأرشـد » : (٤٠٩/٢ ، ٤١٠) ، « الجوهر المنضد » : (١٦٤ ، ١٦٥) .

و قال ابن عبد الهادى : (و حصلت له محن بسبب مسألة الطلاق)[١] انتهى.
ومن جملة هذه المحن أن ابن رجب استدعاه بسبب هذه الفتوى فآذاه و ضربه .

يقول ابن عبد الهادى : (و رأيت بخط جمال الدين الإمام[٢] يقول : انظر إلى هذا الظالم — يعنى فيما أظن — ابن رجب ، إذ تسبب فى أذاه بسبب الفتوى بالطلاق الثلاث — كيف فعل بهذا العبد الصالح — يعنى شمس الدين هذا)[٣] انتهى .

و يشير ابن حجر أيضاً فى حوادث سنة ٧٨٣ هـ من « إنبائه » إلى حادثة أخرى جرت للمنصفى بسبب الفتوى بمسألة الطلاق فيقول : (و فيها — أى سنة ٧٨٣ هـ — كائنة الشيخ شمس الدين محمد بن خليل الحريرى الحنبلى المنصفى ، كان إمام مدرسة الضياء ، بسبب فتواه بشىء من مسائل ابن تيمية فأحضره ولى الدين قاضى دمشق و أراد ضربه ثم سجنه ، فشفع فيه الحنبلى ، و منعاه من الفتوى ، و ذلك فى رمضان)[٤] انتهى .

و يذكر حادثة أخرى أيضاً فى حوادث سنة ٧٨٤ هـ فيقول : (و فى الرابع من ذى القعدة طلب ابن الزهرى شمس الدين محمد بن خليل الحريرى

(١) « الجوهر المنضد » : (١٦٥) .
(٢) هو جد ابن عبد الهادى هذا . كما تقدم .
(٣) « الجوهر المنضد » : (١٦٥) ، و يقول ابن عبد الهادى أيضاً فى « سير الحاث » (٦٥) حكاية عن جده : و بلغنى أنه كان شخص يقال له الحريرى ، و كان حنبلياً و كان يفتى بهذا . فآذاه ابن رجب و ضربه . انتهى .
(٤) « إنباء الغمر » : (٢/٦١) .

المنصفي فعزره بسبب فتواه بمسألة الطلاق على رأى ابن تيمية و بسبب قوله: الله فى السماء، وكان الذى شكاه القرشى فضربه بالدرة، و أمر بتطويفه على أبواب دور القضاة، ثم اعتـــذر ابن الزهرى بعد ذلك، وقال: ما ظننته إلا من العوام، لأنهم أنهوا إلى أن فلاناً الحريرى قال كيت و كيت، حكى ذلك ابن حجى. و هذا العذر دال على أنـه تهور فى أمره ولم يتثبت، فلله الأمر)[1] انتهى.

٣٣ — محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله المرداوى الحنبلى شمس الدين الصالحى القباقبى. المتوفى سنة ٨٢٦ هـ.

قال ابن عبد الهادى: (برع، وأفتى، و رأس، وكان يفتى بالطلاق الثلاث)[2] انتهى.

و قال ابن حجر: (كان يتبـذل، و يتكلم بكلام العامة، و يفتى بمسألة الطلاق، و قد أنكرت عليه غير مرة)[3] انتهى.

٣٤ — على بن عبد المحسن بن عبد الدائم البغدادى ابن الدواليبى الحنبلى. المتوفى سنة ٨٦٢ هـ.

قال ابن عبد الهادى فى «سير الحاث»: (وقد كان يفتى به — أى القول بأن الثلاث واحدة — فى زماننا الشيخ على الدواليبى البغدادى، و جرى له من أجله محنة و نكاية فلم يدعه)[4] انتهى.

(١) «إنباء الغمر»: (٢/٩٨).
(٢) «الجوهر المنضد»: (١٤٣).
(٣) «إنباء الغمر»: (٨/٣٨).
(٤) «سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث»: (٥١).

وقال أيضاً فى « الجوهر المنضد » : (وكان يقول : إن الطلاق الثلاث واحدة على مذهب الشيخ تقى الدين ، وأوذى بسبب ذلك)[١] انتهى .

وقال السخاوى : (كان يفتى بما ينسب إلى ابن تيمية فى مسألة الطلاق حتى أنه امتحن بسببها على يد الجمال الباعونى[٢] قاضى الشافعية بدمشق ، وصفع ، وأركب على حمار ، وطيف به فى شوارع دمشق وسجن)[٣] انتهى .

٣٥ ـ الشهاب الشويكى الحنبلى : أحمد بن محمد بن أحمد الإمام أبو العباس شهاب الدين الفقيه المجهد المعروف بالشويكى . المتوفى سنة ١٠٠٧ هـ

قال المحبى : (كان من أفاضل الحنابلة بدمشق ، وكان غزير العلم ، سريع الفهم ، حسن المحاضرة ، فصيح العبارة ، وفيه تواضع ، وسخاء . ولد بدمشق ... ثم رحل إلى مصر ... ورجع إلى دمشق ، وأفتى بها ، ودرّس نحو ستين سنة ، وسلم له فقهاء المذهب ، غير أنه كان على مذهب ابن تيمية من القول بتجويز بقاء التزويج بعد الطلقات الثلاث الدفعية)[٤] انتهى .

---

(١) « الجوهر المنضد » : (١٠٢) .

(٢) يوسف بن أحمد . من كبار قضاة الشافعية . مات سنة ٨٨٠ هـ ترجمته فى « الضوء اللامع » : (٢٩٨/١٠) .

(٣) « الضوء اللامع » : (٢٥٦/٥) .

(٤) « خلاصة الأثر » : (٢٨٠/١) ، وينظر : « النعت الأكمل » : (١٦٧) . ومعنى : الدفعية ـ أى التى يوقعها صاحبها دفعة واحدة دون تخلل رجعة .

وقال الغزى فى «النعت الأكمل» : (قال البورينى[١] : ولقد كان العوام يضربون المثل برده الطلاق البائن ، ويعدون له ذلك من جملة المحاسن)[٢] انتهى .

وقال أيضاً فى «النعت الأكمل» : (وترجمه الحافظ نجم الدين الغزى العامرى فى : «ذيل الكواكب» فقال : كان من أفضل الحنابلة ، وأذكاهم ، وكان له حسن مجاورة ، وفيه مزاح لطيف ، وتواضع إلا أنه كان يرد الزوجة إلى زوجها بعد وقوع الطلقات الثلاث ! على مذهب الإمام تقى الدين أحمد بن تيمية — رحمه الله تعالى — خفية ، ثم إنه كان يظهر أمره ، وينكر عليه شيخ الإسلام الشيخ أحمد بن أبى الوفاء[٣] مفتى الحنابلة بدمشق ، وغيره من العلماء ! وكان يحضر مجالسى بجامع دمشق عشية النهار ، فذكرت غير مرة أنه لا يجوز أن يرد الرجل زوجته بعد وقوع الطلقات الثلاث على مذاهب المسلمين الأربعة إلا ما كان من قول الإمام ابن تيمية . إلى أن قال : وشددت النكير وهو يسمع وكان من قرب منه من الناس ينظرون إليه ، فلما كان بعد يسير امتحن بمحنة .

---

(١) البورينى : هو : بدر الدين حسن بن محمد بن محمد بن حسن الدمشقى الشافعى . له كتاب : «تراجم الأعيان من أبناء الزمان» ينقل عنه فى «النعت الأكمل» كثيراً . ت ١٠٢٤هـ . ينظر : «خلاصة الأثر» : (٥١/٢) ، «معجم المؤلفين» : (٢٨٩/٣) .

(٢) «النعت الأكمل» : (١٦٨) .

(٣) ويقال له : أحمد الوفائى المفلحى . من بيت آل مفلح . عرض عليه قضاء دمشق فامتنع . ا . هـ من هامش «مشيخة أبى المواهب الحنبلى» : (٣٢) .

وهي أن اللصوص دخلوا دليه بيته ، وأمسكوا بلحيته ، وأرادوا قتله ، وأخذوا ثيابـه ، فكان يحكى ذلك لشيخنا القاضي محب الدين الحوى ، وأنا حاضر لا أتوجع له بل أذكر الله تعالى على وجه التعجب من صنعه فيمن خرج عن أمره ! وكان الشويكى ذكياً ففطن لما قصدته من تذكيره بأن ذلك عقوبـة رده الطلاق الثلاث !! فقال ، وأقبل علي : يا مولانا الشيخ نحن نستحق أكثر من ذلك لذنوبنا وجراءتنا . أو ما هذا معناه فقلت له : يا قاضي : الحمد لله الذي أيقظكم لمثل ذلك ، ثم قام من المجلس فقال لي شيخنا : سبحان الله فهم القاضي الشويكى ما أشرت إليه . فقلت : يا مولانا ، هذا مغالطة منه ، فقال : نعم . وقد بلغني أن شيخـه الشيخ موسى[1] دعا عليه ! وأن ما كان فيه بدعائه !! انتهى[2].

وأقول[3] : هـذه القصة لا تحط من مقـدار هذا الإمام وما زالت الأشراف تهجى وتمدح ، والابتلاء والعقوبة في الدنيا يدلان على حسن الحال في الآخرة) انتهى .

٣٦ ـ جمـال الدين الطوركرمي[4] الحنبلي : يوسف بن يحيى بن مرعي .

---

(١) هو موسى بن أحمد بن سالم المقدسي الحجاوي . أبو النجا . صاحب « الإقناع » و « زاد المستقنع » وغيرهما . المتوفى سنـة ٩٦٠ هـ ، « الكواكب السائرة » : (٢١٥/٣ ، ٢١٦) ، « شذرات الذهب » : (٣٢٧/٨) .

(٢) أي كلام نجم الدين الغزي .

(٣) القائل : هو صاحب « النعت الأكمل » .

(٤) نسبة إلى طوركرم . وهي قرية من قرى فلسطين تقع شمال غرب نابلس . وتعرف الآن بطولكرم . ينظر : « معجم بلدان فلسطين » : (٤٧٨) تأليف محمـد محمد شراب . طبع سنة ١٤٠٧ هـ .

المتوفى سنة ١٠٧٨هـ.

مفتى الحنابلة بنابلس رحل إلى مصر لطلب العلم فى سنة أربع وأربعين وألف. وأخذ بها عن الشيخ منصور البهوتى، وعن عمه الشيخ أحمد، وغيرهما. وعاد فى سنة تسع وأربعين، وكان يفتى ببلاد نابلس، وكان يميل إلى القول بعدم وقوع الطلاق فى كلمة موافقة للجد[1] ابن تيمية)[2] انتهى.

٣٧ – الإمام المتوكل على الله: اسماعيل بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد. المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ أحد أئمة الزيدية فى اليمن. دعا إلى نفسه بعد موت أخيه الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم سنة ١٠٥٤هـ وكان بارعاً فى الفقه وفاق على علماء عصره فى ذلك، وأقر له الكبير منهم والصغير، ورجعوا إليه فى المعضلات.

ألف رسالة فى الطلاق الثلاث[3] واسمها: «الحجج المتعاضدة على أن الطلاق الثلاث بلفظ أو ألفاظ رجعة واحدة»[4].

(البحث موصول)

(١) هكذا فى «النعت الأكمل»: للجد. ولعل الصواب: للتقى، وهو شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية.
(٢) «النعت الأكمل»: (٢٣٠، ٢٣١).
(٣) «البدر الطالع»: (١٤٧/٣).
(٤) يوجد لهذه الرسالة نسخة مصورة فى مكتبة المخطوطات بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة برقم: (٢٥٤: فى نحو عشر ورقات).

تضعيف حديث

«كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع»

والرد على (٢)

من صححـــه وحسنه

++++++++++++++++++

بقلم : عبد الرؤف عبد الحنان

ما الذى جعل السبكى يدعى بأن قرة تابعه الأوزاعى :

جعله يدعى هذا الادعاء رواية مبشر بن اسماعيل وخارجة بن مصعب حيث رويا هذا الحديث عن الأوزاعى عن الزهرى باسقاط قرة بينهما . أعنى بين الأوزاعى والزهرى ، ولكن هذه الرواية لا تنفع شيئا و ذلك لأمرين :

أ ـــ ان جماعة من الثقات رووه باثبات قرة بين الأوزاعى والزهرى . و زيادة الثقة مقبولة كما تقرر فى « المصطلح » وهذه الزيادة ليست زيادة ثقة واحد فحسب بل هى زيادة ثقات يبلغ عددهم عشرة فهى مقبولة لا محالة .

على أنه لا يقال : أنه قد يحتمل أن الأوزاعى سمع هذا الحديث مرة عن قرة عن الزهرى ومرة عن الزهرى مباشرة فكان يروى عن الزهرى تارة بواسطة وتارة بدون واسطة ـــ كما قال السبكى ـــ لأن الرواية التى لم يذكر فيها واسطة

قرة ضعيفة جدا — كما سيأتى — فلا اعتبار بها .

ب — الرواية التى لم يرد فيها واسطة قرة ضعيفة جدا وهى رواية مبشر وعارجة وإليك ما فى رواية كل منهما .

أولا : رواية مبشر بن اسماعيل :

هذه الرواية أخرجها الخطيب فى الجامع (٢/١٢٨) وعنه الرهاوى فى الأربعين — كما قال المنــاوى فى الفتح السماوى (١/٩٧) — والسبكى فى الطبقات (١/١٢) .

واسناد هذه الرواية هكذا :

أحمد بن محمد بن عمران نا محمد بن صالح البصرى نا عبيد بن عبد الواحد ابن شريك نا يعقوب بن كعب الانطاكى نا مبشر بن اسماعيل عن الأوزاعى عن الزهرى .

وهذا اسنـاد واه لأن أحمـد بن محمد بن عمران المعروف بابن الجندى قال الخطيب عنه فى تأريخه (٥/٧٧) : وكان يضعف فى روايته ويطعن عليه فى مذهبه سألت الأزهرى عن ابن الجندى فقال : «ليس بشىء» .

وقال الذهبي فى الديوان (١/٣٤) : ضعيف ، وقال فى المغنى (١/٥٦) : ضعيف عندهم شيعى .

وقال الحافظ ابن حجر فى اللسان (١/٢٨٨) :

« وأورد ابن الجوزى فى «الموضوعات» فى فضل على حديثا بسند رجاله ثقات إلا الجندى فقال : هذا موضوع ولا يتعدى الجندى » .

كلام ابن الجوزى هــذا يشير إلى أن المتهم بوضع هــذا

الحديث[1] هو ابن الجندى ، وابن الجندى هذا أورده برهان الدين الحلبي فى كتابه «الكشف الحثيث عن رمى بوضع الحديث» (ترجمة رقم ٨٦) ، وقال : «و ذكر ابن الجوزى فى «موضوعاته» حديثا فى محبة على على البشر ثم قال : موضوع وما يتعدى ذلك الجندى» .

علم مما تقدم أن أحمد بن عمران متهم بوضع الحديث . فإذا رواية مبشر بن اسماعيل لأجل أحمد هذا ضعيفة جدا فلا يعول عليها .

تنبيه :

فى هذا الطريق «بسم الله الرحمن الرحيم» بدل «بحمد الله» وقد استدل الشيخ شمس الحق العظيم آبادى بهذه الرواية فى جملة ما استدل به على أن يقال عند الأكل وغيره «بسم الله الرحمن الرحيم» باكمله . انظر : عون المعبود

(١) اتماما للفائدة أسوق هنا نص الحديث :
«عن أنس قال : كنا يوما مع على بن أبي طالب رضى الله عنه فى السوق فرأى بطيخا فحل درهما ثم دفعه إلى بلال وقال : اذهب به فاشتر به بطيخا ، فمضى فمضينا معه إلى منزله وأتى بلال بالبطيخ فأخذ على منه واحدة فقورها ثم ذاقها فإذا هى مرة فقال : يا بلال خذ البطيخ فرده وائتنا بالدرهم واقبل حتى أحدثك عن رسول الله ﷺ بحديث، فلما رجع بلال قال: يا بلال ان حبيبي رسول الله ﷺ قال لى ويده على منكبي : يا أبا الحسن إن الله قد أخذ محبتك على البشر والشجر والثمر والمدر فمن أجاب إلى حبك عذب وطاب وما لم يجب إلى حبك خبث ومر وإنى أظن هذا البطيخ لم يجب ، الموضوعات (١/ ٣٦٨ — ٣٦٩) .
ولا يشك من له أدنى فهم وبصيرة فى أن هذا الحديث موضوع ، لذا قال ابن الجوزى عقبه : هذا حديث موضوع و واضعه أبرد من الثلج فان أخذ المواثيق إنما يكون لما يعقل وما يتعدى الجندى .

(١٨٥/١٣—١٩٠) ولكن هذه الرواية ضعيفة جدا بل هى باطلة[١] لما عرفت من حال ابن الجندى ولم ترد هذا الرواية فى غير هذا الطريق .

وقد ألفت رسالة فى الرد على الشيخ شمس الحق و ذهبت فيها إلى أن السنة عند الأكل وغيره أن يقال « بسم الله » فقط ، يسر الله لى طبعها .

ثانيا : رواية خارجة بن مصعب :

أخرج هذه الرواية أبو يعلى الخليلى فى الارشاد (٨٩٤/٩٦٦/٣) والسبكى فى الطبقات (١ / ١١—١٢) من طريق عيسى بن موسى غنجار عن خارجة بن مصعب عن الأوزاعى عن الزهرى به .

قلت : وهذا الطريق ليس أحسن حالا مما قبله لأن خارجة قال فيه الذهبى فى « كاشفه » (٢٠١/١) : واه ، وقال عنه الحافظ فى « تقريبه » (٢١٠/١—٢١١) متروك وكان يدلس على الكذابين ، ويقال : ان ابن معين كذبه .

إذاً . هذا الطريق لا يصلح أيضا لأن يحتج به على أن الأوزاعى تابع قرة بل قال الخليلى : « هذا لم يسمعه الأوزاعى عن الزهرى وإنما سمعه من قرة ابن عبد الرحمن بن حيوئيل ، هكذا رواه عن الأوزاعى : ابن المبارك وأبو المغيرة وابن أبى العشرين وعبيد الله بن موسى[٢] .

---

(١) انظر كلام السيد أحمد الغمارى حول هذه الرواية فى رسالته: الاستعاذة والحسبلة ممن صحح حديث البسملة (١٢ - ١٤) .

تنبيه : قد عزا الشيخ عبد الرحمن بن حسن هذه الرواية فى فتح المجيد (٨) إلى ابن حبان وهو وهم فاحش .

(٢) قلت : وكذا الوليد بن مسلم والوليد بن مزيد وبقية بن الوليد وشعيب بن إسحاق والمعافى بن عمران وموسى بن أعين كما تقدم فى صفحة (٨—٩) .

ولم يروه عن خارجة إلا غنجار وخارجة فيه لين .

فعلم من هذا كله ان كلا من الطريقين — طريق مبشر وطريق خارجة — ضعيف جـــدا فلا يعول عليهما اطلاقا ، والسبكى يعـــترف بذلك — بضعف الطريقين — حيث يقول :

« وأنا لا أقول أن السندين إلى يونس بن يزيد وإلى الأوزاعى عن الزهرى صحيحان . ولكنى أقول يقوى بهما حديثه » الطبقات (١٣/١) .

قلت : إذا كان ضعف الطرق شديدا فلا يقوى بعضها بعضا حتى ولو كان هذان الطريقان إلى الأوزاعى صحيحين لما نفع السبكى ذلك لأن الثقات رووه باثبات قرة بين الأوزاعى وبين الزهرى فلابد من قبول زيادتهم هذه فبطـــل ما قاله السبكى . ولا يقال : لعـــل الأوزاعى سمعه تارة عن الزهرى بواسطة قرة وتارة بدون واسطته لأن الطريقين اللذين لم يرد فيهما ذكر قرة ضعيفان جدا كما تقدم فلا اعتبار بهما .

تنبيـــه :

هذا الحديث رواه محمد بن كثير المصيصى عن الأوزاعى عن يحيى — بدل قرة أو الزهرى — عن أبى سلمة عن أبى هريرة .

ومن طريقه أخرجه الشيرازى فى « الألقاب » وعنه السبكى فى الطبقـــات (١٤/١—١٥) .

من هو يحيى هذا ؟

قال بعضهم : ان يحيى هذا هو يحيى بن أبى كثـــير ، قال السبكى : « ظن بعض المحدثين أنه يحيى بن أبى كثير أحد الأئمة من شيوخ الأوزاعى إلى أن

قال : ولكن ليس الأمر كذلك فان يحيى المشار إليه هو قرة بن عبد الرحمن ويحيى اسمه وقرة لقبه ، قال ابن حبان »[1] كان اسماعيل بن عياش يقول : ان اسمه يحيى وقرة لقب ، سمعت الفضل بن محمد العطار بانطاكية يحكيه عن عبد الوهاب بن الضحاك عنه .

قال ابن حبان : وهذا شيء يشبه لا شيء لأن عبد الوهاب واه ولم يكن هذا الشأن من صناعته فيرجع إليه فيما يحكيه عنه . قال السبكي بعد حكاية قول ابن حبان هذا :

« الأظهر عندي ان الأمر كما زعم عبد الوهاب ولو كان هذا الحديث عند يحيى بن أبي كثير لما خفي على الحفاظ ولما انفرد الأوزاعي بروايته عنه ولما كان يتركه في الغالب من أمره ويذكر قرة » الطبقات (١٦/١ - ١٧) .

قلت : كلام السبكي هذا وجيه إذ لو كان يحيى هذا هو يحيى بن أبي كثير لما خفي على الحفاظ .

قلت : ولكن الراجح بل الصواب أن نقول أن ذكر يحيى في هذا الاسناد وهم أو خطأ من المصيصي لانه ضعيف كثير الخطأ تكلم فيه أحمد والبخاري وأبو حاتم وغيرهم .

وقال النسائي والساجي ومحمد بن صالح : كثير الغلط ، وقال الحافظ : في « التقريب » صدوق كثير الغلط .

ثم انه مع كثرة غلطه قد خالف الثقات في موضعين من الاسناد :

أحدهما : انه قال : « يحيى » بدل « قرة » .

ثانيهما : انه اسقط ذكر الزهري من الاسناد فروايته هذه منكرة باطلة .

---

(١) انظر الثقات (٣٤٢/٧—٣٤٤) .

وقال السخاوى بعد ذكر قول اسماعيل بن عياش المتقدم: وفيه نظر من وجهين:

أحدهما: ضعف الطريق إلى اسماعيل كما أشار إليه ابن حبان.

الثانى: انه يلزم منه أن يكون من رواية قرة عن أبي سلمة ولا متابع له على ذلك. وعندى أن ذكر يحيى فى السند وهم[1]، انظر الفتوحات الربانية لابن علان (٢٨٨/٣).

ثانيا متابعة يونس بن يزيد:

بعد ان انتهينا من الكلام حول متابعة الأوزاعى لقرة فلنبدأ الان بالكلام حول متابعة يونس له.

متابعة يونس التى ادعاها السبكى أخرجها أبو يعلى الخليلى فى الارشاد (١١٩/٤٤٩/١) والديلمى فى «الفردوس» والرهاوى فى «الاربعين» — كما فى «الاستعاذة والحسبلة» للغمارى (٨) — والسبكى أيضا (١٥/١) من طريق اسماعيل بن أبي زياد الشامى عن يونس بن يزيد عن الزهرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة. وهذه المتابعة ليست بشىء أيضا وذلك لأمرين:

الأول: إن هذا الاسناد ساقط غاية السقوط لأن اسماعيل هذا يضع الحديث كذاب، متروك. انظر: الضعفاء والمتروكين للدارقطنى (ترجمة

---

(١) قال الغمارى: «.. وان كان يحيى السابق هو ابن أبي كثير لا قرة بن عبد الرحمن كما رجحه السخاوى فهو السابع «الاستعاذة والحسبلة» (١٢).
قلت: صحيح أن السخاوى رجح ان يحيى هذا ليس هو بقرة بن عبد الرحمن ولكنه قال: وعندى أن ذكر يحيى فى السند وهم».

رقم ٨٥) والميزان (١ / ٢٣١ ترجمة ٨٨٤ أيضا ص ٢٣٠ ترجمة ٨٨١) وتهذيب التهذيب (٢٩٥/١ أيضا ٢٦١).

وقال الخليلي قبل رواية الحديث من طريقه:

«ورواه شيخ ضعيف عن يونس بن يزيد عن الزهري وهو اسماعيل ابن أبي زياد الشامي صاحب التفسير سكن بغداد في خدمة المهدي» وقال عقب روايته: «وحديث الأوزاعي عن قرة مشهور رواه الكبار عن الأوزاعي: الوليد بن مسلم وأبو المغيرة وعبيد الله بن موسى وابن المبارك عن الأوزاعي[1] والمعول عليه[2] ولا يعتمد على رواية اسماعيل عن يونس.

وقال الرهاوي بعد تخريجه: «غريب، تفرد بذكر الصلاة فيه اسماعيل ابن أبي زياد الشامي[3] وهو ضعيف لا يعتد بروايته ولا بزيادته.

وقال الغماري بعد ذكر كلام الرهاوي هذا:

قلت: وتفرد به أيضا موصولا من رواية يونس، فقد ذكر أبو داود والنسائي وجماعة انه رواه عن الزهري مرسلا.

قلت: والسبكي نفسه يعترف بأن هذا الاسناد لا يصح فيقول: «وأنا لا أقول أن السندين إلى يونس بن يزيد والى الأوزاعي عن الزهري صحيحان ولكني أقول: يقوى بهما حديثه». الطبقات (١٣/١).

الثاني: تقدم في كلام أبي داود والبيهقي — انظر ص (٤) — أن يونس بن يزيد روى هذا الحديث كغيره من الثقات مرسلا لا موصولا. وهذا

---

(١) وكذا رواه عنه غيرهم أيضا — انظر ص (٨—٩).

(٢) هكذا في النسخة المطبوعة من «الارشاد» ولعل الصواب: وهو المعول عليه.

(٣) اسماعيل هذا زاد في متن الحديث زيادتين سيأتي التنبيه عليهما.

دليل ثان على كذب أو غلط اسماعيل.

فتبين من هذا أن دعوى السبكى بأن قرة تابعه يونس والأوزاعى على وصل الحديث دعوى مردودة وان الحديث لم يصح إلا مرسلا لأن قرة تفرد بوصله وهو ليس بقوى لذا قال الدارقطنى :

« تفرد به قرة عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ وأرسله غيره عن الزهرى عن النبى ﷺ وقرة ليس بقوى فى الحديث » سنن الدارقطنى (١ / ٢٢٩).

تنبيه : اسماعيل الشامى هذا زاد فى متن الحديث زيادتين :

الأولى : « والصلاة على » بعد « بحمد الله ».

والثانية: « ممحوق من كل بركة » بعد « أقطع وأبتر ».

ثالثا متابعة الزبيدى:

قال الطبرانى : حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقى ثنا عبد الله بن يزيد الدمشقى ثنا صدقة بن عبد الله عن محمد بن الوليد الزبيدى عن الزهرى عن عبد الله بن كعب عن أبيه عن النبى ﷺ قال فذكره.

أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٩ / ٧٢ / ١٤١) وعنه السبكى فى الطبقات (١ / ١٤).

هذه هى متابعة الزبيدى التى ذكرها السبكى وهى ليست بمتابعة أيضا لما يلى :

أولا: صدقة بن عبد الله هو أبو معاوية الدمشقى ضعيف كما قال الذهبى فى « الكاشف » والحافظ فى « التقريب ».

وقال الدارقطنى فى « سننه »: « و رواه صدقة عن محمد بن سعيد عن

الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب[١] بن مالك عن أبيه عن النبي ﷺ ولايصح الحديث وصدقة ومحمد بن سعيد ضعيفان والمرسل هو الصواب.

ثانيا: الزبيدى لم يتابع قرة بل خالفه فى الاسناد لأنه رواه عن الزهرى عن عبد الله بن كعب عن أبيه عن النبي ﷺ وقرة يرويه عن الزهرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

قال النووى والمشهور رواية أبي هريرة أى اسناد قرة: شرح مسلم (٤٣/١).

وغالب الظن ان هذه المخالفة جاءت من قبل صدقة بن عبد الله لأنه ضعيف كما قال الذهبي والحافظ وقال دحيم فى رواية أبي زرعة عنه: مضطرب الحديث وقال مسلم: منكر الحديث.

وهذا الاختلاف بما يوهن الحديث مما يقويه كما ادعى السبكى. قال الألبانى: «وقد خالف قرة اسناده كما ترى فلايصح أن تجعل هذه المخالفة سندا فى تقوية الحديث كما فعل السبكى بينما هى تدل على ضعفه لاضطراب هذين الضعفين[٢] فيه على الزهرى» ارواء الغليل (٣٢/١).

(يتبع)

---

(٢) هكذا عند الدارقطنى: «محمد بن سعيد» بدل «محمد بن الوليد» و«عبد الرحمن ابن كعب» بدل «عبد الله بن كعب».

(٢) يعنى بهما صدقة بن عبد الله ومحمد بن سعيد.

إلى إخواننا المسلمين فى العالم من إخوانكم أهل السنة فى إيران
هدية النظام الرافضى إلى العالم الإسلام

بتاريخ ٩٤/١/٣١ ، قام النظام الرافضى فى إيران بجريمته البشعة بهدم مسجد شيخ فيض فى مدينة مشهد بمحافظة خراسان وهى من أكبر المدن الإيرانية (والجدير بالذكر أن هذا المسجد هو الوحيد لأهل السنة فى هذه المدينة ذات الأغلبية الشيعية ، والذى بنى قبل عشرات السنين) ، ولكن النظام الحاقد لم يستحمل وجوده فى المدينة ، كما أنه لم يسمح لأهل السنة بناء مسجد لهم فى العاصمة الإيرانية .

بناء على ذلك قام الناس بتاريخ ٩٤/٢/١ م على هذه الجريمة النكراء فى المسجد الكائن فى مدينة زاهدان الماسة ببلوشستان الإيرانية ، حيث إجتمع حشد كبير من المسلمين تلبية لهذه الدعوة عند ما رأت جلاوزة النظام هذا الجمع الكبير من أهل السنة فى مثل هذا المكان ، ارسلوا جماعة من عملائهم إلى المسجد وطلبوا من الناس أن يتفرقوا . ولكنهم رفضوا وألحوا على البقاء لأخذ قرار بهذا الشأن حيث رجعوا خائبين ومن ثم قاموا بإرسال الحرس الثورى ليحاصروا المسجد فقام بعض الشباب الغيورين على دينهم ، و المتحمسين برشق سيارات الشرطة و الحرس الثورى بالحجارة ، ولكن قوات النظام بدأوا يفتحون النار على الناس دون إنذار مسبق فهرب الناس من المواجهة و التجؤوا إلى المسجد ، و لكن المجرمين لم يكتفوا إلى هذا الحد ، داهموا حرم المسجد وبدأوا يطلقون النار عشوائيا داخل المسجد ، حيث سقط عشرات القتلى والجرحى داخل المسجد ،

ثم بدأوا يقبضون على كل من تصل إليه أيديهم الخبيثة ، فاعتقلوا فى هذا اليوم ما يقارب من ألف شخص دون تمييز بين الصغير و الكبير ، ثم قامت قوات الحرس الثورى بجمع القتلى والجرحى إلى المستشفيات ، ورفضت تسليم القتلى إلى ذويهم ، كما منعت أقارب الجرحى زيارة ذويهم فى المستشفيات ، وأما الأسرى فلا يعرف مصيرهم إلى الآن .

وموجة الإعتقالات لم تنته حتى إعداد هذا التقرير ، وإثر الحادثة فرضت الحكومة حظر التجول داخل المدينة ومنعت الناس من الدخول و الخروج من المدينة ، و بدأت ترسل قوات تعزيزية من المدن الأخرى عبر الجو ، كما كانت طول هذه الأيام المروحيات العسكرية تجول فوق المدينة لأخذ أى رد فعل من قبل الناس .

وأما يوم الجمعة ٩٤/٢/٤ ، حاصرت دبابات النظام المسجد الذى تقام فيه صلاة الجمعة كما استمرت هجمة الإعتقالات لليوم الرابع ، حيث تنوى الحكومة أخذ رهينة من كل أسرة لتنفيذ خطواتها التالية فى هذا المضمار :

فيا أيها المسلمون هل تنتظرون أكثر من هذا أن يعامل إخوانكم أهل السنة على يد حكومة الرافضة فى إيران ، و أما أنتم يا علماء المسلمين الذين خدعتم بدعاوى تقريب المذاهب الزائفة التى يدعيها هذا النظام المجرم الذى قتل عشرات العلماء و شباب أهل السنة ، و اعتقل مئات اخرين ، أهكذا تقارب المذاهب فى عرف الرافضة الذين بنى مذهبهم على التقية بهدم المساجد و قتل الأبرياء .

(يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم) . اللهم هل بلغنا فاشهد .

(جمع من شباب أهل السنة الدارسين فى باكستان)

■ أخى المسلم فى كل مكان (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه و سعى فى خرابها) .

فمنذ أن أراد الله سبحانه وتعالى إختبار إيمان عباد الرحمن أصحاب السنة و الجماعة ، و البلاء ينصب عليهم من كل الجهات ، و لكن أشد البلاء كان يأتى من داعى الاسلام زورا و كذبا و بهتانا ، و أشد هذه الفئات حقدا ولؤما الشيعة الرافضة .

و الحقيقة لم يعرف التأريخ فئة ناصبت العداء باستمرار للسلمين كما فعلت الشيعة الرافضة ، فالمغول و التتار الذين جاءوا غزاة فاتحين دخل الاسلام إلى قلبهم و عرفوا الحقيقة و ساهموا فى الحضارة الاسلامية إلا الشيعة الروافض فكلما تقدم الزمن إزدادوا حقدا على الاسلام و المسلمين ، وما ان تسنح لهم الفرصة إلا و يرتكبون بحق المسلمين ما يغضب الله تعالى ، و هذا تاريخهم الأسود منذ أيام إمامهم السابق نصير الدين الطوسى و بن العلقمى (ومنذ عهد الشاه عباس الصفوى) و شاه اسماعيل الصفوى ، حيث قتلوا فى بغداد وحدها ما يزيد على مليون مسلم ، و جرائمهم بحق المسلمين السنة تترى ولا تتوقف وكانت قمة الحقد و الظلم و القتل و التدمير فى العهد القريب الذى يسمى عهد الثورة فقد قتلوا و شردوا وسجنوا الا لاف من ابناء الشعب الايرانى المسلم لا لذنب إقترفوه ، وإنما لأنهم سنة يعبدون الله كما يريد الله ويحب رسوله ، اخر جرائمهم التى ضج لها كل من فى الأرض والسماء واستنكرها كل من عنده ذرة من أخلاق و إنسانية ، فقد استيقظ أهل مدينة مشهد صباح يوم ٩٤/١/٣١م على منظر غريب لم يتوقعوه ولم تصدقه أعينهم وهو هدم مسجد تماما و تسويته بالارض وكأنه لم يكن مع أنه المسجد الوحيد فى المدينة التى يقطنها أكثر من

٢٠٠ ألف مسلم سنى ، لقد بنى مسجد الشيخ فيض فى مدينة مشهد منذ أكثر من مئة عام وكان المسجد الذى يؤدى أهل السنة صلواتهم الخمس وجمعهم وأعيادهم ويدرسون فيه ويدرسون أولادهم القرآن الكريم وعلوم دينهم الحنيف ومنذ بنى هذا المسجد لم يجرأ أحد على المساس به ، ولكن الثوار (الجبناء) ظنوا بأنه لا نصير لحقوق أهل السنة والجماعة ، و أقدموا على جريمتهم النكراء هذه وكأن هذا المسجد الذى يذكر فيه إسم الله خمس مرات فى قلب عاصمة الشرك مدينة مشهد شيء لا يحتملونه ووجدوه بقرب مقبرة الامام موسى الرضى ، ووجود المسجد فى حى يوجد به بيت خامنه أى و وجوده فى قلب و وسط المدينة شيء لا يحتمل بالنسبة إليهم .

وفى ليلة ظلماء أتى الظلمة بعددهم وعدتهم وهدموا المسجد وضربوا وسجنوا جميع من كان فيه الامام و المؤذن و الخادم و المصلين ، و ذلك لانشاء حديقة للأطفال فى مكان المسجد كما اعلنوا هم بذلك . حاول المسلمون السنة التعبير عن غضبهم و إحتجاجهم فاجتمعوا فى المسجد الجامع فى مدينة زهدان حامية بلوشستان الايرانية وأعلنوا إستنكارهم لهذه الجريمة . فما كان من زبانية النظام الظالم حرس الخمينى إلا أن حضروا بسرعة و ضربوا المجتمعين خارج المسجد وأطلقوا على المسلمين داخل المسجد نيران مدافعهم الرشاشة مما أدى إلى إستشهاد أكثر من خمسين مسلم و إصابة جدران المسجد بالرصاص و طاردوا المسلمين الذين التجأوا إلى داخل المسجد وحاصروهم و منعوا الناس من الاقتراب من المنطقة وهم لا يزالون فى الحصار .

أما من التجأ إلى المعهد الدينى فقد طاردهم حراس (الثورة) و اعتقلوهم داخل المعهد وضربوهم وشتموهم و أخذوا المصاحف من أيديهم و ضربوها

بالجدران ، و استمرت هذه الحالة مدة ثلاثة ساعات ونصف إلى أن تفرق الناس من حول المسجد .

أخى المسلم فى كل مكان (ولا تحسبن الله غافلا عما يفعل الظالمون) . لقد سعت الشيعة الملحدة فسادا فى الأرض بالفتن و التحريف و التأويل و الزندقة و القتل و التشريد وآخر جرائمهم هدم مساجد الله ، هذا و العالم كله متفرج لا مباليا فإلى الله العزيز الجبار القهار المشتكى وهو أحكم الحاكمين ، وإذا كان للباطل جولة ولا بد لراية الشرك من النكوص ولا بد من زهوق ، وإلى الله الملجأ و الموعد وهو العزيز الحكيم .

إخوانكم أهل السنة والجماعة فى إيران .

◎ الصبر على الشهوة ◎

الصبر على الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة ، فإنها إما أن توجب ألما وعقوبة ، وإما أن تقطع لذة أكمل منها ، وإما أن تضيع وقتا إضاعته حسرة وندامة ، وإما أن تثلم عرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه ، و إما أن تذهب ما لابقاؤه خير له من ذهابه ، وإما أن تضع قدراً وجاها قيامه خير من وضعه ، وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألذ وأطيب من قضاء الشهوة ، وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقا لم يكن يجدها قبل ذلك ، و إما تجلب هما غما و حزنا وخوفا لايقارب لذة الشهوة . و إما أن تنسى علما ذكره ألذ من نيل الشهوة وإما أن تشمت عدواً وتحزن ولياً ، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة وإما أن تحدث عيبا يبقى صفة لاتزول فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق .

(الفوائد لابن القيم)

عدد صفحات الجزء ٥٦

صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٦) ربيع الأول ١٤١٥ هـ

العدد التاسع سبتمبر ١٩٩٤ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١/١٨ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi – 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI – 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٥٠ روبية ، فى الخارج ٣٢ دولارا (بالبريد الجوى) ١٢ دولارات (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٤/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٢١١٦/٣٢٠٩٥٨ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكرى، والتعصب المذهبى، وتبليغ رسالة الاسلام، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية.

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمبادىء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.

◇ إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.

◇ التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد؟

هدى القرآن | آية وتفسير

قال تعالى: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾. (النساء: ١٢٣).

قال قتادة: ذكر لنا ان المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم، وقال المسلمون: نحن أولى بالله منكم ونبينا خاتم النبيين، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله، فأنزل الله تعالى هذه الآية، والمعنى إن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال وليس كل من ادعى شيئا حصل له بمجرد دعواه، ولا كل من قال إنه على الحق سمع قوله بمجرد ذلك حتى يكون له برهان والعبرة بطاعة الله سبحانه واتباع ما شرعه على السنة الرسل الكرام. وهذه قاعدة جليلة وتنبيه عظيم لكل من يفتخر بالمبادىء والأصول من غير أن يستفيد من هذه التنبيهات والتوضيحات والأصول فإن مجرد الدعوى بلا عمل لايعبأ به أبدا، مهما كانت الأصول والدين الذي اختاره حسنا وجيدا وقويا إذا لم يقترن بالإيمان الصحيح والعمل الدؤب، وحتى المسلمين الذين اعطوا خير ما أعطى أمة من ربها ورسولها. فليس للإنسان إلا ما سعى. ولهذا قال الله تعالى: (ومن يعمل سوءا يجز به) وقد شقت هذه الآية على الصحابة ففسرها النبي ﷺ على أن كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) إلا أن يتوب فيتوب الله عليه.

(اعداد: اصغر علي السلفي)

فقه السنة | حديث وشرح

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباءكم فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم (رواه مسلم).

قوله (يكون فى آخر الزمان) أى آخر زمان هذه الأمة (دجالون) من الدجل وهو تلبيس الباطل بما يشبه الحق. يقال: دجل إذا موه ولبس، أى مزورون وملبسون، وخداعون، يقولون للناس، نحن علماء ومشايخ، ندعوكم إلى الدين وهم كاذبون فى ذلك، ويتحدثون بأكاذيب، ويبتدعون أحكاما باطلة، واعتقادات فاسدة، فاحذروهم، ويجوز أن تحمل الأحاديث على المشهور عند المحدثين ليكون المراد بها، الموضوعات (فإياكم) أى ابعدوا أنفسكم عنهم (وإياهم) أى ابعدوهم عنكم (لا يضلونكم) استئناف، جواب لقائل لم نبعدهم؟ لئلا يضلوكم، لحذف الجار والناصب فعاد العمل إلى الرفع كذا ذكره بعضهم. وقال الطيبي: كأنه قيل: ماذا يكون بعد الحذر؟ فأجيب لا يضلونكم. وقيل هو خبر فى معنى النهى مبالغة فيكون تاكيدا للأمر بالحذر، (ولا يفتنونكم) أى لا يوقعونكم فى الفتنة.

وقد وضعت طائفة من الكذابين أحاديث جعلوها أساسا لمنهجهم الفاسد، وبناء على هذه القواعد المزعومة ردوا أحاديث صحيحة كثيرة فى ضوء ما اختلقوه على رسول الله ﷺ وتبعهم فى ذلك قوم من منكرى السنة فى العصر الراهن وقد ضلوا وأضلوا طوائف من الناس، هداهم الله.

(اعداد: اصغر على السلفى)

الافتتاحية :

صور من نشاط المدارس الإسلامية فى الهند

(٢)

طرق التعليم فى العصر النبوى : عرفت فى العصر النبوى عدة طرق للتعليم :

احداها : أن يتفاهم الرجلان على أن يتناوبا فى النزول عند النبي ﷺ ، فيتعلم كل منهما فى نوبته ويعلم أخاه ما تعلم .

والثانية : أن يأتى الرجل من المسافة البعيدة فيبقى أسبوعين أو ثلاثة يتعلم فيها أصول الدين ثم يرجع .

والثالثة : أن جماعة من الصحابة كانت ترابط فى المسجد النبوى وتتعلم منه ﷺ ، وتذهب خارج المدينة للتعليم والدعوة وقت الحاجة أو للدفاع عن المسلمين . وهكذا كان المسجد النبوى مدرسة لتعليم الكتاب والحكمة وأصول الأخلاق الحسنة ، وكذلك كان مركزا عسكريا للتدريب على فنون الحرب وارسال البعثات[1].

تاريخ المدارس فى الإسلام : لم توجد فى بداية الإسلام مدارس مستقلة للتدريس ونشر العلوم ، بل كان المسلمون يتعلمون أمور دينهم ومعارف الكتاب والسنة فى المساجد ، وهكذا صارت المساجد نواة للمدارس . والصحابة تلقوا العلم فى

---

(١) جماعت أهلحديث كى تدريسى خدمات ، أى « خدمات أهل الحديث فى التدريس ص ٣ ».

المسجد النبوى ، واستمر الأمر على ذلك إلى بناء المدارس ، بل احتفظت عديد من المساجد بصفتها المدرسية بعد شيوع المدارس ، كما ستأتى الاشارة إلى ذلك.

كان النبي ﷺ يجلس فى المسجد ، فيعلم الجاهل ، و يفتى السائل ، ويعبر الرؤيا ، ويبين الأحكام. وبذلك يصبح المسجد مدرسة للمسلمين يتعلمون فيها كل ما ينفعهم من أمور دينهم ومصالح دنياهم ، ولعل السر فى ذلك أن ترتبط حياة المسلم بالمسجد ، فيصبح معبده الذى يتبتل فيه ، ومدرسته التى يتعلم فيها ، وناديه الذى يلتقى فيه اخوانه[1].

أمير المؤمنين عمر يهتم ببناء المدارس: كان جيل الصحابة رضى الله عنهم جيلا مثاليا فى الاسلام ، لإنهم تلقوا العلم والتربية على يد المعلم الأعظم ﷺ ، وطبقوا هذا التعليم فى حياتهم ، وبذلوا عنايتهم لنقل هذا العلم وهذه التربية إلى الأجيال التالية. ومن ذلك ما ذكره المؤرخون وأصحاب السير من أنه لما كثرت الفتوح و دخل الناس كثيرا فى الاسلام ، منهم العرب والعجم ، وكثر الولدان ، أمر عمر رضى الله عنه ، ببناء بيوت المكاتب ، ونصب الرجال لتعليمهم وتأديبهم ، وكان المعلمون يدرسون على مدار الأسبوع من غير توقف.

وفى البخارى: ويذكر أن أم سلمة رضى الله عنها بعثت إلى معلم الكتاب: ابعث لى غلمانا ينفشون صوفا.

وفى الحديث تصريح بذكر الكتاب ، وهو المكان الذى يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة ، وهو دليل واضح على أن الخلفاء قد أولوا اهتماما كبيرا

(١) الحركة العلمية ص ١٥

بتعليم صبيان المسلمين، ففتحوا لهم المدارس، وأسسوا لهم المكاتب، وقد ذكر البخارى فى الأدب المفرد: أن عبد الله بن عمر كان يمر على الصبيان فى المكتب، ويسلم عليهم[١].

هذا، وقد أرسل عمر رضى الله عنه القراء إلى الأقطار الاسلامية لتعليم القرآن والسنة، وفرض لهم الرواتب، وعين أبا سفيان مفتشا عليهم فى الشئون التعليمية[٢].

التدريس فى المساجد: ومع الأمر ببناء المدارس المستقلة فإن التعليم فى المسجد مازال باقيا فى البلدان الاسلامية، كما نرى حتى اليوم أن بعض الأنواع من الدراسة لا تزال تنظم فى المساجد. يقول الأستاذ آدم متز عن تنظيم الدراسة فى المساجد:

« وكانت معظم دروس الفقه والكلام تعطى فى المسجد، والمستمعون على هيئة الحلقة بين يدى المدرس.

وقد أحصى المقدسى فى المسجد الجامع بالقاهرة وقت العشاء مائة وعشرين مجلسا من مجالس العلم، وكان جامع المنصور ببغداد، وهو أقدم مسجد جامع بها، أشهر مركز للتعليم فى المملكة الاسلامية. »

ويقول عن بداية بناء المدارس فى بعض البلدان الإسلامية:

« فالقرن الرابع هو الذى أظهر هذه المعاهد الجديدة التى بقيت إلى أيامنا. ويدل مجموع الأخبار التى انتهت إلينا على أن نيسابور كانت مهد هذه المعاهد، وكانت أكبر مراكز العلم فى خراسان. ويقول الحاكم النيسابورى

(١) الحركة العلمية ص ٤٧
(٢) الفاروق للعلامة شبلى النعمانى ٢ / ١١٧

المؤرخ الثقة (ت ٤٠٦ هـ) صاحب تاريخ نيسابور: ان أول مدرسة هي التي بنيت لمعاصره أبي إسحاق الاسفرائيني (ت ٤١٨ هـ) بنيسابور[١].»

كتابان عن المدارس: اتجهت عناية المسلمين ببناء المدارس وبنشر التعليم في مختلف أقطار العالم الاسلامي حتى إن الباحثين أعدوا دراسات وافية تفصل الكلام عن هذا الموضوع. وعلى سبيل المثال نذكر هنا كتابين يبحث أحدهما عن المدارس في اليمن، والآخر عن المدارس في دمشق، كي تحصل فكرة عامة عن اهتمام المسلمين بالشئون التعليمية وبالمدارس.

اسم الكتاب الأول هو (المدارس الاسلامية في اليمن) ألفه القاضي إسماعيل بن علي الأكوع. وظهرت طبعته الثانية في سنة ١٤٠٦هـ.

بلغ عدد المدارس في هذا الكتاب (١٩٣) مدرسة. وقد ذكر المؤلف أن المدارس المستقلة في اليمن يرجع تاريخها إلى القرن السادس الهجري حيث بنى الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب مدرستين، احداهما في تعز في سنة ٥٩٣ هـ، وسماها (المدرسة السيفية)، والأخرى في زبيد في سنة ٥٩٤ هـ، وسماها (المدرسة المعزية).

واسم الكتاب الثاني هو (الدارس في تأريخ المدارس) تأليف الشيخ عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (٨٤٥–٩٢٧ هـ) تحقيق الأستاذ جعفر الحسيني، طبع في القاهرة سنة ١٩٨٨م.

ومؤلف هذا الكتاب فصل الكلام عن المدارس التي تعمل في الأماكن المختلفة من المباني المستقلة والخوانق والرباطات والزوايا، فقد بلغ العدد المجموعي

(١) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري للأستاذ آدم متز، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ١ / ٣١٤، ٤١٨

لهـذه المدارس (١٢١٢) مدرسة . وبذلك يمكن إدراك مدى اهتمام المسلمين طوال تاريخهم الطويل بالعلم وبالمدارس .

عناية مسلمى الهند وملوكهم بالعلم والتعليم : ظهر الاسلام فى الجزيرة العربية ثم انتشر المسلمون فى القـارات فى مدة قليلة . إن الجيوش الاسلامية فتحت البلدان والأمصار بالسيوف وبالوسائل الحربية ، ولكن المجاهدين لم يكتفوا بذلك ، بل ملكوا نفوس المفتوحين ، وسخروا قلوبهم بالخلق الحسن ونشر العلم والثقافة وحسن المعاملة مع الناس .

والعهد الاسلامى فى الهند يمتـاز بأمور عديدة فصلها المؤرخون ، ومنها عناية الحكام والملوك بالعلم والعلماء وبذل الأموال بهذا الصدد ، وقد اعترف بهذا الفضل جميع المؤرخين المنصفين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين .

يقول المؤرخ الهندوسى الدكتور (ايشورى برشاد) :

« نهضت فى العهد الاسلامى علوم الدين وعلم النجوم وعلم الطب وظهرت فيها مؤلفات ، وترجمت كتب من اللغة السنسكريتيـة إلى الفـارسية وأمر الملك سكندر اللودى بترجمة كتاب فى الطب من السنسكريتيـة إلى الفارسية ، وقـد سمى بـ « الطب الاسكندرى » . وأنشأ الملك فيروز تغلق (ت ١٣٨٨م) مدرسة كبيرة فى دهلى ، وضم إليها مساكن للطلاب والعلماء . »

ويقول :

« ومراكز التعليم المعروفـة كانت فى دهلى وآكره وبدايون وجون فور وبيدر . وبعض هذه المراكز كانت تضاهى أشهر دور العلم فى آسيـا مثل بخارا وسمرقند[1] . »

(١) تاريخ الهند الجديد للدكتور ايشورى برشاد ص ٢٥٨

ويقول الأستاذ أبو الحسنات :

« ومن حسنات ملوك المسلمين فى الهند أنهم خصصوا مساعدات مالية للعلماء والطلاب حتى يتفرغوا لتحصيل العلم ونشره ، ولم يفرقوا فى ذلك بين المسلمين والهنادك ، بل قدموا المساعدات للجميع ، وأصدروا المراسيم بهذا الصدد ، ولا تزال هذه المراسيم لدى بعض الأسر التى كتبت لها[1]. » .

ويقول الشيخ عبد الحى الحسنى (ت ١٩٢٣ م) عن الملك أبو الفتح محمود شاه محمد (ت ٩١٧ هـ) :

« كان أكبر ملوك كجرات وأحسنهم عقلا ودينا وسياسة ، اجتمع بحضرته خلق كثير من أرباب الفضل والكمال من العرب والعجم ، حتى صارت بلاد كجرات عامرة آهلة بالعلماء ، و وفد المحدثون من العرب ، ونفقت على أيديهم سوق الحديث الشريف ، فتشابهت باليمن الميمون ، وصارت أحمد آباد مدينة العلم والعلماء[2] »

وإذا ألقينا النظرة إلى مختلف أقطار الهند رأينا أن حكامها وأمرائها اعتنوا فى كل منها بالعلم والتعليم ، وبذلوا أموالهم فى هذا المجال ، يقول الأستاذ أبو الحسنات عن ولاية بيهار :

« إن الأشراف والأمراء فى هذه الولاية كانوا يشتغلون بالتعليم والتدريس ومن لم يكن صاحب علم فإنه كان يجمع عنده العلماء الأفاضل ، ويخصص المنح والاقطاعات للطلبة ، ويحتسب فى ذلك الأجر عند الله تعالى[3]. »

---

(١) مدارس الهند الاسلامية القديمة للأستاذ أبى الحسنات الندوى ص ٨٣

(٢) الهند فى العهد الاسلامى للشيخ عبد الحى الحسنى ص ٢٣٧

(٣) مدارس الهند ص ١٠

ويقول الشيخ عبد الحى الحسنى عن دهلى:

«ثم لما افتتح الملوك الغورية مدينة دهلى وجعلوها عاصمة البلاد المفتوحة من الهند صارت مرجعا ومآبا للعلماء، حتى وفد إليها أرباب الفضل والكمال من كل ناحية وبلدة، فدرسوا وأفادوا عهدا بعد عهد، ولم تزل كذلك إلى آخر عهد الملوك التيمورية.»

ويقول عن بلاد كجرات:

«وأما بلاد كجرات فعن البحر حدث ولا حرج، فإنها كانت مهادا للعلماء من سالف الزمان، وفد إليها العلماء من شيراز ومن أرض اليمن، فدرسوا بها، وتخرج عليهم جماعة من الفضلاء، وانتشر العلم فى كل ناحية من نواحى كجرات وأرض الدكن وأرض مالوه.»

ويقول عن جون فور:

«وأما بلدة جونفور فإنها صارت مدينة العلم بعد اضمحلال السلطة بدهلى فى الفتنة التيمورية، فوفد إليها العلماء من دهلى، فاشتغلوا بالتدريس، ونشأ من جونفور الأجلاء، وانتشر العلم فى كل ناحية من نواحى المشرق[1].»

(للبحث صلة)

(اعداد: الدكتور مقتدى حسن محمد ياسين الأزهرى)

---

(١) الثقافة الاسلامية فى الهند ص ١٠

الفقه الاسلامى :

تسمية المفتين
بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة

بقلم : الدكتور سليمان بن عبد الله العمير
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة فى الجامعة الاسلامية
بالمدينة النبوية المنورة

(الحلقة الخامسة والأخيرة)

٣٨ — المقبلى : صالح بن مهدى المقبلى .

المتوفى سنة ١١٠٨ هـ صاحب كتاب « العلم الشامخ » و « المنار فى المختار » وغيرهما . فقد تعرض للمسألة فى حاشيته على البحر الزخار المسماة : « المنار فى المختار » فذكر أولا أدلة القائلين بأن الطلاق لا يتبع الطلاق إلا إذا تخلل ذلك رجعة ، ثم ذكر أدلة الفريق الآخر وأجاب عنها ، وفى أثناء ذلك قال :

(وقد كنت مستصعباً لهذه المسألة ، ومن سألني عنها حكيت له الأقوال من دون إفتاء ، ثم ترجح عندى بعد ذلك هذا المذهب ، أعنى : امتناع وقوع ما زاد على واحدة حتى تتوسط رجعة ...) إلى أن قال : (واختار ما اخترنا ، ابن القيم ، وحكاه عن شيخه ابن تيمية)[١] .

(١) « المنار فى المختار » : (٥٣٣/١ ، ٥٣٤) .

٣٩ — الشيخ محمد بن عبد الوهاب. المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ مجدد الدعوة فى القرن الثانى عشر الهجرى.

أفتى بهذه المسألة مرة واحدة، ثم ترك ذلك، وأصبح يفتى بقول الجمهور.

وفى هذا يقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين فى ضمن جواب له عن هذه المسألة:

(ولم نر أحداً ممن أدركناهم يفتى بقول الشيخ — أى ابن تيمية — فى هذه المسألة. وأخبرنى بعض تلامذة الشيخ محمد — أى محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله أنه قال: لم أفت بقول الشيخ تقى الدين فى هذه المسألة إلا مرة واحدة ثم لم أفت إلا بقول الجمهور)[1] انتهى.

٤٠ — محمد بن على الشوكانى. المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ.

فقد عرض الأقوال بأدلتها فى هذه المسألة فى كتابه «نيل الأوطار» ورجح أنها واحدة حيث قال:

(والحاصل أن القائلين بالتتابع — أى ثلاثاً — قد استكثروا من الأجوبة على حديث ابن عباس، وكلها غير خارجة عن دائرة التعسف، والحق أحق بالاتباع)[2] انتهى.

وقال فى «الدرر البهية»: (وفى وقوعه — أى الطلاق البدعى — ووقوع ما فوق الواحدة من دون تخلل رجعة: خلاف. والراجح:

---

(١) «الدرر السنية»: (٣٨٦/٤)، وتنظر: «فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم»: (٣٤/١١، ٣٨).

(٢) «نيل الأوطار»: (٢٦٣/٦).

عدم الوقوع)[١] انتهى.

وله أيضاً رسالة مستقلة فى المسألة[٢].

وقد أشار إلى قوله هذا أيضاً صاحب «التعليق المغنى على سنن الدارقطنى» فقال — بعد أن نقل كلام ابن القيم فى «الإغاثة» فى تأييد أن الثلاث واحدة —:

(وهو قول القاضى محمد بن على الشوكانى — رحمه الله تعالى)[٣] انتهى.

٤١ — ابن الأمين بن الحاج البوحسنى. من علماء القرن الثالث عشر الهجرى.

ترجم له أحمد بن الأمين الشنقيطى فى كتابه «الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط» فكان مما قاله عنه:

(وكان يقول: إن الطلاق بالثلاث إذا وقع دفعة واحدة لا يكون إلا واحدة. وقد ألف العلامة محنض[٤] باب الديمانى فى تضليله. وقيل: أنه كفره، وأكثر العلماء يعتب عليه بما تقدم ويحط من قدره لذلك. وليس من الصواب تكفيره بمسألة الطلاق المتقدمة، للخلاف

(١) «الدرر البهية بشرحها الدرارى المضية»: (٢٧١).

(٢) «نيل الأوطار»: (٦/٦٦٤)، «البدر الطالع»: (٢/٢٢٠)، «فتح القدير»: (١/٢٣٨)، «الروضة الندية»: (٢/٨٠)، «السيل الجرار»: (٢/٣٧٢).
وسماها الدكتور محمد حسن الغماوى فى كتابه: «الإمام الشوكانى مفسراً»: (ص ٩٣): «رسالة فى حكم أن الطلاق لا يتبع الطلاق على الراجح».

(٣) «التعليق المغنى»: (٤/٤٩).

(٤) محنض — بفتح الميم وسكون الحاء وفتح النون وسكون الضاد — باب بن أعبيد الديمانى. من علماء شنقيط. صنف كتاب «ميسر الجليل على مختصر خليل» مطبوع. ينظر: «الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط»: (٢٣٦).

فيها، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية كان يقول بها أيضاً. و ذكر الشيخ عليش[١] في حاشيته على «الدردير» ما يفيد أن فيها خلافاً)[٢] انتهى، ثم ذكر من كلام الشيخ عليش، و مثله ابن رشد، و ابن القيم ما يدل على أن المسألة مسألة خلافية لا إجماعية ثم قال:

(و الغرض الاعتذار عن صاحب الترجمة؛ لأن ما وقع فيه خلاف لا يضلل القائل به)[٣].

٤٢ — صديق حسن خان القنوجي. المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ. العلامة الشهير محي السنة في بلاد الهند. جنح في كثير من كتبه إلى ترجيح أن الطلاق الثلاث واحدة.

فقد ساق في كتابه «حسن الأسوة» عبارة الشوكاني في «الدرر البهية» بنصها دون أن ينسبها إليه وهي قوله:

(وفي وقوعه — أي الطلاق البدعي — و وقوع ما فوق الواحدة من دون تخلل رجعة: خلاف. و الراجح: عدم الوقوع)[٤] انتهى.

و قال في «الروضة الندية» — بعد نقله عن الشوكاني حكاية الأقوال الأربعة في المسألة:

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد عليش. من فقهاء المالكية. أصله من المغرب. ولد بالقاهرة و توفي فيها سنة ١٢٩٩ هـ. له «شرح على مختصر خليل» و فتاوى وغيرهما. «الأعلام»: (١٩/٦).

(٢) «الوسيط في تراجم علماء شنقيط»: (٣٣٦).

(٣) «المرجع السابق»: (٣٣٨).

(٤) «حسن الأسوة»: (٤٠٦).

(وقد امتحن بهذه المسألة جماعة من العلماء، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، و جماعة ممن بعده، و الحق بأيديهم، و لكن لما كان مذهب الأئمة الأربعة أن الطلاق يتبع الطلاق كان المخالف لذلك عند عامة أتباعهم، و كثير من خاصتهم كالمخالف للإجماع)[1] انتهى.

و قال أيضاً — بعد نقله كلاماً لابن القيم فى المسألة:

(و تمام هذا البحث فى «إعلام الموقعين» و «إغاثة اللهفان» للحافظ ابن القيم، وفى رسالة مستقلة للآتى[2]، وفى كتابنا: «مسك الختام» فليرجع الطالب إليها إن أراد التفصيل و التحقيق)[3] انتهى.

وقال فى كتابه «عون البارى» بعد كلام له سابق فى المسألة: (والحق فى الباب ما ورد به حديث ركانة المتقدم. و قد أشار الحافظ[4] إلى أنه نص فى المسألة كما مر آنفاً، و أنه لا يقبل التأويل، وأن غيره من الروايات تقبله. فليعلم)[5] انتهى.

٤٣ — الشيخ: محمد نذير حسين الدهلوى.

العلامة المحدث. المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ.

قال صاحب «التعليق المغنى على سنن الدارقطنى» بعد أن نقل كلام

(١) «الروضة الندية»: (٧٨/٢، ٧٩).

(٢) هو الشوكانى.

(٣) «الروضة الندية»: (٨٠/٢)، وكتاب «مسك الختام» هو شرح على «بلوغ المرام» لابن حجر. وهو باللغة الفارسية. و يقع فى ١١٦٤ صفحة. كما فى مجلة الجامعة السلفية: المجلد السابع عشر. العدد الثالث. ص: ٤١، ٤٨.

(٤) هو ابن حجر.

(٥) «عون البارى لحل أدلة صحيح البخارى»: (٦١٩/٥).

ابن القيم فى « الإغاثة » فى تأييد أن الثلاث واحدة . قال :
(قلت : وهو قول القاضى محمد بن على الشوكانى — رحمه الله تعالى — و اختيار شيخنا العلامة الرحلة إمام عصره ،فريد دهره السيد محمد نذير حسين المحدث الدهلوى — أدام الله بركاته علينا — ، وقد أفتى بذلك غير مرة) انتهى .

٤٤ — العلامـــة المحدث أبو الطيب محمـــد شمس الحق العظيم آبادى . المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ .

فقد نقل كلام ابن القيم فى « الإغاثـــة » فى تأييد أن الثلاث واحدة ، و ذكر أنه قول الشوكانى ، و اختيار شيخه محمد نذير حسين ، ثم قال : (وبه أقول . وهو الحق عندى ، وهو قول أكثر علماء العصر ، وقد خبط بعض من اشتهر فى عصرنا فى هذه المسألة ، و نقل عنه فيها حكاية عجيبة و من ذهب إلى ذلك أى الطلاق الثلاث مجموعة فى المجلس الواحد وقعت واحدة ، له أدلة صريحة ، منها حديث ابن عباس...) ثم شرع فى سرد الأدلة ، و الجواب عن الاعتراضات الموجهة إليها بإسهاب . إلى أن قال :

(وأما دلائل الجمهـــور القائلين بإيقاع الثلاث فموجود فى كتب القوم ، وقد أطال البحث فى ذلك الإمام الكبير الحافظ الشهير ابن حجر فى « فتح البارى » و قال فى آخره : و الراجح إيقاع الثلاث للإجماع الذى انعقـــد فى عهـــد عمر على ذلك...) إلخ كلام ابن حجر . ثم قال : (قلت : ما قال الحافظ — رحمه الله تعالى — ففيه نظر من وجوه شتى ،

(١) « التعليق المغنى » : (٤٩/٤) .

وليس هذا التعليق محل بيانه ، وأفصل ذلك المبحث الجليل إن شاء الله تعالى مع البيان لأدلة الفريقين بأسرها فى « غاية المقصود شرح سنن أبى داود » . والله الموفق)[1] انتهى .

٤٥ ـ الشيخ عبد المجيد سليم الحنفى المصرى ،

المتوفى سنة ١٣٧٤ هـ .

شيخ الجامع الأزهر ومفتى الديار المصرية يقال إنه أصدر ما يقارب خمسة عشر ألف فتوى استقر رأيه بعد البحث الطويل فى هذه المسألة على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع إلا واحدة .

كما يفيده كلام الشيخ محمد حامد الفقى فى حاشيته على « المنتقى » . إذ يقول : (وقد كان من محاسن الصدف أن فضيلة مولانا مفتى الديار المصرية حالا العالم المحقق السلفى التقى الشيخ عبد المجيد سليم يقرأ هذه المسألة فى درسه الذى يلقيه على طلاب التخصص فى الشريعة الإسلامية فبحثها بحثا مستوفياً وقرأ فيها كل ما وصلت إليه يده ـ وهو كثير من كتب المذاهب وشروح الحديث ـ وكانت خاتمة بحثه ومحط رأيه : أننا لو طرحنا الأحاديث لما يقال من اضطرابها ، أو تضاربها ، وعدم بيانها . يبقى معنا النص القرآنى القطعى الدلالة سالماً . وهو قوله : ﴿الطلاق مرتان ... الآية﴾ فما لا شك فيه بعد ذلك أن الطلاق الثلاث

(١) « التعليق المغنى على سنن الدارقطنى » : (٤/٤٩ ـ ٦٠) ، وكتاب : « غاية المقصود » المشار إليه طبع منه الجزء الأول سنة ١٣٣٤ هـ بدهلى . ثم طبع منه جزءان آخران . أما بقية الأجزاء فلا يعلم عنها شىء . كما يفيده كلام محمد عزير السلفى فى كتابه : « حياة المحدث شمس الحق وأعماله » : (١٧٧ ـ ١٨٥) .

بلفظ واحد لا يقع إلا واحدة)[١] انتهى .

٤٦ — العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر .

المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ .

صاحب التحقيقات البديعة و الدراسات المتقنة لكثير من أمهات الكتب فى التفسير ، و الحديث ، و الفقه و الأدب ، و مؤلف الأبحاث العلمية الحرة على نهج أبحاث المجددين الصادقين :

تطرق للمسألة فى كتابه : « نظام الطلاق فى الإسلام » : (ص ٣٦ - ٥٣) ثم عاد إليها فى (ص ٧٢ - ٨٩) وقد نصر فى بحثه لهذه المسألة رأى القائلين بأن الثلاث واحدة بأسلوب جزل ، وعبارة بليغة . بل ذهب إلى تخطئة من ظن من المتأخرين — فى حكايته للخلاف فى المسألة عن المتقدمين — التسوية بين صيغة التكرار بالوصف « أنت طالق ثلاثاً » و بين صيغته بالعدد « أنت طالق أنت طالق أنت طالق » و قرر أن الصيغة الأولى لا وجه لإدخالها فى صورة المسألة ، و أن هذا خطأ صرف ، و انتقال نظر غريب تتابع عليه كل من حقق فى هذه المسألة . و صرح بمخالفة هؤلاء جميعاً ، و أن قول القائل : ثلاثاً . لغو من القول فلا يقع إلا واحدة أصلا)[٢] انتهى .

٤٧ — الشيخ محمود شلتوت . المتوفى سنة ١٣٨٣ هـ .

شيخ الجامع الأزهر . الفقيه المفسر . .

قال فى كتابه : « الفتاوى » تحت عنوان : فتاوى المقلدين و ضررها :

---

(١) « حاشية الفقى على المنتقى للجد ابن تيمية » : (٦٠٠/٢ ، ٦٠١) :

(٢) « نظام الطلاق فى الإسلام » : (٤١ ، ٤٢) .

(فقد جرينا نحن المفتين و القضاة على الإفتاء ، أو الحكم بوقوع الطلاق على مذاهب معينة قد تشهد الحجة القوية لغيرها فى عدم وقوعه . و الرأى أنا لا نفتى ولا نحكم بوقوع طلاق إلا إذا كان مجمعاً من الائمـــة على وقوعه ، فإن الحياة الزوجية ثابتة بيقين ، وما يثبت لا يرفع إلا بيقين مثله ، ولا يقين فى طلاق مختلف فيه .

وعلى هـــذا فلا نحكم بوقوع الطـــلاق إلا إذا كان مرة ، مرة ، وكان منجزاً مقصوداً للتفريق ، فى طهر لم يقع فيـــه طلاق ولا إفضاء وكان الزوج بحالة تكمل فيها مسئوليته .

و بهذا لا نحكم بوقوع الثلاث دفعة واحدة إذا قال : أنت طالق ثلاثاً ...) إلى أن قال :

(والذى يؤسف له أنه على الرغم من أن قانون المحاكم الشرعية الحالى ألغى وقوع الطلاق الثلاث بلفظ الثلاث و جعلـــه واحدة رجعية ... فإن أكثر العلماء أو أكثر المتصـــدين لفتوى الناس لا يفتون إلا بمذاهبهم الخاصـــة التى تعلموها و دانوا بها ... (و ترى المذاهب الأخرى عدم الوقوع فيها تضييقاً لدائرة الطلاق بقدر الإمكان) . و كانت النتيجـــة لموقف هولاء المفتين أن يأخـــذ المطلق الفتوى بالوقوع على لسانهم ، و يذهب مؤمناً بها إلى المأذون فيحكى له أنه طلق امرأته ثلاثاً ، فيبادر إلى إخراج قسيمـــة الطلاق ، و فيها « حضر فلان ، و أقر بأنـه طلق زوجته طلاقاً مكملا للثلاث » و بهذه الورقة الرسميـــة تبين الزوجة من زوجها ، و يقع الزوجان فى ارتباك ، و تتمثل أمامهما مشاهـــد التشرد المؤلم للأبناء ، و قد أدركهما سوء الحظ ! بالتزام الإفتاء على المذهب

المعين، ثم بهذه الورقة الرسمية التي قد لا يكون لها واقع صحيح)[١]
انتهى.

٤٨ ـ سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ حفظه الله ـ
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد.
فهو المتصدى للفتوى فى هذه المسألة فى هذا العصر. و عليه يحيل كثير
من العلماء، و طلبة العلم، والقضاة إذا عرضت لهم مثل هذه المسألة.
ولقد تقلد ـ أثابه الله ـ هذه الفتوى منذ حياة شيخه الشيخ محمد
ابن إبراهيم آل الشيخ المتوفى سنة ١٣٨٩ هـ[٢] ولا يزال مستمراً عليها
إلى اليوم.

و قد حفظ عنه عدة فتاوى فى هذا المقام: منها ما ورد فى مجلة الدعوة
السعودية، عدد: ٩٠٩ و هذا نص السوال و الجواب:

سوال: الطلاق الثلاث بكلمة واحدة أو ثلاث متفرقات فى مجلس واحد
يعتبر حراماً، وفاعله آثم، ولكن جمهوراً من العلماء قد اختلفوا
كثيراً حيث يرى البعض منهم بأنه يقع واحداً، و الفريق الآخر يرى
بأنه لا يقع أصلا لأنه طلاق بدعى و مخالف لما شرعه الله.

---

(١) «الفتاوى»: (٣١٠، ٣١١) طبعة دار الشروق. الطبعة الثامنة. سنة ١٣٩٥هـ القاهرة. بيروت.

(٢) تنظر «الفتاوى» رقم: ٣٠١٤، ٣٠١٣، ٣٠١٠، ٣٠٠٩، ٣٠١٢، ٣٠١١ من فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم المؤرخة على التوالى فى عام: ١٣٨١ هـ، ١٣٧٨/٢/٢٨هـ، ١٣٧٢/٨/٢٤هـ، ١٣٨٣هـ، ١٣٨٦هـ، ١٣٨٨هـ. المتضمنة انتقاد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز على فتواه فى مسألة الطلاق الثلاث باختيار شيخ الإسلام ابن تيمية و تلميذه ابن القيم.

والسؤال هو: ما هو الحكم الصحيح الذى ثبت عن النبي ﷺ؟ مع العلم بأنه روى عنه ﷺ أنه جعل الطلاق الثلاث واحداً كما روى عن عكرمة عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال: طلق ركانــة امرأته ثلاثاً فى مجلس واحد فحزن عليها حزناً شديداً. فسأله رسول الله ﷺ كيف طلقتها؟ قال: ثلاثاً. فقال: فى مجلس واحد؟ قال: نعم. قال: فإنما تلك واحدة، فارجعها إن شئت، فراجعها.

الجواب:

الصواب فى هذه المسألة أن الرجل إذا طلق امرأته ثلاثاً بكلمة واحدة، فإنها تعتبر طلقــة واحدة، لما رواه مسلم فى «صحيحه» عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال: «كان الطلاق على عهـد النبي ﷺ و عهد أبي بكر، وسنتين من خلافـة عمر — رضى الله عنهما — طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر — رضى الله عنـه —: إن الناس قـد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم».

و هذا هو اختيار جماعة من أهل العلم من أصحاب ابن عباس، و غيرهم وهو رواية ثابتة عنه — رضى الله عنه —، وهو قول الإمام محمد بن إسحاق صاحب «السيرة»، وهو اختيــار شيخ الإسلام ابن تيميــة، و تلميــذه العلامــة ابن القيم — رحمـة الله عليهما[١] — انتهى المقصود منه.

(١) «مجلة الدعوة»: (عدد ٩٠٩) ص: ٢٧ وهى أيضاً فى كتاب: «فتاوى مجلة الدعوة»: (١٧٦، ١٧٧).

و منها ما ورد أيضاً فى مجلة الدعوة عدد : ١٠٠٦ .

و نص السوال : رجل طلق امرأته ثلاثاً بكلمة واحدة ، فما الحكم ؟

فكان جواب سماحته ما يلى :

(إذا طلق الرجل امرأته بالثلاث بكلمة واحدة ، كأن يقول لها : أنت طالق بالثلاث ، أو مطلقة بالثلاث ، فقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أنها تقع بها الثلاث على المراة ، و تحرم على زوجها بذلك حتى تنكح زوجاً غيره نكاح رغبة لا نكاح تحليل ، و يطأها ، ثم يفارقها بموت ، أو طلاق ، واحتجوا على ذلك بأن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — أمضاها على الناس .

وذهب آخرون من أهل العلم إلى أنها تعتبر طلقة واحدة وله مراجعتها ما دامت فى العدة ، فإن خرجت من العدة حلت له بنكاح جديد ، و احتجوا على ذلك بما ثبت فى « صحيح مسلم » عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ و عهد أبى بكر رضى الله عنه ، و سنتين من خلافة عمر — رضى الله عنه — طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر : إن الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم » . وفى رواية أخرى لمسلم : « أن أبا الصهباء قال لابن عباس — رضى الله عنهما — : ألم تكن الثلاث تجعل واحدة فى عهد النبى ﷺ و عهد أبى بكر — رضى الله عنهما — وثلاث سنين من عهد عمر — رضى الله عنه — ؟ قال : بلى » .

و احتجوا أيضاً بما رواه الامام أحمد فى « المسند » بسند جيد عن

ابن عباس — رضى الله عنهما — : أن أبا ركانــة طلق امرأته ثلاثاً ، فحزن عليها ، فردها عليه النبي ﷺ و قال : إنها واحدة .

و حملوا هذا الحديث والذى قبلــه على الطلاق الثلاث بكلمة واحدة جمعاً بين هذين الحديثين و بين قوله تعالى : ﴿ الطلاق مرتان ﴾ وقوله عز وجل : ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعده حتى تنكح زوجاً غيره﴾ الآيــة .

وذهب إلى هذا القول ابن عباس — رضى الله عنهما — فى رواية صحيحة عنه ، و ذهب إلى قول الأكثرين فى الروايــة الأخرى عنه ، و يروى القول بجعلها واحــدة عن على ، و عبــد الرحمن بن عوف ، و الزبير ابن العوام — رضى الله عنهم جميعاً — ، و به قال جماعة من التابعين ، و محمد بن إسحاق صاحب « السيرة » ، و جمع من أهل العلم من المتقدمين و المتأخرين ، و اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ، و تلميذه العلامة ابن القيم — رحمة الله عليهما — وهو الذى أفتى به لما فى ذلك من العمل بالنصوص كلها ، و لما فى ذلك أيضاً من رحمة المسلمين و الرفق بهم[1] انتهى .

٤٩ — فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين حفظه الله .

فهو يفتى فى هذه المسألة منذ مدة . و على وجه التقريب قبل عام ١٣٨١ هـ كما يستفاد ذلك من نص الخطاب الموجه من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ إلى قاضى عنيزة الشيخ : سليمان بن عبيد[2] .

---

(١) « مجلة الدعوة » : (عدد ١٠٦٦) ص: ٢٦ .

(٢) « فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم » : (١١/٣٥ ، برقم ٣٠١٥) .

وله مقال فى مجلة البحوث الإسلامية . العدد الثالث بعنوان : «فى الطلاق» ذكر فى آخره مسألة تكرار الطلاق ، ورجح أن الطلاق المكررة صيغته لا يقع إلا واحدة سواء كان بحرف عطف أو بدونه . وأشار إلى أن هـذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيميـة — رحمه الله — ، ونقل عن شيخه عبد الرحمن بن سعدى ما يدل على استحسانه إياه[1].

وقال فى كتـابه : «المنتقى من فرائد الفوائد» — بعـد ذكره بعض التفصيلات فى المذهب فيما يتعلق بعدد الطلاق — قال — أثابه الله — : (هذا هو تفصيل المقام على المشهور فى المذهب ، والصواب أن الطلاق الثلاث واحدة ولو صرح بالعدد . وعلى هذا فإذا نوى الثلاث بالكناية الظاهرة لم يقع إلا واحدة . والله أعلم)[2] انتهى .

بل إن لفضيلته تأليفاً مفرداً فى هذه المسألـة باسم : «رسالة فى الطلاق الثلاث»[3] لا تزال مخطوطة . ذكر فيها الأدلة — بشىء من التفصيل — على أن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة ، وذكر أجوبة المخالفين عن هـذه الأدلة ، وكذا أدلتهم استقلالا ورد عليها وناقشها ، وقرر فى آخر الرسالة أن الفتوى فى هـذه المسألة تختلف بحسب أحوال النـاس وزمانهم . والله أعلم .

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية العدد الثالث . ص : ٣٨٩ .
(٢) «المنتقى من فرائد الفوائد» : (١٣٧) . الطبعـة الأولى شوال سنة ١٤١١ هـ. دار الوطن للنشر . الرياض .
(٣) تقع هذه الرسالة فى ست وعشرين صحيفة وهى بخط يده — أثابه الله .

٥٠ – الشيخ محمد ناصر الدين الألباني – حفظه الله – .

علامة الشام وأحد كبار المحدثين فى هذا العصر .

قال بعد أن ذكر رواية عكرمة عن ابن عباس فى عدم وقوع الثلاث : (وهى وإن كانت أكثر الطرق عنه بخلافها . فإن حديث طاوس عنه المرفوع يشهد لها . فالأخذ بها هو الواجب عندنا ، لهذا الحديث الصحيح الثابت عنه من غير طريق ، وإن خالفه الجماهير ، فقد انتصر له شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وغيرهما)[1] انتهى .

وبهـذا انتهى ما وقفت عليه من تسميـة المفتين فى هـذه المسألة ، والله أعلم .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

(١) « إرواء الغليل » : (١٢٢/٧) .

◎ لكم أيها الدعاة ◎

إن الدعوة إلى الله والصبر عليها جهاد . . . والوسيلة الناجحة فى الدعوة أن تدخل إلى القلب برفق . . تتقدم نحوه خطوة خطوة ثم أخرى . . ولو طال الزمن . . فالمهم هو الوصول فى النهاية إلى الهدف فإذا أوصلنا إلى هـذا القلب استجاب العقل وصح الفكر واستقام الطريق .

تضعيف حديث
«كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع»

والرد على
من صححـــه وحسنه

(الحلقة الثالثة والأخيرة)

++++++++++++++++++

بقلم : عبد الرؤف عبد الحنان

موقف الغمارى من الحديث :

ألف الشيخ أحمد بن محمد الغمارى جزءا سماه « الاستعاذة والحسبلة ممن صحح حديث البسملة » .

وجزم فى جزئه هذا بأن الحديث برواية « البسملة » (بسم الله الرحمن الرحيم) من قسم الموضوع المكذوب على رسول الله ﷺ .

وأما برواية « الحمد » فهو ثابت عنده فيقول : أصل الحديث الوارد عن النبي ﷺ إنما هو بلفظ « الحمد » كذلك سمعه أبو هريرة من النبي ﷺ وسمعه أبو سلمة من أبي هريرة وسمعه الزهرى من أبي سلمة وسمعه من الزهرى جماعة من الحفاظ الثقات كالأوزاعى وسعيد بن عبد العزيز ويونس بن يزيد وعقيل ابن خالد وشعيب بن أبي حمزة وقرة بن عبد الرحمن وغيرهم[1]. إلا أن

---

(١) ظاهر كلام الغمارى أن قرة بن عبد الرحمن أيضا من الحفاظ الثقات ليس الأمر كذلك فقد تكلم فيه كبار الأئمة — راجع ص (٤٠) فى الحلقة الأولى .

الزهرى كان يوصله مرة ويرسله مرة أخرى على عادته المعروضة فى ذلك فإنه كان كثيرا ما يرسل الاحاديث الموصولة عنده فى الأوقات التى لا يحصل له فيها نشاط لذكر الاسناد كما نص عليه ابن عبد البر وغيره.

ثم ذكر من رووه موصولا عن الزهرى فذكر الأوزاعى وسعيد بن عبد العزيز ويونس بن يزيد وقرة بن عبد الرحمن. الاستعاذة والحسبلة (٧–٨).

الرد على الغمارى:

لاشك أن قرة بن عبد الرحمن روى هذا الحديث موصولا وأما الأوزاعى ويونس فلم يرو عنهما الحديث موصولا إلا فى طرق واهية. وأما سعيد فلم يروه إلا مرسلا وإليك التفصيل:

١ – رواية الأوزاعى الموصولة:

هذه الرواية أخرجها أبو يعلى الخليلى فى الارشاد (٣/٩٦٦/٨٩٤) والسبكى فى الطبقات (١ / ١١–١٢) من طريق عيسى بن غنجار عن خارجة بن مصعب عن الأوزاعى عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة.

وهذه الرواية الموصولة عن الأوزاعى ليست بشىء لأن خارجة واه بل كذبه ابن معين كما تقدم فى الحلقة الثانية.

ثم ان الثقات رووه عن الأوزاعى عن قرة عن الزهرى أى باثبات قرة بين الأوزاعى والزهرى لذا قال الخليلى عقب الحديث: «هذا لم يسمعه الأوزاعى عن الزهرى وإنما سمعه من قرة بن عبد الرحمن بن حيوئيل، هكذا رواه عن الأوزاعى ابن المبارك وأبو المغيرة وابن أبى العشرين وعبيد الله بن موسى[1] ولم يروه عن خارجة إلا غنجار وخارجة فيه لين».

(١) وغير هؤلاء أيضا انظر صفحة (٤٥، ٤٦) فى الحلقة الثانية.

قلت: وهذه حال هذه الرواية، ولكن الغماري سكت عليها فلم يتكلم عليها هو من قبل نفسه ولم ينقل كلام الخليلي، مع أنه خرج هذه الرواية من كتاب الخليلي، والأمانة العلمية كانت توجب عليه أن يفعل أحد الأمرين ولكنه لم يفعل شيئا.

علم من هذا التفصيل أن قول الغماري: «وسمعه من الزهري جماعة من الحفاظ الثقات كالأوزاعي» قول غير صحيح لأن الأوزاعي لم يسمعه من الزهري — لأنه لم يأت ذلك فى طريق معتمد — وإنما سمعه من قرة عنه.

٢ — رواية يونس الموصولة:

هذه الرواية أخرجها أبو يعلى الخليلي و الرهاوي وغيرهما كما تقدم من طريق اسماعيل بن أبي زياد عن يونس بن يزيد عن الزهري به.

وهذه الرواية كسابقتها ليست بشيء أيضا لأن إسماعيل بن أبي زياد كذاب يضع الحديث كما تقدم فى الصفحة المذكورة.

وقال الخليلي: «ولا يعتمد على رواية إسماعيل عن يونس» وقال الرهاوي: غريب تفرد بذكر الصلاة فيه إسماعيل بن أبي زياد الشامي[1] وهو ضعيف لا يعتد بروايته ولا بزيادته. قلت: كلام الغماري نفسه يشير إلى أن رواية اسماعيل هذه غير معتبرة. فقال: بعد نقل كلام الرهاوي هذا.

قلت: وتفرد به أيضا موصولا من رواية يونس، فقد ذكر أبو داود والنسائي وجماعة انه رواه عن الزهري مرسلا. الاستعاذة والحسبلة (٩).

قلت: وهذا اعتراف من الغماري بأن رواية يونس مرسلة لا موصولة وهذا هو الصواب إن شاء الله.

(١) اسماعيل هذا زاد فى متن الحديث زيادتين انظرهما فى صفحة (٤٩) فى الحلقة الثانية.

على ما تقدم ان رواية اسماعيل عن يونس لا يعتد بها لأمرين :

الأول : إسماعيل كذاب يضع الحديث .

الثانى : إنه تفرد بوصل الحديث عن يونس بشهادة من الغمارى .

٣ — رواية سعيد بن عبد العزيز:

ادعى الغمارى بأن سعيد بن عبد العزيز روى هذا الحديث عن الزهرى مرسلا و موصولا أيضا فيقول: «ومن رواه عنه موصولا : سعيد بن عبد العزيز، أخرجه النسائى فى «عمل اليوم والليلة» عن محمود بن خالد عن الوليد عن سعيد بن عبد العزيز عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة به و رواه عنه أيضا مرسلا كذلك أخرجه النسائى و ذكره أبو داود فى «سننه» فلعله سمعه منه مرتين مرة موصولا ومرة مرسلا . الاستعاذة والحسبلة (٨) .

قلت : فى هذا النقل وهم أو خطأ لأن الذى فى «عمل اليوم والليلة» للنسائى (٤٩٤—٤٩٥) وكذا فى «السنن الكبرى» له (٦/ ١٢٧/ ١٠٣٢٨ — ١٠٣٢٩) هو هذا .

أخبرنا محمود بن خالد ، حدثنا الوليد قال: قال أبو عمرو (يعنى الأوزاعى) (و) — هكذا عنده — أخبرنى قرة عن ابن شهاب عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فذكر الحديث ثم قال:

أخبرنى محمود بن خالد حدثنا الوليد حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن الزهرى رفعه مثله .

وقال السبكى فى الطبقات، (١ / ٨) .

«رواه أبو عبد الرحمن النسائى فى «عمل اليوم والليلة» عن محمود بن خالد عن الوليد عن الأوزاعى به وعن محمود بن خالد أيضا عن الوليد عن

سعيد بن عبد العزيز عن الزهري رفعه مثله .

هذا ما عند النسائي فالنسائي لم يروه عن سعيد إلا مرسلا . ولو كان هذا الحديث عنده موصولا أيضا لما كان يخفى هذا على السبكي ولو كان عنده هكذا أيضا لذكره لأنه كان أقوى حجة له . و ذكر أبو داود والبيهق سعيد بن عبد العزيز فيمن رووه عن الزهري مرسلا ولم يشيرا إلى أنه رواه عنه موصولا أيضا .

و أورد المزي حديث سعيد بن عبد العزيز فى كتاب « المراسيل » من « التحفة » (١٣/٣٦٨/١٩٣٤٤ ، انظر أيضا ١١/٤٠/٥٢٣٢) .

وكل هذا دليل على أن سعيدا لم يرو هذا الحديث إلا مرسلا . ثم لوسلمنا على سبيل الجدل أنه رواه موصولا أيضا لم يكن فى ذلك حجة للغماري و ذلك لأمور :

أ — إن سعيدا ليس فى الزهري بذاك — كما قال الذهبي فى « الميزان » (٢ / ١٤٩) أيضا « الديوان » له (١/ ٢٦٣) — حتى يقال إن الوصل زيادة ثقة فتقبل .

ب — إن روايته المرسلة موافقة لرواية الثقات الاثبات من أصحاب الزهري . وأما روايته الموصولة فلم يوافقه عليها أحد من أصحاب الزهري الثقات فى طريق يعتد به فلا اعتبار بها .

ج — إنه كان قد اختلط قبل موته كما قال أبومسهر وأبوداود وحمزة الكناني وابن معين . انظر : تهذيب التهذيب (٤/٥٤) .

ولا ندري هل روى هذا الحديث عن الزهري قبل اختلاطه أو بعده .

فى هذه الحالة تقبل روايته الموافقة لرواية الثقات من أصحاب الزهرى وهنا روايته المرسلة هى التى توافق روايتهم . فهى المقبولة والمعتمدة .

خاتمـــة :

خلاصة ما تقدم ان هذا الحديث لايصح موصولا وإنمـا صح مرسلا . والحديث المرسل من أقسام الحديث الضعيف عند المحدثين . قال الامام مسلم فى مقدمة صحيحه (١٣٢/١) :

« والمرسل من الروايات فى أصل قولنا وقول أهل العلم بالا خبالا ليس بحجة . كونه لا يصح موصولا لأن قرة تفرد بوصله من بين أصحاب الزهرى الثقـات وهو ليس بقوى فى الحـــديث فلا يقبل تفرده . وقال الحافظ فى الفتح (٨/١ ، ٢٢٠/٨) : فى اسناده مقال[1] .

وأما المتابعات التى ذكرها السبكى ثم الغمارى فهى ليست بشىء . وقـــد تقدم الكلام عليها بالتفصيل .

ومما يؤيد ضعف الحديث وروده بألفاظ مختلفة . فى رواية له « كل أمر ذى بال » وهى رواية الأكثرين ، وفى أخرى له « كل كلام » وفى رواية ثالثة له « كل كلام أو أمر ذى بال » . وقد تقدم فى تخريجه من أخرجه بهذه الروايات .

وفى رواية له « بذكر الله » وهو لفظ أحمد وكذا لفظ النسائى والدارقطنى فى رواية لهما .

وفى رواية أخرى له « ببسم الله الرحمن الرحيم » بدل « بحمد الله » وفى

(١) هذا ما قاله الحـــافظ فى « الفتح » وأما ابن علان فذكر الحافظ فى الفتوحات الربانية ، (٣ / ٢٨٨) فيمن حسن الحديث ، لعله حسنه فى « تخريج الأذكار » والصواب أنه لا يبلغ درجة الحسن .

رواية ثالثة له زيادة « والصلاة على» بعد « بحمد الله » ووقع فى رواية للنسائى « فهو أبتر » بدل « أقطع » وعند أحمد « فهو أبتر أو أقطع » وفى رواية لأبى يعلى الخليلى « فهو أقطع ، أبتر ، ممحوق من كل بركة » .

ووقع عند أبى داود « فهو أجذم » : وعند الطبرانى « أقطع أو أجزم » .

هذه حال متن هذا الحديث لذا قال الألبانى :

« ومما يدلك على ضعفه – زيادة على ما تقدم – اضطرابه فى متن الحديث ، فهو تارة يقول : أقطع ، وتارة : أبتر ، وتارة : أجزم ، وتارة : يذكر الحمد وأخرى يقول : بذكر الله .

ولقد أضاع السبكى جهدا كبيرا فى محاولته التوفيق بين هذه الروايات . وإزالة الاضطراب عنها . فإن الرجل ضعيف – يعنى به قرة – كما رأيت ، فلا يستحق حديثه مثل هذا الجهد . ارواء الغليل (٢١/١) .

قلت : وأحسن رواياته مع ضعف الحديث رواية : «كل أمر ذى بال لايبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع » . لأنها رواية معظم الذين رووه عن الأوزاعى عن قرة . وأما رواية « بذكر الله » فهى لبعضهم ولكنها ليست واهية الاسناد كما يوهم كلام الحافظ فى الفتح (٢٢٠/٨) .

وأما رواية « بسم الله الرحمن الرحيم» فهى واهية الاسناد . وكذا اسناد زيادة « والصلاة على» واه أيضا . وقد تقدم كل ذلك بالتفصيل .

وبهذا تمت هذه الرسالة والحمد لله على ذلك . وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت . أستغفرك وأتوب إليه .

توصيات ، قرارات ووقائع
مؤتمر علماء أهل الحديث بالهند

حول القضايا المعاصرة الذى نظمته

جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند

المنعقد فى قاعة أيوان غالب — نيو دلهى

٢٣ - ٢٤/ ١٢/ ١٤١٤هـ = ٤ - ٥/ ٦/ ١٩٩٤ م

++++++++++++++++++++++++++++++

لقد شاهدت العاصمة الهندية بنيو دلهى مؤخرا مؤتمرا اسلاميا كبيرا باسم «مؤتمر علماء أهل الحديث بالهند حول القضايا المعاصرة» بدعوة من جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند ، وذلك فى يومى السبت والأحد ٢٣-٢٤/١٢/١٤١٤هـ الموافق ٤ - ٥ من شهر يونيو ١٩٩٤م حضره أكثر من ٤٠٠ عالم مسلم سلفى من أنحاء الهند يمثلون فروع جمعيات أهل الحديث فى المناطق والمنظمات الاسلامية كما يمثلون وفودا من المدارس السلفية بالهند ، كما شارك فى حفل افتتاح المؤتمر عدد من سفراء الدول الاسلامية ، وعدد من أعضاء البرلمان و رجال الصحافة والاعلام والشخصيات الاسلامية البارزة . وقد رأس المؤتمر فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوى أمير جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند .

وتقدم فضيلة الشيخ عبد الوهاب عبد الواحد الخلجى أمين عام الجمعية بكلمة ترحيبية رحب فيها بالضيوف والعلماء والحضور مصرحا بضرورة عقد هذا المؤتمر وأهميته والجهود المبذولة من قبل علماء أهل الحديث بالهند فى الميادين المختلفة ومساعيهم المتنوعة فى الدعوة والارشاد والتصنيف والتأليف والترجمة والتدريس ورد البدع والخرافات وإحياء حركة الكتاب والسنة ، كما ذكر فضيلته عن الروح الجهادى الذى هو أهم عناصر الدعوة السلفية وقيام العلماء بالجهاد العملى ضد قوى الظلم والطغيان .

وأشار أمين عام جمعية أهل الحديث إلى القضايا المهمة التى تعانى منها مسلمو الهند ، ومن أهمها :

الحفاظ على قانون الشريعة الاسلامية الخاصة بالأحوال الشخصية المسلمة ، والحفاظ على الوجود الاسلامى ، وضرورة القضاء على الاضطرابات الطائفية ، وصيانة الأوقاف والمساجد والحفاظ عليها من تلاعب المتطرفين ، وتوحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم ، وقضية الحفاظ على كتابة التاريخ الاسلامى الصحيح من تحريف القوى المحاربة والأيدى العابثة بتاريخ المسلمين .

كما اقترح أمين عام الجمعية فى كلمته الترحيبية أمام المؤتمر عددا من الاقتراحات للدراسة والنظر فيها ، ومنها :

تقوية النظام الاجتماعى وتنسيق جهود العلماء ، وحل المشكلات التى تواجه الشباب المسلم فى الهند ، وتطهير المجتمع من أدران الشرك والبدع والتقاليد والرسوم القبيحة كما طالب فضيلته بانشاء مجلس لكبار العلماء لدراسة القضايا الفقهية المعاصرة والمستجدة بين حين وآخر ، والعمل على توحيد المنهج الدراسى فى مدارس أهل الحديث وإصلاح أحوالها .

ونادى الشيخ الخلجي العلماء والمفكرين وأهل البصيرة أن يتقدموا بعلمهم وعقيدتهم لهـداية الأمة وتوجيهها إلى الطريقة الأمثل وتحصينها من مخططات الأعداء في الداخل والخارج.

ثم أعقبه كلمة وزير الدولة للشئون الداخلية في الحكومة الهندية السيد / بى، ايم سعيد التى قال فيها: إنى فخور بحضور هذا الاجتماع التاريخي لأستفيد من علم العلماء و توجيهاتهم القيمة وبصيرتهم ، أنهم يبذلون كل الغالى والنفيس فى توجيه الأمة وتبصيرها لقضاياهـا الأساسيـة وانه كما يجعلنى أشعر بالفخر انى من خدام ورثة الأنبياء عليهم السلام.

واستمر الأستاذ بى ، ايم سعيد قائلا : إن الاسلام يحث على العلم والتعليم و يؤسس المجتمع على أساس التعليم ومحاربة الأميـة و الجهالة التى تعتبر من أكبر العيوب وفق تعاليم الدين الاسلامى ، ومن مسئولية علماء العصر الحاضر أن يحثوا الأمة على التمسك بمبادئها والتزام تعاليمهـا واتباع السلوك الأمثل حتى تكون الأمة قدوة لغيرها .

وقد نوه الأستاذ بى، ايم سعيد فى كلمته أمام مؤتمر علماء أهل الحديث بالهند بالجهود العظيمة التأريخية التى بذلها علماء أهل الحديث فى تحرير القارة الهندية من الاستعمار الانجليزى ومقاومة الظلم والطغيان أيام الاستعمار السوداء .

ثم ألقى الأستاذ /سيد حامد نائب الرئيس الأسبق لجامعة على كره الاسلامية كلمة طيبة قال فيها : علينا أن نتقدم بالعمل الحقيق وأن يرتبط العمل بالقول ، لأن القضايا لا تحل بالكلام أو التوصيات والقرارات ، إنما تحل القضايا بالتخطيط الجاد والعمل بها . وقال: إن تعـاليم القرآن الكريم تحثنا على ايجاد القوافل للعلم والعلماء ومحاربة الأمية والجهالة ، ولكنه يؤسفنا كثيرا، نحن أمة القرآن،

أننا تخلفنا فى العلم والتعليم والدراسة ، وعدم امتثال التعاليم القرآنيــة ، وكان هذا من أهم أسباب التخلف مع أن الغربيين ارتفعوا بهذا العــلم وتقدموا به فى شئون حياتهم العملية واستناروا الطريق بما أوحى به لنـا الوحى الإلهى فى هذا الصدد .

ومضى قائلا : على المسلمين الاهتمام بالعلوم العصرية أيضا مثل علم التربية ، والعلوم التطبيقية والاقتصاد والادارة والهندسة والطب وغيرها من العلوم حتى يتمكنوا من القيام بواجبهم . وقد ناشد الجميع احترام حرية الفكر والدراسة والتحقيق وصولا بالصحوة الاسلامية إلى الغاية .

ثم ألقى سعادة الأستاذ / باسم اللوغانى مدير المركز الاعلامى بسفارة الكويت نيابة عن سعادة السفير الكبير لدولة الكويت لدى الهنـد الدكتور / ضرار عبد الرزاق رزوق وكان مما جاء فيه :

فى الحقيقة أنا سعيد جدا بمشاركة هذا المؤتمر الفاضل نيابة عن سعادة السفير لدولة الكويت ، وتعبر هذه المشاركة لعدة أمور منها قول النبى ﷺ : من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منا . وهذا الذى دفعنى ودفع سعادة السفير أن نشاركه لأن اهتمامنـا بالمسلمين فى الهنـد وخارجه ينبع من حبنا لهم واهتمامنـا بالدين الحنيف و رغبتنا المخلصة للشاركة فى احزانهم وأفراحهم .

والموقف الـذى اتخذته جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند تجاه قضية أساسية تخص بنا أهل الكويت خلال الأيام السوداء لم يكن نابعـا من انحياز أو رغبــة فى مصالح معينة حينما وقع الضرر الذى لحق بنـا من قبـــل اخواننا وجيراننا وبنى جلدتنا . ان الموقف الذى اتخذته الجمعية فى هذا الصدد كان موقفا مشرفا وموقفـا مخلصا وموقفا صادقا ، ونحن فى الكويت نقدر هذا الموقف .

ومضى الضيف الكبير العزيز قائلا : من واجبنا أن نرى موضوع التحديات التى يتعرض لها المسلمون فى هذا البلد أو الوضع الذى يعيشون فيه المسلمون هنا .

إن من أهم واجب المسلمين هو الاهتمام الشديد بتطوير المجتمع المسلم وتكوين الشخصية المسلم الصادقة المخلصة المثالية . لأن الشخصية الصادقة المخلصة تعى ما يدور حوله وتفكر فى معالجته وكم نحن فى حاجة ماسة إلى الشخصية الاسلامية الواعية .

وقال الأستاذ باسم اللوغانى : إن الاسلام يدعو إلى الوحدة والاجتماع وتوحيد الصفوف ويجب على المسلمين أن يلتزموا بالتعاليم الاسلامية الصحيحة وأن ينظروا إلى المصالح العامة الاجتماعية ونهضة الأمة وأن يتعظوا . ولاشك ان انعقاد هذا المؤتمر أتى لهذه النهضة والاستيقاظ و وحدة الصف الاسلامى ، وأتمنى لكم التوفيق والنجاح لمؤتمركم هذا .

أما الدكتور / مقتدى حسن الأزهرى عضو جمعية أهل الحديث و وكيل الجامعة السلفية فى بنارس فقد تحدث نيابة عن وفود المدارس الاسلامية فى الهند وشكر فى كلمته عقد هذا المؤتمر واتاحة الفرصة لطرح عدد من القضايا المهمة المتعلقة بالمدارس ومناقشتها ومنها :

أ ــ أهمية المدارس الدينية والحاجة إليها فى المجتمع الهندى .

ب ــ توحيد صفوف القائمين على هذه المدارس والترابط فيما بينهم .

ج ــ توحيد مناهج الدراسة فى المدارس والمعاهد و الجامعات السلفية التابعة لجماعة أهل الحديث .

د — دراسة المواد العصرية والتدريب المهنى فى المدارس الاسلامية .

ه — مراقبة ومتابعة انشاء المدارس ومشكلاتها المالية والتأكد من جديتها وامكاناتها .

و — ضرورة انشاء المدارس الدينية للبنات من أجل تثقيفهن وتربيتهن اسلاميا .

ز — طباعة الكتاب الاسلامى و توزيعه وكذلك توفير الكتب المنهجية والدراسية .

وقد صرح فضيلته بأن من المشاكل التى تواجهها المدارس الاسلامية هى تسلط بعض الجهلاء و الأغنياء ومنحهم المناصب التى تمكنهم من تحقير العلماء والمدرسين والدعاة و وضعهم فى المكانة التى لا تناسب العلماء . وقد طالب ببذل الجهد المستمر لتحسين أوضاع هذه المدارس .

هذا وقد تحدث فضيلة الشيخ شاهد جنيد محمد فاروق السلفى عضو جمعية أهل الحديث والأمين العام للجامعة السلفية ببنارس فذكر أن العلماء والدعاة والمدارس والمعاهد وعامة الناس هم عناصر المجتمع ، ولو ارتبطت هذه العناصر الثلاثة بعضها ببعض واتحدت فى العمل الجماعى لتركت آثارا بعيدة المدى وأثمرت الجهود وأنتجت ما لايتصوره الانسان .

ولهذا فان علينا أن ندرس هذا الموضوع بجدية ومحاولة الوصول إلى كيفية استعمال هذه القوى لمصالح الدعوة والأنشطة الخيرية والعمل الجماعى مع التركيز على العمل الذى يربط المسلمين بعضهم ببعض .

كما أشار أمين عام الجامعة السلفية إلى ضرورة تحقيق و دراسة التراث الاسلامى لأهميته ، وقد سبقت البلاد العربية وعملت على ملاءمة التراث بالروح

العصرى الحاضر ، ونحن فى حاجة ماسة إلى احياء تراث علماء أهل الحديث بالهند الذين تركوا لنا أعمالا جليلة ما زالت فى الخفاء . ومن واجبنا أن نعرف بها لعالمنا المعاصر .

وأما فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوى أمير جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند و رئيس المؤتمر فقد أشار فى كلمته إلى أن مسئولية العلماء كبيرة ، فعلينا أن نخطط لمستقبل هذه الأمة وأن نبذل جهودنا فى اصلاح المجتمع وتطهير العقائد وتعليم الدين و إزالة الشكوك والشبهات التى ألصقها أعداء المسلمين بدينهم وقادتهم ، وأن نضاعف جهودنا فى احياء حركة الاصلاح والتجديد على أسس ثابتة من الكتاب والسنة الشريفة .

وقال رئيس المؤتمر : إن الهند هى وطننا . ومن واجبنا أن نعمرها ونزينها بالعلم والمعرفة وأن نؤدى دورنا نحو بنائها الجديد ونساعد فى توفير الأمن فى المجتمع الهندى ، و الذى يساعدنا على ذلك هو التمسك بالكتاب والسنة وسلوك المنهج السلفى القويم .

وقال فضيلة الندوى : إن الدعوة السلفية هى الدعوة الكاملة والمنهج السليم فى السلوك والحياة البشرية وهى تمتد من لدن رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة . أما غيرها فلا يستقيم على المنهج الصحيح .

وقال : إن تأريخ علماء أهل الحديث بالهند ملىء بالوقفات الشجاعة والجهد والجهاد فى اعلاء كلمة الحق وأن تكون كلمة الله هى العلياء .

و دعا أمير الجمعية العلماء إلى أن يدرسوا أحوال هذه الأمة وظروف المسلمين فى البلاد دراسة واعية عميقة ، وأن يخططوا لتقدم الأمة والبلاد حتى تعود من جديد قوة المسلمين ويرتفع شأنهم .

وقد انعقد بعد حفل الافتتاح عدد من الجلسات للعمل والمناقشة ودراسة الاقتراحات المتقدمة . وألقى عدد من العلماء بحوثهم العلمية فى جلسات مختلفة . ومن أبرز هذه البحوث والمقالات ما يلى :

ـ حركة أهل الحديث فى الهند والقضايا الجديدة للدكتور مقتدى حسن الأزهرى .

ـ قضايا جماعة أهل الحديث بالهند التعليمية وحلولها للأستاذ محمد فاروق الاعظمى .

ـ مشكلاتنا الدعوية والتعليمية للأستاذ محمد رفيق من على كره .

ـ دور الصحافة السلفيـــة و جرائد أهل الحديث فى الهنـــد ، للشيخ محمد مستقيم السلفى .

ـ حركة احياء الكتـــاب والسنة ومسئوليـــات العلماء نحوها ، للشيخ عبد العليم ماهر .

ـ دعوة الدين الحنيف فى العصر الحـــاضر وطرقها ، للشيخ عبد الله عبد التواب المدنى .

ـ أهمية الدعوة السلفية وضرورتها فى العصر الحاضر ، للشيخ أبو العاص الوحيدى .

ـ شبهات منكرى السنة وإزالتها و ردها العلمى ، للشيخ محمد أشفاق السلفى .

وقد تحدث عدد من العلماء عن ضرورة الاستفادة من خبرات وتجارب المؤسسات الاسلامية فى البلاد الاسلاميـة خاصة فى المملكة العربيـــة السعودية ودولة الكويت والدول الاسلامية الأخرى .

وقد أثنى المشاركون على الخدمات الجليلة والجهود التى تبذلها حكومة

خادم الحرمين الشريفين و مؤسساتها فى نشر العقيدة والدعوة والارشاد وتعليم أبناء المسلمين فى جامعات المملكة.

كما أثنى المؤتمرون على الجهود والنشاطات التى تمارسها الهيئات الاسلامية والجمعيات الخيرية والمؤسسات المهمة العامة و وزارة الشئون الدينية والأوقاف فى الكويت وفى كل من دولة قطر والامارات العربية المتحدة واهتماماتها بالقضايا الاسلامية واحتياجات الأقليات المسلمة وتقديم المساعدات لهم خاصة فى مجال الدعوة والتوجيه.

وفى النهاية أصدر المؤتمر عددا من القرارات والتوصيات حول القضايا المهمة، مع التنديد بالقوى المتطرفة فى الهند، وطالبوا اعادة بناء المسجد البابرى، وحل قضية كشمير بالطرق العادلة المرضية للجميع. ونشير إلى التوصيات الواردة فيها بالايجاز.

لقد أوصى المؤتمر بتبنى خطة عمل للدعوة وتطهير العقائد والأعمال كلها من البدع والخرافات.

كما أوصى المؤتمر بالاهتمام بمحو الأمية والتثقيف الاسلامى العام والعناية بانشاء حلقات الدروس فى الليل لتعليم اللغة العربية والدراسات الاسلامية لمن يرغب من الطلاب فى الجامعات العصرية أو أصحاب المهن المختلفة.

كما أوصى المؤتمر بانشاء هيئة كبار علماء أهل الحديث بالهند للنظر فى القضايا الفقهية الجديدة و دراسة التحقيقات العصرية فى ضوء الكتاب والسنة.

كما أوصى المؤتمر أن تمنح جائزة سنوية تسمى (جائزة جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند) للعلماء البارزين المجتهدين والمفكرين الكبار اعترافا وتقديرا لجهود العلماء ولتشجيع الاستمرار فى أعمالهم العلمية وخدماتهم الدينية،

وهى عبارة عن (١٠,٠٠٠) روبية هندية وشهادة تقدير وميدالية .

كما وجه المؤتمر النداء المخلص إلى القادة الأفغان لوقف اطلاق النار وحقن دماء الأبرياء من أبناء الشعب الأفغانى المسلم وانهاء الخلافات التى تفاقمت مع الأسف الشديد رغم كل الجهود التى بذلها المخلصون الخيرون .

كما نوه المؤتمر بالجهود التى بذلها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبـد العزيز آل سعود لمعالجة الوضع الراهن فى أفغانستان ومحاولة واصلاح ذات البين وعقد اتفاقية السلام فى البقاع الطاهرة ، وكان ذلك حصيلة اللقاءات التى عقدها معالى الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركى وزير الشئون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين .

ومن مطالبات المؤتمر

المطالبة لاطلاق سراح المسلمين الأبرياء الذين سجنوا دون أى اتهام فى سجون الهند ، والمطالبة باعادة بناء المسجد البابرى فى مكانه الذى كان فيـه ، وكذلك معالجـة قضية كشمير بروح عادلة و وقف الاضطهاد وحقن دماء الأبرياء وايقاف مسلسل الاضطهاد والقتل والتشريد وانتهاك الحرمات وسجن المسلمين ظلماً وعدواناً من قبل السلطات .

وأخيرا فقد اتخـذ المؤتمر قرارا حول الحادث الفجائى فى منى فى اليوم الثالث من أيام عيـد الأضحى لعـام ١٤١٤هـ أدان فيه المحاولات المشبوهة لاستغلال الحادث ، وأيد موقف المملكة العربية السعودية ؟

نبـــذة عن مركز جمعـــة الماجـــد للثقافة والتراث، بدبى

++++++++++++++++++++++

حينما نتتبع تاريخ المسلمين الثقافى نطلع على أفراد عظـــام حقق كل منهم فى مجال العناية بالعلم و نشره ما تعجز عنـــه الجماعات و المنظمات، و ضرب مثالا رائعا للانفاق على العلم و العلماء، و أتاح للمشتغلين بالعلم فرصا ثمينة لإرواء الغلة العلمية بمواصلة البحث والتحقيق، و على أمثالهم يصدق أنهم خلقوا للعلم و عاشوا له.

وأحد هؤلاء الأفذاذ المهتمين بالعلم و العلماء فى الإمارات العربيـة المتحدة: السيد جمعـــة الماجد، حفظـــه الله، الذى أنشأ مركزا للثقافة والتراث فى دبى لجمع المطبوعات و المخطوطات، و مساعـــدة العلمـــاء و البـــاحثين، وتوفير المراجع المهمـــة للراغبين، و تنشيـــط البحث والتحقيق العلمى. ولا شك أن هـــذا الجهد الطيب النافع يسهل للباحثين أعمالهم العلمية ويدفع الحركة العلميـــة إلى الأمام، ويقوى النهضة الثقافية عند المسلمين.

و من مكارم السيد جمعة الماجد أنه أسس كلية اسلامية لتدريس علوم الشريعـــة الاسلاميـــة و اللغـــة العربيـــة، حتى ينتشر التعليم فى النـــاس

فيعرفون ربهم و يوحدونه بالعبادة ، و يساهمون فى بناء مجتمع سعيد و حضارة نافعة .

وكذلك يتكرم بتقديم الدعم الكريم الى المؤسسات التعليمية الاسلامية فى العالم حتى تؤدى واجباتها نحو الدين و العلم .

و نحن إذ نقدر هذه الجهود الطيبة ، ونشيد بهذا الموقف الكريم ، نسأل الله تعالى أن يحقق أهداف الاسلام بهذه الجهود ، و يوفق العلماء و الباحثين للانتفاع بمركز جمعة الماجد و أقسامه المتنوعة ، و يكثر فى الأمة الاسلامية أمثال هذا الشخص المشغوف بالعلم و نشره ، إنه ولى التوفيق .

و فيما يلى نبذة عن المركز المذكور نقلا عن العدد الأول من مجلته « آفاق الثقافة والتراث » .

أنشىء المركز بكتاب وزارة الإعلام و الثقافة رقم ١ع ش ٤٢٨ وتاريخ ١٩٩١/٤/٢ م ، لكن مرحلة التحضير له بدأت منذ مطلع عام ١٩٨٨ م .

نبعت فكرة المركز من محبة مؤسسه السيد جمعة الماجد للكتب واهتمامه بالثقافة ونشر المعرفة ، و قد كان من خلال أسفاره الكثيرة يقوم بانتقاء المفيد من المطبوعات والمخطوطات فتجمع لديه خزانة كتب متنوعة ما لبث أن ضم إليها مجموعة كبيرة من كتب قيمة اشتراها من ورثة أحد العلماء.

وحين ضاق بيته عن الكتب التى احتاجت إلى تصنيف و ترتيب نقلها إلى جناح بجانب مكاتبه الرئيسية و عين عليها موظفا يقوم بأمرها ، ولما امتلأ الجناح نقل موجوداته إلى قسم أوسع من أقسام المكاتب واستخدم له موظفين وأطلق عليه اسم «مكتبة جمعة الماجد لإحياء التراث».

ولم تمض مدة حتى تكدست الأسفار و المخطوطات تشكو ضيق المكان فأشاد من أجلها بناء واسعا تبلغ مساحته ٥٠٠٠ م ٢ أخذت فيه المكتبة سمتها وأقيمت على أسس مكتبية ثابتة، وأطلق عليها اسم «مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث» وضع له نظام أساسى انبثق عنه نظام داخلى.

والمركز هيئـــة ذات نفع عام، تتمتع بالشخصية الاعتبارية و تمارس جميع الأنشطة الثقافية التى يتضمنها نظامها الأساسى المنشىء لها.

يهدف المركز إلى نشر الفكر و الثقافـــة و التراث فى دولة الإمارات العربية المتحـــدة خاصة وفى الدول العربية و الإسلامية عامة، و كذا فى دول العالم المهتمة بالمجالات الثقافية و التراث العربى و الإسلامى، و لهذا فإنه يتعاون مع مختلف المؤسسات الثقافيـة الرسمية و الخاصـة داخل الإمارات و خارجها، و يتيح الفكر و الثقافة لمن يرغب.

و يقوم المركز بالبحث المنهجى، و يشجع عليه، و يسهم فى نشر المؤلفات القيمة التى تخدم أغراضه، كما يهتم بجمع الأوعية الثقافية المختلفـــة و الدراسات المتميزة بما يخص العالم العربى و الإسلامى ويحفظها بالطرق المكتبية الحديثة.

هذا وقد وضع المركز لنفسه أهدافاً مستقبلية يسعى إلى تحقيقها.

◎ ◎ ◎

ينقسم المركز إلى ثلاث إدارات رئيسية كما يلى:

(١) إدارة المكتبة والمعلومات:

(و تضم الأقسام التالية)

أ – قسم التزويد:

شعبة المراسلات، شعبة السجلات، شعبة التبادل، شعبة الايداع القانونى.

ب – قسم الفهرسة و التصنيف :

شعبة التصنيف ، شعبة الفهرسة ، شعبة الفهارس .

ج – قسم الإعارة :

شعبة المستودعات ، شعبة قاعات المطالعة ، شعبة الاشتراكات .

د – قسم المخطوطات و الكتب النادرة :

شعبة المستودعات ، شعبة الفهرسة و التصنيف .

ه – قسم الوثائق التاريخية :

شعبة المستودعات . شعبة الفهرسة .

و – قسم خدمة المعلومات :

شعبة الحاسوب ، شعبة إعداد المعلومات ، شعبة نظم المعلومات الدولية .

ز – قسم المطبعة و التجليد و التصوير و الترميم :

شعبة المطبعة ، شعبة التصوير ، شعبة التجليد ، شعبة الترميم .

ح – قسم الأطفال :

شعبة المكتبة و مواد القراءة ، شعبة النشاطات الثقافية .

ط – قسم التراث الوطني :

ى – قسم التراث الموسيقي العربي .

ك – قسم خدمة المعاقين جسدياً و المكفوفين :

شعبة المكفوفين ، شعبة المعاقين جسديا .

ل – قسم الفنون التشكيلية و المواد الخاصة .

● ● ●

(٢) إدارة البحث العلمي و النشاط الثقافي؛

(و تضم الأقسام التالية)

أ — قسم الدراسات و الترجمة:

شعبة العالم العربي، شعبة العالم الإسلامي، شعبة الدراسات و الترجمة في الموضوعات العامة.

ب — قسم التوثيق:

شعبة الببليوغرافيا، شعبة الكشافات التحليلية.

ج — قسم تحقيق المخطوطات.

د — قسم المجلة.

ه — قسم النشاط الثقافي:

شعبة المحاضرات و الندوات والتدريب، شعبة المعارض، شعبة الإعلام.

● ● ●

(٣) إدارة الشؤون الإدارية و المالية؛

(و تضم الأقسام التالية)

أ — قسم الشؤون الإدارية:

شعبة الذاتية، الشعبة القانونية، شعبة الديوان، شعبة الخدمات، شعبة العلاقات العامة، شعبة التخطيط والإحصاء.

ب — قسم الشؤون المالية:

شعبة الرواتب و الأجور، شعبة محاسبة التكاليف، شعبة اللوازم.

ج — قسم صيانة المبنى:

شعبة الكهرباء، شعبة الالكترونيات، شعبة التكييف، شعبة الإكساء

و الأثاث ، شعبة التمديدات الصحية .

معلومات عامة عن المركز :

- يضم المركز مجموعة كتب واسعة متنوعة حصل عليها من الأسواق المحلية والعربية و الأوربية ومن معارض الكتب المختلفة ، كما استطاع شراء عدد من المكتبات الخاصة لعلماء و أدباء مشهورين ، وفي هذه الأخيرة كثير من الكتب النادرة والدوريات القديمة المنقطعة. وقد خصص المركز لكل مكتبة منها ركنا يحمل اسم صاحبها .

لمحة عن مشاريع المركز العلمية و قواعد المعلومات .

- أصدر المركز عدداً من المطبوعات التراثية تخدم أهدافه .
- يقع المركز حالياً فى منطقة الصفية المتفرعة عن شارع صلاح الدين ، وقد تفضل صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم حاكم دبي بتخصيص قطعة أرض مساحتها ٥٥٫٠٠٠ متر مربع فى منطقة القرهود لإنشاء مبنى المركز الجديد الذى يتوقع أن ينتهى إنجازه بعون الله تعالى عام ١٩٩٧ م .
- لم يستكمل المركز بعد تهيئة جميع أقسامه ، و لكنه ماض فى استكمالها بمشيئة الله يوماً بعد آخر .
- يتابع المركز العناية بموظفيه و توجيههم و تدريبهم التدريب اللازم ، بعد اختيار الأكفياء منهم ، و لهذا فقد أقام دورتين فى الفهرسة و التصنيف و دورة أخرى فى الحاسوب و دورة تثقيفية للوظفين فى اللغة الانكليزية . وهو ينوى ترتيب سلسلة من الدورات المتصلة بالأعمال المكتبية و حقول الثقافة و التراث .

مجلة «آفاق الثقافة والتراث»

مساهمة المسلمين فى تحصيل العلم و نشره ، و فى تكريم العلماء و تشجيعهم معروفــة لا تحتاج الى بيان وتنويه ، لأن الكتب التاريخية و الثقافة متفقة على ذلك ، و رجال الفكر و الأدب قديما و حديثا قد أبرزوا هذا الجانب ، و أثنوا على المسلمين كثيرا لعنايتهم بالعلم و العلماء .

و قد عقد القاضى محمــد سليمان المنصورفورى المتوفى ١٩٣٠م فى المجلد الثالث من كتابه « رحمة للعالمين » فصلا يوضح موقف الاسلام و المسلمين من العلم و العلماء ، يقول فيه :

« فلا شك أن الاسلام علم العلوم عامــة ، وهو الذى بلغ بصدر رحب علوم السابقين الاولين من الأنصار و المهاجرين من دخل فى الاسلام من الناس و البلاد » .

و بعد أن أورد أمثلة عديدة للنابغين فى العلم من المسلمين الذين ينتمون الى أمم مختلفة قال :

« ويتضح بهذه النظائر أن الاسلام بتعهده للعلم وعنايتــه به قد فتح من البداية أبواب العلم على جميع الأمم ، فافتتحت الدروس العلمية من داخل الهند الى منتهى السودان ، و من بلاد خراسان الى حدود المغرب فى خير القرون » .

« وقد نشرت بغداد العلوم و الفنون الى الهند و الصين و التتار ، و كذلك نشرتها الأندلس الى ايطاليا وفرنسا و ألمانيا ، و أغنت هذه البلاد بالعلم » .

« وكان الفلاسفــة من اليهود و النصارى و المنادك و المصريين و أهل الصين و اليونان فى بلاط ملوك الاسلام محترمين ومكرمين ، مثل أهل الحجاز

وحضرموت واليمن وأبناء المهاجرين والأنصار».

«كانت المدارس في بلاد الشرق والغرب وافريقية لعامة الشعب، وكانت مع كل مدرسة مكتبة ودور السكن. وكانت في بغداد المدرسة النظامية التي أنشأها الوزير نظام الملك، وكانت توفر الأكل لنحو ٦٠٠٠ طالب، وتقاس عليها المدارس الأخرى». (رحمة للعالمين ٤٣١/٣).

تحققت هذه النهضة العلمية أيام ازدهار الحكم الاسلامي وقوة المسلمين وسيطرتهم على غيرهم، ثم جاء عصر الانحطاط والركود، فضعف النشاط العلمي أو توقف، ولكن المسلمين في العصر الحديث قد عادوا الى سيرتهم الأولى، وبذلوا جهودا جبارة في مواكبة ركب العلم، وتداركوا ما فاتهم من المعرفة في القرون الماضية، ورصدوا أموالا طائلة لنشر العلم وتعميم الثقافة، فأنشئت المعاهد والجامعات في الدول الاسلامية، وخاصة الدول العربية، ونشطت حركة التأليف والترجمة، وصدرت الجرائد والمجلات، وتم البحث والتنقيب عن المخطوطات العربية والاسلامية في مكتبات الشرق والغرب، وخصصت الوظائف والمنح الدراسية لخدمة هذا التراث العلمي العظيم. وهذه الجهود المتواصلة لتنشيط الحركة العلمية المعاصرة قد أعطت ثمارها، وحققت أهدافها، حتى نرى عند المسلمين العرب نهضة علمية مماثلة للنهضة التي أسسوها في فجر الاسلام. والنصيب الأوفر في هذه النهضة انما هو لمصر والمملكة العربية السعودية ودول الخليج وخاصة الكويت والامارات العربية المتحدة.

وكمظهر لهذه النهضة العلمية المعاصرة نذكر «مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث» الذي أنشىء في عام ١٩٩١م، ويهدف الى نشر الفكر والثقافة والتراث في الدول العربية والاسلامية وغيرها من الدول المهتمة بالمجالات

الثقافية والتراث العربي والاسلامي . وهذا المركز قد تبنى مشاريع علمية كبيرة تشمل معظم المجالات العلمية و الثقافية ، و أبدى اهتماما بالغا بالمخطوطات و كتب التراث ، و أصدر مجلة علمية قيمة تحمل اسم «آفاق الثقافة و التراث» و هذه المجلة هي التي دفعتني الى هذا التمهيد الطويل ، فإني كنت أسمع منذ سنوات عن المركز وكنوز التراث التي اجتمعت فيه ، و لكني ما سعدت بزيارة المركز ولا بالاطلاع على إنتاج من انتاجاته حتى وصلني العدد الأول من المجلة المذكورة ، أنبتها الله نباتا حسنا .

عدد صفحات المجلة سوى الغلاف ١٣٠ ، و على الوجه الأول للغلاف صورة لنسخة نادرة من جريدة أم القرى ، و على الوجه الآخر صورة للعين من مخطوطة المقالات العشر لحنين بن اسحاق . واختيار هاتين الصورتين للغلاف يعكس مدى عناية المجلة بكل ما ينتمي الى تراث الأمة الاسلامية . وفي الظهر الأول للغلاف إعلان الى أصحاب الرسائل الجامعية العليا لتقديم كل منهم نسخة من رسالة بحثه الى المركز للاحتفاظ بها حتى يطلع عليها الباحثون و يستفيدون . وفي الظهر الأخير إعلان الى المهتمين بالنشر و التحقيق لإعلام المركز عن الأعمال التي يشتغلون بها في مجال تحقيق التراث العربي الاسلامي ، و ذلك لتنسيق الجهود و تفادي التكرار . و أهمية الاعلان الأول أن الرسائل الجامعية قد تبقى بعيدة عن الأنظار مع مسيس الحاجة اليها . والوضع قد يكون أهون بالنسبة الى الجامعات العربية ، فان الرسائل المقدمة اليها تطبع ولو بعد مدة ، ولكن جامعات الهند الكبيرة مثل جامعة عليكره الاسلامية و الجامعة الملية الاسلامية بدهلي ، و جامعة دهلي ، وجامعة الله آباد ، وجامعة بنارس ، لاتهتم — أو

لا تستطيع — بطبع الرسائل المقدمة الى أقسامها التى تعنى باللغة العربية وآدابها وبالعلوم الشرعية . و هكذا يحرم الباحثون فوائد هذه البحوث الجامعية ، ويحصل تكرار العمل الذى يشهد اليـــه الاعلان الثانى . و قـــد رأيت اقتراحا لإعداد كشف خاص بالرسائل المقدمة الى أقسام اللغة العربية و الدراسات الاسلامية فى جامعات الهند الكبيرة ، ولكن لم أعرف بعد أن العمل بدأ فى تنفيذ هذا الاقتراح .

و كلمة هذا العدد الأول تلخص أهداف المجلة و منهجها فى سبيل العناية بالثقافة والتراث ، فتذكر طموح الشباب المثقف الهادف وتحمله مسئولية التعريف بتراث الإسلامية الأمة و تقديمه الى الجيل المعاصر فى صورة تناسبه .

وترد على من أساء فهم معنى التراث لعدم الاكتراث بــه أولإخضاعه للأغراض التافهة ، فتوضح أن الاستعمال المعروف لكلمة التراث هو ما ورثناه عن أجدادنا من علم وأدب و فكر وفن مفيد و غير ذلك من أنواع المعارف المدونة التى أفنى بها العلماء حياتهم ، وكدوا من أجلها أذهانهم ، وضربوا اليها آباط الابل . و التراث بهذا المعنى الصحيح لم نعرف قيمته إلا بعد أن اشتغل به علماء الغرب و حققوه و نشروه . وثمن هذا التقصير أديناه غاليا حيث تلعب بتراثنا أصحاب الأغراض التافهة و النوايا السيئة ، فحرفوه وغيروه و استنبطوا منه ما لا يتحمل ، ثم انهم ما زالوا يمنون علينا لأجل خدمة هذا التراث وإخراجه الى النور ، والذين لا يتعمقون أهداف هذه الخدمـــة ينبهرون بها و يصفونها بالإخلاص و النزاهة .

وحسبما صرحت كلمة العدد فإن المجلة متخصصة فى المكتبات و التراث العربى و الاسلامى وما ينتج عنهما من ثقافة واسعـــة ، « فقد خصص فيها باب

للأخبار الثقافية المستجدة ، يتضمن أخبار المركز والإعلان عن أعمال الباحثين و المؤلفين و المحققين و طلاب الدراسات العليا ، و أخبار ما يجرى من نشاطات ثقافية فى دولة الامارات العربية المتحدة ، بالإضافة الى ذكر عناوين مما يصدر حديثا من كتب و دوريات مع التعريف ببعضها تعريفا منهجيا » .

« وتكون فى كل عدد قائمة وراقيـــة عن أحد الأعلام من المؤلفين المشهورين تتضمن أعماله المخطوطة و المطبوعة وما كتب عنه ، مساهمة من المركز فى خدمة التراث و عونا منه للباحثين . »

« و المجلة تتناول أحيانا إحدى المخطوطات القيمـــة ، فتعرف بها تعريفا علميا خطوة أولى منها لدفع عملية التحقيق المنهجى و تشجيعا للمحققين » .

« و كذلك تعرف ببعض الكتب النادرة و مهمات الدوريات المنقطعـــة للفت أنظار المثقفين إليها والإفادة منها و وصل الحاضر العلمى بالماضى الثقافى . »

« وتكون فى المجلة زاوية مخصصة للتعريف بالمؤسسات الثقافيـــة العالمية الهامة ذات النشاطات المتميزة والخدمات المكتبية البارزة » .

هذه هى الأبواب والموضوعات التى تقدمها مجلة «آفاق الثقافة والتراث». أما محتويات العدد الأول منها فقد تضمنت ١٥ عنوانا ، و هى كلها مهمـــة و نافعة تجذب انتباه القراء و اهتمامهم ، و نذكر منها على سبيل المثال : التعريف بمركز جمعة الماجد الذى يصدر المجلة ، اهتمام العلماء المسلمين بالتربية النفسية، الدراهم الفضية ، أثر العرب فى تقنية الحاسب الآلى ، أحمد بن ماجد كنز عظيم، كتاب بداية الطباعـــة العربيـــة فى استانبول و بلاد الشام ، آثار الشيخ طاهر الجزائرى ، الملا على قارى ، كتاب المشيخة للفخر ابن البخارى.

وهذا العنوان الأخير من إعداد أحد خريجى الجامعة السلفية الذى يخدم الدين والعلم فى دولة الامارات العربية المتحدة . ولا شك أن مثل هذه المشاركة العلمية تسر القائمين على الجامعة السلفية و تثلج صدورهم .

و بهذه السطور اذ نرحب بمجلة آفاق الثقافة و التراث ، فإننا نبدى ثقتنا بأنها تفتح بابا جديدا أوسع لخدمة الثقافة والتراث ، وتلعب دورا بارزا فى مجال العلم و الأدب ، وفى إخراج ما بقى من كنوز المسلمين و العرب الى النور ، وكذلك نرجو من العلماء و الباحثين إتحاف المجلة بما ينفع المتخصصين فى التراث ويحث الجيل المعاصر على الاعتناء بالكنوز العلمية والأدبية التى تعتبر أمانة فى أعناق هذه الأمة ، والله الموفق ◎ ◎ ◎

◇ فوائد ◇

- للعبد ستر بينه وبين الله وستر بينه وبين الناس ، فمن هتك الستر الذى بينه وبين الله هتك الله الستر الذى بينه وبين الناس .
- إضاعة الوقت أشد من الموت ، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله و الدار الآخرة ، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها .
- الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوى غم ساعة ، فكيف بغم العمر ؟
- كيف يكون عاقلا من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة ؟ !

— العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملا يثقله ولا ينفعه .

(ابن القيم)

جمعية إحياء التراث الإسلامي لجنة التضامن الخيرية

بجورة المسجد الإبراهيمي ... وحقيقة الصراع على أرض فلسطين

دلل اليهود من جديد على غدرهم وخياناتهم حين قاموا بجريمتهم النكراء إزاء المسلمين المصلين فى المسجد الإبراهيمى أثناء تأدية صلاة فجر الجمعة من شهر رمضان حيث انهالت عليهم رصاصات الغدر وقنابل الحقد الدفين وهم سجود فى بيت الله .

وقد أدت هذه الجريمة إلى استشهاد العشرات من المصلين وجرح المئات .

ولعل فى ذلك دلالة صريحة تؤكد أن لا لقاء مع اليهود إلا فى ميدان الجهاد ، لا طاولة المفاوضات الإستسلامية التى لن تضيف سوى بعدا جديدا من الهزيمة والخسارة . وفى ظل هذه الأحداث الدامية يجدر بنا أن نعود إلى حقيقة قول الله تعالى فى محكم تنزيله ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ .

إن اخوتنا فى العقيـــدة هناك لا تكفيهم الشعـــارات ورايات الشجب والإستنكار وإنما الإسهام من خلال :

- الدعم المعنوى والمادى فى سبيل تثبيت المسلمين على دينهم وتضميد جراحاتهم .
- رفض شتى أشكال التعاون مع اليهود الغاصبين .
- الدعم الإعلامى وتبنى القضية الفلسطينية من منظور اسلامى .
- الدعاء لهم بأن يفرج الله كربهم ويفك أسرهم ويجعل لهم بعد العسر يسرا .

وما أن نذكر جراحاتنا النازفة حتى نفرح ببشرى الله لنا ، ووعيد الله لليهود الكافرين بالذل والخسران .

فالنصر ــ إن شاء الله ــ حليف المسلمين مصداقا لقوله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى يقول الشجر والحجر ، يا مسلم يا عبد الله : هذا يهودى خلفى تعال فاقتله . . . » .

عدد صفحات الجزء ٥٦

صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٦)   جمادى الأولى ١٤١٥ هـ
العدد العاشر   أكتوبر ١٩٩٤ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة
بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi – 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI – 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٥٠ روبية ، فى الخارج ٣٢ دولارا (بالبريد الجوى) ١٢ دولارات (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٤/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٠٩٥٨/٣٢٢١١٦   فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

- إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكرى، والتعصب المذهبى، وتبليغ رسالة الاسلام، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية.
- مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمبادىء الهدامة، وضلالى الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب على رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.
- مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.
- إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.
- نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.
- التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

صور من نشاط المدارس الإسلامية فى الهند
(٣)

التدريس فى الهند : بدأ المسلمون عمل التدريس ، كما سبق ، منذ عصر الرسول ﷺ ، ولكن تخصيص الأماكن والمبانى للتدريس تأخر مدة من الزمن ، فكان معظم التدريس يجرى فى المساجد ، وكان العلماء والطلاب يجتمعون فيها لتلقى الدروس وللمذاكرة والمناقشة ، وتاريخ العصر الأموى والعباسى يصور لنا هذا خير تصوير ، فإن العلماء كانوا يجتمعون فى المساجد ، ويقيمون حلقات للدروس ، والخطباء والقصاص أيضا كانوا يعقدون الحلقات فيها .

ومثل البلدان الاسلامية الأخرى كانت مساجد الهند أيضا تستخدم للتدريس قبل انشاء المبانى المستقلة ، وكان الطلاب يفدون إليها لتحصيل العلم من كل صوب . ونظرا إلى وظيفة المساجد هذه أكثر الحكام وأصحاب الخير من بناء المساجد الكبيرة الواسعة ، وأحاطوها بالحجرات ، وهذه الحجرات كانت تستخدم كمساكن للمدرسين والطلاب[١].

وكذلك جرى التعليم فى الزوايا والبيوت السكنية أيضا ، يقول الشيخ عبد الحى الحسنى :

---

(١) مدارس الهند ص ١٠

« وأما الهند فلم يكن عندهم معرفة لانشاء المدارس على الطريقة المعروفة الآن، فإن ملوك الهند كانوا يوظفون رؤوساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية، ويجرون عليهم الأرزاق السنية، ليقصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه. وأولئك الرؤساء والعلماء كانوا يدرسون فى المساجد والزوايا وفى بيوتهم كل يوم وليلة، وبعضهم كانوا يدرسون حبة لله، لايترددون على الملوك والسلاطين، ولايقبلون نذورهم وجراياتهم. ومع ذلك بعض الملوك والأمراء أسسوا قصورا للمدارس، وبنوا فيها دورا ومساكن ومقاصير، ورتبوا فى كل موضع أهل العلم للافادة والتدريس، ورتب الرواتب للطلبة »[١].

وذهب بعض الباحثين إلى أن استخدام المساجد للتعليم كان قد بدأ فى عهد أول فاتح للهند، يقول الشيخ عزيز الرحمن السلفى:

« وصل التجار المسلمون إلى الهند قبل غزو محمد بن القاسم لها، ولما فتحها محمد بن القاسم أنشأ فيها المساجد، وهذه المساجد تعتبر دون شك مراكز التعليم الأولى فى الهند »[٢].

مبانى مستقلة للتدريس: لاشك أن تخصيص المبانى المستقلة للتدريس كان فى العصر المتأخر، وهذا يحمل على الحالة الغالبة، لأن بعض المصادر تصرح بوجود المدارس المستقلة فى أيام ملوك المسلمين الأوائل فى الهند، يحكى الأستاذ أبو الحسنات نقلا عن تاريخ فرشته أن السلطان محمود الغزنوى لما فتح قنوج

---

(١) الهند فى العهد الاسلامى ص ٤٣٦

(٢) تدريسى خدمات ٨

ورجع إلى غزنى بعد عام ٤٠٩هـ، بنى فيها جامعا كبيرا، وبجواره أنشأ مدرسة جمع فيها كتبا نفيسة ونسخا نادرة. وقد سارت الرعية سيرة الملك فى هذا الباب فأنشأوا المساجد والمدارس والحوانق. وساهموا بذلك فى تنشيط الحركة العلمية وتشحيذ الأذهان والهمم للعناية بالتدريس والتحصيل.»

وقد ذكر تاريخ فرشته عن شهاب الدين مسعود بن السلطان محمود أنه أنشأ داخل مملكته مساجد ومدارس كثيرة يعجز اللسان عن عدها وأحصائها.

ولما انتقلت الحكومة من الغزنويين إلى الغوريين أنشأ السلطان شهاب الدين محمد الغورى مدارس عديدة فى أجمير، وهى تعد من مدارس الهند القديمة[1].

ويقول المؤلف الشهير أحمد بن على القلقشندى (ت ١٤١٨م) عن مدارس دهلى:

«وفيها ألف مدرسة، منها مدرسة واحدة للشافعية، وباقيها للحنفية»[2].

المدارس الإسلامية فى عهد الاستعمار وبعده: حركة التجديد والجهاد التى رأسها السيد أحمد بن عرفان البريلوى، وقادها الشاه محمد اسماعيل بن عبد الغنى الدهلوى، انتهت مرحلتها الأولى سنة ١٨٣١م حينما منى المجاهدون بالهزيمة الظاهرة، ثم وقعت فاجعة عام ١٨٥٧م التى تعرض فيها المسلمون بأنواع من الابتلاء والمحن، وكذلك تعرض المواطنون الآخرون. وتعتبر هذه الحادثة نقطة تحول فى تاريخ الهند الحديث، فإن سيطرة الانجليز على الهند تمت بعد ثورة ١٨٥٧م، وصارت البلاد الهندية مستعمرة انجليزية يحكمها الانجليز،

---

(١) مدارس الهند ص ١٨ وبعدها.

(٢) صبح الأعشى ٥ / ٦٩

ويتصرفون فى الأمور كما يشاؤن . إن الانجليز استعبدوا سكان الهند كلهم ، ولكن الكارثة كانت أشد وأنكى للمسلمين ، فإن الانجليز سلبوا الحكم منهم ثم عاملوهم معاملة قاسيـة جدا حتى صرح بعض المؤرخين بأنهم كانوا يلاطفون الهنادك ويقسون على المسلمين .

وفى هذا الجو المظلم و وسط موجة من الخوف واليأس والألم قرر علماء المسلمين انشاء شبكة من المدارس الدينية للحفاظ على كيان المسلمين ولنشر اللغة العربية والعلوم الاسلامية . ومنذ ذلك الوقت استمر عدد المدارس الإسلامية يزداد حتى كثرت كثرة ملموسة فى أيامنا هذه .

ولعبت المدارس الدينية العربية دورا بارزا فى تاريخ الهند الإسلامية ، وتحسن وضع هذه المدارس بعد نحو ربع قرن من استقلال الهند ، ونشط تدريس العلوم الإسلامية بصفة خاصة . كان الاتجاه السائد فى عهد الاستعمار الانجليزى هو اتجاه الازدراء والتحقير الدينى و رجاله ، ولكنه تغير فى الهند الحرة ، وارتفع مستوى المدارس المادى ، وبرزت أهميتها فى مجال الحياة ، ولمس الناس ضرورتها فى ميدان الثقافة والحضارة ، و ذلك لأن هذه المدارس كانت مراكز تعليم العلوم الدينية ، وكان المسلمون ينظرون إليها نظرة احترام وتقدير.

بذل المسلمون جهدهم زمن الاستعمار الانجليزى للحفاظ على المدارس حتى تخف وطأة الحضارة الغربية المادية ، وتتلاشى آثار الحقد الصليبى . وبعد استقلال الهند تركزت عنايتهم بالمدارس للحفاظ على اللغة العربية والثقافة الاسلامية ، وهكذا تدرجت المدارس الى الرقى والتطور .

مدارس أهل الحديث ومكانتها بين المدارس: نظم المسلمون فى الهند شئونهم حسب الجماعات ، فالمساجد والمدارس والمؤسسات تتبع جماعة أو أخرى ، وتمارس

نشاطها حسب البرامج المخططة لها ، وهذا الانقسام قد يشكل تعويقا فى التعاون بين هذه المؤسسات ، ولكن ادارة الامور تتم به على طريقــة أحسن . وعلى هذا لجماعة أهل الحديث لها مدارسها الخاصة المستقلة بين المدارس الاسلامية فى الهند . ولهذه المدارس مناهجها وخططها الدراسية وأهدافها الخاصة بهـا ، وتاريخها يدل على أنها لعبت دورا مهما فى خدمة العــلوم الإسلامية واللغة العربية ، وفى حفظ التراث الاسلامى . والمنتسبون إلى هذه المدارس من العلماء والطلاب وعامة الناس قد ضربوا أمثلة رائعة للايثار والاخلاص ، ولعبادة الله وتقواه . وللعدالة والتسامح والأخوة والمساواة ، وهكذا فساهمتها ملموسة فى تاريخ البلاد ، وآثارها محمودة لدى الجميع .

لم يدون تاريخ مدارس أهل الحديث ، وهكذا كانت حال المدارس الأخرى ، مع أنها خدمت المجتمع الهندى بانتظام أكثر من مائة وخمسين سنة . وقد أوقع هذا الوضع بعض الناس فى شبهة عن عناية هذه الجمــاعة بالتعليم الدينى ، ولكن المتتبعين لنشاطها كانوا يدركون جهود هذه الجماعة وعنايتها بالتعليم ، فأشادوا بخدماتها ، ونوهوا بمدارسها ، وأثنوا على رجالها .

يقول العلامة السيد سليمان الندوى رحمه الله ، عن خدمة أهل الحديث :

« خدمات أهل الحديث فى مجال التدريس والتأليف جديرة بالتقدير . فى العهد الماضى أفاد النواب صديق حسن خان بقلمه ، والشيخ السيد نذير حسين بتدريسه افادة شاملة كانت مدينة بوپال مركزا لعلماء أهل الحديث لمدة طويلة قد اشتغل فيــه علماء بارزون من قنوج وسهسوان وأعظم كره تحت اشراف الشيخ حسين بن محسن اليمانى . وكان درس الشيخ السيد نذير حسين يجرى فى دهلى ، وكانت جموع طلاب الحــديث تتجه إلى مدرسته من الشرق والغرب .

ومن الأعلام الذين تخرجوا فى هذه المدرسة الشيخ أبو محمـد ابراهيم الآروى الذى ذكر قبل الجميع فى اصلاح التعليم العربى والمدارس العربية ، ولتنفيذ فكرته أنشأ المدرسة الأحمدية بمدينة آره»[١].

برزت فى جماعة أهل الحـديث شخصيات علمية كبيرة دوت شهرتها فى الآفاق ، وحازت أعمالها اعجاب الناس . ومن هذه الشخصيات العلامة المحـدث شمس الحق العظيم آبادى . يقول عنه الأستاذ أبو الحسنات :

« اشتهر الشيخ شمس الحق من قرية ديانوان بعلمه وثروته ، وحق للهند فى دورها الأخير أن تفتخر بهذه الشخصيـة الفذة كما تشاء . أنه قضى حياته كلها فى خدمة علم الحديث ، وكثيرا ما كان يفد إليه الطلاب العرب من المدينة واليمن ونجد ، وقد ألف شرحين لسنن أبى داود حاز كل منهما اعجاب العرب والعجم ، وألف التعليق المغنى على سنن الدارقطنى »[٢].

وينوه السيد سليمان الندوى بدور الشيخ ابراهيم الآروى فيقول :

«كان الشيخ ابراهيم الآروى من أخص تلامذة الشيخ السيد نذير حسين ، ومواعظه كانت فى غاية التأثير ، فحينما كان يعظ الناس يبكى بنفسه ويبكى الآخرين . ومن ميزاته اختيار الأمور الحسنة ، وهو الذى فكر فى ندوة العلماء والمدرسة العربية وما يتبعها من مساكن الطلاب ، فقـد أنشأ فى سنة ١٨٩٠م مدرسة فى فى مدينة آره باسم (المدرسة الأحمدية) ، وكون لها مجلسا باسم (جلسة المذاكرة العلمية) ، فكان هذا المجلس يعقد اجتماعاته فى آره سنويا . وكانت اللغة الانجليزية من مواد التدريس فى المـدرسة الأحمدية . وبعد انشاء ندوة العلماء انعقدت

(١) مقدمة السيد سليمان الندوى لكتاب تراجم علماء حديث هند ٩ / ٣٦

(٢) مدارس الهند ص ٤٩

جلستها الأولى فى دربنغه عام ١٣١٣م ، وهناك تساءل الناس عن ضرورة بقاء هذه المدرسة بعد ندوة العلماء ، ولكنها بقيت واستمرت فى خدمة العلم بأسلوب حسن »[١].

وهذا التصريح من عالم مثل السيد سليمان الندوى يكفى لمعرفة مدى نجاح فكرة أهل الحديث فى التدريس والدلالة على بصيرة علمائهم فى شئون التدريس وتربية الطلاب .

وفى شهر شوال سنة ١٣١١هـ = ابريل سنة ١٨٩٤م انعقدت الجلسة الأولى لندوة العلماء فى مدرسة فيض عام بكانفور ، وقد وافقت هذه الجلسة على أربع توصيات تنص التوصية الثالثة منها على ما يأتى :

« يبذل السعى لربط المدارس الاسلامية التى توجد بكثرة هنا وهناك ، بعضها مع بعض ، وذلك بأن تجعل مدرستان أو ثلاث مدارس كبيرة ، مثل مدرسة ديوبند ومدرسة فيض عام والمدرسة الأحمدية بآره ، على مستوى « دار العلوم » ، وتجعل المدارس الصغيرة فروعا لها ، وتتم جميع اجراءات هذه المدارس الصغيرة تحت اشراف تلك المدارس الكبيرة التى تعمل على مستوى « دار العلوم »[٢].

وبهذه التوصية تتضح لنا أهمية المدرسة الأحمدية بآره التى كانت من مدارس جماعة أهل الحديث فى نظر القائمين على ندوة العلماء ، فانهم جعلوها فى صف مدرسة ديوبند ومدرسة فيض عام ، وقرروا اعتبارها مثل الكليات المعاصرة أو أعلى منها .

(١) حياة شبلى ص ٣٠٨ الهامش .
(٢) نفس المصدر ص ٣٠٧ وبعدها .

العناية بتأريخ المدارس: قال العلامة السيد سليمان الندوى :

« تاريخ المدارس جزء من التاريخ العلمى ، وحيث ان المؤرخين قلت عنايتهم بالتاريخ العلمى لمسلمى الهند فإنهم لم يؤرخوا المدارس الاسلامية ، ولم يكتبوا عنها ما يفيد عن أحوالها ونشاطاتها ، بل تركزت عنايتهم حول الأمور السياسية فقط »[1].

أبدى هذه الملاحظة العلامة الندوى قبل أكثر من نصف قرن ، ولكن ازداد نشاط المدارس الاسلامية فى الهند بعد الاستقلال ، وتنوعت جهود القائمين عليها فظهرت عديد من المؤلفات تبحث عن أحوال المدارس على وجه الاستقلال أو ضمن المباحث الأخرى ، كما نرى فى السطور التالية :

قصة كتاب : شعر أهل الحديث بفراغ فى التعريف بخدمات مدارسهم فقرروا اعداد كتاب فى هذا الموضوع ، دفعهم إلى ذلك ايمانهم بأن الأمة الاسلامية يصعب استمرارها فى سبيل الرقى والنهضة بعد الانفصال عن ماضيها . وأن الخدمات التى أدتها المدارس والتجربات التى حصلت لرجالها تساعد الجيل الجديد دون شك فى تحمل مسئولياتها فى مجال الثقافة والعلم ، وتنور له السبيل فى مواصلة الجهود لخدمة الدين والعلم .

فإدراكا بهذه الأمور كلفت الجامعة السلفية بعض مدرسيها باعداد كتاب عن المدارس التى تتبع جماعة أهل الحديث فى الهند ، فظهرت الطبعة الاولى لكتاب (جماعت أهل حديث كى تدريسى خدمات) أى خدمات أهل الحديث فى مجال التدريس ، باللغة الاردية فى عام ١٩٨٠م ، بمناسبة انعقاد

(١) مقدمة السيد سليمان الندوى لكتاب مدارس الهند ص ٣

مؤتمر الدعوة والتعليم فى الجامعة، ثم أعيد طبعه عام ١٩٨٤م.

يبلغ عدد صفحات الكتاب (٢٥٠) صفحة، وعدد المدارس التى تم التعريف بها فيه يبلغ (٤٥٩) مدرسة، بينما يزيد عدد الكتاتيب على (٤١٨). وقد صرح مؤلف الكتاب بأن المدارس والكتاتيب التى تنظم الدراسة فى المساجد لم تدخل فى هذا العدد.

ونواة هذا الكتاب (تدريسى خدمات) هو كتاب آخر ألفه العالم السلفى المعروف (الشيخ أبو يحيى امام خان نوشهروى) وطبعه فى (برق بريس بدهلى) وقدمه إلى «المؤتمر الاسلامى التعليمى لعموم الهند» فى جلسته المنعقدة فى ٢٩/مارس سنة ١٩٣٧م بمناسبة مرور خمسين عاما على المؤتمر (اليوبيل الذهبى).

يقع هذا الكتاب فى (٢٠٨) صفحة من القطع الكبير، وقد تكلم المؤلف فى بدايته عن عقيدة أهل الحديث وعن انتشار دعوتهم فى الهند وعن أعلام هذه الدعوة، ثم تطرق إلى الأعمال العلمية التى أنجزها علماء هذه الدعوة فأعطى موجزا عنها، وقد استغرقت هذه المباحث (٣١) صفحة من الكتاب.

ثم أورد كشفا عن مؤلفات علماء أهل الحديث فى الفنون المختلفة مع التصريح بلغة الكتاب وببعض أحواله. بدأ المؤلف هذا الكشف بتراجم معانى القرآن الكريم، وثنى بكتب التفسير باللغات العربية والفارسية والأردية والبنجابية، وبعد ذلك ذكر كتب علم الحديث وكتب الفقه والعقائد والسير والتاريخ والمناقب والنبوات والسياسة والمناظرة والرد على الأديان والتصوف والأخلاق والأدب. وقد زاد عدد ما ورد فى هذا الكشف على ألف كتاب.

وكذا قدم كشفا لجرائد ومجلات أهل الحديث ولم طابعهم ، ثم للجلسات التى عقدها مؤتمر أهل الحديث فى أقطار الهند الواسعة بمناسبات مختلفة . ومن صفحة (١١٣) إلى صفحة (٢٠٢) قدم كشفا خاصا بمدارس أهل الحديث فى شبه القارة الهندية . وقد أورد فى هذا الكشف اسم المدرسة وتاريخ تأسيسها واسم مؤسسها ومراحلها التعليمية وأساتذتها وتلاميذها وموجزا عن أحوالها . ومجموع المدارس التى أوردها بلغ (١٣٨) مدرسة .

وقد سمى الشيخ أبو يحيى كتابه هذا بـ (هندوستان ميں اهلحديث كى علمى خدمات) أى خدمات أهل الحديث العلمية فى الهند ●●●

(للبحث صلة)

(اعداد : الدكتور مقتدى حسن بن محمد ياسين الازهرى)

أهمية الدين فى الثقافة

« ورأس كل ثقافة هو الدين بمعناه العام ، والذى هو فطرة الانسان ، أى دين كان ، أو ما كان فى معنى الدين ، وبقدر شمول هذا الدين لجميع ما يكبح جموح النفس الانسانية ويحجزها عن أن تزيغ عن الفطرة السوية العادلة ، وبقدر تغلغله إلى أغوار النفس تغلغلا يجعل صاحبها قادرا على ضبط الأهواء الجامحة ومريدا لهذا الضبط بقدر هذا الشمول وهذا التغلغل فى بنيان الانسان ، فيكون قوة العواصم التى تعصم صاحبها من كل عيب قادح فى مسيرة « ما قبل المنهج » ثم فى مسيرة « المنهج » الذى ينشعب من شطره الثانى ، وهو « شطر التطبيق » .

(المتنبي للأستاذ محمود محمد شاكر)

لا تنه عن خلق ...

﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ البقرة: ٤٤

يقول تعالى فى هذه الآية الكريمة ردا على أهل الكتاب: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمرون بما تأمرون الناس به وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قصر فى أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتنتهوا من رقدتكم، وتتبصروا من عمايتكم. قال ابن جريج فى تفسير قوله تعالى (وتنسون أنفسكم الخ): أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويدعون العمل بما يأمرون به الناس فعيرهم الله بذلك فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة. والغرض إن الله ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم فى حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالمعروف مع تركهم له، بل على تركهم له، فإن الأمر بالمعروف معروف، وهو واجب على العالم، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به، ولا يتخلف عنهم، كما قال شعيب عليه السلام (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولى العلماء من السلف والخلف، قال مالك عن ربيعة، سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر

بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء. ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر. قال مالك: وصدق، من ذا الذى ليس فيه شيء؟ يقول الإمام ابن كثير رحمه الله معلقا على هذه الأقوال: لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة، وفعله المعصية لعلمه به ومخالفته على بصيرة. قال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتى مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: يجاء بالرجل يوم القيامة فيلق فى النار فتندلق به أقتابه فيدور بها فى النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به أهل النار. فيقولون: يا فلان ما اصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ يقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه، رواه البخارى ومسلم.

فالأمة المسلمة التى لقبت بخير أمة وظيفتها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مخاطبة بهذه الآية أن لايتبعوا أهل الكتاب فى هذا الصنيع المشين وهذه الفعلة القبيحة فإن الداعى الذى لم يتصف بما يدعو إليه الناس لا يؤثر فى المجتمع بل ربما لا يوثق بقوله ولا يعتمد على أمره ونهيه فربما يظنونه كاذبا وهو فى الحقيقة كاذب أمام الله فى أداء واجبه واخلاصه فكأنه يقول بأفواهه ما ليس فى قلبه، فلذلك كان أمره ونهيه مقتا عند الله، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ والدعاة مع كثرتهم فى العصر الراهن لايرى لهم أثر بارز ومطلوب لأن أكثرهم لايفعلون ما يأمرون ولوقاموا بالعمل الجاد لكان لأعمالهم فقط أثر طيب فى المجتمع فضلا عن المدعويين.

(اعداد: اصغر على السلفى)

فقه المحدثين ومصادره

لمحدث الشام العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى
إعداد وتقديم : بسام عبد العليم عبد العظيم البستوى

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، لنبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

قبل نحو أربع السنوات من الآن قام محدث الشام فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى — حفظه الله — برحلة إلى مكة المكرمة لأداء العمرة ، و زار مختلف مدن المملكة ، فكانت له محاضرات ولقاءات مع طلبة العلم فى جدة ومكة وغيرهما .

وفى إحدى لقاءاته فى مكة المكرمة ، وجه إليه والدى الدكتور : عبد العليم عبد العظيم البستوى — حفظه الله — سؤالا عن فقه أهل الحديث ومنهجه ، وأهم المراجع فيه ، فارتجل الشيخ - حفظه الله - جواباً ضافياً مسهباً مليئاً بالنكات العلمية والإفادات الدقيقة تدل على طول باعه وسعة اطلاعه واستحضاره لأدلة الكتب والسنة وتضلعه فى فقهما والاستنباط منهما .

و رغبة منى فى تعميم فائدته على طلبة العلم ، فقد نسخته من الشريط المسجل لأقدمه للنشر ليستفيد منه من شاء الله له ذلك من طلاب العلم والمعرفة ممن لم يسمعوه من الشريط ، وكما هو معروف من عادة فضيلة الشيخ أنه يكثر فى إجاباته ومحاضراته وفتاويه من

الاستدلال من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الصحيحة الثابتة عنه ، فقد قمت فى الحاشية بعزو الآيات إلى مواضعها فى القرآن الكريم وتخريج الأحاديث من كتبه لمزيد من الفائدة .

وفيما يلى نص السؤال وجوابه

فضيلة الشيخ هناك شبهة أثارها بعض الناس قديما وحديثا وهى أن المحدثين نقلة أخبار و رواة فقط ليس لهم نصيب من الفقه ، ومعلوم أن الفقه الاسلامى من القديم اتخذ منهجين :

منهج أهل الحديث . ومنهج أهل الرأى . . . فما هى أهم مميزات منهج المحدثين فى الفقه وأهم المراجع فيه ؟

فأجاب فضيلته قائلا :

نعم : لاشك أن الفقه أصل الفقه فى اللغة ثم فى الشرع إنما هو الفهم ، والفهم إن كان فيما لكتاب الله ولحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو الذى أراده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين »[1] .

وإذا كان الدين ليس هو إلا شيئين اثنين بإجماع الأمة لا خلاف بين أحد منهما من أهل العلم — طبعا — فى أن الدين إنما هو الكتاب والسنة كما

(١) أخرجه الترمذى والدارمى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما . وأخرجه الطحاوى فى مشكل الآثار وابن عبد البر فى الجامع من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وأخرجه ابن ماجه والطبرانى فى الصغير من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٩١/٣ ، حديث ١١٩٤

قال عليه الصلاة والسلام: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض»[1].

والدين إذا كان الدين هو هذا الكتاب والسنة ولا شيء سوى ذلك ولا يستدركن أحد على لأنما كان هناك من شيء ثالث و رابع و ربما خامس كالاجماع مثلا والقياس والاستصلاح أو الاستصحاب أو ما شابه ذلك من اصطلاحات فقهية، فإنما هي كلها ما سلم بصحة بعضها إنما هو مستق من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا كان هذا هو الدين القرآن والسنة فقد أنعم الله على عباده بنعمة كبرى لا نعمة مثلها بعدها أبدا حين قال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا﴾[2].

فالفقه إذاً محصور في هذين المصدرين الكتاب والسنة، ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم محصور بين الدفتين أي المصحف، أما السنة فما شاء الله هي بحر لا ساحل له فمن هذا الجانب يختلف العلماء في نسبـة اطلاعهم على السنة بعد أن يمكن القول بأنهم اتفقوا جميعا على أنهم في مستوى واحد في اطلاعهم على القرآن الكريم بما أشرت إليه آنفا من أن القرآن محصور.

أما السنة فهي ليست محصورة وهنا يتفاضل ليس علماء الحـديث، بل وعلماء ـ الفقه في الفقه وليس في الحديث فقط ـ هنا يتفاضل علماء الفقه وليس علماء الحديث فقط أي بنسبة ما أحاط كل منهم بقدر معين من السنة، فبنسبة

(٢) أخرجه مالك في الموطأ مرسلا. الحاكم من حديث ابن عباس بسند صحيح. انظر مشكاة المصابيح ١/٦٦، حديث ١٨٦

(١) سورة المائدة: ٣

ذلك يكون فقهــه صحيحا وسليما قليلا كان أم كثيرا ، وعلى ذلك إذا سلمنا — وهذا أمر لا خلاف فيه أبدا بين العلماء — أنه كان المتفقه فى كتاب الله وفى سنـة رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم عربى اللسان أو كان مستعربا تعلم اللغة العربية وآدابها حتى شارك أهلها فى المعرفة باللغة العربيــة وآدابها وهذا شرط أساسى بلا شك حينئذ لا يمكن أن يتفاضل الفقهاء إلا بشيئين اثنين الأول أشرت إليـه آنفا نسبة اطلاع كل منهم على السنة أما القرآن فواضح. الشىء الثانى الذى لابد لى من ذكره هو أن الناس ولو كانوا — فرضا — متساويين فى فهمهم للغة العربية وهذا التساوى ليس مسلمــا به ، فالناس أيضا يختلفون فى ذلك لكن قلنا لابد أن يكون مشاركا فى اللغة العربية وآدابها حتى يتمكن من فهم القرآن والسنة إلا أن الشىء الآخر الذى أريد أن ألفت النظر إليه ، وهو أن الناس أيضا يتفاضلون فيه إنما هو كما جاء فى حديث على بن أبى طالب حينما سأله أبو جحيفة السوائى كما جاء فى صحيح البخارى سأل عليا رضى الله عنه : هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — يعنى أهل البيت — بشىء دون الناس قال : لا اللهم إلا ما فى قراب سيفى هذا ، فأخرج صحيفة مكتوب عليها بعض الأحكام المتعلقة بالجراحات والقصاص ، وفيها قوله ﷺ : «المدينة حرم من أحدث فيها حدثا أو آوى إليها محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» قال : «اللهم إلا هذا الذى فى جسم سيفى وإلا فهم يؤتيه الله عبدا فى كتابه»[1].

فإذن الناس يتفاضلون الآن فى ثلاثة أشياء أول ذلك نسبة اطلاعهم على

---

(١) أخرجه البخارى فى عدة مواضع منها كتاب العلم باب كتابة العلم حديث ١١١ وانظر أيضا إرواء الغليل ٤/٢٥٠ ، حديث ١٠٥٨

السنة ، ثانى ذلك نسبة تضلعهم فى اللغة العربية ، ثالث ذلك ما وهبه الله عز وجل لكل واحد منهم من سليقة فهم عن الله تبارك وتعالى لآياته ولأحاديث نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذا كان هذا أمرا مسلما وهو كذلك فحينئذ نقول كلما كان الفقيه والمحدث كلما كان نسبة اطلاعه على السنة قليلة ، كلما كان فقهه قليلا ، وكلما كانت نسبة اطلاعه على السنة أكثر كلما كان فقهه أكثر ، ولذلك الواقع التاريخى الذى ندرسه فى تراجم الأئمة نجد التفاضل بينهم فى الفقه والفهم إنما هو كلما كان أكثرهم حديثا كلما كان أكثر فقها وإصابة للحق .

فنحن نعرف اليوم أئمة المذاهب الأربعة الامام أبا حنيفة والامام مالكا والامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل ، ويا سبحان الله نجد الفقه على عكس هذا التصنيف الطبق فالامام أبوحنيفة أولهم طبقة يتلوه الامام مالك ثم الشافعى ثم أحمد ، أما من حيث اصابة الحق والمعرفة بالسنة فعلى العكس نبدأ بالامام أحمد ونثنى بالامام الشافعى ونثلث بالامام مالك ، ثم نرجع إلى الامام الاول الرابع نقول أبوحنيفة . لماذا ؟ لأن الامام أبوحنيفة مع أنه قد رجح من حيث الفهم والفقه على كثير من أئمة المسلمين ، كما يروى عن الامام الشافعى رحمه الله أنه قال : « الناس أو العلماء عيال فى الفقه على أبى حنيفة » .

لكن مع ذلك كان هو فى المرتبة الرابعة من حيث معرفته بالفقه الصحيح لأن هذا الفقه لا يمكن استنباطه بالرأى والاجتهاد مهما كان صاحب هذا الرأى وصاحب هذا الاجتهاد فقيها ولو يضرب به المثل كأبى حنيفة كما قال الشافعى : الناس عيال فى الفقه على أبى حنيفة ، وعلى العكس من ذلك نجد الامام أحمد كما ذكرنا أقرب الأئمة الأربعة اصابة للحق . ما نقول هو أفقه من أبى حنيفة ، لكننا نقول هو أكثر من أبى حنيفة علما بالسنة بنسبة لا يمكن ذكرها

ولا حصرها ، فأبو حنيفة يقول بعض العلماء : أحاديثه كلها لا تبلغ الأربع مائة حديث مع الحكم بضعف كثير منها إن لم نقل بضعف أكثرها . أما الامام أحمد فكتاب واحد وهو أشهر كتبه مسند الامام أحمد ، فيه أربعون ألف حديث هذا مع التكرار وبحذف المكرر وحسبكم هذا العدد ثلاثون ألف حديث فإن ثلاثين ألف من ثلاث مائة ما فيه نسبة أبدا ، فإذن تأخذ من هذا : من توفرت فيه الشروط السابقة و زاد فى شرط واحد منها ألا وهى علمه بالسنة أكثر من الآخرين يكون هو الأفقه فى الشرع ويكون هو المراد بقوله عليه السلام : « من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين » .

ولذلك جاء عن الامام الشافعى رحمه الله أنه قال : من كان لا يعرف السنة فهو لا يعرف القياس لأن الذى يريد أن يقيس لابد له من أن يكون قد أحاط بالقسم الأكبر من السنة .

وأنا أضرب لكم مثلا بسيطا كيف أن السنة تعطى صاحبها فقها لا يجده الآخرون الذين يقنعون بدراسة فروع الفقه ، ولا يدرسون السنة التى تستنبط منها الفروع ، وإنما يدرسون الفروع التى لا تربط بالاصول أى الكتاب والسنة قبل كل شىء قبل أن أذكر المثال الذى جال فى خاطرى أذكر لكم قصة أو حكمة — الأولى أن نقول عنها حكمة — فى بعض فقهاء الأندلس وهو ابن رشد الأندلسى قال: مثل المجتهد ومثل المقلد كمثل صانع الخفاف وبائع الخفاف قال: يأتى الرجل إلى بائع الخفاف وعنده أجناس وقياسات مختلفة يعلقها فى صدر مكان يأتيه رجل بقياس رجل غريبة غير معهودة بين الناس فهى مثلا قصيرة وضخمة عريضة تكاد تكون مربعة ، فشاهد فى خلق الله عجائب ، يأتى إلى بائع الخفاف فهو مجرد ما يعرف القياس هذا يقول معذرة ما فيه عندى ، ما فيه حاجة أن

افتش[1]. قد يأتى شخص آخرها فيه احتيال ، قد ايش ايش القياس مثلا طوله اربعين ، قديش العرض والله عشرة ، فيفتش هناك ما يجد هذا من بائع الخفاف ، اما صانع الخفاف فيأتى إليه ويريه القياس فيأخذه ويفصله على كيفه ويحضر له لماذا ؟ لأنه صانع وليس بائعا مقلدا ذلك مثل المقلد وهذا مثل المجتهد أى أن المجتهـد يستطيع أن يوجد من الكتاب والسنة أدلة يستنبطها منهما ببعض ما يحدث على مر الزمان.

المثال الذى سبق إلى ذهنى وأردت ان أذكره لكم فيه عبرة لما نحن فيه اى دليلا بما نحن فيه أيضا ، حشو الأضراس مهنة اليوم عند من يسمون طبيب الاسنان لم يكن معروفا فى ذلك الزمان ، فهل يجوز للمسلم أن يحشو ضرسه ؟ فى المسألة قولان منهم من يقول يجوز ومنهم من يقول لايجوز، فهؤلاء هم متعصبة الحنفية الذين لم يتفقهوا فى الكتاب والسنة ، وإنما يقيسون على بعض الآراء التى ذكرت فى فروع الكتب المبسوطة، وهذه قصة وقعت فى الشام وليست خيالا: شاب حشا بعض أضراسه، وأبوه من أهل العلم بالفقه الحنفى وكان مرجعا لطائفته هناك فى دمشق وكان يحذر الناس من أن يحشوا الاضراس ، ثم بلغه بأن هذا الابن قد حشى أضراسه ، وذات يوم يقول لابنه يا بنى بلغنى أنك حشوت بعض أضراسك، قال: نعم شعرت بألم ووجع ورحت عند الطبيب فذكر لى بأن أضراسك بحاجة إلى تنظيف وإلى حشو قال له يا ابنى أنت ما تسمع منى دائما أنا أحذر الناس من هذا الفعل وأقول بأن الذى يحشو ضرسا من أضراسه يبقى جنبا طيلة حياته وفى ذلك يقول: المضمضة فى الغسل عند الاحناف فرض ومن الفرض أنه يجب إيصال الماء إلى كل ذرة من أطراف الفم ، فحينما انكشف هذا الضرس

(١) أى لا يوجد عندى وليست هناك حاجة التفتيش .

وجب إيصال الماء إلى الحفيرة التي حدثت بسبب النخر وحينما جاء هذا ووسد هذه الحفيرة منع إيصال الماء إلى ذلك المكان فصار يبقى إذا أجنب جنبا طيلة حياته ومن صلى وهو جنب فلا صلاة له.

هذه فلسفة ما هي غريبة من المقلدين، وهذا يذكرني مما كنت سمعته من بعض مشايخي ولعله أبي — رحمه الله — بنكتة أخرى لكن ليست من العلم في شيء لكن فيها مثل هذا التسلسل الفلسفي: قيل إن عالما زار بعض تلامذته أو أصحابه وجلس ما جلس ولما خرج وجد نعله كما خلعه، فهو حينما يدخل مثلا إنسان تبقى نعله نحو الوجه[1]، لكن من إكرام أهل العلم أن يركض صاحب الدار يوجه النعل حتى ما يتكلف العالم شيئا يعني يوطى يمد يده أو رجله حتى يوجه ويمشي، يجب إكرام العالم فهو لم يجد هذا العالم مضيفه أكرمه بتوجيه النعل له فقال له: أنت كفرت لماذا؟ لأنك لم تكرم العالم ومن لم يكرم العالم لم يكرم العلم ومن لم يكرم العلم لم يكرم من جاء به وهو رسول الله ﷺ ومن لم يكرم رسول الله ﷺ لم يكرم من أنزل العلم على رسول الله فقد كفر.

هذا التسلسل الفلسفي الذي ما أنزل الله به من سلطان، نحو هذا وقع فيما يتعلق بحشو الضرس كما سمعتم، هذه مش خيال كالقصة الثانية يمكن أن تكون القصة الثانيــة من باب توضيح فلسفة بعض المقلدين، أما القصة الأولى فهي حقيقة واقعة مع الأسف الشديد.

الشاهد اتفق لي أن ناقشت هذا الرجل حول ابنه لأنه كانت عاقبة القضية أن طرد ابنه من بيته لأنه خيره بين أن يخلع ضرسه إذا أراد أن يبقى

(١) كلمة لم تتضح من التسجيل ولكن المقصود أن النعل تبقى متجهة إلى الجهــة التي خلعها إليها الداخل.

عنـد والده، وإلا فليخرج من داره لم يستطع الولد أن يخلع ضرسين أو ثلاثة لأنه في ذلك إضاعـة للمال، أولا وإضعـاف للجسد ثانيا، وهذا لا يجوز ولا طاعة لمخـلوق في معصية الخـالق، علما بأنه كان هو أخذ فتوى بجواز هذا الشيء. المهم جرى النقـاش بيني وبين والد هذا الولد، فقلت له: هذا الشيء الذي أنت تفتي به أنت تعترف أن هذه الفتوى برأيك واجتهـادك لأن حشو الضرس لم يكن موجودا من قبل فلا يجوز لك أن تفتي بشيء غير موجود في الكتاب لأن كتاب الفقه هو دليل المقلدة، أما قال الله أما قال رسول الله فهـذا كما يصرحون أن هذا عمل المجتهدين ولا اجتهاد اليوم لأن الاجتهـاد قد أغلق بابه بعـد القرن الرابع من الهجرة، فإذن أنت من أين جئت بهـذه الفتوى التي تحكم على بطلان صلاة من يحشون أضراسهم في هذا الزمان؟ طبعا هو يتملل ببعض الأشياء التي لا وزن لها، فأنا جئته بشيئين اثنين:

أحدهما: ما يتعلق بموضوعنا، والآخر: من نفس كتب الفقه لكن من لا فقـه له في السنة لا فقـه له في الفقه التقليدي الذي يوجد اليوم بين أيدي المقلدين، أما الشيء الذي جئت به من السنة فهو بيت القصيد كما يقـال من هذا الكلام.

لقد جاء في مسند الإمام أحمد وبعض السنن عن أحد الصحابة واسمه عرفجة بن سعد أنه كان قد أصيب أنفه في وقعـة كلاب فاتخذ أنفا من ورق من فضة فأنتن عليه فجاء إلى النبي ﷺ بعد ما أسلم طبعا فشكى إليه ذلك فأمره بأن يتخذ أنفا من ذهب(١) علـما بأن الذهب محرم على الرجال مع ذلك سمح

(١) أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي والطحاوي والبيهقي وأحمد. انظر: إرواء الغليل ٣٠٨/٣ حديث ٨٢٤

الرسول عليــه الصلاة والسلام له أن يتخذ أنفا من ذهب بديل الأنف من الفضة، وأنا بحكم كوني مارست مهنــة تصليح الساعات، وفي تصليح الساعات نوعان من اللحــام الأول قصير والثاني الفضة، فربمــا بعضكم أدرك بعض الساعات الجيبية فيها غطائين هذا الغطاء لـه مفصلة هذا ينكسر أحيــانا فيلحم بالفضة إذا كان الغلاف فضة وأحيانا بالنحاس إذا كان نحاسا، الشاهد نعرف بالتجربة أن لحام الفضة يصدأ كالحديد، فأنا حينما أقرأ هذا الحديث لماذا أنتن عليه الأنف من الورق من الفضة لأن هنـاك كما تعلموه شيء من الرطوبات فحينما تلتقي هذه الرطوبات بالأنف من الفضة يصدأ ويصير هنـاك صدأ أخضر فينتن عليه فيتضايق منه بخلاف الذهب فأمره عليــه الصلاة والسلام بأن يتخذ أنفـا من ذهب، واستراح. أنا استدللت عليه بهذا الحديث بأن الرسول عليه الصلاة والسلام إذا أجاز لهذا الانسان أن يتخذ أنفا من ذهب مع أن ضرورة السن أشد من ضرورة الأنف لأن هذا تجميل صحيح هو بذلك ما اقول يعيد خلق الله كما خلقه الله وإنما يقاربه، وبهذا المعدن الذي لايصدأ ولايوجد له مشكلة. مع ذلك رسول الله أباح له. فلأن يبيح حشو الضرس الذي يترتب على تركه بغير حشو أو خلعه[1] لأنه هو ايش كان يقول كان يقول بدل ما يحشي يركب جسدا لأنه أي الجسد أهون من حشو، لكن هذا أولا لايثبت ثبات السن الأصلي الطبيعي وقد ينكسر وقــد يعمل إلتهابات إلى أخره، فلمــا احتججت عليه بهذا الحديث أجاب لي بجوابين:

الجواب الأول: أن هذا الاحتجاج ليس من وظيفتي وهذا وظيفة المجتهد وأنت لست مجتهدا.

---

(١) أي أنه يترتب على تركه بغير حشو ضرر أكبر فإباحته من باب الأولى.

والجواب الثانى: قال هذا الأنف من الذهب كان كطاقم الأسنان يعنى الآن يحطه، لما الانسان بده[1] يتوضأ سواء بالوضوء أو بالغسل بإمكانه يقيمه وينظفه فهذا الأنف من ذهب كان كذلك يقيمه ويحطه لماذا يقول هذا الكلام هو حتى يسلك فتواه الخاطئة أنا رددت عليه بأن الأنف الأول لوكان كالطقم يرفع ويوضع فمعنى ذلك أنه ينظف ولا يصدأ حينئذ، فشكوى عرفجة بن سعد من أنفه من فضة معناه أنه كان لاصقا وهنا نقف قليلا ونفكر هل كان الطب فى ذلك الزمان وصل إلى مرحلة من الإبداع والاختراع لا نعرفه فى هذا الزمان حيث وصلوا إلى تركيب أنف ثابت من فضة أم من ذهب ما أقنعه قولى هذا مع أنه واضح جدا لجلته من كتبه وهنا الشاهد.

والمثال الثانى وإن كان ليس له علاقة ببحثنا السابق العلاقة فى هذا الحديث أن الذى يكون على شىء من الإحاطة بالسنة ليس بحاجة إلى مثل هذه الفروع فمثله يكون كمثل. . .[2] يذكرون ما هو حرام أو مكروه أو جائز من اللباس ونحو ذلك، فى هذا الباب صرحوا وهذا فى الواقع من دقة هؤلاء الفقهاء وإن كان غلب عليهم كلما تأخر الزمن كلما تمسكوا بالتقليد، قالوا ويجوز شد السن المتحرك بالسلك يجوز شد السن المتحرك بالسلك لأن الحركة هذه تؤذيه أثناء الكلام وأثناء الطعام إلى آخره، فأنا قلت لرجل السلك حينما يربط المتحرك بالثابت فلاشك أن هذا الربط فى كل من السنين الثابت والمتحرك فسوف يحول عن وصول الماء بين السلك وبين القطعة التى شد السلك عليها، أيضا ما أقنعه ذلك لماذا؟ لأنهم طبعوا على أن يصروا على

---

(١) أى إذا أراد أن يتوضأ.

(٢) سقطت هنا بعض الكلمات أثناء تغيير الشريط.

ما لايعلمون ، الشاهد : أن من كان أكثر اطلاعا على السنة كان أكثر فقها ، والواقع كما فصلنا ما يتعلق بالأئمة الأربعة والتجربة الشخصية هي تؤكد ما هو مسلم عند جماهير علماء الحديث والفقه أنه كلما كان أحدهم عالما بالسنة كان أفقه من غيره ممن هو ليس مثله فى الاطلاع على السنة ، ونحن مثلا نجد فرقا كبيرا جدا بين كل كتب الأحناف الفقهية وبين سواء ما كان منها متنا أو شرحا أو حاشية نجد فرقا كبيرا بين عامة كتب هؤلاء وبين مثلا كتاب فتح القدير للإمام ابن الهمام فإننا نجده هناك يمزج الفقه مع الحديث فيتفقه الإنسان فى هذه الحالة بما قيل من أقوال وآراء فى المذهب ومقابل ذلك يذكر أدلة المذهب من جهة وأدلة المذاهب الأخرى من جهة أخرى ، وإن كان هو أو غيره سامحهم الله كثيرا ما يقفون مع المذهب لكنهم كأنهم كانوا يومئذ يتحرجون من الصدع بالحق لأن الجو كان شديد الضغط عليهم ، فيما إذا صارحوا القوم الذين يعيشون بينهم ومن أجل ذلك قال الزيلعى فى بعض أحاديث الهداية غريب مع أن الصواب كان ينبغى أن يقول كما يقول العراقى مثلا فى تخريج بعض أحاديث الاحياء لا أصل له أى لم أجد على الأقل أصلا ، كان ينبغى أن يقول هذا لكنه ترفق وتلطف جدا ، فقال فى بعض أحاديثه الهداية غريب بماذا لأنه لو صرح لجاء الضغط من أصحاب مذهبه كيف أنت تقول ان الإمام المرغينانى مثلا يذكر حديثا ويحتج به فتقول لا أصل له ، وبعض المقلدين يقولون كل حديث احتج به امام مذهب ، بل يقول بعضهم مذهب ما ، فهذا تصحيح منهم بالحديث وهذا خطأ وإلا فنحن نجد بعض علماء الحنفية الذين جمعوا بين المعرفة بالفقه الحنفى من جهة والاطلاع على الحديث بنسبة لابأس بها من جهة أخرى نجدهم ينتقدون علماء الحنفية أو بعبارة أصح بعض علماء الحنفية لأنهم يتساهلون فى إيراد بعض

الأحاديث التي لا زمام لها ولا خطام بل بعضها صريحة في البطلان مثلا الشيخ ملا علي قاري صاحب كتاب عظيم جدا اسمه مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، له كتيب صغير في الموضوعات في الأحاديث الموضوعة وهو كتابان الموضوعات الكبير والموضوعات الصغير[١]، يذكر هناك حديثا نقله من بعض كتب الحنفيـة أظن اسمه النهاية، كذا تذكرون من كتب الحنفيـة في الفقه النهاية في الفقه الحنفي نقل عنه علي القاري حديثا نصه «من صلى أربع ركعات في آخر جمعة من رمضان كانت هذه الأربع ركعات كفارة من ترك الصلوات الخمس سبعين سنة»[٢].

يقول الشيخ المذكور الامام ملا علي القاري بأن هذا الحديث باطل ظاهر البطلان ولا أصل له في شيء من كتب السنة وصدق رحمه الله فيما قال، فكيف يورد هذا الشيخ مؤلف النهاية أو غيره إن كنت واهما في تسميـة الكتاب لكنه موجود في بعض كتب الحنفية يقينا، وانتقـده الشيخ ملا علي القاري

(١) أي كتاب الموضوعات الكبير، وكتاب الموضوعات الصغير.

(٢) ولفظه كما في المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، وهو الموضوعات الصغرى ص ١٥٦، حديث ٣٥٨

«من قضى صلاة من الفرائض في آخر جمعة من شهر رمضان كان ذلك جابرا لكل صلاة فائتة في عمره إلى سبعين سنة» قال الملا علي القـاري: «باطل قطعا لأنه مناقض للاجماع على أن شيئا من العبادات لا يقوم مقام فائتة سنوات. ثم لا عبرة بنقل «النهـاية» ولا شراح الهداية فانهم ليسوا من المحـدثين، ولا اسندوا الحـديث إلى أحد من المخرجين». وهو في الموضوعات الكبرى أيضا وهو الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة ص ٣٥٦ «حديث ٥١٩»

وحكم ببطلان ذلك لأنهم ما كانوا يشتغلون بكتب السنة وبخاصة ليعرفوا صحيحها من ضعيفها .

فإذا نستدل مما سبق أن الفقه إنما هو عن الله ورسوله ، وليس الفقه أن نفهم ما قاله الشيخ الفلانى أو العالم الفلانى دون أن نعرف مستنده من الكتاب والسنة ، قلت آنفا كمثال من علماء الحنفية هو ابن الهمام المصرى الاسكندرانى فهو فى هذا الكتاب يمكن أن نقول إنه أحسن ما علمته من كتب الحنفية إلا نستثنى منها ونقرنه معه الشيخ ابراهيم الحلبي فى منية المصلى وشرحه لها فانه سلك منهج ابن الهمام فى الاستدلال لأحاديث الفقهاء الحنفية ، وخير من هذا الكتاب كتاب المجموع شرح المهذب للامام النووى فانه يفوق كتاب ابن الهمام من ناحيتين اثنتين ، الناحية الأولى : أنه حينما يخرج أحاديث كتاب المهذب فى الفقه الشافعى للشيرازى يتوسع فى التخريج أولا ثم قلما يخرج ولا يبين مرتبة الحديث بل هو يخرج ويذكر أن هذا الحديث حسن أو صحيح ، بينما ابن الهمام قاصر جدا من هذه الحيثية فى التخريج وفى التصحيح والتضعيف ، زد على ذلك أن الامام النووى قد تأثر بقول امامه الشافعى «إذا صح الحديث فهو مذهبي» أكثر من ابن الهمام الحنفى ، وهذا ظاهر فى كثير من المسائل وكلما رجح مسألة اتباعا للحديث ذكر أنه هذا هو مذهب الامام الشافعى لأنه قال كقاعدة إذا صح الحديث وما يليه ، وأنا بهذه المناسبة لا أريد أن أبخس حق الأئمة الآخرين وبخاصة أولهم الامام أبا حنيفة رحمه الله فانه قد قال مثل هذه الكلمة «إذا صح الحديث فهو مذهبي» ولكن مع الأسف الشديد فالشافعية أسعد بقول امامهم من الحنفية بقول امامهم لهذه القولة نفسها فغلب على علمائهم الكبار اتباع الأئمة بينما غلب على الشافعية اتباع الحديث ولو خالف

المذهب اتباعا منهم للأصل الذى وضعه الأئمة ، ومنهم الإمام الشافعى رحمه الله، فهذان الكتابان يمكن أن نجعلهما كجواب عن بقية السؤال السابق إن هذين الكتابين من أحسن المراجع ليتفقه المسلم تفقها على طريقة أهل الحديث ، فإنه يجد فيه الرأى الفقهى مع الاستدلال عليه بالكتاب والسنة ، لعله ختاما لهذا الجواب نذكر بالإضافة إلى هذين المصدرين مصادر هى قد تكون أفضل من زاوية الاتباع للحق من هذين الكتابين وإن كانا لايفضلان على الكتب الآتية من جهة أخرى وهى أنهم يخرجون الأحاديث تخريجا علميا، ويصححون كما ذكرنا مع الفارق بين ابن الهمام والامام النووى ، كتب شيخ الاسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية هى الكتب التى ينبغى لكل طالب علم أن يدرسها إذا أراد أن ينجو من التقليد المذهبي الأعمى لأن التقليد تقليدان ، تقليد لابد منه لكل انسان وحتى لوكان عالما لأنه ضرورة أنا هذا رأيى ، التقليد لايمكن أن ينجو منه انسان ، ولكن لا يجوز أن يجعله دينا يتبع ويفرض على الناس كما هو الواقع فى هذا الزمان ، فالعالم إذا لم يجد فى حدود ما اطلع عليه فى الكتاب أو فى السنة ، فجواب مسألة ما لا يسعه إلا أن يقلد إماما من أئمة السلف بدءا من الصحابة وأنت نازل إلى القرن الثالث المشهود له بالخير والأفضلية ، فما بالنا بالنسبة لغير هؤلاء الأئمة الأفاضل .

أنا أضرب لكم مثلا الآن جاء فى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : « نهى رسول الله ﷺ عن الشرب قائما »[1] - نهى وانتبهوا - قال أنس نهى رسول الله ﷺ : «عن الشرب قائما قيل له فالأكل

(١) رواه مسلم وأبوداود والترمذى وابن ماجه وغيرهم . انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/١٢٨ ، حديث ١٧٧

قال : أشر، أى الأكل قائما أشر — هذا اسم تفضيل — الأكل قائما أشر من الشرب قائما .

ماذا نقول نحن الآن و درسنا فى حدود اطلاعنا لم نجد فى السنة حديثا مرفوعا إلى النبي ﷺ كهذا الحديث الذى فيه النهى عن الشرب قائما لم نجد مثله نهيا عن الأكل قائما ، ما موقفنا الآن من هذا القول الصادر من هذا الصحابي جواب سؤال صريح السؤال : شورأيك[1] يا أنس فى الأكل قائم ، قال : شر ، إذن هل نقدم رأينا على رأى هذا الصحابي الجليل ونجتهد مثلا ، فنقول وهذه قاعدة فقهية معروفة الأصل فى الأشياء الإباحة أو كما يقول بعض المتأخرين نتمسك بالبراءة الأصلية أم نقول : والله الشاهد يرى ما لايرى الغائب ، وهذا من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام خالطه وعاشره وسمع منه وتفقه عليه ، وكما يقال اليوم تخرج من مدرسة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لاشك أنه يكون أفقه منا عنه إذاً نحن نتبعه ولا يسعنا غير ذلك ، فكتب ابن تيمية تخلص طالب العلم من الجمود على التقليد واتخاذه دينا ، وأنا أفرق أن التقليد الذى لابد منه إذا لم يجد انسان فى حدود اطلاعه إلا قول عالم ممن تقدم كصحابي أو تابعى أو تابع التابعى أو أحد من أئمة المسلمين كما ذكرنا ، لابد هنا من التقليد ، أما الذى لايجوز فهو أن يتفرق المسلمون إلى مذاهب شتى وطرائق قددا كل منهم يقول أنا كذا أنا كذا وأنا كذا ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾[2]، هذه الآية لا تشمل فقط الأحزاب السياسية وإنما أول ما تنصب على الأحزاب الدينية وعلى الطرق الصوفية وما أكثرها لأن ذلك

---

(١) أى ما رأيك .

(٢) سورة المؤمنون : ٥٣

يعني قلب الحقائق الاسلامية التي منها قول ربنا تبارك وتعالى آمرا نبيه ﷺ بقوله: ﴿قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[1]. يقول الرسول على بصيرة أنا هو عليه الصلاة والسلام وحده؟ ومن اتبعه من المسلمين والمؤمنين: ﴿قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾، فهل التقليد بصيرة؟ لا.

أحد كبار أئمة الحنفية ومن نوادر المحدثين فيهم وبخاصة على طريقة المحدثين الذين يروون الأحاديث بالأسانيد المتصلة منه إلى النبي ﷺ ألا وهو أبو جعفر الطحاوي رحمه الله صاحب الكتب النافعة والرسالة النادرة العقيدة الطحاوية يقول: «لا فرق بين مقلد وبهيمة تقاد» لا فرق بين مقلد وبهيمة تقاد، فكيف يجوز للمسلم بل للمسلمين أن يتخذوا التقليد دينا، وبذلك يحققون هذه الوصفة التي جاء بها ذلك الامام الطحاوي «لا فرق بين مقلد وبهيمة تقاد».

فالله عز وجل يقول: ﴿قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ هنا يخطر في بالي خاطرة أرجو أن تكون سانحة صحيحة ألا وهي تتعلق بقوله تعالى في آخر هذه الآية ﴿وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ ما هو السر ما هي الحكمة في ختمه تعالى للآية التي ابتدأها بقوله ﴿قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة﴾ ختمها بقوله ﴿وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ يبدو لي والله أعلم أن الحكمة من ذلك أن التقليد يؤدي إلى نوع من الشرك إن لم يؤدي إلى الشرك نفسه وذلك مما حذرنا الله تبارك وتعالى من الوقوع فيه حينما حكى لنا في كتابه عن النصارى فقال عنهم ﴿اتخذوا

---

(١) سورة يوسف: ١٠٨

أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم﴾[١]، اشكلت هذه الآية على الصحابي الجليل المعروف ألا وهو عدى بن حاتم الطائي فإنه قال حينما تليت هذه الآية أمامه قال: يا رسول الله ما اتخذناهم أربابا من دون الله قال: ألستم كنتم إذا حرموا لكم حلالا حرمتموه، وإذا حللوا لكم حراما حللتموه، قال: أما هذا فقد كان، فقال عليه الصلاة والسلام فذاك اتخاذكم إياهم أربابا من دون الله[٢].

فإذاً جعل التقليد دينا ينبغى أن يترفع عنه المسلم، ولذلك ختم ربنا عز وجل الآية السابقة بقوله ﴿وما أنا من المشركين﴾ أى يجعلون مشرعا مع الله كما فعلت اليهود والنصارى ﴿اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله﴾ أظن أن هذه الكلمة طالت أكثر من اللازم ولكن هكذا قدر والخير فيما قدر.

وصلى الله على سيد المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ؟

---

(١) سورة التوبة: ٣١

(٢) رواه أحمد والترمذى والطبرى وغيرهم. تفسير ابن كثير ٣٧٣/٢، وهو حديث حسن كما فى صحيح سنن الترمذى ٥٦/٣، حديث ٢٤٧١

فضل الصلوات الخمس

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحوا الله بهن الخطايا».

هذا الحديث أخرجه الامام البخاري ومسلم والترمذي والدارمي عن الصحابي الجليل الفقيه أبي هريرة الدوسي اليماني، اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافا كثيرا يبلغ إلى نحو ثلاثين قولا أصحها عبد الرحمن بن صخر. أسلم عام خيبر وشهدها مع النبي ﷺ ثم لزمه و واظب عليه رغبة في العلم و دعا له النبي ﷺ للعلم والحفظ فكان من أوعية العلم ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع، روى عنه أكثر من ثمان مائة رجل من الصحابة والتابعين، وهو أكثر الصحابة رواية باجماع، توفي سنة ٥٧، وقيل سنة ٥٨، وقيل سنة ٥٩، رضي الله عنه.

قال ابن الاعرابي وجه التمثيل في الحديث أن المرأ كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقى له ذنبا إلا أسقطته. وظاهر الحديث أن المراد بالخطايا ما هو أعم من الصغيرة والكبيرة لكن حديث مسلم «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، و رمضان إلى رمضان، مكفرات كما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» يدل على أن المراد بها هي الصغائر دون الكبائر، وقال السندي: خصها العلماء

بالصغائر ولا يخفى انه بحسب الظاهر لا يناسب التشبيه بالنهر بازالة الدرن، إذ النهر المذكور لا يبقى من الدرن شيئا أصلا، وعلى تقدير أن يبقى، فابقاء القليل والصغير أقرب من ابقاء الكثير والكبير، فاعتبار ابقاء وارتفاع الصغير قلب لما هو المعقول نظرا إلى التشبيه، فلعل ما ذكروا من التخصيص مبنى على أن للصغائر تأثيرا فى درن الظاهر فقط، كما يدل عليه ما ورد فى خروج الصغائر من الأعضاء عند التوضو بالماء بخلاف الكبائر، فان لها تأثيرا فى درن الباطن كما يفيده بعض الأحاديث أن العبد إذا ارتكب المعصية تحصل فى قلبه نكتة سوداء، ونحو ذلك، وقد قال تعالى: ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ فكما أن الغسل يذهب بدرن الظاهر دون الباطن، فكذلك الصلاة (مرعاة المفاتيح).

والحديث يدل على فضل الصلوات الخمس حيث يخرج المصلى من الذنوب والخطايا نقيا طيبا صافيا كما يخرج الرجل من النهر بعد الغسل نقيا صافيا من الأدران والأوساخ.

وقد قال الله تعالى فى محكم كتابه: ﴿اقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ فهى تمنع المصلى من الفواحش و المنكرات كما تمحو منه الخطايا والسيئات، والصلاة من اهم أركان الاسلام الخمسة يقيم عليها بنيانه وهى عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها هدم الدين، وهى هدية أهداها الله إلى عبده ورسوله المصطفى ﷺ فى المعراج، فهى معراج المؤمنين، وهى أول فريضة على المسلم بعد الشهادتين فى الدنيا وأول ما يسأل به العبد يوم القيامة، فمن أداها وأجاب أفلح ونجح ونجا من العذاب الأليم، ومن ومن لم يجب فقد خاب وخسر يوم لا ينفع مال ولا بنون.

(اعداد: اصغر على السلفى)

الموسوعات الحديثية

بقلم : الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الصويان
الرياض

من حكمـــة الله سبحانه و تعالى أنه رضى دين الإسلام دينا خاتما لجميع الشرائع ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فأكمل الله عز و جل لنا الدين وأتم علينا النعمة : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (المائدة : ٣).

و من إتمام النعمة أن الله سبحانه و تعالى تكفل بحفظ مصدر هذا الدين ، وينبوعه الكريم ، فقال عز وجل ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون ﴾ (الحجر : ٩) و تضمن ذلك حفظ سنة سيد المرسلين ﷺ فائتمن الله عز وجل على نقلها صحابة نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام ، أطهر الناس قلوبا ، وأصفاهم عقولا ، و أفصحهم لسانا ، و أسلمهم منهجا . فأدوها حق الأداء ، كما تحملوها حق التحمل ، ورعوها حق الرعاية . . ثم تناقلها الثقـــات الأثبات من بعدهم جيلا بعد جيل ، بعناية فائقة ، و حرص كبير ، فبذلوا النفس والنفيس ، والغالى و الرخيص ، فداء منهم لسنة نبيهم عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم . .

وكان من ثمرات هـــذا الجهد العظيم أن حفظت سنة المصطفى ﷺ رغم تتابع القرون مبرأة من الكذب و الإختلاق ، مصونة من العبث و الإفساد .

وقد تضافرت جهود السلف الصالح رضى الله عنهم فى خدمة حديث النبي ﷺ رواية و دراية ، و تركوا لنا تراثا ضخما غزيرا فى عشرات المصنفات . حتى أصبحت هـذه الأمـة تمتلك بحق أغنى علم عرفته البشريـة باختلاف مللها ونحلها .

و سوف أحاول بعون الله تعالى فى هـذه العجالة أن أبرز جهود أولئك السلف فى تدوين السنة من خلال التعريف الموجز بأشهر الموسوعات الحديثية.

وأقصد بالموسوعات الحديثية : تلك المصنفات التى جمعت عددا كبيرا من أحاديث النبي ﷺ .

أولا : الموسوعات الحديثية الأصيلة :

الموسوعات الأصيلـة يقصد بها : المصنفات التى يروى فيهـا المصنف الأحاديث النبوية بإسناده إلى النبي ﷺ . و منها :

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ — ٢٤١ هـ) :

ألف الإمام أحمـد مسنده من أجل أن يكون : «هـذا الكتاب إماما ، إذا اختلف الناس فى سنة عن رسول الله ﷺ رجع اليه»[١].

و صدق الإمام أحمد ، فإن هذا الكتاب الجليل من أكبر كتب السنة التى وصلت إلينا ، و أعظمها نفعا ، و أغزرها مادة ، وقـد قال أبو موسى المدينى : «هـذا الكتاب أصل كبير ، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث ، انتقى من أحاديث كثيرة ، و مسموعات وافرة ، فجعل إماما ومعتمـدا ، و عنـد التنازع ملجأ و مستندا»[٢]

---

(١) خصائص المسند ص ٢٢ والمصعد الأحمد ص ٣٠

(٢) خصائص المسند ص ٢١ وانظر : طبقات الشافعية ٣١/٢

ومن أجل هذا لما سئل أبو الحسين اليونيني : أنت تحفظ الكتب الستة ؟ فقال : «أحفظها وما أحفظها !!» فقيل له : كيف هذا ؟ ! ، فقال : «أنا أحفظ مسند أحمد وما يفوت المسند من الكتب الستة إلا قليل ....»[١]

وقد اختلف فى عدد أحاديث المسند اختلافا كثيرا ، فمن قائل : بأنه ثلاثون ألف حديث[٢] ، ومن قائل : بأنه أربعون ألفا[٣] ، ومن قائل : بأنه خمسون ألفا[٤] ، قال ابن عساكر : «... والكتاب كبير العدد والحجم ، مشهورا عند أرباب العلم ، تبلغ عدد أحاديثه : ثلاثين ألفا سوى المادة ، وغير ما ألحق به ابنه عبد الله من عالى الإسناد»[٥] .

وقال أحمد شاكر : «هو على اليقين : أكثر من ثلاثين ألفا ، وقد لا يبلغ الأربعين ألفا»[٦] ..

وقدر عدد أحاديثه جولدتسهير بما يتراوح بين : (٢٨) الى (٢٩) ألف حديث[٧] ، وتابعه على هذا التقدير : نالينو المستشرق الإيطالى[٨] .

---

(١) المصعد الأحمد ص ٣٢
(٢) انظر : مناقب الإمام أحمد ص ١٩١
(٣) انظر : الفهرست ص ٣٢٠ وخصائص المسند ٣٢
(٤) مقدمة إبن خلدون ص ٤٤٤
(٥) ترتيب أسماء الصحابة لابن عساكر (مخطوط ص ١ / أ) .
(٦) انظر : تعليقه على خصائص المسند ص ٢٣
(٧) انظر : دائرة المعارف الإسلامية ١/١٩٩—٢٠٠ النسخة الفرنسية .
(٨) انظر : دائرة المعارف الإيطالية ٢٩/٢ ، استفدت هذا والذى قبله من تعليق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق على كتاب والترملفيل : «أحمد بن حنبل والمحنة» ص ٦٠ ، وراجع البحث المفصل الذى كتبته فى مجلة البحوث الإسلامية العدد ٢٥

والشاهد من هذا كله بيان أن مسند أحمد سفر عظيم، وكنز كبير يحتوى على مادة علمية غزيرة..

(٢) مسند بقي بن مخلد القرطبي (٢٠١ – ٢٧٦ هـ):

هذا الكتاب من كتب السنة الضخمة، ولكن مع الأسف الشديد فقد كما فقدت بعض الكنوز الأخرى، ولا نعرف عنه إلا القليل، مما نقل إلينا من أقوال أهل العلم عنه.

قال ابن حزم: «رتبه على أسماء الصحابة رضى الله عنهم، فروى فيه عن: ألف وثلاثمائة صاحب، ولا أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه وإتقانه، واحتفاله فيه فى الحديث، وجودة شيوخه، فإنه روى عن مائتى رجل وأربعة وثمانين رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير»(١).

وقال ابن الفرضى فى تاريخه: «ليس لأحد مثله»(٢).

وقال ابن الجوزى: «روى فيه عن ألف وستمائة صحابي، بل يزيدون على هذا العدد»(٣)..

وقال ابن كثير: «وقد فضله ابن حزم على مسند الإمام أحمد بن حنبل، وعندى فى ذلك نظر، والظاهر أن مسند أحمد أجود منه وأجمع»(٤)..

وقال الذهبي فى ترجمته لبقي بن مخلد: «صاحب التفسير والمسند اللذين

(١) جذوة المقتبس ص ١٧٧ وسير أعلام النبلاء ٢٩١/١٣
(٢) تاريخ علماء الأندلس ص ٩٢
(٣) المنتظم ١٠٠/٥
(٤) البداية والنهاية ٨٢/١١

لا نظير لها»[١]..

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي (٢١٠ — ٣٠٧ هـ):

و لمسند أبي يعلى روايتان: الأولى: رواية طويلة رواها أبو بكر محمد ابن إبراهيم المقرئ، عن أبي يعلى، وهي التي اعتمد عليها ابن حجر في: «المطالب العالية»، و البوصيري في: «إتحاف المهرة الخيرة»، في تخريج زوائدها على الكتب الستة، و تسمى هذه الرواية بـ: «المسند الكبير»..

و الثانية: رواية قصيرة رواها أبو عمرو بن حمدان، و هذه الرواية هي التي اعتمد عليها الهيثمي في كتابيه: «المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي» و «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»..

و الرواية القصيرة هي التي وصلت إلينا، وقد أتم تحقيقها الأستاذ: حسين أسد، في ثلاثة عشر مجلدا، مع مجلدين للفهارس. و بلغ عدد أحاديث المسند على حسب ترقيم المحقق (٧٥٥٥) حديثا.

وقد أثنى العلماء على المسند الكبير، فقد قال ابن المقرئ: سمعت أبا إسحاق ابن حمزة يثني على مسند أبي يعلى، و يقول: «من كتبه قل ما يفوته من الحديث»[٢].

وقال إسماعيل التيمي: «قرأت المسانيد، كمسند العدني، و مسند أحمد ابن منيع، وهي كالأنهار، و مسند أبي يعلى كالبحر يكون مجتمع الأنهار»[٣].

(١) سير أعلام النبلاء ٢٨٥/١٣، وانظر الكتاب الذي ألفه د. أكرم العمري في ترجمة بقي بن مخلد.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧٨/١٤

(٣) سير أعلام النبلاء ١٨٠/١٤ وتذكرة الحفاظ ٧٠٨/٢

قال الذهبي : « صدق .. ولا سيما مسنده الذى عند أهل أصبهان من طريق ابن المقرئ عنه ، فإنه كبير جدا ، بخلاف المسند الذى رويناه من طريق أبي عمرو بن حمدان عنه فإنه مختصر »[1] ..

(٤) « المعجم الكبير » لسليمان بن أحمد الطبرانى (٢٦٠ – ٣٦٠هـ) :

هذا الكتاب من أجل كتب الطبرانى ، وقد طبع قبل سنين بتحقيق الأستاذ : حمدى السلفى ، فى عشرين مجلدا ، لكن ينقصه خمس مجلدات مفقودة ، وهى : (١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧) .

قال الذهبي فى وصف الكتاب : « وهو معجم أسماء الصحابة وما رووه ، لكن ليس فيه مسند أبي هريرة[2] ، ولا استوعب حديث الصحابة المكثرين ، فى ثمان مجلدات »[3] .

وقدر الكتانى عدد أحاديثه بـ : ستين ألفا[4] .. بينما يرى حاجى خليفة بأن المعجم الكبير يحتوى على خمس وعشرين ألفا فقط[5] .

قلت : الذى وجد فى المطبوع بترقيم السلفى : عشرون ألفا فقط ، ومع مراعاة المفقود يتبين بأن تقدير حاجى خليفة أقرب للصحة والله أعلم .

(٥) « المسند الكبير » لأبى على الحسين الماسرجسى (٢٩٨ – ٣٦٥هـ) :

وهذا المسند من الكتب التى لم تصل إلينا .. ولا نعرف عنه شيئا ، إلا

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/١٨٠

(٢) لأنه أفرده فى مصنف مستقل ، انظر : الرسالة المستطرفة ص ٢٠١

(٣) سير أعلام النبلاء ١٦/١٢٢

(٤) الرسالة المستطرفة ص ١٠١

(٥) كشف الظنون ٢/١٧٣٧

من وصف أبي عبد الله الحاكم له.. فقد قال في ترجمة الماسرجسي: «صنف المسند الكبير في ألف جزء وثلاث مائة جزء - يعني مهذبا ومعللا -...»

وقال الحاكم: «وعلى التخمين يكون مسنده بخط الوراقين في أكثر من ثلاثة آلاف جزء»..

وقال. «فعندي أنه لم يصنف في الإسلام مسند أكبر منه، وعقد أبو محمد ابن زياد مجلسا عليه لقراءته»..

وقال: «وكان مسند أبي بكر الصديق بخطه في بضعة عشر جزء بعلله وشواهده، فكتبه النساخ في نيف وستين جزء»[1].

(٦) «بحر الأسانيد في صحاح الأسانيد» للإمام السمرقندي (٤٠٩ - ٤٩١):

قال عمر بن محمد النسفي عن هذا الكتاب: «جمع فيه مائة ألف حديث، فرتب وهذب، لم يقع في الإسلام مثله، وهو ثمان مائة جزء»[2].

ثانيا: الموسوعات الحديثية الوسيطة:

والمقصود بالموسوعات الوسيطة: المصنفات الحديثية التي جمعها أئمة المحدثين المتأخرين، معتمدين في ذلك على مصنفات المحدثين المتقدمين.. يعني: أنهم يجمعون بغير أسانيد خاصة بهم.

ومن أهم هذه الموسوعات:

(١) «التجريد للصحاح الستة» لرزين بن معاوية العبدري السرقسطي (ت: ٥٣٥ هـ).

(١) سير أعلام النبلاء ٢٨٩/١٦ وتذكرة الحفاظ ٩٥٦/٣

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٠٦/١٩ وتذكرة الحفاظ ١٢٣١/٤

يعد هذا الكتاب من أوائل المحاولات لجمع الأصول الستة، وهي: (الموطأ، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي)، وقد أدخل رزين بن معاوية بعض الزيادات من مروياته، التي قال عنها الذهبي: «أدخل كتابه زيادات واهية لو تنزه عنها لأجاد»[(١)].

وقال الإشبيلي في وصف هذا الكتاب: «كتاب تجريد صحاح أصول الدين مما اشتمل عليه الصحاح الستة الدواوين بحذف الأسانيد، وتوقيد المسائل مع استقصاء مضمون الحديث»[(٢)]..

وقد رتب هذا الكتاب على حسب الأبواب الفقهية على غرار صحيح البخاري[(٣)].

(٢) «جامع المسانيد» للإمام ابن الجوزي (ت: ٥٥٤ هـ).

قال الذهبي: «أودع فيه أكثر متون المسند، ورتب وهذب، ولكن ما استوعب»[(٤)].

وقال في موضع آخر: «جامع المسانيد في سبع مجلدات، وما استوعب ولا كاد»[(٥)].

وقال الكتاني: «جمع فيه الصحيحين، والترمذي، ومسند أحمد، رتبه أيضا على المسانيد في سبع مجلدات»[(٦)].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٠٥

(٢) فهرسة ما رواه عن شيوخه ص ١٢٣

(٣) أفاده ابن الأثير في مقدمة جامع الأصول ١/٥٠

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣/٥٢٥ و ٢١/٣٦٨

(٥) المصدر المذكور.

(٦) الرسالة المستطرفة ص ١٧٦

(٣) «جامع الكتب الستة» لابن الخراط عبد الحق البجائى (ت: ٥٨٢ هـ).

قال ابن الآبار فى ترجمة ابن الخراط: «له مصنف كبير جمع فيه بين الكتب الستة»[1].

(٤) «جامع الأصول فى أحاديث الرسول ﷺ» لأبى السعادات ابن الأثير الجزرى (ت: ٦٠٦).

اعتمد ابن الأثير فى كتابه هذا على كتاب رزين بن معاوية الآنف الذكر، حيث قام بتهذيبه وشرح غريبه، وترتيبه إذ انه لم يعتمد على ترتيب رزين، بل رتب الكتب الفقهية على الأحرف الهجائية، فبدأ بالكتب التى تبدأ بحرف الألف وهى عشرة كتب، ثم الكتب التى تبدأ بحرف الباء.. وهكذا، حتى ختمه بكتاب اللواحق. واهتم ابن الأثير بمراجعة عمل رزين على الأصول الستة[2]، واكمل النقص الذى وقع فيه رزين، ومهد لكتابه بمقدمة ضافية مهمة ماتعة.

ويعد هذا الكتاب موسوعة حديثية عظيمة، يحوى بين دفتيه أصول الإسلام الستة، فهو كما وصفه مؤلفه:

«بحر زاخرة أمواجه، وبر وعرة فجاجه، لا يكاد الخاطر يجمع أشتاته، ولا يقوم الذكر بحفظ أفراده، فإنها كثيرة العدد، متشابهة الطرق، مختلفة الروايات»[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/١٩٩

(٢) انظر: مقدمة جامع الأصول ١/٥١

(٣) المرجع السابق ١/٥٢

وقد طبع الكتاب بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله -، ثم حققه وخرج أحاديثه تخريجاً متقناً الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، وعمل الأستاذ يوسف الزبيبي فهرساً لأحاديثه على حروف المعجم، وقد بلغ عددها على حسب ترقيم المحقق (٩٥٢٣) حديثاً.

(٥) «أنوار الصباح في الجمع بين الكتب الستة الصحاح» لأبي عبد الله محمد بن عتيق اللاردي (ت: ٦٤٦ هـ).

ذكره الذهبي في سير اعلام النبلاء نقلا عن ابن الآبار[1].

(٦) «جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن» للحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ).

قال الكتاني: «جمع بين الأصول الستة، ومسانيد أحمد والبزار وأبي يعلى والمعجم الكبير، وربما زيد عليها ومن غيرها»[2].

وقال أيضا: «رتبه على حروف المعجم، يذكر كل صحابي له رواية، ثم يورد في ترجمة جميع ما وقع له في هذه الكتب وما تيسر من غيرها»[3].

وهو كتاب جليل عظيم القدر جمع فيه مادة علمية كبيرة: «احتوى كتابه على أكثر من مائة ألف حديث فيها الصحيح والحسن والضعيف وأحيانا الموضوع»[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٥٧/٢٣

(٢) الرسالة المستطرفة ص ١٣١

(٣) المصدر المذكور.

(٤) أفاده الدكتور أكرم العمري في كتابه: بحوث في تاريخ السنة النبوية المشرفة ص ٢٥٥

ولكن توفى ابن كثير - رحمه الله - ولما يتم كتابه هذا، ويوجد هذا الكتاب مخطوطا فى دار الكتب المصرية فى سبع مجلدات.

(٧) «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للحافظ الهيثمى (ت: ٨٠٧ هـ).

ألف الهيثمى كتبا فى زوائد: مسند أحمد، ومسند أبي يعلى الصغير، والبزار، ومعاجم الطبرانى الثلاثة. كل واحد منها فى تصنيف مستقل، ما عدا المعجم الأوسط والصغير فإنهما فى تصنيف واحد.

ثم عرض الهيثمى كتبه هذه على شيخه الحافظ العراقى، فأشار عليه أن يجمع هذه الكتب فى مصنف واحد مجردة الأسانيد، فعمل بهذه المشورة وجمعها فى مؤلف واحد سماه: «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد». وهو كتاب مطبوع فى خمس مجلدات كبار.

وقد رتبه الهيثمى على الأبواب الفقهية، فبدأ بكتاب الإيمان، ثم العلم، ثم الطهارة، ثم الصلاة... وهكذا حتى ختمه بكتاب: صفة الجنة..

بذل الهيثمى جهدا كبيرا متميزا فى هذا الكتاب، وكان يهتم ببيان درجة الحديث من حيث القوة أو الضعف، ويتكلم عن رجال الحديث جرحاً وتعديلا بعبارات مختصرة. ولكن تميزت آراؤه بالتساهل، ولهذا تعقبه السيوطى بمؤلف سماه: «بغية الرائد فى الذيل على مجمع الزوائد».

(٨) «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» للحافظ البوصيرى (ت: ٨٤٠ هـ).

جمع البوصيرى زوائد عشرة مسانيد على الكتب الستة، وهى: مسند الطيالسى، ومسدد، والحميدى، وإسحاق بن راهويه، وابن أبي شيبة،

والعدنى، وعبد بن حميد، والحارث بن أبى أسامة، وأحمد بن منيع، ومسند أبى يعلى الكبير.

وكان البوصيرى يهتم بالحكم على الأحاديث صحة وضعفاً، وبتقويم الرجال جرحاً وتعديلا. ورتب كتابه على أبواب الفقه، وقدم لكتابه بتراجم لأصحاب المسانيد التى اعتمد عليها فى كتابه.

ويوجد لكتاب اتحاف الخيرة المهرة نسختين:

الأولى: مسندة، أتمها سنة ٨٢٣ هـ.

والأخرى: مجردة من الأسانيد، أتمها سنة ٨٣٢ هـ.

وتوجد النسخة المسندة مخطوطة فى دار الكتب المصرية، ويجرى العمل على تحقيقها الآن فى الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية فى رسائل علمية، وقد تم الانتهاء من بعضها بحمد الله[1].

(٩) «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» للحافظ ابن حجر العسقلانى (ت: ٨٥٢ هـ).

جمع فيه ابن حجر زوائد ثمانية مسانيد وهى: مسند الطيالسى، والحميدى، وابن أبى شيبة، ومسدد، والعدنى، وعبد بن حميد، وأحمد بن منيع، والحارث ابن أبى أسامة.

كما أنه تتبع ما فات الهيثمى فى مجمع الزوائد من مسند أبى يعلى الكبير، لكون الهيثمى اقتصر على المسند الصغير، ووقع لابن حجر قدر النصف من مسند ابن راهويه، فتتبع ما فيه من الزوائد، فصار مجموع ما تتبعه من ذلك: عشر دواوين.

(١) انظر: دليل الرسائل الجامعية فى المملكة العربية السعودية ص ٢٠

ووقف ابن حجر على قطع من عدة مسانيد مثل: مسند الحسن بن سفيان، ومسند الروياني.. وغيرها، ولم يكتب منها شئ لأنه كان ينوى ان يرجع إليها ويتتبع زوائدها بعد أن ينهى تبييض كتابه[1].

ورتب ابن حجر كتابه على الأبواب الفقهية، ويوجد لهذا الكتاب نسختين:

الأولى: مسنده، وهى موجودة مخطوطة فى دار الكتب الظاهرية بدمشق.

الثانية: مجردة من الأسانيد، نشرها الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.

ويختلف كتاب المطالب العالية عن كتاب اتحاف الخيرة المهرة بأمور، منها:

الأول: أن البوصيرى تتبع الزوائد على الكتب الستة فقط، بينما ابن حجر تتبع الزوائد على الكتب الستة ومسند أحمد. ومن أجل هذا يعد كتاب البوصيرى أغزر مادة وأكبر حجما.

الثانى: أن البوصيرى كان يهتم ببيان درجة الحديث وحال الرواة، بينما ابن حجر لم يحكم إلا على عدد قليل جداً من الأحاديث.

(١٠) «الجامع الصغير» لجلال الدين السيوطى (ت: ٩١١ هـ).

جمع السيوطى الأحاديث النبوية القولية مرتبة على حروف المعجم، معتمدا على مصادر كثيرة، وقد بلغ عدد الأحاديث التى جمعها: (١٠٠٣١) حديثا. ثم أضاف السيوطى الى هذا الكتاب زيادة من الأحاديث فاتت عليه بلغ عددها: (٤٤٤٠) حديثا.

---

(١) مقدمة المطالب العالية لابن حجر ١/٤-٥.

وقد جمع بين الكتاب وزيادته الشيخ يوسف النبهاني في مؤلف واحد سماه : « الفتح الكبير » رتبه على حروف المعجم تبعا للسيوطي ، و بلغ عدد أحاديثه . (١٤٤٧١) حديثا .

و عمل السيوطي هذا عمل عظيم و جهد جبار مبتكر ، يسهل عملية البحث عن الحديث المطلوب ، وكان يذكر درجة كل حديث من حيث الصحة أو الضعف ولكن تميزت آراؤه بالضعف والتساهل ، ولهذا قام الشيخ الألباني بتتبع أحاديثه و بيان درجتها ، وقسمه الى كتابين : صحيح الجامع الصغير و زيادته ، و ضعيف الجامع الصغير و زيادته ، و هما مطبوعان منتشران .

(١١) « جمع الجوامع » لجلال الدين السيوطي (ت : ٩١١ هـ) .

جمع فيه السيوطي ثمانين كتابا من كتب السنة ، و قسمه الى قسمين :

الأول : يتضمن الأحاديث القولية ، وقد رتبها على حروف المعجم كالجامع الصغير .

الثاني : و يتضمن الأحاديث الفعلية وما شابهها . وقد رتبها على مسانيد الصحابة رضي الله عنهم .

و هذا الجهد جهد كبير متميز ، و يعد من أكبر الموسوعات الحديثية المصنفة ، إلا أنه محشو بالأحاديث الضعيفة بل والموضوعة ، وقد نشر الكتاب مصورا من مخطوطة دار الكتب المصرية ، تحت إشراف الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الا ان الاستفادة منه بهذه الصورة متعسرة و تستهلك جهداً ووقتاً .

(١٢) « كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال » لعلاء الدين علي ابن الحسام المعروف بـ : المتقي الهندي (ت : ٩٧٥ هـ) .

جمع فيه المتقى الهندى: الجامع الصغير وزيادته، مضافاً اليه ما بقى من قسم الأقوال و قسم الأفعال من كتاب جمع الجوامع و رتبه جميعه على الأبواب الفقهية على غرار جامع الأصول لابن الأثير.

وقد بلغ عدد أحاديثه: (٤٦٦٢٤) حديثا، الا أن الاستفادة منه شاقة لصعوبة البحث فيه، و لهذا عمل له الأستاذين: نديم و أسامة المرعشلى فهرسا لأطراف الأحاديث على نسق حروف المعجم.

والكتاب ملىء بالأحاديث الضعيفة و الموضوعة، تبعا لكتابى السيوطى.

هذه بعض جهود أئمة المحدثين فى جمع حديث النبى ﷺ وترتيبه وتبويبه، ولم أقصد الاستقصاء و التتبع لجميع الأعمال.. و لكن أردت أن أبين عظم المجهود الذى قام به أولئك الأفذاذ، رغم قلة الإمكانات.

ولم يتوقف جهد المحدثين عند الجمع و الترتيب.. بل تعداه إلى علوم أخرى من أهمها: ضبط قوانين الرواية تحملا و أداء، وتوثيق الروايات و تدقيقها. و بنوا صرحاً شامخاً سامقا تميزت به هذه الأمة من بين الأمم، حفظت السنة من كل تحريف أو تبديل أو تغيير، حتى قال الثورى: «لو هم رجل أن يكذب فى الحديث وهو فى بيت، فى جوف بيت، لأظهر الله عليه».

ولكن! خلفت من بعدهم خلوف نسيت كثيرا مما ذكرت بـه فضاعت و ضيعت، فأهمل حديث النبى ﷺ إهمالا شديداً، و اندرست كثير من معالم سنته علماً و عملا، و ظلت كنوز الأمة مخطوطة، حبيسة فى أدراج المكتبات الشرقية والغربية ردحاً من الزمن...!

وفى العقدين الآخرين ظهرت بوادر الصحوة، الإسلامية، العامة التى كانت من ثمراتها رجوع كثير من الباحثين و طلاب العلم إلى تراث السلف الصالح، فنشرت كثير من المخطوطات القيمة، و الدراسات المتميزة، ولا زالت دور النشر تدفع المزيد من البحوث و الدراسات العلمية الجادة، نسأل الله عز و جل أن يبارك فى الجهود و يجعلها لوجهه خالصة.

وفى منتصف التسعينات الهجرية ظهرت فى الأوساط العلمية نداءات من هنا وهناك ، تدعو إلى ضرورة جمع الحـــديث النبوى الشريف فى موسوعة شاملة . وقد قامت مشروعات عديدة بهذا الصدد منها :

١ — يقوم الدكتور محمد الأعظمى منـــذ عام ١٣٩٨ هـ تقريبا باستخدام الحاسب الآلى لعمل الموسوعة الحديثية ، وهو يقوم بجهد فردى جبار ، وكان من أول ثمراته : إخراج سنن ابن ماجه إخراجا علميا بديعا ، ونحن نتطلع بشوق شديد الى هذه الموسوعة ، فقد أوشكت على نهايتها .

٢ — فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بدأ مشروع بإسم : موسوعة الحديث النبوى ، منذ عام ١٣٩٨ هـ ، و يعمل فى المشروع مائـــة باحث . . إلا أنى لا أعرف شيئاً عن أعمال هذا المشروع و إنجازاته ، وهل لا زال العمل مستمرا أم توقف ؟ !

٣ — فى جامعة قطر افتتح مركز بحوث السنة و السيرة بإشراف الدكتور يوسف القرضاوى ، ومن أعمال هذا المركز الاعداد لمشروع الموسوعة الحديثية .

٤ — يقوم الدكتور عبد الملك القاضى أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعـــة البترول و المعادن فى الظهران بعمل موسوعة حديثية ، صدر منها حتى الآن فيما أعلم : كتاب الصيام ، وكتاب الزكاة ، وصلاة الجمعـــة ، وأحاديث الحرمين الشريفين و المسجد الأقصى .

وهذه كلها جهود مباركة — بلا شك — نسأل الله عز و جل أن يوفق و يسدد القـــائمين عليها . . . لكن لا أظنها كافيـــة لاتمام الغرض المنشود . . خاصة أننا نملك الطاقات المختلفة التى تيسر لنا عمل مثل هـذا المشروع الضخم ، و تسخير الطاقة التكنولوجية الحديثـة سوف يختصر الوقت و يجعل العمل أكثر دقة . . ولا أظن أن آحاداً من الأمة قادرين على استيعاب جميع الجوانب . . ولهـذا أتمنى من إحدى الجـامعات أو المؤسسات الإسلامية تبنى هذا المشروع بالاستفادة من خبرات السابقين و التنسيق العاملين فى هذا المضمار . . . .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

توجيه نبوى كريم
للوقاية من سم الذباب الواقع فى الإناء

بقلم : الشيخ لطف الحق الشمسى
المدرس فى المدرسة الحميدية دار الحديث
بوانى فور ، بنغال الغربية

حامدا ومصليا ومسلما ، و بعد فأيها القراء الكرام أريد أن أقدم بين أيديكم ناحية الإسلام الطبية فى هذا الموضوع مقارنا بآراء الأطباء والحكماء ، و المقصود الأعظم بالكتابة فى مثل هذا الموضوع هو الإعلام و الإشعار بأن تعاليم الإسلام السامية عالمية ، وإنها تستطيع أن تنفع أهل العالم فى جميع مراحل حياتهم ، وترشدهم إلى سائر العلوم والفنون التى توجد فى العالم ، لاشك أن الإسلام أكمل الأديان والملل تقنينا وتشريعا وتعليما وتربية وتثقيفا وتهذيبا ، ولذا نرى أن الإسلام قد استطاع أن يحل سائر القضايا والمشكلات التى حدثت فى الناس حلا شافيا ، فما من علم نافع فى العالم الا اعتنى به الإسلام ، وما من مجال من مجالات الحياة الا هدى إليه هداية كاملة . وأنى بتوفيق الله تعالى قد ألفت رسالة تشتمل على اعتناء الاسلام بوقاية الصحة ، وسميتها « عناية الإسلام بحفظ الصحة والأجسام » . أبرزت فيها أن الإسلام قد اعتنى بحفظ الصحة والأبدان أكثر من أى دين ولا ملة ويبنت فيها أن الاسلام أرشد الناس أولا إلى ميادين الطب وعرفهم بذلك .

١

إن الله تعالى بعث محمدا ﷺ إلى الناس وقد جمع فيه كل علم وفن وكنوز الخير والمعارف، فكان ﷺ أفضل معلمي العالم وأشرف أطبائه وأمثل حكمائه، وإني أؤمن بأنه لم ير الزمان معلما أفضل من محمد ﷺ ولا مرشدا أنبل منه ولن يرى معلما أشرف منه ولا قائدا أنجح منه.

إن المصطفى ﷺ أمر الناس بما يضمن سعادة الدنيا والآخرة، ونهاهم عما يفضي إلى أضرار الأبدان والأجسام؛ إن طبيبنا الروحاني الجسماني ﷺ قد حذرنا ووقانا من المفاسد والمضار التي تحيط بأبداننا غاية التحذير، كما أنه ﷺ أمرنا أن نغمس الذباب كله في الشراب إذا وقع فيه، وبين ﷺ سبب ذلك بأن الذباب يقدم في الشراب جناحه الذي فيه الداء، ويؤخر جناحه الذي فيه الشفاء، فإذا غمس جناحه الذي فيه الشفاء فيه زال أثر السم وكسر الداء، ولأجل كسر الداء، وزوال السم أمر الرسول العربي ﷺ أن يغمس الذباب كله في الشراب ليحصل به الشفاء المودع في أحد جناحيه، قال الرسول الأكرم ﷺ: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء» أخرجه البخاري وأبو داود وزاد «وإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء» ولفظ البخاري «ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء» وفي لفظ: سما. وعند أحمد وابن ماجه «انه يقدم السم ويؤخر الشفاء»[1].

أفاد الحديث الجليل أن في أحد جناحي الذباب داء وفي الآخر شفاء، وعرف أهل العالم ذلك بعد ما بينه الرسول الأعظم ﷺ، وقبل ذلك كانوا غافلين عنه، وإني لا أرى أحدا من الأطباء والحكماء والفلاسفة والعلماء الطبيعيين بين ذلك قبله، ولو أنه ﷺ لم يبين ذلك ولم يخبر عنه لجهل الناس، ولذلك استحق ﷺ لقب أفضل معلمي العالم، ولم يستطع أحد أن يبلغ المدارج والفضائل التي بلغها المصطفى الأعظم ﷺ. والآن أنا أود أن أحقق ما قاله

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام ٢/٣٥-٣٦

الرسول العربى ﷺ من كون السم فى أحد جناحى الذباب والشفاء فى الآخر بإيراد آراء الأطباء ونظرياتهم فى ذلك .

فإن من الناس من يستغرب أن يجتمع الداء والشفاء معا فى جناحى الذباب ، وهذا شىء عجاب ، فأقول و بالله التوفيق : إن أفاضل الأطباء وأماثل الحكماء وأكابر الفلاسفة قد اعترفوا بأن الذباب من أعظم الأسباب فى انتشار الأمراض بين الانسان والبهائم ، وقالوا : إنه يحمل معه جراثيم الأمراض ، فكيف ينشر جراثيم الأمراض بين الانسان وغيره إن لم يكن فى أحد جناحيه داء ؟ أنقل لكم ما أورده أحد الأطباء المسلمين محمد توفيق صدقى فى كتابه سنن الكائنات (١٦٢/١) .

قال رحمه الله رحمة واسعة : لايخفى أن من عادة الذباب أن يجتمع على القاذورات و النجاسات ، ثم ينتقل منها إلى طعام الإنسان أو يسقط فى شرابه أو يقف فوق عينيه ، وبذلك تنتقل جراثيم الأمراض إلى الإنسان وتنتشر بين أفراد هذا النوع . و من أمثلة ذلك وقوفه على عين المصابين بالرمد الصديدى ثم انتقاله إلى الأعين السليمة فتصاب بهذا الرمد . ومن أسباب انتشار الحمى التيفودية بشكل وبائى وقوف الذباب على البراز مثلا اذا لم يدفن فى الأرض دفنا جيدا فيتلوث الذباب بميكروب التيفود ، وبعد ذلك يقف على الخبز مثلا ومثل التيفود الهيضة (الكوليرا) والدوسنطاريا . ومن الذباب ما يلدغ بعض الحيوانات المصابة بالجمرة الخبيثة ثم يأتى الى الانسان فيلحقه بها . ومنه ما ينقل بلدغه مرض النوم وغيره من شخص لآخر . ويقال : ان البللغرا تنتقل أيضا بلدغ بعض أنواعه كما سبق . ومن المحقق أن حمى ثلاثة أيام وسبعة أيام والحمى البسيطة المستمرة فى الهند كلها تنتقل بلدغه . وحمى ثلاثة أيام هذه تسمى أيضا بابا تتسى . وسميت بذلك أخذا من اسم الذباب الذى يحدثها .

وميكروب هذه الحميات وراء المجهر على ما يظهر ، ومن مضار الذباب

أيضا أنه قد يضع بيضة فى الجروح أو فى الآذان أو فى تجاويف الأنف ، فيفقس هذا البيض ، ويخرج منه النغف ، (وهو ما يسمى الآن باليرقات ويشبه الدود) وهذه الديدان تأكل من جسم الإنسان ، وتحدث فيه التهابا شديدا ، وإذا أصابته جروحا آلمته ايلاما شديدا ، ويحصل بسببها أيضا التهاب ، وتعوق برء الجرح مدة مديدة حتى أن الجرح لايشفى إلا إذا خلص منها . ومن أنواع هذه الديدان ما يأكل جثة الموتى(١) .

وكذلك حقق أطباء الانكليز بأن الذباب من أكبر الوسائل فى انتشار الأمراض بين أوضاع الإنسان ، ذكر المعلق على سبل السلام أنه قد قرر أطباء الانكليز أن من أعظم أسباب انتشار الحمى التيفودية بين الجنود فى حرب الترنسفال (سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٢) كان الذباب ، وساعده فى ذلك الريح تنقل الأتربة الملوثة بالبراز إلى طعام الجنود ، فلذا يجب ازالة جميع القاذورات من حول الإنسان ودفن المواد البرازية ونحوها دفنا جيدا أو ابادتها بأية طريقة بحيث نأمن وقوف الذباب عليها وانتقاله إلينا ، وأحسن الطرق حرق القاذورات أو وضع الفنيك أو الفورمالين عليها .

وقد قال الشيخ ناصر الدين الألبانى حفظه الله تعالى :

ومع ذلك فان النفس تزداد ايمانا حين ترى الحديث الصحيح يوافقه العلم الصحيح ، ولذلك فلا يخلو من فائدة أن أنقل الى القراء خلاصة محاضرة ألقاها أحد الأطباء فى جمعية الهداية الاسلامية بمصر حول هذا الحديث قال : « ويقع الذباب على المواد القذرة المملوءة بالجراثيم التى تنشأ منها الأمراض المختلفة ، فينقل بعضها بأطرافه ، ويأكل بعضا فيتكون فى جسمه من ذلك مادة سامة يسميها علماء الطب بـ « مبعد البيكتريا » وهى تقتل كثيرا من جراثيم الأمراض ، ولا يمكن تلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها تأثير فى جسم

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام ١/٣٥

الانسان فى حال وجود مبعد البيكتريا الى ناحيته، وعلى هذا فاذا سقط الذباب فى شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه فى ذلك الشراب فان أقرب مبيد لتلك الجراثيم جناحيه، فاذا كان هناك داء فدوائه قريب منه، وغمس الذباب كله وطرحه كاف لقتل الجراثيم التى كانت عالقة، وكاف فى ابطال عملها»(١).

فتبين جليا بهذا البيان أن قول الرسول العربى ﷺ «بأن فى أحد جناحيه داء» صحيح حق موافق لآراء الأطباء. ولما قول الرسول العربى ﷺ «وفى الآخر شفاء» فأود أن أثبته أيضا ببيان آراء الأطباء وأفكارهم ليتجلى صدق قوله ﷺ فى ذلك.

أثبت العالم الجليل الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله اجتماع مادة السمية ومادة الترياقية فى جناحى الذباب فى كتابه «حجة الله البالغة» فقال: اعلم أن الله تعالى خالق الطبيعة فى الحيوان مدبرة لبدنه، فربما دفعت المواد المؤذية التى لا تصلح أن تصير جزء البدن من أعماق البدن إلى أطرافه، ولذلك نهى الأطباء عن أكل أذناب الدواب، فالذباب كثيرا ما يتناول أغذية فاسدة لاتصلح جزءا للبدن فتدفعها الطبيعة إلى أحسن عضو منه كالجناح، ثم ذلك العضو لما فيه من المادة السمية يندفع إلى الحك، ويكون أقدم أعضائه عند الهجوم فى المضايق. ومن حكمة الله تعالى أنه لم يجعل فى شىء سما الا جعل فيه مادة ترياقية لتحفظ بها بنية الحيوان، ولو ذكرنا هذا المبحث من الطب لطال الكلام. وبالجملة فسم لسع الذباب فى بعض الأزمنة وعند تناول بعض الأغذية محسوس معلوم، وتحرك العضو الذى تندفع إليه المادة اللذاعة معلوم، وأن الطبيعة يختفى فيها ما يقاوم مثل هذه المواد المؤذية معلوم، فما الذى

(١) تعليق سبل السلام شرح بلوغ المرام للشيخ محمد عبد العزيز الخولى (٣٦/١)

يستبعد من هذا المبحث[١].

وذكر الشيخ عبد الرؤف الرحمانى حفظه الله تعالى (وهو عضو من أعضاء الرابطة بمكة المكرمة) ناقلا من زاد المعاد (٣٩/٢) لابن القيم رحمه الله فى تحقيق سم الذباب فى أحد جناحيه وشفائه فى الآخر فى كتابه «نصرة البارى فى بيان صحة البخارى» باللغة الأردية: يستبعد العاقل غمس الذباب مرة أخرى فى الإناء وحصول الشفاء به، مع أن نظيره موجود فى خلق الله تعالى كما فى الأفعى الذى يوجد فيه السم و الترياق معا، وكذلك فى النحلة الشفاء وسم لسعها[٢].

وكتب المؤلف المذكور فى حاشية هذا الكتاب: ذكرت جريدة «سياست» الأردية الصادرة من كانفور فى عدد يوليو ١٩٥٧م أن رجلا ضعيفا لسعته الحية فعادت لذلك باصرته وقد صار شعره الأبيض مسودا.

وقال صاحب سبل السلام رحمه الله تعالى: وقد ذكر غير واحد من الأطباء أن لسعة العقرب والزنبور إذا دلك موضعها بالذباب نفع منه نفعا بينا ويسكنها وما ذلك الا للمادة التى فيه من الشفاء[٣].

فظهر جليا من التقرير المذكور أن نظر الشارع عليه السلام فى جانب وقاية الصحة أدق وأوسع وأكبر دون شك، وأن آرائه وأفكاره ﷺ فى كون الذباب حامل السم فى أحد جناحيه والشفاء فى جناحه الآخر صحيحة سديدة لا تحتمل الكذب بحال، وقد قبلتها أذهان العقلاء وأفهام الأذكياء.

والله غالب على أمره، ومنه التوفيق.

---

(١) حجة الله البالغة (١٨٦/٢) للشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله تعالى.

(٢) نصرة البارى فى بيان صحة البخارى ص ٢٦٠

(٣) سبل السلام ٣٧/١

عدد صفحات الجزء ٥٦

صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٦) جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ

العدد الحادى عشر نوفمبر ١٩٩٤ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١/١٨ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi - 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٥٠ روبية ، فى الخارج ٣٢ دولارا (بالبريد الجوى) ١٢ دولارات (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٥٠/٤ روبيات

★ تليفون : ٣٢٠٩٥٨/٣٢٢١١٦ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

◎ المنشور لا يعبر إلا عن رأى كاتبه ◎

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيداً عن التحيز الفكري، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الاسلام، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية.

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمبادىء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما في نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، في تعمق و وعي وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.

◇ إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعي الاسلامي في الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام في معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين في الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.

◇ التوجيه الديني السليم للسلمين في القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضي في طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد؟

صور من نشاط المدارس الإسلامية فى الهند
(٤)

مدارس أهل الحديث

١ — مدرسة المحدث السيد نذير حسين : هذا المقال الخاص بالتعريف ببعض مدارس أهل الحديث فى الهند ، أبدأه بمدرسة راحلة صارت فى ذمة التأريخ فلا تشاهد منها العيون أثرا ماديا من الأرض والمبنى والأثاث، ولكن آثارها المعنوية ملموسة لدى الجميع . أبدأ بهذه المدرسة لأنها تعتبر نواة لمدارس أهل الحديث فى الهند ومفخرة لكل من يهتم بعلوم الكتاب والسنة .

أنشأ السيد نذير حسين هذه المدرسة فى مسجد بباب (حبش خان) فى دهلى فى عام ١٨٥٧م ، وبدأ فيها التدريس فاستمر إلى وفاته فى عام ١٩٠٢م ، درس فى هذه المدة علوم التفسير والحديث والفقه ، وركز على علم الحديث تركيزا لم يعهد لغيره من الشيوخ والمدرسين . ألوف من الطلاب استفادوا من هذه المدرسة ومن دروس السيد نذير حسين فيها . سجلت أسماء طلابها فى الأيام الأولى فوصلت عشرة آلاف ، ثم ترك التسجيل[1].

ويقول الشيخ أبو يحيى امام خان النوشهروى عن ميزة هذه المدرسة :

«كانت مدرسة السيد نذير حسين جامعة لأهل الحديث فى الهند استفاد

(١) تدريسى خدمات ص ١٦

منها آلاف الطلاب، وتولوا منصب التدريس بكفاءة»[١].

وقد أورد الشيخ أبو يحيى أسماء المدن والبلاد التى وصل منها الطلاب إلى المدرسة المذكورة من خارج الهند فكانت كما يلى:

كابل وباجور وياغستان وبخارا وسمرقند وغزنى وقندهار وقوقند وهرات والحجاز ونجد والحبشة والسودان[٢].

توفى السيد نذير حسين فى عام ١٩٠٢م، ولكن بقيت مدرسته تخدم الدين والعلم إلى عام ١٩٤٧م، ولما نشبت الاضطرابات الطائفية زمن استقلال الهند وانقسامها إلى الهند وباكستان؛ تدهور وضع هذه المدرسة ثم توقفت مثلما توقفت الأنشطة العلمية والدينية الأخرى، وفى السنوات الأخيرة أنشئت مدرسة مكان المدرسة القديمة وبنفس الاسم، ولكن:

«ليس كل بيضاء شحمة».

شخصية مؤسس المدرسة: والتعريف بمدرسة السيد نذير حسين لايتم إلا إذا ألقى الضوء على حياته الحافلة وأعماله العظيمة، وذلك لأن المدارس الاسلامية فى ذلك العصر لم تكن تعرف بمبانيها الفخمة وبأقسامها العديدة وبمشاريعها المتنوعة كما هو المعهود فى هذه الأيام، بل كانت تعرف بانجازاتها العلمية وبخدماتها الجليلة وبتأثيرها البالغ فى المجتمع الذى تعمل فيه. والعلماء الذين كانوا يدرسون فيها لم تكن هممهم قاصرة على تقاضى الرواتب، بل كانوا يحتسبون الأجر من التدريس، ويعتبرونه واجبا يسألون عنه عند الله، ومن هنا كانت

---

(١) هندوستان ميں اهل حديث كى علمى خدمات — خدمات أهل الحديث العلمية فى الهند ص ١٢١

(٢) نفس المصدر ص ١٦

شخصياتهم ترتبط بالمدارس التى يعملون فيها ارتباطا وثيقا. كانت بهذه المثابة شخصية السيد نذير حسين لمدرسته التى عرفت باسمه. ولذا ينبغى أن نشير إلى حياته بايجاز حتى يتجلى دوره الذى لعبه فى مجال التدريس والتوجيه.

ولد السيد نذير حسين الملقب بـ « ميان صاحب » فى قرية سورج كره من أعمال مونكير فى ولاية بيهار، ورحل لطلب العلم إلى البلاد. قرأ على أساتذة عظيم آباد (بتنه) والتقى هناك بزعماء حركة الجهاد للإمامين الشهيدين: السيد أحمد بن عرفان، والشاه اسماعيل بن عبد الغنى، رحمهما الله، فرحل إلى دهلى ووصل إليها فى سنة ١٢٤٣هـ، وتتلمذ على أساتذتها، ولازم المحدث الشيخ محمد اسحاق الدهلوى (١٣) عاما، وتشبع بعلومه، واستغرف من بحار علمه، وفاق أقرانه فى العلم والفضل، فاستخلفه الشيخ محمد اسحاق مسنده عند هجرته إلى مكة المكرمة سنة ١٢٥٨هـ، فعكف على هذا المسند الشريف للافادة والدرس، واشتهر بـ « شيخ الكل فى الكل » ومنحته الحكومة وسام « شمس العلماء » اعترافا بعلمه ونبوغه فى العلوم والفنون. يقول فيه تلميذه الشيخ عبد الحى الحسنى:

« أجازه الشيخ محمد اسحاق فتصدر للتدريس والتذكير والافتاء، ودرس الكتب الدراسية من كل علم وفن، لاسيما الفقه والأصول إلى سنة سبعين ومائتين وألف (١٢٧٠ هـ)، ثم غلب عليه حب القرآن والحديث، فترك الاشتغال بما سواهما إلا الفقه، ونفع الله بعلومه خلقا كثيرا من أهل العرب والعجم، وانتهت إليه رئاسة الحديث فى بلاد الهند. أما تلامذته فعلى طبقات، فمنهم العاملون الناقدون المعروفون، فلعلهم يبلغون إلى ألف نسمة، ومنهم المقاربون بالطبقة الأولى فى بعض الأوصاف، ومنهم من يلى الطبقة الثانية،

وأهل هاتين الطبقتين يبلغون إلى الآلاف».

وقال المحدث حسين بن محسن الأنصارى:

«انه فرد زمانه ومسند وقته وأوانه، ومن أجل علماء العصر بل لا ثانى له فى اقليم الهند فى علمه وحلمه وتقواه، وانه من الهادين والمرشدين إلى العلم بالكتاب والسنة والمعلمين لها. بل أجل علماء هذا العصر المحققين فى أرض الهند، أكثرهم من تلامذته»[1].

وقد ترجم الدكتور عبد الرحمن الفريوائى فى كتابه (٦٨) عالما من تلاميذ السيد نذير حسين ترجمة موجزة نرى خلالها أن معظمهم كانوا بارعين فى التدريس، معروفين فى التأليف، زاهدين فى الحياة الدنيا ومتعها، عارفين طرق الدعوة والارشاد الناجحة، ملمين بأساليب الحياة والتعايش فى المجتمع الذى يضم أخلاطا من أتباع الديانات المختلفة.

والمصادر التى ترجمت السيد نذير حسين اتفقت على تلمذه على الصدر الحميد الشاه محمد اسحاق المحدث الدهلوى، وعلى أخذه الاجازة منه، وعلى اضطلاعه بمهمة تدريس الحديث الشريف و رفع رايته فى البلاد الهندية. وصورة الاجازة التى حصلت للسيد من الشاه، رحمهما الله تعالى رحمة واسعة، تبرز أهمية العلاقة بين الشيخ وتلميذه، وتدل على كفاءة التلميذ واخلاصه فى سبيل نشر العلوم وتربية الجيل الجديد. ومما ورد فى هذه الاجازة:

«فيقول العبد الضعيف محمد اسحاق: ان السيد النجيب المولوى محمد نذير حسين قد قرأ على أطرافا من الصحاح الستة: البخارى ومسلم وأبى داود

---

(١) جهود مخلصة فى خدمة السنة المطهرة، الدكتور عبد الرحمن الفريوائى، الطبعة الثانية ١٩٨٦م، ص ١٠٣، تراجم علماء حديث هند ١/١٣٥

والجامع للترمذى والنسائى وابن ماجه وشيئا من كنز العمال والجامع الصغير وغيرها ، وسمع منى الأحاديث الكثيرة ، فعليه أن يشتغل بقراءة هذه الكتب ويتدرس بها لأنه أهلها بالشروط المعتبرة عند أهل الحديث . وإنى حصلت القراءة والسماعة والاجازة لهذه الكتب من الشيخ الأجل الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوى » .

توقيع وختم (محمد اسحاق) ١٢٥٢ ه‍ .

وهذا المحدث الكبير والعالم الجليل قد قام بالتدريس فى حياة شيخه ، وخلفه بعد هجرته إلى مكة المكرمة ، فاستغرقت مدة تدريسه أكثر من ستين سنة درس فيها العلوم العديدة ، وركز بصفة خاصة على الحديث والتفسير والفقه(١).

وعن كثرة تلاميذه وانتشارهم فى الهند يقول الأستاذ أبو الحسنات :

«كان المحدث السيد نذير حسين من قرية سورج كره فى بيهار ، وتوطن بدهلى ، وخدم علم الحديث خدمة يعرفها الجميع ، ولايخلو قطر من أقطار الهند من تلامذته »(٢).

ويحكى عن سعة اطلاعه على المصادر والمراجع وتبحره فى العلم والفقه أن الحافظ بارك الله البنجابى ناقش مسألة فقهية وأحال إلى أربعة عشر (١٤) كتابا، فأورد السيد نذير حسين فى نفس المبحث أسماء أربعين (٤٠) كتابا .

وذات يوم كان السيد يدرس صحيح البخارى فقرأ عليه أحد من حاشية المولوى الحافظ أحمد على السهارنفورى أن تخصيص عموم القرآن لايجوز بخبر الواحد . فدل السيد نذير حسين ارتجالا على (٤٥) موضعا خصص فيها

(١) تدريسى خدمات ص ١١

(٢) مدارس الهند ص ٥٢

فى الهند وخارجها لما تمتعت به من سعى واخلاص فى القائمين عليها، ومن كفاءة فى المدرسين، ومن رغبة واجتهاد فى الطلاب. ومستوى الدراسة الممتاز لهذه المدرسة جذب إليها الطلاب من كل جهة، حتى ان عديدا من الطلاب وفدوا إليها من خارج الهند، أى من نجد والحجاز. و بطلابها وصل صيتها إلى مصر أيضا.

ومن ميزات هذه المدرسة أن أسرة الشيخ عبد الرحمن وحدها كانت تتحمل جميع نفقاتها من تغذية الطلاب و رواتب المدرسين وما يلزم ذلك، ولم تكن تقبل شيئا من أحد، واستمرت على ذلك نحو ربع قرن تخدم الدعوة الاسلامية وعلوم الكتاب والسنة. يقول الأستاذ محمد فاروق:

«كان الشيخ عبد الرحمن رجلا وجيها محبا للدين والعلم، وكانت علاقاته طيبة مع سلطة دهلى، فبذل الجهد للحصول على الأرض، ونجح فى ذلك بتوفيق الله تعالى، وبنى فيها عمارة المدرسة الجميلة بنفقة بلغت نحو مائة ألف روبية هندية فى ذلك الوقت. وتحمل مثل هذه النفقة من قبل شخص واحد إنما يدل على اخلاص الرجل وحبه البالغ الدين والعلم وللعلماء والطلاب. انه أنفق المال بهمة عالية، فالله تعالى كتب النجاح لجهوده وميز مدرسته بين مدارس الهند، و وفق المتخرجين فيها لأداء واجبهم الدينى والعلمى أحسن توفيق»(١)

مؤسس مثالى: انشاء المدارس والاشراف على ادارتها أمر مألوف فى هذه الأيام، وفى الأيام الماضية أيضا تحمل رجال الأمة مثل هذه المسئوليات، ولكن بعض المسئولين قد ضربوا مثالا رائعا للشعور بالمسئولية والقيام بالواجب والالتزام بالاخلاص والأمانة فى أمور الأمة. وقد تجلت هذه الصفات فى شخصية الشيخ عطاء الرحمن أثناء اشرافه على مدرسته الرحمانية، فقد حكى

(١) مجلة محدث، اكتوبر ١٩٨٤م، ص ٢١

عنه الناس أنه كان يستيقظ قبيل الفجر يوميا فكان يمشى على الأقـدام من بيته بباب حبش خان إلى مدرسته بباره هندو راؤ، ويوزع فى طريقه المال على الفقراء والمحتاجين، وبعد وصوله إلى المدرسة كان يوقظ الطلاب لصلاة الفجر، ثم يجلس على باب المدرسة من الساعة الثامنة صباحا إلى الرابعة مساء، يشرف على الشئون الادارية والدراسية. وقد أورث دأبه هذا فى المدرسين والطلاب روح المحافظة على النظام، وأداء الواجب على الوجه المطلوب، فالجميع كانوا يشعرون بالمسئولية، ويقومون بأعمالهم دون تكاسل وتأخير. وهذه المراقبة الشديدة من المؤسس كان يصحبها لين وتسامح وعطف فى معاملته مع الطلاب، وخاصة الطلاب المنتمين إلى الأسر الفقيرة، فكان يقدم لهم المساعدة المالية مع الملابس والبسط. والهـدف من وراء ذلك كله هو تهيئة المناخ الصالح والجو الملائم للدراسة والمطالعة، وتشجيع الطلاب على التفرغ للعلم والانصراف عن كل شىء إلى التحصيل. وقد نجحت بتوفيق الله تعالى هذه الفكرة، وأعطت المدرسة ثمارا طيبة قلما يوجد نظيره فى تأريخ الهند(١).

ورئيس الجامعة السلفية الشيخ المحـدث أبو الحسن عبيد الله الرحمانى مؤلف مرعاة المفاتيح فى شرح مشكاة المصابيح تخرج فى المدرسة الرحمانية ثم تعين فيها مدرسا، وخدم هذه المؤسسة التعليمية بإخلاص وكفاءة مدة ربع قرن، وخبر نظامها وعرف أحوالها وساهم فى نشاطها. سئل الشيخ عن سر نجاح المدرسة ونجاح رجالها فأفاد بأن منهجها كان متوازنا معتدلا خاليا من الافراط والتفريط، وكان يضم من العلوم التفسير والحديث والعقيدة والمصطلح والفقه وأصوله والمناظرة والأدب والبلاغـة والعروض والمنطق والفلسفة. وكانت العناية بالحديث قوية، ففى كل سنة دراسية كان الطلاب

---

(١) مجلة محدث، اكتوبر ١٩٨٤م، ص ٢٢ .

يدرسون كتابين في الحديث على الأقل ، وكان طلبة السنوات الثلاث الأخيرة ملزمين بالتكلم باللغة العربية ، وكان مدير المدرسة يباشر بنفسه الاشراف على التدريس والمدرسين ، وكان يختار أحسن المدرسين في كل فن فيعينهم برواتب عالية ، ويقدر جهودهم وكفاءتهم واخلاصهم للعمل ، وهكذا تحقق انسجام تام بين الادارة والمدرسين والطلبة ، وارتفع مستوى الدراسة كثيرا ، ومن مظاهر حرصه على مصلحة التدريس والمدرسة أنه منع المدرسين منعا باتا من المشاركة في الاجتماعات والندوات التي تنعقـد حينا بعد آخر خارج المـدرسة ، فإن حضور هذه الاجتماعات يضر بالدراسة دون شك ، ويخلق بين المدرسين جوا لطائفية غير محمودة[1].

الطلاب والمدرسون والمكتبة : كان عدد المسجلين في المـدرسة يتراوح بين (٥٠) و (٩٠) طالبا . وقـد نستقل هذه الكمية ، ولكن النجاح الذي حققه خريجو هذه المدرسة يدل على أنها كانت خير المدارس وأكبرها كيفية دون معارض .

ومثل كمية الطلاب لم تطل مدة بقـائها ، فقد تأسست في عام ١٩٢١ م واستمرت إلى ١٩٤٧م وبعـد الاشتباكات الدموية التي نشبت في دهلي وغيرها من المدن الهنـدية أثر استقلال الهند وانقسامها إلى دولتين : الهند وباكستان ، انتهت المدرسة ، وهاجرت الأسرة القائمة عليها إلى باكستان مع المسلمين الآخرين . والمسلمون الذين بقوا في دهلي لم يتمكنوا من الحفاظ على هذه المؤسسة التعليمية العظيمة ، فتوقفت هـذه المدرسة ، وتأسست في مبنـاها مدرسة عصرية تعرف بـ «مدرسة شفيق التذكارية»[2].

(١) مجلة محدث ، اكتوبر ١٩٨٤م ، ص ٢٢

(٢) جهود مخلصة ص ٢٥٤ ، هندوستان ميں اهلحديث كى علمى خدمات ص ١٢٨

ومن العلماء الأعلام الذين تولوا فيها التدريس: الشيخ محمد ابراهيم السيالكوتى، والشيخ عبد الله الندوى، والشيخ أحمد الله البرتاب كدهى، والشيخ عبد الغفور اللكنوى، والشيخ عبد الله اللكنوى، والشيخ عبد الغفور البسكوهرى، والشيخ عبد الحليم ناظم، والشيخ عبيد الله الرحمانى المباركفورى، والشيخ نذير أحمد الأملوى، والشيخ عبد الرحمن النكرنهسوى، والشيخ محمد بن يوسف السورتى، والشيخ عبد الحليم النونكى، والشيخ سكندر على الهزاروى، والشيخ محمد اسحاق، والشيخ أحمد بن ملا حسام الدين، والشيخ عبد السلام المباركفورى، والشيخ عبد الصمد المباركفورى، والشيخ عبد الرحمن المباركفورى، والشيخ محمد بشير المباركفورى.

وهذه الأسماء سردتها دون مراعاة المكانة والتاريخ، ولكن كل مدرس من هؤلاء الكبار يستحق أن تخصص دراسة مستقلة لحياته وخدماته وأعماله.

وكانت فى هذه المدرسة مكتبة عامرة تضم آلوفا من الكتب القيمة فى العلوم الاسلامية والأدبية. ولما تدهور الوضع الأمنى فى عام ١٩٤٧م، واضطر القائمون على المدرسة لاغلاقها، اتصلوا بالدكتور ذاكر حسين الذى كان يشغل منصب شيخ الجامعة الملية الاسلامية بدهلى، فأشار بنقل المكتبة إلى الجامعة الملية، فحملت الكتب فى الحافلات، وسلمت للجامعة الملية، وهكذا شاء الله تعالى أن تبقى هذه الكتب تنفع الناس، وتحيى ذكرى تلك المؤسسة التعليمية التى لعبت دورا بارزا فى مجال التعليم والتربية أكثر من ربع قرن.

(للبحث صلة)

(إعداد: الدكتور مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهرى)

موقف الإسلام من المساواة والحرية

بقلم : الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد الموقر
إمام و خطيب الحرم المكي الشريف

المساواة :

المساواة في البشر ترجع إلى مدى تطابقهم وتماثلهم في الصفات الخَلقية والخُلقية فكلما تطابقت هذه الصفات أو تقاربت كانت المساواة والمماثلة أدق وأقرب وإذا تفاوتت لزم التفاوت في الآثار .

وأخذا من هذه المقدمة فمن المتعذر الجزم بالتساوي المطلق بين بني البشر غير أننا نقول إن الأصل هو التساوي في الحقوق والواجبات لوجود الحد الأدنى من التماثل في القدرات البدنية والكفاءات الذهنية التي تجعلهم قادرين على فهم النظم والقوانين واستيعابها وتطبيقها والاستجابة لها والمحاسبة عليها ولكن من المعلوم أن أصل خلقة البشر جاءت على التفاوت في المواهب والأخلاق مما يجعل هناك موانع جبلّية واجتماعية وسياسية على نحو ما هو مثار في الأسئلة[1]. وبعض هذه الموانع قد يكون مؤقتاً وقد يكون دائماً وبعضها قد يكون قليل الحصول وقد يكون أغلبياً .

---

(١) يشير فضيلة الشيخ إلى الأسئلة التي وصلته من بلاد الغرب .

غير أن أثر كل مانع مقصور على نفسه فلا يمنع المساواة فى الحقوق الأخرى. فصاحب الخلق الفاضل لايساوى دنىء الخلق فى مجاله لكنه لايمنع التساوى معه فى الحقوق الأخرى، و الذكى لايساوى الغبى، والمرأة ليست كالرجل فى صفاتها ومواهبها وقدراتها. وسيأتى للكلام عن المرأة موضع مستقل إن شاء الله.

هذه بعض الموانع الجبلية الخلقية.

ومن الموانع الاجتماعية أى الموانع التى اتفق عليها المجتمع نتيجة التجارب وممارسة الحياة وهى فى حقيقتها راجعة إلى القناعة العقلية المؤكدة للتفاوت فى هذه الصفات. منع التساوى بين العالم والجاهل فإن الناس متفقون على أن الجاهل لايستحق الصدارة فى المسئوليات والاعتماد عليه فى قضايا الأمة وشؤون المجتمع.

ومن الموانع السياسية ما يتفق عليه أهل الحكم والإدارة من منع بعض الفئات من تولى مسئوليات فى الدولة لأسباب سياسية أو عسكرية وهو أمر معترف به بين الأمم من غير إنكار وذلك كمنع الأجنبى من تولى مسئولية من مسئوليات الحكم فى الدولة حيث تقصر هذه الولايات والوظائف على الوطنيين ومثله حق الانتخاب والمنع من بعض الحرف والاستثمار.

والتنظيم الخاص بالعسكريين والدبلوماسيين ومنعهم من الزواج بالأجنبيات وأمثال ذلك كثير، و يندرج فى ذلك منع الذميين فى دولة الإسلام من تولى بعض الولايات.

ومثله منع أهل الذمة من الزواج بالمسلمات مما سيأتى له مزيد تفصيل.

ويمكن اعتبار المثالين الأخيرين من الموانع الشرعية لأن هذه أحكام

مقررة فى الشريعة الإسلامية وهى ترجع — كما يلاحظ القارىء — إلى أمور منطقية وأعراف اجتماعية صحيحة .

هـذه أمثلة يمكن من خلالها فهم الضوابط و من ثم القناعة بعدم إمكان المساواة المطلقة بين الناس .

بل لو قيل بالمساواة المطلقة لترتب على ذلك أمور لايطيقها البشر ولأدى بالناس إلى إهمال مواهبهم وإهدار طاقاتهم وذلك فساد قبيح ظاهر يؤول إلى اختلال نظام العالم فى إلقاء المميزات والحقوق التى تقود إلى البناء والإصلاح وتقدم العالم . وانهيار الشيوعية الذى شهدناه قبل هذه الأيام برهان ماثل لأهل العقل والحكمة .

وإذا كان الأمر كذلك فإن التفاوت فى المواهب واستغلالها و طريقة الاستفادة منها يترتب عليه تفاوت مادى فيما يستحقه كل صاحب موهبة يفيد منها أهله و مجتمعه . و من أجل هذا برز الترتيب الوظيفى فى رؤساء المصالح ومديريها ومن دونهم .

و الشريعة الإسلامية وتمشياً مع الفطرة السليمة ، لا يمكن أن تدعو إلى مساواة تلغى فيها هـذه الفروق الفردية والمواهب الشخصية والتمايز الموجودة بين بنى الإنسان مما له أثر فى صلاح العالم أفراداً ومجموعات وذلك الصلاح والإصلاح هو غاية الشريعة و مقصدها .

إذن هذا هو التفاوت المؤثر و المقتضى للنع من المساواة عند وجوده .

أما التمايز بسبب الجنس أو اللون أو اللغة فهو غير مؤثر فى شريعة الإسلام ألبتة لكنه مشار إليه فى الشريعة على أنه آية من آيات الله الدالة على عظمته وكمال قدرته واستحقاقه العبادة سبحانه .

ولهذا النوع من التمايز وظيفة أخرى نبه إليهـــا الإسلام، وهى وظيفة التعارف والتآلف وفى النص القرآنى الكريم: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا...﴾ [سورة الحجرات، الآية ١٣].

يؤكد هذا فى دين الإسلام أنه من المتقرر عند المسلمين أن الله لم يخلق شعباً فوق الشعوب ولم يميز قوماً على قوم، وقيمة الإنسان عند الله وعند الناس ما يحسنه و يقوم به من عمل صالح و جهد طيب فى طاعة الله و اتباع أمره، وهو مايصطلح عليه فى الشريعة: «التقوى» و فى النص القرآنى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣].

و يقرر ذلك نبى الإسلام محمد ﷺ بقوله: «أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا أبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى...». [أخرجه أحمد والترمذى عن أبى نضرة وقال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح].

و قــد سئل النبى ﷺ: «أى النـــاس أحب إلى الله؟ قال أنفع الناس للناس». أخرجه الطبرانى وغيره بألفاظ متقاربة، و هـــذا لفظ الطبرانى من حديث ابن عمر(١).

الحريـــة:

سوف يكون الكلام فى هذا المقام من عدة جوانب:

١ ــ لا إكراه فى الدين.

٢ ــ الحرية الدينية لغير المسلمين فى بلاد الإسلام.

(١) انظر: المقاصد الحسنة ص (٢٠٠ ــ ٢٠١).

٣ — حكم الردة .

٤ — الرق .

مقدمة : حرية الفكر لا حرية الكفر :

جاء فى صيغة السؤال حول الحريات العبارة التالية : « كيف يمكن التوفيق بين حرية التفكير والاعتقاد التى منحها الله للإنسان . . . إلخ » .

والذى نقوله : إن حرية التفكير مكفولة وقد منح الله الإنسان الحواس من السمع والبصر والفؤاد ليفكر ويعقل ويصل إلى الحق وهو مسئول عن التفكير الجاد السليم ومسئول عن إهمال حواسه وتعطيلها كما أنه مسئول عن استخدامها فيما يضر .

أما حرية الاعتقاد فلم يمنحها الله سبحانه مطلقة بحيث يعتقد كل إنسان كما يشاء بل الله سبحانه يلزم العقلاء البالغين من البشر باعتقاد ربوبيته وألوهيته وطاعته والخضوع له وحده ولا يقبل منهم غير ذلك .

برهان ذلك : أن هذا العالم الرحب الذى نعيش فيه لم تبن جنباته كيفما اتفق ولم تركم مواده بعضها فوق بعض بطريق الجزاف بل هو مخلوق مصنوع وفق نظام محكم وقانون دقيق ، فما يطير فى الجو انخفاضاً وارتفاعاً محكوم بقانون ، وما يلقى فى الماء من أجسام غوصاً وطفواً وسبحاً مضبوط بقانون . وما ينبت فى الأرض من نبات فيختلف طعمه ولونه وثمره خاضع لقانون فكل ما فى السماء وما فى الأرض قد خلق مقرونا بالحق وما على من ينشد الحق والحقيقة إلا أن يتصفح صفحات هذا الكون الفسيح ليعرف من حقائقه ما يزيده بالخالق إيماناً وبصنع هذا العالم دقة وإتقانا .

والإنسان لا يولد عالما ولا عارفا ولكنه يولد مزودا بوسائل العلم

والمعرفة عقلا وسمعا وبصراً خلق ليعرف الحق ويستدل له ويستدل عليه لا ليعيش على الباطل ويسير فى مسالكه المعوجة.

والحريــة فى هذا الميدان مطلقة مادام أنها فى الكون وآياته وفيما تناله وسائل الإنسان وقدراته.

وبهذا الضابط نقول: إن حرية الفكر والتفكير مكفولة مطلقة.

ولكن حرية الشهوة مقيدة فمن غير المقبول فى العقول الاندفاع وراء الرغبات والغرائز لأن طاقــة الانسان محدودة فإذا استنفدت فى اللهو والعبث والمجون لم يبق فيها ما يدفعها إلى الطريق الجاد ويدلها على مسالك الحق والخير. وبناء عليـه فإن ما يرى فى عالمنا المعاصر وحضارتـه المادية من إيجابيات خيرة فهى من حسن استخــدام حرية الفكر والنظر وما يرى من أضرار وانتكاسات وقلاقل نفسية وغير نفسية فهى من إطلاق حرية الهوى والعبث.

ومن أجل هذا فإننا نقول بكل قوة وثقة: «فى الوقت الذى يطلق فيـه للفكر حريته يجب أن تحجر النفوس عن أهوائها».

فعلينا ونحن نتحدث عن الحرية أن نفرق بين الأمرين ونميز بين النهجين.

الحريـة الحقيقية:

حينما قلنا إن الإنسان ليس حرا فى الاعتقاد بل يجب أن ينحصر اعتقاده فى الله وحده ربا ومعبودا لايجوز أن يخضع لغيره أو يطيع سواه فيما يخالف أمر الله.

نقول ذلك لأن هذا هو ضامن الحرية الحقيقية على هذه الأرض.. لماذا؟

لأن البشرية منذ القــدم وحتى اليوم وهى تعانى فى كثير من دياجيرها من طواغيت متنوعــة خضعت لها رؤوسها وذلت لها رقابها حتى انتشر كل حمى

الحريـة وغاب كل أثر للكرامـة الإنسانيـة فى نفوس هؤلاء الخاضعين لغير الله .

فالخضوع والخوف والرهبة والانقياد والاستسلام لا يكون إلا لله الذى له صفات الكمال المطلق فهو وحـده الغنى القادر المسيطر القاهر الحكم العدل الذى لا يجوز عليـه الظلم لأن الظلم أثر من آثار الضعف والحاجة ، والله منزه عن كل ذلك .

أما من خضع لغير الله فقد انتقص من حرية نفسه بمقدار خضوعه وذلته لغير ربه .

والطواغيت التى سلبت الناس حرياتهم كثيرة من أمثال علماء السوء والأحبار والرهبان والكهان والحكام والدرهم والدينار .

وترقى الأمر عند هـذه الفئات حتى حرفوا الكتب المنزلة على الرسل لتتمشى مع أهوائهم وأدخلوا فيها ما ليس منها وترقى بهم الأمر إلى أن جعلوا لأنفسهم صلاحيـة منح الثواب وإنزال العقاب وإعطاء صكوك غفران بمحو الذنوب ودخول الفردوس الأعلى .

ومن صور ذلك فى وقتنا المعاصر الطغيان المادى والتفسير المادى للتاريخ والحوادث ، واستعباد الشهوات والملذات .

ومن هنا فإن الدعوة إلى التوحيـد والخضوع لله وحده دعوة لإقامة صرح الحرية ورفض ورفع قيود الظالمين عن أعناق البشر .

وبهذا تحمى حريـة الإنسان من أن يسلبها أولئك المتطاولون المغرورون فلا يحنى الإنسان رأسه أو تذل هامته لأحد من بنى البشر أيا كان على الإطلاق لأنه خضوع الباطل وتعد على الحرية .

لا إكراه فى الدين :

الإكراه فى الإسلام على الدين والعقيدة منفى من عدة جهات :

الأولى :

إن من آمن مكرها فإن إيمانه لا ينفعه ولا أثر له فى الآخرة ، فلابد فى الايمان أن يكون عن قناعة واعتقاد صادق واطمئنان قلب .

وقد جاء فى القرآن الكريم : عن فرعون حين أدركه الغرق أنـه أعلن الايمان و التصديق بالله ربا و معبودا ولكن ذلك لم ينفعه : ﴿ . . حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إلـه إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن وقـد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ . [سورة يونس ، الآيتان : ٩٠ ، ٩١] .

وجاء فى حكاية قوم آخرين :

﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحـده وكفرنا بما كنا بـه مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ . [سورة غافر ، الآيتان : ٨٤ ، ٨٥] .

بل التوبـة من الذنوب و المعـاصى لا تكون مقبولة إلا إذا كانت عن اختيار وعزم صادق .

الثانيـة :

وظيفـة الرسل والدعاة من بعدهم مقصورة على البلاغ وإيصال الحق إلى الناس ، وليسوا مسئولين عن هدايتهم واعتنـاقهم للدين واعتقادهم الحق فالمهمة هى البلاغ و الإرشاد و المناصحـة و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر أما الاهتداء والايمان فليس إلى الرسل ولا الدعاة .

وهذا يؤكد جانبا من جوانب الحريـــة ألا وهو تحرر الإنسان من كل رقابة بينه وبين خالقه فالعلاقـة مباشرة بين الإنسان وربه من غير واسطة أو تدخل من أحد مهما كانت منزلته سواء أكان ملكا أو نبياً أو غير ذلك.

ومما يؤكد ذلك فى القرآن الكريم ما جاء فى حق محمـــد ﷺ: ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر﴾. [سورة الغاشية، الآيتان: ٢١، ٢٢].

الثالثـة: واقع غير المسلمين فى بلاد المسلمين:

عاش الذميون وغيرهم فى كنف الدولة الإسلامية دون أن يتعرض أحد لعقائدهم ودياناتهم، بل لقد جاء فى الكتـاب الذى كتبه النبي محمد ﷺ فى أول قدومه المدينـــة ليرسم به منهجاً ودستوراً فى التعامل: ﴿ومن تبعنا من يهود فإنه له النصرة والأسوة... ليهود دينهم وللمسلمين دينهم... وإن الجـار كالنفس غير مضار ولا آثم﴾[1].

وأقرهم على دينهم وأموالهم كما كان الحال مشابهاً مع نصارى نجران.

وصحابة الرسول من بعده ساروا على طريقه فى معاملة غير المسلمين.

فكان من أقوال خليفته أبى بكر رضى الله عنه لبعض قواده: «.. أنتم سوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له...».

ومن وصايا الخليفة الثانى عمر: «... أوصى بأهل الذمة خيراً أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وألا يكلفوا فوق طاقاتهم...».

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص (١٤٨–١٤٩)، وتاريخ بن كثير ج ٣ ص (٢٤٦– ٢٤٧).

ومن أقوال علي الخليفة الرابع: «... من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا ...»[1].

وتاريخ الإسلام الطويل شاهد على أن الشريعة وأهلها قد كفلوا لاتباع الأديان الذين يعيشون في ظل الإسلام البقاء على عقائدهم وديانانهم ولم يرغم أحد على اعتناق الإسلام.

ومعلوم لدى القاصي والداني أن هذا لم يكن موقف ضعف من دولة الإسلام بل كان هذا هو مبدأها حتى حين كانت في أوج قوتها أمة فتية قادرة.

ولو أرادت أن تفرض على الأفراد عقيدتها بالقوة القاهرة لكان ذلك في مقدورها لكنها لم تفعل.

الرابعة:

المسلم إذا تزوج كتابيــــة فإنه لا يلزمها بالتخلي عن دينها والدخول في الإسلام بل لها الحق الكامل في البقاء على ديانتها وحقوق الزوجيــــة محفوظة لها كاملة.

حكم الردة:

الكلام عن الردة ينتظم عدة جوانب:

أولها: الإيمان بالإسلام المبنى على الإكراه والجبر غير معتد به — كما سبق — أي أنه لا يدخـــل الداخل فيه حقيقـــة إلا إذا كان عن اقتناع ورضا وتبصر.

ذلك أن النظرة العاقلة المنصفة تؤكد كمال هذا الدين وتنزهه عن الباطل وتحقيقه لحاجات البشر وتوافقه مع الطبائع السليمة التي فطر الله الناس عليها.

---

(١) راجع نصب الراية ٣/٢٨١.

الثانى : فى تاريخ الإسلام الطويل لايكاد يذكر مرتد ارتد عن هذا الدين رغبة عنه وسخطا عليه وإن وجد فلا يخلو من أحد رجلين ، إما أن يكون لمكيدة يقصد بها الصد عن دين الله كما حصل من بعض اليهود فى أول عهـد الدعوة حينما تمالأ نفر منهم بأن يؤمنوا أول النهار ثم يكفروا آخره من أجل إحداث البلبلة فى المؤمنين لأن اليهود أهل كتاب فإذا حصل منهم هذا يختلج فى بعض النفوس الضعيفة أن هؤلاء اليهود لو لم يتبينوا خطأ فى هــذا الدين الجديد لما رجعوا عنه فكان مقصودهم الفتنة والصد عن دين الله . وإما أن يكون هــذا المرتد رجلا يريد أن يطلق لشهواته العنان ويتحلل من ربقة التكاليف.

الثالث : الخروج عن الإسلام يعتبر خروجا على النظام العام ذلك إن الإسلام دين كامل كما يهتم بعلاقــة الإنسان بربه فهو يهتم بعلاقته بغيره من بنى جنسه بين المرء وزوجه وبينه وبين أقربائه وجيرانه وفيما بينه وبين أعدائه حربا وسلما فى شمول منقطع النظير عبادة و معاملة و جنايــة و قضاء إلى سائر ما تنقسم إليـه قوانين الدنيا بل أوسع من ذلك. وبناء على هـذا فيجب النظر إلى الإسلام ككل متكامل و ليس قاصراً فقط على علاقــة العبد بربه كما يظنه غير المسلمين.

وإذا كان ذلك كذلك فالردة تعنى الخروج على النظام.

الرابع : فى جعل العقوبة على الردة إباحــة دم المـرتد زاجر لمن يريد الدخول فى هــذا الدين مشايعة ونفاقا للدولة أو لأهلها وباعث له على التثبت فى أمره فلا يعتنقه إلا على بصيرة وسلطان بين ، فالدين تكاليف وشعائر ويتعسر الاستمرار عليها من قبل المنافقين وأصحاب المآرب المدخولة.

الخـامس: للإنسان قبل أن يؤمن بالإسلام الحق فى أن يؤمن أو يكفر فإذا آثر أى ديانة من الديانات فلا اعتراض عليه ويبقى له حق الحياة والأمن

والعيش بسلام، وإذا آثر الإسلام ودخل فيــه وآمن به فعليه أن يخلص له ويتجاوب معه فى أمره ونهيه وسائر هديه فى أصوله وفروعه .

ثم بعـد ذلك نقول : هل من حرية الرأى أن يمكن صاحبها من الخروج على هــذا المجتمع ونبذ قواعده ومشاقة أبنائه ؟ هل خيانة الوطن أو التجسس لحساب الأعداء من الحرية ؟ هل إشاعة الفوضى فى جنباته والاستهزاء بشعائره ومقدساتــه من الحرية ؟ إن محاولة إقناع المسلمين بقبول هــذا الوضع سفه . ومطالبـة المسلمين بتوفير حق الحيـاة لمن يريد نقض بناء دينهم وتنكيس لوائه شىء عجيب ! !

ونقول بكل قوة ان سرقة العقــائد والنيل من الأخلاق والمثل أضحت حرفة لعصابات وطوائف من دعاة التنصير الكارهين للإسلام وكتابه ونبيه وأتباعه وما فتئوا يثيرون الفتن وأسبابها فى كل ناحية من أجل هز كيان المجتمع وقلبه رأسا على عقب .

ويؤكد حقنا فى رفع الصوت عاليا ما نرمقه من المواقف المفضوحــة فى بلاد الحريات — فرنسا وبريطانيا وأمريكا — من المسلمين الذين بدأوا يظهرون تمسكا بدينهم وظهورهم بالزى المحتشم رجالا ونساء مما أثار حفائظهم وبخاصة الفرنسيين فى قضية الحجاب على الرغم من أن قوانينهم فيها نصوص تعطى الحق لأهل كل ديانة أن يلتزموا بدياناتهم ولكنهم بحجة الأمن والحفاظ على النظام العام كانت لهم تلك المواقف المكشوفة ومن حقنا كذلك أن نتذكر ما يجرى لكثير من الأقليات المسلمة فى روسيا وبلغاريا مما هو معلن فكيف بغير المعلن .

ثم إن عقوبــة الإعدام موجودة فى كثير من القوانين المعاصرة سواء لمهربى المخــدرات أو غيرهم وهم لم يقولوا بهـــا إلا لجدواها فى القضاء على

الجريمة والتخفيف منها وحماية لعموم المجتمع من سوئها ولم يقل أحد أن تشريع عقوبـــة الإعدام فى حق هؤلاء المفسدين مصادم لحريتهم إذا كانوا قد تجاوزوا فى حرياتهم حتى سطوا على حريات الآخرين أو نغصوا عليهم حياتهم الطبيعية الآمنة السوية .

وهناك إعدام من أجل الخيانة العظمى أو ما يشبهها ولم يكن هذا مصادماً للحرية أو محل نقد لدى هذه المؤســـسة التنصيرية وأشباهها عما يذكر بما قلناه أول الحديث من الشك فى حسن النية فى إثارة مثل هذه التساؤلات .

وفى ختام هذه الفقرة عن حرية الديانة والارتداد أنقل بعض الوقائع من مواقف الديانات الأخرى نحو المسلمين والتعسف والتعصب والحقد الدفين الذى يظهر واقعاً حيا حين تتاح له فرصة الظهور .

يقول الكاتب « جيبون » : « إن الصليبيين خدام الرب يوم استولوا على بيت المقدس فى ١٠٩٩/٧/١٥ م رأوا أن يكرموا الرب بذبح سبعين ألف مسلم ولم يرحموا الشيوخ ولا الأطفال ولا النساء فى مذبحـــة استمر ثلاثة أيام بلياليها حطموا رؤوس الصبيان على الجـــدران وألقوا بالأطفال الرضع من سطوح المنازل وشووا الرجال والنســـاء بالنار وبقروا البطون ليروا هل ابتلع أهلها الذهب ... ثم يقول الكاتب : كيف ساغ لهؤلاء بعد هذا كله أن يضرعوا إلى الله طالبين البركة والغفران »(١) .

ويقول جوستاف لوبون : عن فعل الصليبيين بمسلمي الأندلس : « لما أجلى العرب — يعنى المسلمين — سنة ١٦١٠م اتخذت جميع الذرائع للفتك بهم فقتل أكثرهم وكان من قتل إلى ميعاد الجلاء ثلاثـــة ملايين من الناس فى حين أن

(١) العلاقات الدولية لكامل الدقس ص ٢٣٣

العرب لما فتحوا أسبانيا تركوا السكان يتمتعون بحريتهم الدينية محتفظين بمعابدهم ورئاستهم . . . وقد بلغ من تسامح العرب طوال حكمهم فى أسبانيا مبلغا قلما يصادف الناس مثله هذه الأيام »[١].

وفى أيامنا هـــذه نقرأ فى وثائق اليهود نحو أهل فلسطين : « يا أبنـــاء إسرائيل ، اسعدوا واستبشروا خيرا لقـد اقتربت الساعة التى سنحشر فيها هـذه الكتل الحيوانية فى اصطبلاتها وسنخضعها لإرادتنا ونسخرها لخدمتنا »[٢].

وفى روسيا الشيوعيـة أغلقت الحكومة أربعة عشر ألف مسجد فى مقاطعة تركستان و فى منطقـــة الأورال سبعة آلاف مسجد وفى القوقاز أربعة آلاف مسجد وكثير من هذه المساجد حولت إلى دور البغاء وحوانيت خمر واصطبلات خيول وحظائر بهائم و فوق ذلك التصفيـة الجسدية للسلمين ويكفى أن نعلم أنهم قتلوا فى ربع قرن ستة وعشرين مليون مسلم مع تفنن فى طرق التعذيب والقتل.

والدول الشيوعية الدائرة فى فلك روسيا حذت حذوها ففى يوغسلافيا أباد تيتو ما يقارب مليون مسلم.

وفى سنواتنا الحاضرة هـــذه تنصب الملاحقـة والمتابعـــة لجميع الحركات الإسلاميـــة والتوجهات الإسلامية فى الفلبين وأندونيسيا وشرق أفريقيا بصور ظاهرة مفضوحة فضلا عن الطرق الخفية فى كثير البلاد.

فياترى أين الحرية وياترى من المتعصب ومن هو المتسامح . . . ؟؟؟

---

(١) حضارة العرب — جوستاف لوبون ص ٢٧٩

(٢) انظر : مكايد يهودية عبر التأريخ لعبد الرحمن الميدانى ص ٤٤٦ وما بعدها نقلا عن وثائق اليهود التأريخيـــة من نشر جواد رفعت فى كتابـه « الإسلام وبنى إسرائيل ».

قاعدة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

لفضيلة الشيخ عبد الله العجلان
الرياض

قال شيخ الاسلام – ابن تيمية – رحمه الله : – وفى الحديث من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فينبغى أن يكون عالما بما أمر به ، عالما بما ينهى عنه ، رفيقاً فيما يأمر به ، رفيقا فيما ينهى عنه ، حليما فيما يأمر به ، حليما فيما ينهى عنه ، فالعلم قبل الأمر والرفق مع الأمر والحلم مع الأمر ، فإن لم يكن عالما لم يكن له أن يقف ما ليس له به علم ، وإن كان عالما ولم يكن رفيقا كان كالطبيب الذى لا رفق فيه فيغلظ على المريض فلا يقبل منه ، وكالمؤدب الغليظ الذى لا يقبل منه الولد ، وقد قال الله تعالى لموسى وهارون « فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى ».

ثم أمر أو نهى فلابد أن يؤذى فى العادة ، فعليه أن يصبر ويحلم كما قال تعالى ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾. وقد أمر نبيه بالصبر على المشركين فى غير مواضع ، وهو إمام الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

فإن الانسان عليه أولا أن يكون أمره لله وقصده طاعة الله فيما أمر به وهو يحب صلاح المأمور وإقامة الحجة عليه ، فإن فعل ذلك لطلب الرياسة

لنفسه و لطائفته و تنقيص غيره كان ذلك خطيئة لا يقبلها الله ، و كذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطا .

ثم إذا رد عليــه ذلك أو أوذى أو نسب إلى أنه مخطىء وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لنفسه ، وأتاه الشيطان ، فكان مبــدأ عمله لله ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه ، وربما اعتدى على ذلك المؤذى ، وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه ، وأنه على السنة ، فإن أكثرهم قد صار له فى ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم لا يقصدون أن تكون كلمة الله هى العليا وأن يكون الدين كله لله ، بل يغضبون على من خالفهم ، وإن كان مجتهداً معذورا لا يغضب الله عليه . ويرضون على من كان يوافقهم وإن كان جاهلا سىء القصد ليس لــه علم ولا حسن قصد فيفضى هــذا إلى أن يحمدوا من لم يحمــده الله و رسوله ، و يذموا من لم يذمه الله ورسوله ، و تصير موالاتهم ومعــاداتهم على أهواء أنفسهم ، لا على دين الله و رسوله ، و هــذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم ، و يقولون هذا صديقنا وهذا عدونا ، لا ينظرون إلى موالاة الله ورسوله و معاداة الله و رسوله .

ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس قال تعالى « و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » فإذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة .

و أصل الدين أن يكون الحب لله و البغض لله و الموالاة لله و المعــاداة لله و العبادة لله و الاستعانة بالله و الخوف من الله و الرجاء لله و الإعطاء لله و المنع لله ، و هذا إنما يكون بمتابعة رسول الله الذى أمره أمر الله ، و نهيه نهى الله ، ومعاداته معاداة الله ، وطاعته طاعة الله ، ومعصيته معصية الله .

وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه ، فلا يستحضر ما لله ورسوله فى ذلك ولا يطلبه ، ولا يرضى لرضى الله ورسوله ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله ، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه ، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه ، ويكون مع ذلك كله معه شبه الدين ، إن الذى يرضى له ويغضب له هو السنة وهو الحق وهو الدين ، فإذا قدر أن الذى معه هو الحق المحض دين الاسلام ، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هى العليا ، بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء ، ليعظم هو ويثنى عليه أو فعل ذلك شجاعة وطبعا أو لغرض من الدنيا ، لم يكن لله ولم يكن مجاهدا فى سبيل الله ، فكيف الذى كان يدعى الحق والسنة هو كنظيره معه حق وباطل وسنة وبدعة ؟ وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعا ، وكفر بعضهم بعضا ، وفسق بعضهم بعضا ، لذلك قال الله تعالى فيهم « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة » .

قاعدة فى ضبط منهج الدعوة

قال شيخ الاسلام — ابن تيمية — رحمه الله : — لو أقام العلماء كتاب الله ، وفهموا ما فيه من البينات التى هى حجج الله ، وما فيه من الهدى الذى هو العلم النافع والعمل الصالح ، وأقاموا حكمة الله التى بعث بها رسوله محمداً ﷺ وهى سنته ، لوجدوا فيها من أنواع العلوم ما يحيط بعلم الناس ، ولميزوا حينئذ بين المحق والمبطل من جميع الخلق بوصف الشهادة التى جعلها الله لهذه الأمة حيث يقول « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على

الناس — الآيـة ». ولاستغنوا بذلك عن ما ابتدعـه المبتدعون من الحجج الفاسـدة التي يزعم الكلاميون أنهم لينصرون بها أصل الـدين ، و من الرأى الفاسد الذي يزعم القياسيون أنهم يتمون به فروع الدين ، وما كان من الحجج صحيحاً و من الرأى سديداً فذلك له أصل في كتاب الله و سنة رسوله فهمه وحرمه من حرمه .

تابع للقاعدة من كلام ابن القيم

قال رحمه الله : وكما أن محمداً ﷺ عام الرسالة إلى كل مكلف ، فرسالته عامة في كل شيء من الدين أصوله وفروعه ودقيقه وجليله ، فكما لا يخرج أحد عن رسالته فكذلك لا يخرج حكم تحتاجه الامة عنها وعن بيانه لها .

قاعدة في مفهوم الفرقة الناجية

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله لمن اعترض وصفه لأهل السنة بأنهم الفرقة الناجية وزعم أنه إذا كان هذا هو قول الفرقة الناجيـة خرج عن ذلك من لم يقل ذلك من المتكلمين .

قال الشيخ فقلت لهم : ليس كل من خالفني في شيء من هـذا يكون هالكاً ، فإن المنازع قد يكون مجتهداً مخطئاً يغفر الله خطاياه ، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم عليه الحجة ، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته ، و إذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة لا يجب أن يدخل فيها المتأول والتائب وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك فهذا أولى ، بل موجب ذلك أن من اعتقد ذلك نجا في هـذا الاعتقاد ، ومن اعتقد هذه فقد يكون ناجياً وقد لا يكون ناجياً كما يقال « من صمت نجا » .

فائدة فى الصبر على لزوم السنة

قال أبو شامة فى كتابه « الحوادث والبدع » : « حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة المراد لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيراً لأن الحق هو الذى كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم ، ولا تنظر إلى كثرة أهل الباطل من بعدهم » .

وعن الحسن البصرى — رحمه الله — قال : « السنة ، والذى لا إله إلا هو ، بين الغالى والجافى فاصبروا عليها — رحمكم الله — فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى ، وهم أقل الناس فيما بقى ، الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف فى أترافهم ، ولا مع أهل البدع فى بدعتهم ، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكونوا كذلك »[١] .

من الأدلة على وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة عند التحاكم

قال تعالى ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء﴾[٢] . وهذه النصوص واضحة الدلالة على كمال الشريعة وشمولها وقال ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله﴾[٣] فجعل رد التنازع إلى الله ورسوله شرطاً فى صحة الايمان وقال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾[٤] فنفى الايمان عمن لم يتابع الرسول ﷺ وقال تعالى ﴿واتبعوا

(١) رواه الدارمى فى السنن (١/٧١—٧٢)، وأبو شامة فى البدع والحوادث ص٧٢

(٢) النحل : ٨٩

(٣) النساء : ٥٩

(٤) النساء : ٦٥

ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾(١).

وقال عليه الصلاة والسلام « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك ».

وقال فيما صح عنه عليه الصلاة و السلام « ما بعث من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما ينهاهم عنه ».

وقال أبو ذر: « لقد توفى رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما ».

قاعدة الإخلاص والمتابعة متلازمان

قال شيخ الإسلام — ابن تيمية — رحمه الله: — وكلما كان الرجل أتبع لمحمد ﷺ كان أعظم لتوحيد الله وإخلاصا في الدين وإذا بعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك فإذا أكثر بعده عنه ظهر فيه من الشرك و البدع ما لا يظهر فيمن هو أقرب منه إلى اتباع الرسول ﷺ ».

(١) الأعراف: ٣

هموم الثقافة الإسلامية وبلاغ مكة المكرمة

بقلم : د . محمد جاد البنا

« ننشر هنا مقالا قديما يتناول موضوع الثقافة الإسلامية فى ضوء ما ورد فى بلاغ مكة المكرمة . ولاشك أن الأمة الإسلامية مطالبة دائما بالنظر فى شئون العلم والتعليم العامة والخاصة ، وبتوجيه النشء الاسلامى إلى الوجهة السليمة البناءة فى مجال الثقافة ، فإن الأخطار المحدقة بالجيل الاسلامى المعاصر كثيرة ومتنوعة ، والشباب يتيهون فى أودية من الضلال والانحراف ، و يتركون آثارا سلبية فى المجتمع ، ويعرضون هذا المجتمع للضياع والخسران . والمسلمون فى الهند يخشى عليهم من طغيان الحضارة الغربية المادية ، ومن انتشار الحضارة الوثنية التى تعادى الإسلام وتهدف إلى القضاء على معالم الحضارة الأسلامية وعلى كيان المسلمين الدينى والثقافى . نرجو أن هذا المقال ينفع فى ابراز بعض مسئولياتنا نحو المعرفة والثقافة . والله الموفق » . (ادارة التحرير)

يبدو أن منظمة المؤتمر الإسلامى — وهى من المنظمات التى تعمل فى صمت — تنبهت إلى مدى الخطورة التى تحيق بثقافة الأمة المسلمة فدعت ونظمت ورعت المؤتمر الأول لوزراء الثقافة فى العالم الاسلامى ، والذى إنعقد مؤخرا

فى العاصمة السنغالية « داكار » وجاء هذا المؤتمر (الأول) الذى تأخر كثيرا على الرغم من الحاجة الملحة إليه منذ زمن بعيد ، جاء ليعبر عن هموم الثقافة الاسلامية تلك التى تتوارى من سوء ما ألم بها تجاه الثقافات الغازية والدخيلة والتى تكاد تخنق الثقافات المحلية فى معظم بلدان العالم الاسلامى . لقد صدر عن المؤتمر بيان مستفيض أشاد فيه المؤتمرون بـ « بلاغ مكة » الذى صدر عن مؤتمر القيمة الإسلامية الثالثة فى الطائف عام ١٤٠١هـ — ١٩٨١ م . وذلك حينما أعلن المؤتمر الوزارى فى داكار أن بلاغ مكة المكرمة التاريخى يمثل علامة من أبرز العلامات فى تأريخ المجتمعات الاسلامية .

كذلك فقد شدد المؤتمر فى بيانه الختامى على أن بلاغ مكة المكرمة يمثل نداء ملحا لترسيخ الايمان بالله والتمسك بتعاليم الاسلام ، والعمل بها فى مرحلة تحكمها النزعة المادية ، وتتدهور فيها القيم الاخلاقية مما أدى إلى تفاقم اشكال الازمات فى العالم .

ونود الوقوف قليلا لنشير إلى أن العالم الاسلامى أصبح يعانى من جراء هذه الأزمة العالمية التى سببتها النزعة المادية ، فالبلدان الاسلامية جزء من العالم لايمكنها مهما أوتيت من عزم وصمود وقدرة على المواجهة أن تغلق الأبواب بعد أن أصبحت الدنيا الكبيرة كالقرية الصغيرة ، وزاد حجم التأثير والتأثر .

وليت الأمر فى العالم الاسلامى وقف عند حد الأزمة العالمية ذات الصبغة المادية الطاغية ، وإنما أضيف إلى هذه الأزمة العاتية ما أصاب الثقافة الاسلامية نفسها — وهى كالاطار الجامع لنهوض العالم الاسلامى باعتبار أنها تمثل وجدان الأمة وعقلها و دماء حضارتها ، وشريان فكرها وحياتها — من غزو متعمد سلطه الاستعمار الأوربى على حصون ومعاقل هذه الثقافة حينما استولى على

معظم بلدان المسلمين مع أواخر القرن الميلادى المنصرم. وما أصابها من غزو متعمد جلبه بعض أبناء المسلمين إلى ديارهم حينما اتخذوا من أنمـــاط الثقافة الغربية مثلا أعلى يحتذونه فى كثير من أمور التربية والفكر والاقتصاد والاجتماع إلى آخر القائمـــة. حتى وصل الأمر بكثير من بلدان المسلمين أن أخذت من الغرب ثقافته الشكلية فى الملبس والمطعم و العادات والتقاليـــد والسلوك خلال ممارسة الحياة اليومية !!

وكان لزاما — والحال هكذا — أن تعانى الثقافة الإسلامية من ثقل الهموم الكوابح التى تراكمت على اكتافها.

وحينما نعود إلى بيان المؤتمر الأول لوزراء الثقافة الذى نشير إليه نجده قد لمس جزءا غير قليل من هذه الهموم، و ذلك عند ما دعا الأمة إلى العمل صفا واحدا وخاصة فى المراحل الدولية التى تعنى بالثقافة أو تتولى نشرها.

وكان البيان أكثر وضوحا حينما أكد على أمرين مهمين هما :

— دعوته إلى أن تطالب الأمة المسلمة بالحاح بتطبيق مبدأ المعاملة بالمثل وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بحرية نشر و ذيوع، وتبـادل الانتاج الفكرى والثقافى.

ولنا على ذلك تعليق بسيط مؤداه أنه إذا طبق هذا المبدأ تطبيقا فاعلا فستسقط كثير من القلاع الثقافية الغربيـة المنبثة عبر كثير من بلدان العالم الاسلامى كمدارس الارساليـات الأجنبية ومراكز الثقافـــة والتبشير تلك التى تنخر فى عظام الثقافات المحلية منـذ زمن بعيـــد، فالمجتمعات الأوروبيـة لا تقبل بسهولة مبدأ المعاملة بالمثل بعـــد أن أسست ثقـافتها وأرسى فكرها له الغلبة والسيطرة دون حاجة إلى تقديم تنازلات.

— كذلك فقد دعا المؤتمر إلى ضرورة انصاف حقوق الأمة الاسلامية على أثر ما لحقها، وما يزال يلحقها من سطو ونهب لروائعها الثقافية ومن ثم فقد دعا المؤتمر الأمة المسلمة إلى المطالبة باسترجاع ما سلب منها غصبا وظلما. ويكفى أن نشير فى هذا الصدد إلى أن المخطوطات التراثية ذات القيمة الثقافية والحضارية التى لا تقدر بمال يرقد معظمها فى متاحف الغرب، ومكتبات الشرق، والمراكز العلمية هناك وهناك — أن حجم هذه المخطوطات المنهوبة والموجودة حاليا فى عواصم وبلدان الغرب والشرق تفوق حجم المخطوطات الموجودة فى ديار المسلمين. والمؤسف أن هذه المخطوطات لم تترجم بالقدر الكافى إلى لغات القوم هناك، وبالتالى لم تحدث التأثير الثقافى المطلوب فى الوقت الحالى.

ومن المحزن أن الدارسين والباحثين من أبناء الأمة المسلمة يذهبون إلى مكتبات الغرب ومتاحفه حينما يريدون تحقيق مخطوطة نادرة مع أن هذه المخطوطة تمثل جزءا حيا من جسد ثقافتهم وحضارتهم وتاريخهم.

أما ما دعا إليه المؤتمر من ضرورة تشجيع وتكريم العلماء والمفكرين والمبدعين فيها لأن عطاءهم يشكل عطاء الأمم فهذا يجرنا شئنا أم أبينا إلى ضرورة أخرى تمتد أكثر الحاحا. وهى تلك التى تتعلق باستعادة العقول الاسلامية الكبرى والعلماء البارزين من المهاجرين إلى بلاد الغرب مادام العالم الاسلامى فى أمس الحاجة إليهم فى مرحلته الحالية.

وياطالما كتب الكاتبون، وصرخ الصارخون، ونبه المنبهون إلى خطورة هذا النزيف لفكر وعقل وثقافة الأمة العربية أولا ثم بقية الأمة الاسلامية ثانيا.

صحيح أن الأمة معنية فى مرحلتها الحالية بتضميد جراح كثيرة بعضها اقتصادى وبعضها اجتماعى. وبعضها غير ذلك أهمها استعادة الأرض المغتصبة التى يجثم على صدرها العدو الشرس. ولكن ذلك يحتاج على وجه الحتم والضرورة إلى أن تستعيد الأمة ذاكرتها، وأن تصحح مسار ثقافتها الأصولية، وأن تطرد عن ساحة هذه الثقافة اخطار الغزو الموصول والتشويه المتعمد. فالثقافة هى الوعاء الحقيق للتربية الوجدانية و العقلية والنفسية والاجتماعية والسلوكية. والتربية بكل هذه الأجنحة هى التى تصنع مستقبل الأمة وتبنى أجيالها، إلى أن تمد هذه الأجيال لتضميد الجراح واستعادة المغتصب من الأرض والتراث والمقدسات وحينما يحدد مؤتمر وزراء الثقافة الاطار العام لاستراتيجية ثقافية لتنمية العالم الإسلامى انطلاقا من «بلاغ مكة المكرمة» التأريخي ويشكل لجنة خاصة تتولى اعداد هذه الاستراتيجية فور يضع الخطوط الأولى لاضفاء «ديناميكية» جديدة على حياة العمل الثقافى للأمة الاسلامية ويمكننا أن نقدم للقارىء مقتطفات عاجلة من بلاغ مكة المكرمة المشار إليه ليدرك عن بينة مدى ما يمكن أن ينعكس على وجه الثقافة الاسلامية إذا قدر لهذه التوصيات والقرارات التى صدرت عن مؤتمر وزراء الثقافة أن تتحول إلى عمل قادر وفعل ناهض.

يقول «بلاغ مكة» فى بنده السادس: «ايماننا منا (ضمير الجماعة يعود إلى الملوك والرؤساء وأمراء الدول والحكومات الأعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى) بما نصت عليه مبادىء الاسلام من أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فاننا نعلن العزم على التعاون بهدف التوسع فى نشر العلم وتعزيز

مؤسساته حتى يتم القضاء على الجهل والأمية ، وكذلك العمل على ترسيخ المناهج الإسلامية فى التربيـة والتعليم وتشجيع البحث والاجتهاد بين علماء المسلمين ومفكريهم مع التوسع فى العلم والتقنيات العصرية .

و يضيف البلاغ : « وتتعـاهد أيضا على تنسيق جهودنا فى مجال التربيـة والثقافة لكى نستمد من مصادر ديننـا ، ومناهل تراثنا ما يوحد الأمة ويوطد ثقـافتها وتضامنها ويطهر مجتمعنـا من ظواهر الانحلال والانحراف ويزكيها بمكارم الأخلاق ، ويحصن النشىء من الجهل ، ومن المبادىء المناهضة للإسلام ، ويصون امتنا من الحملات القائمـــة على استغلال حاجات بعض المؤمنين المادية لفتنتهم عن دينهم » .

ويقول البلاغ : « ايمانا بضرورة نشر مبادىء الاسلام واشعاعه الثقـافى فى المجتمعات الاسلامية وفى العالم لابراز ما فى مبادئه من قوة روحية ، ومعان اخلاقيـة ، وقوانين تحفز على التقدم والخير والرفاة فاننا مصممون على التعاون لتوفير الوسائل البشرية والمادية لتحقيق هذه الاهداف .

كما نتعهد أن نبذل مزيدا من الجهد فى شتى ميادين الثقافة من أجل تحقيق التقارب فى الأفكار بين المسلمين ، وتنقية الفكر الاسلامى من كل ما هو دخيل أو مفرق » .

ونعود لنؤكد مع المؤكدين على أن ثقافـــة المسلمين فى خطر شديد على الرغم من كل الايجابيـــات التى تظللها تاريخيــا وحضاريا . وعلى الرغم من اعتراف كثير من علماء الغرب المنصفين وبعض المستشرقين غير الملوثين بحقد أو تعصب أو تبشير .

الثقافة المسلمـــة فى واقعهـا الحاضر مهددة بأسراب مكثفة من التيارات

الوافدة ، ونخشى أن يزداد حجم الخطر وحجم التأثير بعد البث البعيد المدى للارسال التلفزيونى الأوربى والأمريكى وما يمكن أن يحمله هذا البث لسكان العالم الاسلامى عبر عشرات أن لم تكن مئات القنوات والمحطات من غزو اعلامى يختلف بالقطع فى جوهرة وشكله عن منهج وقيم الاعلام والثقافة فى العالم الاسلامى .

إن هموم الثقافة الاسلامية كثيرة وهى بلا ريب تحتاج إلى علاج وصبر، وقد لمس المؤتمر الثقافى الأول لوزراء الثقافة المسلمين بعض جراحها فعسى أن تتوالى المؤتمرات ويتوالى التشريح والطرح والتشخيص كى يتواصل التصحيح والتصويب والعلاج فأمة بلا ثقافة ذاتية قوية تظل ضائعة فى تيه الوجود وصحراء الحياة وهذا بالقطع ما لا يحتاج إلى تأكيد أو براهين ؟

(مع الشكر لجريدة الجزيرة بالرياض)

فلينظر الرجل من يخالل ؟

بقلم : اصغر على امام مهدى السلفى
الأستاذ فى الجامعة السلفية ، بنارس

عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة . (أخرجه الشيخان وغيرهم) .

أما راوى الحديث أبو موسى الأشعرى فهو عبد الله بن قيس بن سليمة ابن حصار بن حرب بن عامر بن غنم والأشعر أحد أجداده مشهور باسمه وكنيته معا ، الصحابي الجليل استعمله النبي ﷺ على بعض اليمن ، واستعمله عمر على البصرة فافتتح الأهواز ، ثم أصبهان . ثم استعمله عثمان على الكوفة وكان أحد الحكمين بصفين ، وكان حسن الصوت بالقرآن .

فى الصحيح المرفوع لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود صليت خلف أبي موسى فما سمعت فى الجاهلية صوت صنج ولا بربط الا نائى أحسن من صوت أبي موسى بالقرآن ، وهو الذى فقه أهل البصرة . اقرأهم من الستة الذين انتهى إليهم العلم، وكان من أبرز القضاة . يقول الامام ابن المدينى: قضاة الأمة أربعة : عمر وعلى وأبو موسى و زيد بن ثابت . وقال الامام الهمام سيد المحدثين وأميرهم البخارى رحمه الله : عن الحسن البصرى : ما أتاها يعنى البصرة راكب خير لأهلها منه .

قال الشعبي : كتب عمر فى وصيته أن لا يقر لى عامل أكثر من سنة ، وأقروا الأشعرى أربع سنين[1]، وله مناقب جمة ، وله ثلاث مائة وستون حديثا و روى منه خلق كثير، وتوفى رضى الله عنه سنة (٥٠) ، وقيل بعد ذلك بالكوفة ، وقيل بمكة المكرمة.

إن الرسول ﷺ كان أفصح العرب ، وقد أوتى جوامع الكلم ، وكان يضرب أروع الأمثال لافهام الكلام النبوى ليفهم الناس جيدا ، و يسهل الفهم لديهم ، ويكون له تأثير عميق يأخذ كل مأخذه من السامع ، ويؤثر فيه تأثيرا سريعا يقره العقل والمنطق ، وقد ضرب فى هذا الحديث مثلا رائعا يقرب إلى الذهن فهم الفوائد المرجوة والنفع العظيم الذى يحصل من الجليس الصالح ، ويضرب مثلا حيا لبيان الأضرار والمفاسد التى تأتى من الجليس السوء وصحبة الأشرار والفجار ، فشبه الصحبة الصالحة والرفقة الجيدة بالمسك الذى يحرص عليه كل انسان ، ويطلب بمال ونوال ، وشبه الرجل الصالح بحامل المسك الذى يعطيك هدية وهى خير هدية ، أو يدفع إليك بالمال. وهذا ليس بغال ، وإن لم يكن هذه كلها من اهدائه إليك واشترائك منه فتسر بهذه الرائحة الطيبة المعطرة للأجسام والأبدان بالشمام التى تفوح فى أجوائها فيعمك من غير طلب ولا قصد منك ومن غير إرادة وإيصال منه ، وقد ورد فى الحديث الصحيح ، ما معناه ملخصاً :

إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، قال فيحفونهم بأجنحتها إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم عز وجل ، وهو أعلم منهم عن عباده ، فيخبرون عن عباده

---

(١) الإصابة ٣٥١/٢ ملخصا .

الصالحين العابدين له بما يعملون من الخير وبما يؤمنون بالله وبالجنة والنار من غير مشاهدة منهم، ويطلبونها ويجتهدون لها فيقول الله تعالى: فأشهدكم أني قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم[١].

فثبت من هذا أن لصحبة الصلحاء والأتقياء فوائد عظيمة ومنافع كثيرة ربما لا يشعر الرجل بهذه الفضيلة. قال الحافظ: فى هذه العبارة مبالغة فى نفى الشقاء عن جليس الذاكرين[٢]. وإن جليس الصلحاء يندرج معهم فى جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكراما لهم ولو لم يشاركهم فى أصل الذكر. وهذا معنى قوله ﷺ فى الحديث. أو تجد منه ريحا طيبة فإنها لازمة على كل حال سواء وجد الإهداء والبيع أم لا.

وشبه صحبة الأشرار بالكير والجليس السوء ورفقاء الشر والفساد بنافخ الكير الذى يحرق ثياب من يقترب منه ومن يصحبه ويجاوره، وإن سلم من هذا فلا يسلم من الرائحة المنتنة الخبيثة التى يؤذيه ويضر بجسمه وصحته.

ما أروع هذا التشبيه فى تحسين الرفقة الصالحة وبيان فوائدها العظيمة النافعة وتأثيرها الطيب الجيد وفى تقبيح الخلطة الفاسدة وبيان أضرارها الكثيرة. قال الحافظ: وفى الحديث النهى عن مجالسة من يتأذى بمجالسته فى الدين والدنيا والترغيب فى مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما[٣].

وقد اتفق علماء التربية على أن للصحبة تأثيرا عميقا ودورا هاما

(١) الجامع الصحيح للبخارى مع الفتح ٢٠٩/١١

(٢) نفس المصدر ٢١٣/١١

(٣) نفس المصدر ٣٢٤/٤

فى بناء شخصية الفرد والمجتمع وفساده إن خيرا فخير وإن شرا فشر . فكم من رجل قد ساء خلقــه وفسد قلبــه وحبط عمله وبطلت حيـاته وخسر دنياه وعاقبته ، وخاب رجاء والديه وأمته المنوط به بسبب وقوعه فى صحبة الأشرار والعوارم وبسبب جلساء السوء وقرناء الشر وزملاء الفسق والفجور ، وكم من بيوت خربت وأسرة ضاعت ، ومحارم أحلت وأعراض هتكت ، وأمـة ضلت وغوت عن طريق الهــدى والرشد بسبب وقوعهــا فريسة لصحبــة الأشرار ومجالستهم فقضت على دينها وأخلاقها وقيمها وعزتها وكرامتها فهانت واستحقت عقاب الله الأليم . فهذا كنعان بن نوح نبي الله عليه الصلاة والسلام قد هلك بسبب صحبة الأشرار وترك صحبة أبيه المختار عند الله تعالى .

هذه عاقبته الوخيمـة فى الدنيا ، وأما فى الآخرة فأمره أدهى وأمر حيث يكون من الخائبين الخاسرين الظالمين على أنفسهم الداخلين فى نار جهنم الداعين الويلات والثبور غضبا وعجبــا وأسفا على صحبتهم فلا يفيـــده هذه الويلات والتأسفات إلا الإكثار والازدياد فى الحزن على الحزن .

قال تعــالى : ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا . لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا﴾[1].

فالذين أولعوا بصحبة الأشرار والفجار من شيــاطين الإنس والجن فى الدنيا سوف يندمون عليها يوم لاينفع الندم والأسف بل يتخاذل منه أولياءه من الأشرار الذين كانوا فى اتباعهم أسرع النــاس اتباعا وأشدهم شوقا إلى مصاحبتهم ومغرما بأنديتهم ومهرجاناتهم الفتانة الفاسدة .

---

(١) الفرقان : ٢٧—٢٩

قال تعالى: ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا و رأوا العـذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾(١).

فلا علاقة فيما بينهم يوم القيامة بل يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ منه، ويتهمه بالضلال والفساد ويشهد على غيه وطغيانه فى الباطل مع أنه قرينه فى ارتكاب المعاصى: ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد﴾(٢).

هذا ديدن قرناء السوء ورفاق الشر يتخاذلون فى أحرج الساعات ويتبرؤن بعضهم من بعض فى أضيق الحالات وصار بعضهم لبعض عـدو إلا المتقون، والرفقاء المؤمنون الصالحون، فإنهم يوالون بينهم ويشهدون لهم بالخير فى الدنيا والآخرة: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾(٣).

فليحذر الإنسان من خلطاء الشر ورفاق السوء حتى لايقع فى حبائل غيهم وشباك ضلالهم وانحرافهم، وعليه أن يختار الزمرة الصالحة من الرفقاء والجلساء النجباء فى المدرسة والمنزل والسفر والحضر وفى التجـارة وفى جميع أمور الحياة حتى تصلح أحواله وتسمو أخلاقـه ويظهر فى الأمة أدبه الطيب حتى يكون فى الأمـة أداة خير، و رسل اصلاح، و دعاة هداية، فيصلح المجتمع بصلاحه وتفتخر الأمة بأخلاقه الكريمة وتعتز بصفاته الحميدة.

ويؤكد الرسول ﷺ هـذا المعنى فى حديث آخر حيث يقول: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»(٤).

---

(١) البقرة: ١٦٦

(٢) سورة ق: ٢٧

(٣) سورة الزخرف: ٦٧

(٤) أخرجه أبوداود فى سننه ١٦٨/٥، والترمذى فى جامعه مع التحفة ٤٩/٧

فالإنسان مهما كان متحليا بالأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن إذا كانت مجالسته مع الأشرار ومصاحبته مع الفجار لا يعد كريما بل توريه هذه الخلطة الفاسدة وتشينه فانه يعرف بقرنائه و رفاقه.

عن المرء لا تسئل و سل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

فلذلك أمر الرسول الكريم ﷺ أمته لاختيار الرفقة الصالحة فقال: لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي[١].

وعن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله ! أي جلسائنا خير ؟ قال من ذكركم بالله رؤيته وزاد في علمكم منطقه و ذكركم بالآخرة عمله[٢]، وقال ابن دينار : إنك أن تنقل الأحجار مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص[٣] مع الفجار وأنشد[٤]:

وصاحب خيار الناس تنج مسلما وصاحب شرار الناس يوما فتندما

فليحرص المؤمن على اقتناء الصلحاء والعلماء وأولياء الله لصحبته ومجالسته ومصاحبته لما فيهما خير كثير وبركة عظيمة ، وصلى الله على النبي الأكرم وسلم تسليما كثيرا ؟

❖❖❖❖

(١) أخرجه أبوداود في سننه ١٦٨/٥ ، والترمذي في السنن مع التحفة ٧ /٧٦

(٢) مسند البزار ١٠ / ٢٢٨

(٣) الخبيص حلواء تعمل من التمر والسمن .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣/٢٧

ركن الطلاب:

الكتاب فى حياة الإنسان

عبد النور عبد الخالق
السنة الرابعة العالمية

إن الكتاب رفيق الإنسان فى الوحدة وزميله فى الخلوة وأنيسه فى الوحدة ودليله فى الجلوة. ومزايا الكتب كثيرة و قراءتها مفيدة، وعواقبها محمودة، وحيث إن الكتب أنواع وأقسام فان الواجب الانسانى أن يطالع الكتب النافعة، ويجتنب الكتب الماجنة، ويذكر التأريخ أن السلف كانوا يحبون الكتب المفيدة، ولم يكن فى حياتهم شىء أغلى من الكتاب، وذلك لأن مطالعة الكتاب تزيد الانسان معرفة و خبرة، وبذلك يستطيع الإنسان مواجهة الحياة بما فيها من حلو و مر. والمعروف عن علماء الإسلام أنهم كانوا يكبون على القراءة و المطالعة بحيث لا يشعرون بمضى الوقت، و ربما يقضون الليل كله فى ذلك.

نحن طلبة العلم نحتاج إلى الكتب الجيدة لأنها هى التى تصلح أخلاق الناس وتحسنها، وترفع قدرهم فى المجالس بكثرة العلم، وبالعكس من ذلك فان الكتب الفاحشة تخرب أخلاقهم، وتعكر عليهم حياتهم، فاحذروا أيها الإخوان من هذه الكتب حتى يتحقق لكم الفوز.

انكم تعلمون أن من لم يصرف الاوقات فى مطالعة الكتب سوف يضيعها فى أمور أخرى ، وإضاعة الاوقات أشد من الموت .

ومن حكم العرب : من أخذ كتابا يقرؤه وأتمه فقد ذهب ظمأه . وكان السلف الصالح أشد حبا للكتب ، وفيهم لنا أسوة حسنة . فهم الذين بينوا أهمية الكتاب والعلم ، ليعرف المسلمون أهميتها وقيمتها ، ويعرفوا الاسباب التى تؤدى إلى رفع شأنهم .

ويجب على محبى العلم والكتب أن يوجد فيهم الحرص على الكتابة ثم حفظ العلم والانتفاع به ، كما قال الخليل بن أحمد يفتح طريقا لكل من يسلك فى سبيل العلم : ما سمعت شيئا الا كتبته ، ولا كتبت شيئا الا حفظته ، وما حفظت شيئا الا انتفعت به .

واذا طالعنا الكتب رأينا أن السلف أرسلوا أقلامهم بوصف الكتاب ، وهذا يدل على حبهم للكتب ، وأنهم يعلمون قدرها وأهميتها ، فلذا ازداد شغفهم بها ، ألا ترى ما يقول ابن المعتز حين يصف الكتاب : الكتاب والج للأبواب ، جرئ على الحجاب ، فهم لا يفهم ، ناطق لا يتكلم وبه يشخص المشتاق اذا أقعده الفراق . وقال آخر : إنه حاضر نفعه ، مأمون خيره ، ينشط بنشاطك ، فينبسط اليك ، ويمل بملالك فينقبض عنك ، إن أدنيته دنا ، وإن أنأيته نأى ، لا يبغيك شرا ، ولا يفشى عليك سرا ، ولا ينم عليك ولا يسعى بنميمة اليك .

فظهر من هذه الاقوال أن أهمية الكتب عظيمة لا تحصى فوائدها ولا تبلغ غايتها ، فعليكم أن تحبوا وتلازموا الكتب الجيدة وداوموا على مطالعتها . فمثل هذا الرجل مغبوط ، يقول الشاعر :

نعم النديم اذا خلوت كتاب إن خانك الندماء والأصحاب

فأبحه سرك قـــد أمنت لسانه   أو أن يغيبك عنده مغتـاب

واذا هفوت أمنت غرب لسانه   إن العتاب من النديم عذاب

ولأن بعضهم كان يستعين بالـكتاب على الغربـــة والوحشة. وقال أحدهم لصديقـــه حين ودعـه: «استعن على وحشة الغربة بقراءة الـكتب فانها ألسن ناطقة وعيون رامقة».

وهو النديم حين يتفرق الندماء، وبه تأنس الوحدة، وقيل لبعضهم أما تستوحش؟ قال: وهل يستوحش من معه الأنس كله؟ قال: ما الأنس كله؟ قال: الـكتاب.

ويجب على الطالب أن يشترى الـكتب للمطالعة، لا لزينة الغرف والدواليب كما يفعل الناس فى العصر الحاضر، فالـكتب هى للمطالعة والبحث والاستفادة. فيناسب للطالب أن يشترى الـكتب قدر الاستطاعة ولا يبخل فيه. قيل لرجل: لم لم تبع الـكتب التى لا تحتاج اليها؟ فأجاب الرجل: انما لم احتج اليـه اليوم لـكن يمكن أن أحتاج اليها بعد اليوم.

وخلاصة القول أن الـكتب لها أهمية كبرى ودرجة عليا، ومزية عظمى. يفتخر بها الناس، وإن صاحبها مغبوط فى كل زمان ومكان وفى كل عصر ومصر. يقول المتنبي:

اعز مكان فى الدنى سرج سابح   وخير جليس فى الزمان كتاب

أضواء على مدرسة دار الحديث ومكتبة أهل الحديث بالمدينة المنورة

+++++++++++++

(الهجرة من الهند، وكذا من أى بلد من بلاد العالم، الى أرض الحجاز الميمونة أمنية المسلمين جميعا، فرجالهم ونساؤهم وأغنياؤهم و فقرائهم يتمنون دائما السفر الى أرض الحرمين الشريفين، و يحلمون بالاقامة فيها دائمة أو موقتة. ولذلك نرى قائمة طويلة بأسماء المهاجرين الى هذه الأرض من بينهم عدد كبير من مسلمى الهند وخاصة العلماء والمشايخ الذين فضلوا الاقامة هناك بدافع دينى وعلمى، ومارسوا نشاطهم فى مجال التدريس والدعوة. وأحد هؤلاء العلماء: الشيخ أحمد بن محمد بن قائم. توطن والده فى دهلى فنشأ وتربى فيها.

وبعد الانتهاء من التحصيل قام بالتدريس فى مدرسة دار الكتاب والسنة فى دهلى، ثم اشتغل باحثا ومفتيا فى مكتب جمعية أهل الحديث لعموم الهند بدهلى مدة ١٥ عاما. وتحقيقا لطموحه العلمى هاجر إلى المدينة المنورة وأقام فيها، وأسس هناك مدرسة باسم «دار الحديث» أو «دار علوم القرآن والحديث» وقد رزق الله الشيخ أحمد قبولا لدى الناس فأقبل الطلاب على مدرسته، واستفادوا من علمه، و وقف علماء المدينة بجانبه.

وقد ذكر الشيخ أبو يحيى النوشهروى أن أربعة من المدرسين كانوا يدرسون فى هذه المدرسة، وكان عدد الطلبة يبلغ نحو أربعين

طالبا. وكان أغنياء الهند يمدون المدرسة بأموالهم.

وللشيخ أحمد مؤلفات مثل صلاة المسلمات بالاردية، وأعمال الحج بالاردية، وتاريخ أهل الحديث بالعربية. (تراجم علماء حديث هند ص ١٩٣).

والشيخ الدهلوي كان عالما ربانيا وداعية مخلصا فأثمرت جهوده، واستمرت مدرسته. وقد شاء الله تعالى أن يتم توسيع المسجد النبوي تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين أيده الله، فانتقلت المدرسة الى مكان آخر على شارع من شوارع المدينة المعروفة. وتكرم فضيلة الشيخ عمر محمد فلاته، أحد القائمين على المدرسة، فرافقنا الى مبنى المدرسة الجديد فى زيارتنا للمدينة المنورة فى رجب ١٤٠٤هـ.

وتعريفا للجيل المعاصر بالجهود العلمية والدعوية التى بذلها علماء أهل الحديث فى الهند وخارجها، ننشر هنا معلومات عن مدرسة دار الحديث ومكتبة أهل الحديث بالمدينة المنورة، ونشكر فضيلة الشيخ عمر محمد فلاته حفظه الله تعالى على هذه المعلومات وعلى عنايته بهذه المؤسسة العلمية التى تعكس حرص علمائنا على نشر علوم الكتاب والسنة، جزاهم الله تعالى خير الجزاء) الأزهري.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فإن طيبة المشرفة هى منبع المعارف المحمدية، ومعدن العلوم الإسلامية، وهى عاصمة الإسلام الاولى سطعت فيها أنوار القرآن والحديث، فأضاءت الخافقين، ولا يعادلها فى هذه المنقبة بلد على وجه الأرض.

ولما شاء الله — وهو الذى لا ترد مشيئته — ومن على فضيلة الشيخ أحمد بن

محمد الدهلوى ثم المدنى بالهجرة إلى المدينة المنورة المنورة عام ١٣٤٥هـ وهو عالم من علماء الهند المحدثين الداعين إلى الله على بصيرة، فقد اشتغل بالتدريس فى المسجد النبوى الشريف بإذن من جلالة السلطان الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود يرحمه الله، ولقى من جلالته تشجيعا ومساندة وتأييدا، ثم أيده الله تعالى بروح منه فأسس مدرسة دار الحديث بالمدينة عام ١٣٥١هـ وأنشأ مكتبة أهل الحديث عام ١٣٦٤هـ فأقبل عليهما أبناء المسلمين لاجتلاء كئوس العرفان المحمدى الصافى وظلت من ذلك الحين إلى يومنا هذا ﴿تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها﴾.

الأهداف:

١ – نشر العلم والوعى باحياء العمل بالكتاب والسنة المطهرة فى بلاد الحجاز.

٢ – تخريج علماء محققين يدعون الناس إلى حقيقة الإسلام وخالص التوحيد وليكشفوا عن المسلمين الغافلين غمة الجهل وينوروا لهم الطريق المظلمة ويدلوهم على الصراط المستقيم.

٣ – بث روح الغيرة الدينيـة لبذل الجهد فى الدعوة إلى هذا الدين القويم الذى ارتضاه الله تعالى لعباده والذى تركهم عليه رسول الله ﷺ.

٤ – المساهمة فى تربية جيل إسلامى واع على أساس العقيدة الصحيحة والعبادة المخلصة لله.

مراحلها الدراسية:

القسم الإبتدائى، القسم المتوسط، القسم الثانوى، قسم الحديث، شعبة الحديث.

المدرسون فيها وطلابها:

– وقد اشتغل بالتدريس فيها مشاهير أهل العلم بالمدينة إذ ذاك، واشتغل

بالتعليم فيها العديد من أبناء المسلمين من الداخل والخارج ، وقد نفع الله بهم أيضا في الداخل والخارج .

مكتبتهما :

أما مكتبتها فقد أوقفها مؤسسها الشيخ أحمد بن محمد الدهلوي (رحمه الله) بموجب الصك الشرعي رقم ٦٣ و تأريخ ٢١ محرم ١٣٦٥ هـ باسم مكتبة أهل الحديث وفتحت أبوابها لقاصديها طيلة فترة الدوام اليومي حتى الآن وبها عشرات الألوف من كتب التفسير و الحديث و الفقه و الأصول و اللغة والتأريخ وغيرها .

الموقف لمبناها :

ولقد وفق الله تعالى رجلا صالحا مخلصا من أهل الهند يدعى الحاج محمد رفيع فأوقف على مكتبتها ومدرستها مبنى بقرب المسجد النبوي للقيام بمزاولة التدريس ونشر العلوم الدينية والمعارف الإسلامية فيها وذلك بموجب الصك الشرعي رقم ٤٦١ وتأريخ ١٣٦٨/١١/٨ هـ أطلق عليه اسم وقف مكتبة أهل الحديث ومدرسة دار الحديث بالمدينة ، فأغناها الله تعالى بذلك عن استئجار أو بناء مقر لها يقلها بأداء رسالتها فيه بحمد الله ، و وكل الشيخ عبد الرحمن الافريقي في وقفيتها .

الهيئات التي أشرفت عليها :

١ ـ لجنة على رأسها سماحة الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب الزاحم ، رئيس المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة سابقا .

٢ ـ لجنة على رأسها سماحة الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، نائب مفتي المملكة العربية السعودية سابقا .

٣ ـ لجنة على رأسها سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، رئيس الجامعة الإسلامية سابقا .

٤ — لجنة على رأسها فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد، نائب رئيس الجامعة الإسلامية سابقا.

٥ — لجنة على رأسها فضيلة الدكتور عبد الله بن عبد الله الوايد، نائب رئيس الجامعة الإسلامية سابقا.

٦ — لجنة على رأسها فضيلة الدكتور عبد الله بن صالح العبيد، رئيس الجامعة الإسلامية.

نبذة عن مشروع البناء الجديد وموقعه:

ولما وفق الله تعالى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود للقيام بتوسعة المسجد النبوى الشريف من غالب نواحيه التوسعة التى أصبحت مفخرة لكل مسلم ومكرمة لكل مصل فيه، فقد امتدت هذه التوسعة إلى مقر وقف المكتبة والمدرسة فتم هدم بناء الوقف وجرى تعويضه لشراء أو بناء مبنى بديل عن المبنى الموقوف، ولما كان البناء السابق لا يفى بمتطلبات المكتبة الحديثة، ولا المدرسة العصرية الفسيحة، وأن لكل مقام مقال، ولكل زمان دولة ورجال، وأن تصميم وتوفير المرافق والوسائل المريحة للطالب والدارس والمراجع أمر يحتمه الواجب التربوى، فقد تم بفضل الله شراء قطعة أرض تبلغ مساحتها (٨٦٩٠٫٣٠م٢) تقع شمال شرق المسجد النبوى وتبعد عنه مسافة ٧٠٠ متر تقريبا محاطة بشوارع من ثلاث جهات وتطل واجهتها الشمالية على شارع المطار سابقا.

التصميم المعمارى والهندسى:

أعدت منافسة لاعداد الدراسات والتصاميم المعمارية والمخططات الهندسية للمشروع تقدمت لها عدة مكاتب استشارية هندسية وقد رست المنافسة على مكتب أبا الخيل — مهندسون استشاريون، حيث قام بإعداد الدراسات والتصاميم الخاصة بالمشروع والذى يشمل العناصر التالية:

١ — مبنى المدرسة: يتكون المبنى من ثلاثة أدوار ويتسع لـ ٦٠٠ طالب.

٢ — مبنى المسجد، شعبة الحـديث، المكتبة: المبنى مكون من خمسة طوابق خصص الدور الأرضى للمسجد وأماكن الوضوء ويتسع المسجد لثلاث مائة مصل، كما تم عمل جزء خاص للنساء بالميزانين، وقد روعى أن يستفيد من المسجـد مجمع الوقف و الأماكن السكنية المجاورة له، و يضم الدور الأول و الثانى الفصول الدراسية و غرف الإدارة الخاصة بشعبة الحديث وخصص الدوران الثالث والرابع للمكتبة والتى تسع لحوالى ٢٠٠٠٠ مجلد.

٣ — مبنى قاعـة المحاضرات: ويتكون من دورين و تستوعب حوالى ١٠٠٠ شخص.

٤ — مبنى سكن الطلاب: ويتكون المبنى من ستة أدوار خصص الدور الأرضى وصالة الطعام مع الخدمات الخاصة بها أما الأدوار الخمسة الباقية فتشتمل على أجنحة نوم الطلاب مع غرف الخدمة ودورات المياه، و يسع المبنى ٢٠٠ طالب.

٥ — مبنى المركز التجارى: يتكون المبنى من ستـة أدوار يشتمل الدور الأرضى على المحلات التجارية وعددها ١١ متجرا أما الأدوار الخمسة العلوية فهى عبارة عن مكاتب تجارية.

٦ — مبنى سكن الزوار: ويتكون المبنى من ستـة أدوار وقد صمم كفندق صغير يشتمل الدور الأرضى على الاستقبال وصالة الانتظار والخدمات. أما الأدوار العلوية فهى مخصصة للأجنحة والتى تشتمل على غرف النوم مع حمام خاص. وقـد روعى أن يكون المركز التجارى وسكن الزوار مصدرا ماليا للتشغيل والصيانة الدائمة للمشروع.

٧ — سكن الناظر: وقد روعى أثناء تصميم المشروع توفير سكن مناسب بموقع المشروع لناظر الوقف بحيث يتسنى له الاشراف الدائم والمتابعة.

٨ - كما تم تخصيص ٧٥٪ من مساحـــة الأرض مواقف سطلية (بدروم) للسيارات ، هذا ولظروف الوقف المالية فقد روعى أثناء إعداد التصاميم الخاصة بالمشروع القيام بتنفيـذ المشروع على مرحلتين وتأجيل مبنى قاعة المحاضرات ومبنى سكن الطلاب لمرحلة ثانيـــة وتنفيـــذ بقية العناصر فى المرحلة الأولى.

تنفيذ المشروع:

هذا وفور الانتهاء من مرحلة التصاميم المعمارية والمخططات الهندسية تم إعداد منافسة لتنفيذ المشروع بين عدة شركات متخصصة ، وبعد إجراء المنافسة وإختيار أنسب المتقدمين فقد تم التعاقد مع مجموعـــة ابن لادن السعودية التى خفضت أسعارها مشكورة لتصبح الأقل سعرا لتنفيذ المرحلة الأولى، وقد تبين وجود عجز مالى لتنفيذ المرحلة الأولى كما تم الحصول على الأذن والموافقة على العقد من قبل المحكمة الشرعية بالمدينـــة ، وبدء العمل بالمشروع إعتبارا من ١٤١٣/٧/٩ هـ.

هذه أضواء سريعة عن هذا المعقل الدينى الذى ظل أكثر من نصف قرن وهو يخدم شريعة الله وسنة رسوله ﷺ فى أحب البقاع إلى الله ، البلد الذى يأرز إليه الايمانـــ فى آخر الزمان ، ونظرا إلى أنه قد انقض بناؤه العمرانى وأن الجهود مبذولـــة فى إعادة إنشائه ، فإننا نسأل الله عز وجل أن يعين على إتمام المشروع على خير وجه لتحقيق الأهداف المرجوة منـــه ، وليقوم بخدمة العلم فى هذه البقعة المباركة ؟

صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٦) | رجب ١٤١٥ه
العدد الثاني عشر | ديسمبر ١٩٩٤م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهري

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بي ١٨/١ جي ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi – 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI – 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوي : في الهند ٥٠ روبية ، في الخارج ٣٢ دولارا (بالبريد الجوي) ١٢ دولارات (بالبريد العادي) ثمن النسخة : ٤/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٢١١٦/٣٢٠٩٥٨ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

◎ المنشور لا يعبر إلا عن رأي كاتبه ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكرى، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الاسلام، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية.

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمبادىء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب على رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.

◇ إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.

◇ التوجيه الدينى السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد؟

الافتتاحية :

قضية المسجد البابرى تبرز من جديد

المسلمون فى الهند يتعرضون منذ الاستقلال لأنواع من التهم والتهديد، ويلاقون معاملة قاسية من بعض الفئات المتطرفة، ولايجدون من يمسح دموعهم، و يلتزم بمبادئ العدل والتسامح فى أمورهم، مع أن زعماء البلاد ينادون بالتعايش السلمى، ويفتخرون بالديمقراطية، وينص دستور الهند على تأمين الحقوق الأساسية لجميع السكان بصرف النظر عن دياناتهم ولغتهم ومنطقتهم، وعلى توفير الأمن والسلام وحياة العزة والكرامة لكل فرد من الأفراد.

ومنذ أن تم هدم المسجد البابرى بأيدى الظلمة المتطرفين، ازدادت موجة الكره والتهديد ضد المسلمين، فهم يسمعون كل يوم صوتا جديدا للتهديد والابادة بحيث يخيل اليهم أن الدستور العلمانى ومبادئ الديمقراطية ليست فى حقهم الا حبرا على ورق.

تهديد سافر: و يدل على ذلك الخبر الذى نشرته جريدة «آواز ملك» الصادرة من بنارس فى عدد ٢٥/ أكتوبر عام ١٩٩٤م ورد فيه أن المدعو «ونے كتيار» (Vine Katiyar) زعيم الحزب المتطرف .B. J. P صرح بأنه كما تم هدم المسجد البابرى اقتصاصا لاهانة الهندوس واعادة لكرامتهم اليهم فكذلك تهدم المساجد الاخرى.

وادعى المذكور أن رئيس وزراء الهند كان يعرف جيدا أن المسجد

البابرى لن يبق فى مكانه بعد السادس من شهر ديسمبر ١٩٩٢م. هدم المسجد فى خمس ساعات والمعبد الجديد سوف يقام فى ساعتين فقط، والمعبد الصغير الموجود حاليا مكان المسجد لا يستطيع أحد فى العالم أن يزيله من مكانه، وانه سوف يكون نواة للمعبد العظيم الضخم.

المحكمة العليا ترفض: اختلق المشاغبون فرية بناء المسجد البابرى مكان المعبد الوثنى، وبذلوا جهودهم من جديد لهدم المسجد منذ عام ١٩٨٦م. كانت القضية تحت النظر فى المحكمة، ولكن المتطرفين لم يستطيعوا أن يثبتوا بناء المسجد مكان المعبد الوثنى، وتدخل كثير من خبراء التأريخ والآثار من غير المسلمين فى الموضوع، وأعلنوا بصراحة أنه لم يقم دليل ما على بناء المسجد بعد هدم المعبد. وكذلك رفض كثير من المثقفين غير المسلمين المنطق الذى التجأ إليه المتطرفون لتبرير مطالبتهم بهدم المسجد. وعديد من أساتذة الجامعات الحكومية أكدوا على ضرورة الاعتراف بالوضع القائم والأمر الواقع، وحذروا من العودة إلى الماضى والنبش عما فى بطونه، فان ذلك ينزل الخراب والدمار بالبلاد وأهلها مهما كانت دياناتهم.

وهكذا منى المتطرفون بخيبة وفشل فى المحكمة القضائية والمحكمة الشعبية معا، ولكن الأطماع السياسية والمصالح الشخصية لم تتركهم يهلسون بهدوء ويخضعون لحكم العقل والضمير، فقد بدؤا يحيكون خيوط المؤامرة، ويتدرجون الى هدم المسجد، انهم تآمروا مع الحكومة والسلطة لهدم المسجد، وخدعوا وضللوا المحكمة العليا وشعب الهند. وذلك لأنهم قدموا الى المحكمة العليا تعهدهم بالحفاظ على المسجد الى أن تصدر المحكمة قرارها بهذا الصدد، وتظاهروا بهذا التعهد لدى الحكومة المركزية أيضا، وفى نفس الوقت سحروا

ملشود المتطرفين من الهندوس يحتشدون فى مدينـــة أيودهيا ، و ينادون بهدم المسجد . وفى يوم ٦/ ديسمبر ١٩٩٢م ، بدؤا يهدمون المسجد بمرأى من الحكومة والمحكمة و الشعب ، لم يعارض أحد هذه الخطوة الاجراميـــة بفعله ، نعم تكلم كثير من المسلمين وغيرهم فى التنديد بهدم المسجـــد ، وطالبوا بمعاقبة المجرمين أشد العقاب .

وصرحت بعض الجرائد الهنديـــة أن كثيرا من سكان الهنـــد المنصفين والمعتدلين يذهبون الى أن المسجد هدم بتواطؤ من الحكومة الاقليمية والحكومة المركزيـــة ، وذلك لأن القوات المسلحة و المسئولين عن الحكومتين كانوا على قرب من المسجد ولم تظهر منهم محاولة للحفاظ على المسجد .

ثم ان رئيس وزراء الهنـــد كان قد أعلن فور هدم المسجد بناءه ، من جديد ، وتناقلت الاذاعات والجرائد هـــذا الاعلان ، وقد ظهر رد فعل شديد على هـــذا الاعلان من قبل المتطرفين ، فقد صرحوا بأنهم لا يسمحون ببناء المسجد لا فى مكانه السابق ولا فى أى مكان آخر . وهكذا ذهب اعلان رئيس الوزراء أدراج الرياح ، ولم يتم الى الآن بناء المسجد مع أن المطالبة بهـــذا البناء تتكرر حينا بعد آخر .

و من التطورات الغريبة التى طرأت على قضية المسجد أن رئيس الجمهورية الهندية وجه سؤالا إلى محكمة الهند العليا مستفسرا عن رأيها حول وجود معبد مكان المسجد قبل بنائه . ولكن المحكمة رفضت أن تبدى رأيا فى هذا الموضوع ، وصرحت بأن مثل هـــذا الرأى ليس من اختصاصها . وقد أعلن هذا الرفض يوم ٢٤/ أكتوبر ١٩٩٤م ، ان الهدف من الاستفسار المذكور لم يتضح بعد ، ولذلك كثرت التكهنات عنه ، وشك بعض الناس فى نوايا الحكومة المركزية .

ولكن الجميع يشيدون بموقف المحكمة العليا حيث أنها لم تخضع لارادة الحكومة ، ولم تبد رأيا حول وجود المعبد مكان المسجد أو عدم وجوده . ويعنى قرار المحكمة المذكور أن قضية المسجد عادت الى الوضع الذى كانت عليه عام ١٩٩٢م ، ومست الحاجة الى اعادة النظر فيها من جديد .

وكلنا نعرف أن منصب رئيس الوزراء يمنح صاحبه سلطة كبيرة ، والمستر نرسمها راؤ حينما وعد الشعب ببناء المسجد فلم يكن وراء هذا الوعد ضغط أو اغراء من أحد ، ولكنه لم يف بوعده بعد مضى نحو سنتين على هدم المسجد ، فمثل هذه الشخصية الكبيرة وصاحب هذا المنصب اذا تظاهر بمثل هذا الموقف فماذا نتوقع من المسئولين الصغار ومن عامة الناس؟ وكيف لا يجترى المتطرفون والمجرمون على انتهاك دستور الهند بعد الوقوف على الموقف المذكور؟

ان المسلمين لا يطالبون ببناء المسجد البابرى ، ولا بالحفاظ على المساجد الأخرى ، ولا بحقوقهم الأساسية الا فى ظل الدستور الهندى العلمانى والديمقراطية العلمانية التى ينص عليها هذا الدستور . فلماذا لا تستجيب الحكومة لمطالبهم ، ولماذا يتهم المسلمون بعدم الاخلاص للبلاد ، ولماذا لا يعاملون بالعدالة والمساواة فى شئون الحياة الأخرى ؟ أليست هذه التفرقة فى المعاملة تدفع المظلومين والبائسين إلى فقد ثقتهم بالحكومة وإلى اتخاذ خطوات غير سليمة ؟

<u>تتعقد الأمور من جديد</u>: وكما أن النزاع قام بين المسلمين والهندوس حول المسجد البابرى ، فكذلك قام حول الأراضى المجاورة له . وقرار المحكمة العليا الحالى قد نص على أن النظر فى وجود المعبد مكان المسجد قبل بنائه ليس من اختصاصها ، ويبدو أن المحكمة موفقة فى هذا القرار ، ولكن جانبها التوفيق حينما صوبت تملك الحكومة المركزية للأراضى المجاورة للمسجد بالقانون الذى

وضحته عام ١٩٩٣م بعد هدم المسجد. ولكن لم يصدر قرار التصويب هـذا باتفـاق من القضاة الخمسة، بل بأغلبيـة ثلاثـة أصوات مقابل صوتين اثنين. والمعارضان من القضاة قد صرحا بأن القانون الذى تملكت به الحكومة الأرض المجاورة للمسجـد يدل على الانحياز الى فرقة معينـة، ومن هنا فهو معارض الدستور. و هذا الرأى جدير بالعناية والتفكير لكل من يشيد بديمقراطية الهند، ويدعى تمسكها بالعلمانيـة، ويصرح بأن الاقليات الهنديـة تتمتع بكافة الحقوق وتعامل بالمساواة. ان قرار المحكمة العليا الخاص بتملك الأرض يعنى بوضوح أن الحكومة المركزية يحق لهـا أن تعطى الأرض التى تبلغ مساحتها ٦٧٫٥ فـدانا، أو جزءا منها للمؤسسة التى تريد أو الوقف الذى تم تشكيله قريبا لبناء المعبد فى أيودهيا. وتشكيل هذا الوقف هو الآخر يثير شكوك الناس، ويؤكد لهم أن الحكومـة ترغب فى بناء المعبد وتصرف النظر عن بناء المسجد لأنها تزعم أن موقفها هذا تؤمن لها أصوات الهندوس وتلعب دورا هاما فى كسب عطفهم. والمتطرفون من الهندوس حينما أثاروا قضية المسجد البابرى هدفوا الى الأمرين المذكورين، ولكن لم يتحقق حلمهم الى الآن وحزب المؤتمر يحاول الآن الاستفادة من الوضع كما حاول كل من «وشو هندو بريشد» و B. J. P. و هذا الوضع يومىء الى أن بعض الأطراف فى القضية لا يهدف إلى حلها بل يريد استغلالها لتحقيق مصالحه.

بين الجريمـة والعقوبـة: وشىء آخر يستلفت النظر فى قرار المحكمـة العليا، وهو أن المحكمة أدانت المدعو/ كليان سنغ/ كبير وزراء ولاية اوترا براديش وقت هدم المسجد بحبس يوم واحد كعقوبة رمزية وغرامة ألفى روبية هندية، وذلك لأنه قد سمح أثناء توليه منصب كبير الوزراء فى الولايـة ببناء رصيف

قرب المسجد البابرى فى الأراضى التى لا تزال موضع النزاع بين المسلمين والهندوس. وصرحت المحكمة بأن «كليان سنغ» كان قد وعدها بعدم تغيير وضع الأرض المذكورة، ولكنه سمح بجمع المواد البنائية فى الأرض المذكورة، وكذلك سمح بالبناء فيها، وفى ذلك انتهاك صريح لقرار المحكمة العليا. ويعتبر الصحفيون هذا السماح ممهدا لهدم المسجد، وقد هدم المسجد أثناء تولى «كليان سنغ» منصب كبير الوزراء، مع أنه كان قد تعهد لدى المحكمة العليا بأنه يحافظ على المسجد حفاظا تاما، ولكنه لم يقم بأى اجراء ضد من شاركوا فى هدم المسجد وفى انشاء معبد صغير مكانه. و ملاحظة هذه الأمور والأوضاع بمجموعها لاتترك أدنى شك فى تعمد «كليان سنغ» هدم المسجد، ولكن المحكمة العليا لم تنزل به الا عقوبة رمزية و غرامة قليلة، ولذلك رأينا أنه حينما خرج من حبس يوم صرح بأن حزبه يبنى المعبد مكان المسجد المنهدم أيا كان الثمن، وهذا يعنى أن عقوبة المحكمة العليا لم تردعه عن الجريمة بل شجعته على مواصلتها. ان جريمة هدم المسجد الذى مضت على بنائه نحو خمسة قرون ليست جريمة عادية حتى تخفف المحكمة عقوبتها بهذه الدرجة بل هى أشنع جريمة فى التأريخ لأنها لم تسىء الى المسلمين فقط، بل داست برجلها مبادئ العدل والقانون ومبدأ التسامح الدينى الذى اعترفت به الهند عبر القرون.

ومما يدل على عدم كفاية العقوبة المذكورة أن حزب كليان سنغ قد استبشر و فرح كثيرا بقرار المحكمة. واعتبره انتصارا له وصمم العزم على مواصلة جهوده لتنفيذ سياسته.

<u>عدالة المطالبة</u>: يميل الى السذج الأغرار أن المطالبة باعادة بنائه المسجد البابرى فى مكانه لم تأت الا من قبل المسلمين فقط، ولكن الحقيقة والواقع

ليبيلها كذلك، وذلك لأنها مطالبة عادلة يؤيدها كل ذي عقل وضمير، ومن هنا رأينا أن رئيس وزراء الهند هو أول من صرح باعادة بناء المسجد، ولكنه تنكر لوعده فيما بعد لسبب يعلمه هو.

ومما يدل على عدالة مطالبة البناء تصريح عديد من السياسيين بهذه المطالبة حتى أن بعض زعماء حزب المؤتمر نفسه أيدوا مطالبة البناء، فها هو الدكتور جكناتهر مشرا كبير وزراء حزب المؤتمر سابقا في ولاية بيهار يقول: على حزب المؤتمر أن يبني المسجد البابري من جديد في مكانه ولو كلفه ذلك بتضحية حكومته وسلطته، والتأريخ يسجل له هذا الموقف، ويذكر أن حزب المؤتمر قد ضحى بسلطته حفاظا على العلمانية و وحدة البلاد. وأضاف أن رئيس وزراء الهند كان قد أعلن بعد هدم المسجد بيوم فقط أن المسجد يبنى في مكانه. وقال أيضا: ان بناء المسجد هو الذي يعيد الى الناس الثقة بالعلمانية.
(آواز ملك، بنارس، ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٤م)

تصريحات البطل: تم هدم المسجد حينما كان B. J. P. حاكما في ولاية اوترا براديش، وكان «كليان سنغ» كبير الوزراء في هذه الحكومة. والمحكمة أدان هذا الشخص بسجن يوم واحد لأنه أهان المحكمة، وانتهك قرارها بخصوص عدم بناء شيء في الأراضي المجاورة للمسجد ولما خرج «كليان» من سجن تيهار (TEHAR) في دهلي استقبله حزبه استقبال البطل وذهبوا به إلى المقر الرئيسي للحزب حيث أدلى حديثه للصحفيين. وتدل تصريحاته على أن حزبه كليان سنغ يحاول أن لايترك فرصة لحزب المؤتمر، حزب نرسمها راؤ، كي يستفيد من قضية المسجد، وانه لايرى حاجة إلى التفاوض مع المسلمين في شأن المسجد، بل يركز نقده حول الحزب الحاكم، ويطالبه بأمور

الكريم وجوده على يد الشيخ سعد وقاص البخارى بمكة المكرمة وأخذ علومه فى الشريعة واللغة العربية عن مشاهير علماء نجد منهم الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ والشيخ سعد بن أحمد ابن عتيق والشيخ حمد بن فارس وسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وكان أكثر ما تلقاه عن سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم وعليه تخرج فى علوم الشريعة واللغة العربية و رأى أن من الغبن لنفسه أن يكتفى بما حصله من تلك العلوم أيام طلبه وتلقيه عن مشايخه لما فى ذلك من هضمها حقها وحرمانها من الحظ الوافر فى العلم والدين فتابع الاطلاع والبحث ودأب فى تحصيل العلم وبذل جهده فى تحقيق المسائل بالرجوع إلى نطاقها فى أمهات الكتب كلما دعت الحاجة إلى ذلك فى تدريسه وفيما يعرض له من القضايا المشكلة أيام توليه القضاء وفى اجابته عما يوجه إليه من أسئلة تحتاج إلى بحث وتنقيب وفى رده على ما ينشر فى أقوال باطلة وآراء منحرفة فازداد بذلك تحصيله ورسوخه ونبغ فى كثير من علوم الشريعة وخاصة الحديث متنا وسندا والتوحيد على طريقة السلف والفقه على مذهب الحنابلة حتى صار فيها من العلماء المبرزين . وقد ولى القضاء أول عهده بالحياة العملية أربعة عشر عاما تقريبا ابتداءا من ١٣٥٧هـ ثم دعى إلى التدريس بالكليات والمعاهد العلمية فى الرياض أول عام ١٣٧٢ هـ فكان مثالا للعالم المحقق المخلص فى عمله فنهض بطلابه و استفادوا منه كثيرا واستمر على ذلك إلى أن أنشئت الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فعين نائبا لرئيسها العام فضيلة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ثم رئيسا لها فأحسن قيادتها والاشراف عليها .

وإلى جانب ما كلف به من أعمال وحمله من أعباء ومسئوليات كان يشهد

الفرصة لوعظ الناس وارشادهم فى المساجد ويغشى المنتديات لالقاء المحاضرات ويحرص على قراءة الكتب النافعة مع اخوانه ويستجيب لمن رغب إليه من طلبة العلم فى دراسة بعض الكتب عليه . فيحقق لهم أمنيتهم بصدر رحب ورغبة صادقة . ولم يحرم نفسه من نفع الناس بالتأليف مع قلة فراغه فألف جملة من الكتب والرسائل فى مناسبات وظروف تدعو إلى ذلك منها الفوائد الجلية فى المباحث الفرضية ونقد القومية العربية وتوضيح المناسك ورسالة فى نكاح الشغار ورسالة فى التبرج والحجاب والجواب المفيد فى حكم التصوير .

ويغلب على مؤلفاته وضوح المعنى وسهولة العبارة وحسن الاختيار مع قوة الحجة والاستدلال وغير ذلك مما يدل على النصح وصفاء النفس وسعة الأفق والاطلاع وحدة الذكاء وحضور الذهن وبالجملة فالشيخ قد وهب نفسه للعلم والمتعلمين وبذل جهده فى تحقيق المصالح لمن قصده ممن عرفه أو عرف به مع رحابة صدر وسماحة خاطر لجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

شمولية الاسلام

يقرر سماحة الشيخ ابن باز مصداقية الاسلام فى قيادة حركة الحياة فيقول : الاسلام دين شامل يشمل مصالح العباد فى المعاش والمعاد ويشمل كل ما يحتاج إليه الناس فى أمر دينهم ودنياهم ويدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال وينهى عن سفاسف الأخلاق وعن سيىء الأعمال فهو عبادة وقيادة : يكون عابدا ويكون قائدا للجيش .

وهو عبادة وحكم : ويكون عابدا مصليا صائما ويكون حاكما بشرع الله منفذا لاحكامه عز وجل . وهو عبادة وجهاد : يدعو إلى الله ويجاهد فى سبيل الله من خرج عن دين الله .

وهو مصحف وسيف : يتأمل القرآن و يتدبره وينفذ أحكامه بالقوة ولو بالسيف إذا دعت الحاجة إليه .

وهو سياسة واجتماع : فهو يدعو إلى الأخلاق الفاضلة والأخوة الايمانية والجمع بين المسلمين والتآلف بينهم فدين الله يدعو إلى الاجتماع وإلى السياسة الصالحة الحكيمة التى تجمع ولا تفرق وتؤلف ولا تباعد . تدعو إلى صفاء القلوب واحترام الأخوة الاسلامية والتعاون على البر و التقوى والنصح لله ولعباده . ففيه كل خير وفيه مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال والانصاف والعدالة والبعد عن كل خلق ذميم ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (النحل : ٨٩) .

تخلف الأمة

ويفسر سماحة الشيخ ابن باز سبب تخلف الأمة الاسلامية فى الواقع المعاصر فيقول : إن الله عز وجل يقول : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا﴾ فكل شىء لم يكن مشروعا فى عهده ﷺ وعهد أصحابه رضى الله عنهم لايمكن أن يكون مشروعا بعد ذلك ولو فتح هذا الباب لفسد أمر الدين ودخل منه ما ليس منه وأشبه المسلمون فى ذلك ما كان عليه اليهود والنصارى من التلاعب بالأديان وتغييرها على حسب أهوائهم واستحساناتهم وأغراضهم المتنوعة ولهذا قال الامام مالك بن أنس : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . ومراده بذلك أن الذى أصلح أولها هو التمسك بالكتاب والسنة والسير على تعاليمهما والحذر مما خالفهما ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا هذا الأمر الذى صلح به أولها ولقد صدق فى ذلك رحمه الله فإن الناس لما غيروا وبدلوا واعتنقوا البدع وأحدثوا الطرق المختلفة تفرقوا فى دينهم والتبس

عليهم أمرهم وصار كل حزب بما لديهم فرحون وطمع فيهم الأعداء واستغلوا فرصة الاختلاف وضعف الدين واختلاف المقاصد وتعصب كل طائفة لما أحدثته من الطرق المضللة والبدع المنكرة حتى آلت حال المسلمين إلى ما هو معلوم الآن من الضعف والاختلاف وتداعى الأمم عليهم. فالواجب على أهل الاسلام جميعا هو الرجوع إلى دينهم والتمسك بتعاليمه السمحة وأحكامه العادلة وأخذها من منبعها الصافى والتواصى بذلك والتكاتف على تحقيقه فى جميع المجالات التشريعية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغير ذلك والحذر كل الحذر من كل ما يخالف ذلك أو يفضى إلى التباسه أو التشكيك فيه. وبذلك ترجع إلى المسلمين عزتهم المسلوبة ويرجع إليهم مجدهم وينصرهم الله على أعدائهم ويمكن لهم فى الأرض.

ويضع سماحة الشيخ ابن باز أساسيات الاقتصاد الاسلامى فيقول: الاقتصاد الشرعى ليس رأسماليا غاشما ظالما لايبالى بالحركات ويجمع المال بكل وسيلة وبكل طريق وليس اقتصادا شيوعيا إلحاديا لا يحترم أموال الناس ولايبالى بالضغط عليهم وظلمهم والعدوان عليهم فليس هذا ولا هذا بل هو وسط بين الاقتصادين و وسط بين الطريقين وحق بين الباطلين. فالغربيون عظموا المال وغلوا فى حبه وفى جمعه حتى جمعوه بكل وسيلة وسلكوا فيه ما حرم الله عز وجل فاستعبدوا العباد واضطهدوا الشعوب وكفروا بالله وانكروا الأديان وقالوا لا إله والحياة مادة.

أما الاسلام فقد جاء بحفظ المال واكتسابه بالطرق الشرعية البعيدة عن الظلم والغشم والرياء كما جاء باحترام الملك الفردى والاجتماعى فأباح المال ودعا إليه ودعا إلى اكتسابه بالطرق الحكيمة من غير أن يشغل كاسبه عن طاعة الله

و رسوله ومن أداء ما أوجب الله عليه قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ (النساء: ٢٩) وقال عليه الصلاة والسلام: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

القرآن والسنة أساس قواعد الآداب

ويضع سماحة الشيخ ابن باز قاعدة من الآداب الشرعية مستقاة من القرآن الكريم والسنة المطهرة كأساس ومنطلق للأدب بمفهومه الاصطلاحي حيث يقول: إن على الأديب المسلم ادراك معنى الاسلام الذى اختاره عن طواعية القائم على الذل والانقياد لله بطاعته واتباع أوامره والبعد عن نواهيه فى السر والعلن وفى الشدة والرخاء.

والقرآن الكريم هو مصدر الآداب الشرعية وعلى المسلم الأديب أن ينظر فى «ماذا مدح؟ وكيف مدح؟ وماذا ذم؟ وكيف ذم؟» فيمدح ويذم ويكون ذلك بتدبر يدرك الأديب من خلاله حقيقة الآداب فيمثلها وكذلك يكون عمله مع السنة المطهرة الصحيحة. فعلى الأدباء العناية بالقرآن الكريم تلاوة وتدبرا مع التحلى بحسن الخلق والبشاشة والبعد عن السوء وفى القرآن والسنة الصحيحة منطلقات وأساسيات للآداب والأخلاق الكريمة الفاضلة ينبغى النهل منها وقد وصل إلى ذلك العلماء الأوائل و وضعوا كتبا فى هذا المضمار التى يمكن الافادة منها فى هذا الجانب كالأدب المفرد للبخارى والآداب الشرعية لابن مفلح.

سقطة الاعلام الاسلامى

وفى كلمة موجزة بقدر ما هى دالة ونافذة قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عن الاستخدام الخاطىء لكلمة الاصولية وتسمية المسلم بالاصولى ما يلى: «بما

يلاحظ فى هذه الآونة بشكل خاص أن كثيرا من وكالات الأنباء العالمية التى تخدم مخططات أعداء الاسلام وتخضع لمراكز التوجيه النصرانى والماسونى تخطط بأسلوب ماكر لاثارة العالم كله ضد ما يسمونه « الأصوليين » وهم يقصدون بذلك الذم والقدح فى المسلمين المتمسكين بالاسلام على أصوله الصحيحة الذين يرفضون مسايرة الأهواء والتقارب بين الثقافات والأديان الباطلة.

وقد وقع بعض الاعلاميين المسلمين فى مصيدة الاعداء وأخذوا يتناقلون تلك الأخبار المعادية للاسلام وأصبحوا يتداولونها عن جهل بمقاصد أصحابها أو غرض فى نفوس بعضهم فكانوا بفعلهم هذا أعوانا للأعداء على الإسلام والمسلمين بدلا من قيامهم بواجب التصدى لاعداء الاسلام وإبطال كيدهم ببيان اهمية الرابطة الدينية والاخوة الاسلامية بين الشعوب الاسلامية وإن الاخطاء التى لايسلم منها أحد لاينبغى أن تكون مبررا للتشنيع على الإسلام والمسلمين والتفريق بينهم.

ولان الاصلاح هو رسالة الأنبياء والرسل، والدعوة إلى الاصلاح أمر مشروع، ولايتم الاصلاح الاسلامى إلا وفق منهج سديد فقد أرسى سماحة الشيخ هذا المنهج وحدد أسسه ومنطلقاته حيث يقول ان قواعد منهج الاصلاح خمس:

<u>أولا:</u> تنظيم وحدة الجماعة والمحافظة عليها والحذر من أسباب الفرقة والاختلاف فالوحدة بين المسلمين والتآلف بين أفراد المجتمع ضرورة لازمة للاستقرار والأمان وبغيرها يختل التماسك ويشيع الخوف فتتعطل مسيرة النماء والتقدم لذا وجبت المحافظة على وحدة الجماعة بكل قوة ولزم التحذير الشديد عن أسباب الفرقة والاختلاف المؤدية إلى التناصر والتدابر والتقاتل.

ثانيـــا : التثبت عما يشيعه الناس عن العلماء أو غيرهم فالانسياق وراء الشائعات المغرضة يورث الوقوع فى الاخطاء والتسرع فى الأحكام وقد يفضى إلى امتلاء القلوب بالاحقاد والضغائن فلذا يجب التثبت والتبين فالشيطان حريص على ايقاع الفتن والشحناء بين المؤمنين وعلى اشغـــال المؤمن بكل ما ينقصه من حسناته إن لم يستطع إيقاعه فى البدعة والمعصية .

ثالثـــا : اتخاذ الأسلوب الطيب الحسن فى الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والنصيحـــة فالأسلوب الحسن فى هذه الأمور من أسباب القبول وعدم النفرة والله تعـــالى يقول ﴿وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للانسان عدوا مبينا﴾ فيجب التثبت فى الأمور والتبصر وأن يكون الانكار من الدعاة بالرفق والكلام الطيب والأسلوب الحسن حتى يقبل منهم وحتى يصلحوا أكثر مما يفسدون .

رابعـــا : الحذر الشديد من كيـــد الأعداء وشبهاتهم وافتراءاتهم فقـد كثر الأعداء المتربصون بنـا والساعون إلى تمزيق وحدتنا وتأجيج نيران الفتنة بيننا وقد بين الله لنا فى كتابه أن العدو الكاشح يحزن إذا رآنا فى نعمة وخير ودين ويفرح إذا أصابتنـــا مصيبة ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط﴾ فيجب أن نتذكر هذا الكيد وان نعمل بموجب هذه الذكرى حتى نسد كل الذرائع التى يتذرع بها العدو لأجل الكيد لنا وتمزيق شملنا .

خامسا : النظرة السليمة إلى الأمور و الأحوال العـامة فهى أساس فقه الواقع فقها صحيحا ثم التعـامل الراشد معه بهدف اصلاحه وعندما تختل هذه النظرة فتبنى على وقائع غير صحيحة أو موازين غير دقيقـــة أو تستعار من أوضاع

مجتمعات أخرى مختلفة عنا فإن النتيجة تكون وخيمة على الجميع والحمد لله أن الخير والصلاح فى بلادنا كثير وندعوه جلا وعلا أن يزيدنا من فضله وكرمه وأن يوفقنا ولاة أمورنا لكل ما يرضيه وينفع عباده .

ويضيف سماحة الشيخ : يجب أن نعرف هذا الخير والصلاح لأن ذلك من أسباب شكر الله على نعمه ثم بعد ذلك ننظر فى الاخطاء لنعالجها . ويشير سماحة الشيخ إلى أن من أعظم وسائل النصح والقضاء على أسباب الشر هو التعاون مع ولاة الأمر فى الحق واصلاح الأوضاع فيجب المشاركة العملية الايجابية فى الاصلاح بدل التمادى فى النقد السلبي والشكوى المريرة .

الدعوة أمانة

ويحمل سماحة الشيخ ابن باز العلماء أمانة الدعوة فيقول :

إن الواجب على العلماء المهتدين التشمير عن ساعد الجد فى الدعوة إلى الاسلام الصافى من شوائب الشرك والبدع ونشر محاسنه وأحكامه العادلة وأهدافه السامية وتعاليمه السمحة بين طبقات الأمم فى المجتمعات والمحافل والصحف والنشرات ومن طريق الخطابة والاذاعة ليتعلم الجاهل ويتنبه الغافل ويتذكر الناسي ويقف المضلل عند حده فلا يكيد للاسلام وأحكام الشريعة بمرأى من أهل العلم ومسمع . ومتى شمر دعاة الاسلام لنصره ونشطوا فى الدعوة إليه ذل دعاة الشرك والالحاد والبدع والأهواء وخمدت نارهم وقبعوا فى زوايا الخمول وابتعدوا عن منصات الخطابة ومنابر الصحافة أو دخلوا فى الحق وناصروا أهله لما سطع لهم نوره وظهر لهم رشده وانزاح عن قلوبهم حجب الشبهات والجهالة . فما أوجب النصيحة لدين الاسلام على أهل الاسلام وما أعظم حقه عليهم ، ولقد قام بهذا الواجب جم غفير من علماء الاسلام ودعاة

الاصلاح هذا العصر وإنى لأرجو لهم التوفيق والثبات ومزيد من القوة والنشاط فى الحق وهدم حصون الضلال وقلع أسس الباطل وإنى لأرى لواما على الذين لم يساهموا فى هذا الميدان أن ينفضوا عن أنفسهم غبار الكسل وشبهة التواكل وأن يقتحموا الميدان بصدق وشجاعة وعلم وحلم حتى ينصروا دينهم ويحموا شريعتهم ويهدوا الناس إليها ويرشدوهم إلى الصراط المستقيم .

فرضية الدعوة

ويقدر سماحة الشيخ ابن باز وجوب الدعوة الاسلامية وفرضية تبليغها فى الواقع المعاصر فيقول : الدعوة إلى الله عز وجل اليوم أصبحت فرضا عاما وواجبا على جميع العلماء وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالاسلام . فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والامكان بالكتابة والخطابة وبالاذاعة وبكل وسيلة استطاعوا وأن لا يتقاعسوا عن ذلك أو يتكلوا على زيد أو عمرو فإن الحاجة بل الضرورة ماسة اليوم إلى التعاون والاشتراك والتكاتف فى هذا الأمر العظيم أكثر مما كان من قبل ذلك لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله والتشكيك فى دينه ودعوة الناس إلى ما يخرجهم من دين الله عز وجل فوجب على أهل الاسلام أن يقابلوا هذا النشاط المضل وهذا النشاط الملحد بنشاط اسلامى وبدعوة اسلامية على شتى المستويات وبجميع الوسائل والطرق الممكنة وهذا من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدعوة إلى سبيله ؟

(اعداد : المرسي محمود شولح)

مع الشكر لجريدة العالم الاسلامى

معا فى وجه الاستفزاز

ها هو النظام العراقى يحاول أن يعيد عجلة التأريخ إلى الوراء ويجهد نفسه وأمته فى تكرار مأساة صنعها بيديه واكتوى بنارها الشعبين الكويتى والعراقى ، واستطال شررها ليصل إلى العالمين العربى والاسلامى .

فقد قام النظام الحاكم فى بغداد وبأوامر شخصية من رئيسة (صدام حسين) بمهاجمة الكويت بشكل مباغت وغادر صبيحة يوم ١٩٩٠/٨/٢م ورفع المعتدى يومها شعارات براقة استهوت البعض ، وضللت البعض الآخر ، معلقاً كل مشاكله على شماعة الكويت ، مدعيا أنها السبب الرئيسى فيما وصلت إليه حالة العراق الاقتصادية (١٩) مستبيحاً أراضيها وشعبها وممتلكاتها ، فارضاً من نفسه وصياً على مقدراتها ، ضارباً عرض الحائط بكل معانى أخوة الجوار والإسلام ، متنكراً للمواقف الأخوية الشريفة التى وقفتها الكويت حكومة وشعباً ومؤسسات إلى جانب الشعب العراقى فى محنة متحملة دون ذنب جريرة القرارات الفردية التى يتخذها الحاكم العراقى دون العودة إلى أحد .

ولقد حرصت الكويت منذ اللحظات الأولى للأزمة التى افتعلها النظام العراقى على حل المشكلة بالطرق الودية وحصرها داخل الوطن العربى ، ورحبت بكل جهود عربية واسلامية تسعى إلى علاج أسباب الأزمة وإزالة عوامل اشتعالها ، لكن النظام العراقى استغل تلك الوساطات للتمويه عن مقاصده الحقيقية وأطماعه العدوانية ، وقد أدى تعنته إلى وضع الجميع فى طريق مسدود ،

فلا جامعــــة الدول العربيــة ، ولا رابطة العالم الاسلامى ولا المؤتمر الاسلامى ولا المؤسسات الاقليمية الأخرى نجحت فى احتواء الأزمة ، كما أنها لا تملك آلية ردع المعتدى العراقى عن غيه وايقافه عند حدود مغامرته الفاشلة مما دفع بالقضية إلى التدويل .

فلو كان النظام العراقى قد ثاب إلى رشده ورجع عن عدوانه ، أو وجدت قوه عربية أو اسلامية تردعه وتثنيه عن غيه لكانت القضية قد ظلت محصوره فى النطاق العــربى الاسلامى ، لكن تعنت ذلك النظام وصلفه وتمسكه بالباطل الذى يدافع عنه وعزوفه عن الحق الذى داسه تحت أقدام جحافل جيوشه الغازية ، وانخداع البعض بزيف شعاراته ومناصرتهم له على غيه وأطماعه ، ومجاملة البعض الآخر لمواقفه الطائشة غير المسئولة ومناصرتهم له أو سكوتهم عليه قد أدى كل ذلك إلى فتح أبواب تدويل المشكلة وتدخل القوى الدوليـة ذوداً عن مصالحها فى المنطقة مما أدخل المنطقة كلها فى دوامة كانت فى غنى عنها أدت إلى نتائج ما زالت الأمة العربية والاسلامية تعانيان من آثارها .

لقد تبنت الكويت طوال تأريخها الحديث سياسة خارجية مستقلة لا تسمح بالارتباط بأى قوى خارجية أو دولية أو الدخول فى تحالفات وذلك اكتفاء بمعاهدة الدفاع العربى المشترك والمساهمة النشطة فى المنظمات العربية والاسلامية ، ولم تسمح لأى قوى أجنبية بالتدخل فى شئون المنطقة حتى كان العدوان العراقى الغادر الذى استهدف احتلال الكويت ومصادره إرادة أهلها وطمس هويتها مع افتقاد آلية عربية واسلامية لردع المعتدى وإنقاذ الضحية وتصاعد الموقف مما رأت معه قوى دولية كثيرة أن ذلك العدوان يضر بالسلام الدولى وبأمن المنطقـــة مما أدى إلى تدويل القضية لتصبح فى قبضة الأمم المتحدة ، وصارت القرارات التى تتعلق بها مرتبطة بالموقف الدولى لا بالموقف الخليجى أو العربى

أو الاسلامى ، وبذلك أخرجت الممارسات العراقية والتعسف العراقى الأمور من دائرة البيت الواحد لتصير إلى ما صارت إليه لاحقاً .

لقد حمل البعض على تدخل القوات الاجنبية فى المنطقة والتى جاءت كنتيجة للعدوان العراقى ولم يشيروا إلى السبب الرئيسى الذى أدى إلى ذلك . كما نسى البعض فى حمأة الشعارات الحارة البراقة اليد الملوثة بدماء العلماء والأبرياء التى امتدت إلى الشعب العراقى لتسومه أصناف الايذاء فى الدين والمال والنفس قبل أن تصيب غيره ، نسى البعض فى خضم العواطف الجارفة الأسباب الموضوعية والموازين الشرعية التى ينبغى مراعاتها والنزول عند الحكم الصريح الواضح فى النظام الحاكم لبغداد ، وانجرفوا فى خط الاحتجاج على التدخل الدولى متناسين تعنت النظام العراقى الذى جر المنطقة كلها إلى هذا التدخل وإلى الوجود العسكرى فيها . . .

وكان الأمل يحدو الجميع فى أن تلملم الأمة العربية و الأمة الاسلامية شتات ما تفرق من صفوفهما و ما تبدد من طاقاتهما على أثر الاحتلال العراقى الغادر وأن تعيدا توحيد الصفوف بعد تنقية القلوب وإزالة ما لحق نفوس البعض من زيغ لا سيما وأن حاكم بغداد أعلن قبوله للقرارات الدولية ومن بينها القرارات التى تتعلق بسيادة الكويت وحدودها الرسمية المبنية على الاتفاقيات الثنائية (منها اتفاق تم سنة ١٩٣٢ م واتفاقية سنة ١٩٦٣ م الذى وقعها نظام كان حاكم العراق الحالى يحتل مركز الصداره فيه) .

لكن تلك الآمال تبددت أمام التعنت العراقى ورفضه — بالتدريج — كل ما أعلن استعداده لقبوله والالتزام به .

فالاتفاقيات الدولية لترسيم الحدود بين العراق و الكويت الذى يطلب المجتمع الدولى اعتراف العراق بها كانت وليدة إرادة الطرفين ولم تفرض على

أحد ، والحصار الذى فرضته القرارات الدوليـة على العراق يتعلق بقـدرات العراق العدوانيـة ولا يتعرض لمقومات الشعب العراق فقد أجاز القرار الدولى للعراق أن يبيع حصه من النفط تحت اشراف الأمم المتحدة لتأمين احتياجات العراق من الاغذيـة والادوية ، ولم يمنع القرار قط ما يتعلق بالغذاء والدواء كما يدعى النظام العراق .

وبقاء الحصار مرهون ببقاء أسبابـه ودواعيـة وهو رفض النظام العراق تنفيذ القرارات الدولية الذى سبق له الموافقة عليها ، وبالتالى ، فإنه ذلك النظام هو سبب بقاء الحصار و استمراره ، اذ لم ير الرئيس العراق فى قـرارات الأمم المتحـدة ما يحقق طموحه الشخصى ، ولم ينجح فى إقناع الدول ، برفع هـذا الحصار بالطريقـة التى تحقق له حريـة الحركة العسكريـة مرة أخرى ، فلجأ إلى التصعيد الأخير ، وحشد الافاً من وحداته العسكريـة على الحدود الكويتيـة بهدف الضغط ولقد جاء الرد العربى والدولى سريعا وحاسما ، مؤكداً على استمرار القرار الدولى بمنعه من أى مغامرة جديدة ، وأن المجتمع الدولى ممثلا بالمؤسسات الدوليـة (مجلس الامن) على أهبة الاستعـداد مصراً على عدم تكرار مأساة ٢/٨/٩٠ ، وأن أى خطوة عبثية من النظام العراق لن تمر دون ثمن رادع .

إن وزارة الاوقاف والشؤون الإسلاميـة ، و من منطلق مسؤوليتها الشرعية ومعايشتها للساحة الإسلامية ، وصدوعاً منها لكلمة الحق الواجبة الاتباع ترى أن سبب الأزمة — الماضية و الحاضرة — ابتداء وانتهاء يتعلق بتصرفات الحاكم الفرد ، فتعنته و تصرفه البعيد عن الشرع و العرف والقانون ، وعـدم استماعه إلى صوت الدين والعقل والضمير ، وإهماله لمصالح شعبه والأمته الذى به فى السابق إلى دفع القضية كلها باتجاه التدويل وادى إلى الوجود العسكرى الدولى ، وسيؤدى تصرفه الأرعن الحالى إلى مزيد من تعقيد الأمور .

إننا نهيب بكل الدعاة والمؤسسات والهيئات العربية والاسلامية إلى العمل الجاد على ردع هـذا الرجل والإمساك على يده، وقد رأى الجميع بأم العين ما جره على الأمة العربية وعلى منطقة الخليج وعلى العراق وعلى الكويت من ويلات ودمار كنا بمنأى عنه ونحن أمام نقله حضارية تحتاج إلى كل جهـد وطاقـة لبناء مستقبل أجيالنا ومجتمعاتنا لتكون على مستوى الرسالة الحضارية الاسلامية فى عالم يتعطش إلى معانيها السامية.

قد يرى البعض أن التحرك العراقى الأخير ما هو إلا تهرباً من الأزمات الداخلية المتلاحقـة وحركة إلهاء القوات العسكرية والقوى الشعبية العراقيـة المستضعفة، وهى ترى بأم العين وتلمس باليد نتائج مغامرات الحاكم (الفرد) وقد يرى البعض أن الهـدف من التحرك هو الضغط على المجتمع الخليجى والـدولى لتقديم تنازلات يؤدى إلى استعادة النظام العراقى لجزء مما يصبو إليه من الآلة العسكرية المدمرة، وقد يكون كل ذلك صحيحاً ولكننا ومن نفس المنطلق الشرعى الذى ذكرناه نؤكد أن أمام النظام العراقى طريق واحد لتقف الأمور عند حد المعقول والمقبول، وهو طريق الاستجابـة لقرارات القانونية الدوليـة من الاعتراف بسيادة الكويت، وحدودها الآمنة وفك أسراها ومرتهنيها، وانتهاء حالة التهديد العسكرى الذى يشكل حالة قلق فى العالم الاسلامى يوهن من قوته ويذهب من ريحه ويدمر من طاقته.

والله ندعو أن يجنب أمتنا العربية والاسلامية آثار تلك الافعال الطائشة التى ابتلينا بها على تلك الأيدى الآثمة التى استباحت شرع الله واعراض المسلمين وأموالهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية دولة الكويت)

*****

صدام أنقص من ناقصات العقل

اصغر علي امام مهدي السلفي
الأستاذ في الجامعة السلفية ، بينارس

قال الله تعالى حكاية عن ملكة سبأ : ﴿قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون . قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين . قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾ (النمل : ٣٢–٣٤) .

قد ثبت بالشرع والتجربة أن النساء ناقصات العقل والدين إلا أن بعض النساء يحصل لهن بعض التجارب والخبرات فيؤدين مسئولياتهن تجاه القضايا والأعمال المنوطة بهن ، وكانت ملكة سبأ امرأة في عصر متخلف تعبد الشمس ، وقد أرسل سليمان عليه السلام إليها وإلى قومها كتابا يدعوهم إلى الاستسلام والانقياد والاسلام وألا يتكبروا ويريد به أن يختبرهم بماذا يجيبون ، فلما استلمت الكتاب نادت اشراف قومها ﴿فقالت يا أيها الملأ اني ألقي إلى كتاب كريم ، إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، الا تعلوا علي وأتوني مسلمين﴾ فوصفت الكتاب بالكريم ومعلوم أن الوصف بالكريم في الكتاب هو وصف المدح والتكريم لأنه من عند عظيم في نفسها ونفوس قومها فعظمته إجلالا لسليمان ولكيلا يستهان بأمره ويقدر الظروف والأحوال

حق قدرها ويبذل لها النصح والمشورة والتدبير لها حق التدبير، فالعاقل الرشيد لا يستهين بعدوه الصغير.

ثم خاطبت قومها مرة ثانية فزادت فى التأدب ولاستجلاب خواطرهم ومشاورتهم فى أمرها وأعلمتهم أن ذلك مطرد عندها فى كل أمر يعرض لها ليمحضوا النصح ويشيروا عليها بالصواب، فقالت: (يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى، ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) قال القرطبي فى تفسيره: وهذه الآية دليل على صحة المشاورة بما فيها الاستعانة بالآراء ومداراة الأولياء وبما ثبت فيها من البركة وقد مدح الله تعالى الفضلاء بقوله «وأمرهم شورى بينهم» وأمر رسوله ﷺ فقال: «وشاورهم فى الأمر»[1].

وقد أبدى الملأ من حسن الرأى والنصح والمشورة والقوة والبأس الشديد والشجاعة والنجدة عند الحرب واللقاء، ما يعنون به أنفسهم ووطنهم ومملكتهم، ويقومون بالدفاع عن دولتهم، ثم فوضوا الأمر إليها بعلمهم بصحة رأيها وقوة عقلها فـ (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين) فلما سمعت تفويضهم الأمر إليها (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها الآية) أى خربوا مبانيها وغيروا مغانيها وأتلفوا أموالها وفرقوا شمل أهلها وأهانوا أشرافها وحطوا مراتبهم وقتلوا أهلها وعثوا فى الأرض فسادا ودمروها تدميرا فيهلكون الحرث والنسل.

فهذه جملة قصيرة تحتوى على معانى كثيرة، وتعطى فكرة كاملة عن غزو دولة لدولة أخرى، وما يترتب عليه من النتائج الوخيمة والآثار السيئة من الهلاك والدمار، والخسائر الفادحة من ضياع الأموال وإتلاف الأرواح،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/١٣

وهتك الأعراض وازهاق الأنفس ، وهدم الأبنية والعمائر، ومن تخريب القرى والأمصار وإبعـــاد سكانها وإذلال أهلهـــا ، وأن الغزوة لا يكون للإصلاح والنصيحة لأهل البلد بل لسلب أموالهم ونهب أمتعتهم وسبى نساءهم و ذراريهم والتمتع بها ، والاستيلاء على السرير، وإرغام أهلهـــا و رؤوساءها وإذلالهم وقهرهم واضطهادهم حيث لايستطيع المقاومة فى حين من الأحيان.

هذا ديدن المرأة المشركة الجاهليـة فى عصر متخلف تجاه رسالة من ملك آخر تعظمها وتقدر ظروف الحرب وتعرف عواقبها الوخيمة السيئـة ، ولكن يوجـــد فى هذا العصر المتحضر عصر التمدن والثقـــافة أحد رؤوساء البلدان الاسلامية يتكبر ويريد العلو فى الأرض فلا يبالى فى إشباع نفسه المتعطشة إلى دمـــاء المسلمين فلا يفرق بين صديق وعدو ، وبين محسن ومسيء وبين كريم و وضيع ويسوس الجميع بسيـاسة واحدة ، سياسة الظلم والعدوان ، سياسة المكر والخديعـــة ، سياسة الإهانة والفساد ، ويغزو بجنوده الطاغية وعساكره الظالمة دولة اسلاميـــة محسنة ، الدولة التى ما قصرت فى إيصال الخير إليه فى ظروف قاسية وأوقات صعبـــة ، وجنوده المجرمة قد دمرت كل شيء فى دولة مضطهدة بأمر رئيسهـا الأشرس فنجـــدهم ينهبون الأموال ، ويقتلون الرجال والنساء والصبيـان والشيوخ ، ويعتدون على أعراض النساء المسلمات. يخربون البنيان وينزعون الانابيب من أجسام المرضى وأنوفهم فلايتركون فى المستشفيات آلات العمليات الجراحيـة والحقنات و الأدوية و يهتكون أعراض الممرضات منها والمريضات ، ويشعلون النيران فى آبار النفط ، والدكاكين والمحلات التجارية والقصور والبيوت و يبيدون أمة بأسرها وتمامها ويبعـدونهم من أوطانهم فهم حقا حيات وثعابين فى أكمام العـالم الاسلامى أولا ، ثم حيوانات و وحوش وسبـــاع فى صورة الانسان ثانيـــا ، لا يعرفون المروة والأخلاق والآداب

ولا يرقبون فى مؤمن إلا وذمة فضلا أن يكون عندهم الدين وتعاليم الاسلام الصافية والمبادىء السامية .

ثم يهدد المملكة المحسنة الأخرى فى الحرب العراقية الايرانية وفى غيرها من المواقف الحرج والعسر ، وكم كانت أياد بيضاء لدولة الكويت والمملكة العربية السعودية على صدام وجيوشه وشعبه حينما كان جريحا أعرج فى الحرب العراقية الايرانية لايتمالك على نفسه ولايستطيع القيام على أرجله وقد قصمت الحروب ظهره وطحنته المعارك فى رحاها . فخرج من هذه الأزمة يهادى بين الدولتين السعودية والكويت ، ثم مازال يستمد من ثرواتهما وخيراتهما حتى استطاع أن يقوم على أرجله فحمل حملة شعواء بلا مرؤة ولا استحياء لاهوادة فيها فهو لايبالى فى ذلك بالمواثيق الدولية والمبادىء الإسلامية والاستنكار الشديد بموقفه الاجرامى ولايصغى آذانا لأى نداء اسلامى ودولى . بل يصل الأمر إلى أقصى حد من الانحطاط والحضيض والمهانة تلصق النكتة السوداء بجبين الأمة الاسلامية الناصعة ويسود صفحات التأريخ الاسلامى البيضاء حينما يصل الى العراق سفير الأمم المتحدة ويجلس على باب صدام يستأذن للدخول عليه والتفاوض فى أمر الجريمة النكراء التى ارتكبها صدام وجنوده ويشاور معه ليعرف ماذا يريد من هذه الغزوة ولماذا قام بهذه الأعمال الشنيعة ضد دولة الكويت وشعبها وأن يحاول الاقناع لكى يشترك فى مفاوضات السلام التى يجريها الأمم المتحدة ، ويجلس ويقرع بابه إلى دقائق لا بل إلى الساعات الطويلة ولكن ما وجد هنالك من يجيب .

فهل هذا الرجل يريد بذلك تشويه صورة الاسلام امام العالم أجمع تجاه السفراء والرسل أم هو غبى أحمق بلغ إلى هذا الحد من الغباوة والحماقة

لايعرف الآداب والتعاليم التى لابد من مراعاتها تجاه أى سفير ورسول القادم إليه. أم لم يسمع قصة امرأة جاهلية مشركة فى القرآن الكريم التى قامت تستلم رسالة ملك آخر بغاية التكريم، أم كان أنقص من هذه؟ أيا كان فالرجل لئيم ظالم عميل لأعداء الاسلام والمسلمين.

والجريمـــة التى يمارسها حاكم العراق لا ينتهى إلى هذا الحد بل يتوغل هذا الرجل فى غيه وطغيـانه و يتمادى فى الباطل ويتقدم فى إقدامه الإجرامى وأعماله الحربية النكراء، ويرفض جميع المحاولات المبذولة للأمن والسلام فى منطقة الخليج، ويدعو الحرب العالميـة الثالثـة فى عقر دار المسلمين جميع قادة العالم الاسلامى وجيوشه جاهلا أو متجاهلا عواقبها السيئة، ويتحداهم سافرا «لأم المعارك» من اذاعة بغداد. ويصر على عدوانه إلى أشهر ويضرب جميع المحاولات لإعادة الوضع فى منطقة الخليج إلى طبعها ضرب الحائط حتى تطورت الأزمة إلى الحرب باصرار هذا الطاغيـة على احتلال دولة الكويت الشقيقـــة وعدم الاستجابة للنداءات المتكررة لقبول قرارات مجلس الأمن، وبعدم المبالاة بالحل السلمى من جميع دول العالم. ولما جاء دور الحملات المتوالية على العراق من جنود الخلفاء ولى هذا البطل دبره و اندحرت قواته من الكويت كالنعامة وصارت قوته الحربية القاهرة هباء منثورا، وعند ذلك قال الشعب الكردى المسلم المضطهد من المواد الكيماوية الفتاكة:

أسد على وفى الحروب نعامة

وقد خلفت الحرب وراءه آثارا سلبية على العراق وعلى الكويت المدمرة وعلى جميع العـــالم الاسلامى حيث تقهقرت إلى الخلف قرنا فأكثر، وخاصة قضية فلسطين المحتلة، قضية المسلمين جميعا كما فتحت لاسرائيل طريق السيطرة

والرق والنفوذ وجمع القوة من كل جانب فكان كل صاروخـــة على اسرائيل يدر عليها ملائين من الدولارات والأسلحة الفتاكة وتعطى ضمانا كاملا لبقاء إسرائيل وتقويتها كل ذالك كان من حماقة الرجل أم كان وراءه خطة مدروسة ومؤامرة شيطانية من قبل ، والله أعلم وهو حسيبه.

ومن أغرب ما يذكر من أدلة هذا الاحتلال العراق لدولـــة الكويت واجلاء أهلها ونفيهم من البلاد أنه أراد توطين الفلسطينين فى الكويت وأن إسرائيل قد احتلت فلسطين فلابد ان تحتل الكويت أيضا ، وهل هذا الكلام يعقل من إنسان صحيح العقل والدماغ. لا وكلا.

وهل يرضى صدام أن يقتل شقيقه بدليل أن العدو قـــد قتل أباه وأنه لايزال يقتل أولاد صدام حتى يمتنع عدوه من قتل أبيه. وكم عجبت وعجب العالم على هذه السفسطة، وهذا الدليل يرثى له ويضحك عليه المجانين والصغار والأطفال.

وقد كان صدام يدعو العالم للحرب وكان يعتبره لعبا من الألعاب ، وكان تقديره لظروف الحرب سطحيـة وقد انجلى عنـــد وقوع الحرب فورا حيث لم يقف جنوده القاهرة أمام الحملات برهة من الزمن بل لجأوا إلى الفرار من المعركة ذليلين مقهورين منكسين الرؤس. وكان صدام قد خضع لجميع القرارات الدولية ومجلس الأمن العالمى أخيرا على رغم أنفه وقد سد عليه جميع طرق المصادرات والمستوردات حتى الأغذية والأدويات ، وقـــد يعانى شعبه الفقر المدقع بسبب هذا الطاغية وسياسيته الظالمة. ونعم ما قال الشاعر:

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة　　　يضرس بأنياب ويوطا بمنسم

فالعراق يوجد فيها من الفقر والجوع والمرض والبؤس ولا يزال يوجد فيها أكثر وأكبر من ذلك ما زال صدام يوجد فيها حاكما مختارا فانه شؤم

أعظم من كل بؤس وشر وشقاء. فانه لم يلبث برهة من الزمن ولم تمح الآثار السيئة للحرب ولم تندمل الجروح حتى جاء يحشد قواته الطاغيـــة على حدود الكويت مرة ثانية. ويروع أهلها ويريد أن يلقي العالم الاسلامي مرة ثانية في نار الحرب وجحيمها بهذا الاقدام الاجرامي نحو الكويت. ونحن إذ نستنكر بموقفه الاجرامي ونندد باقدامه العـــدواني بالشدة نعتبره أنقص من ناقصات العقل حيث قالت ملكة سبأ المشركة عنـد ما أبدى ملأها من المشورة للحرب وعلى أنهم أوتوا كل شيء[1] والقوة والبأس في الحرب: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلهـــا أذلة. وقـــد أثبت الله قولهـــا بقوله: ﴿وكذلك يفعلون﴾.

وقـــد أدرك زهير بن أبي سلمى عواقب الحرب السيئة وما يترتب عليها من الهلاك والدمار والخراب. فنخاطب بها صدام لعـــله يتذكر أو يخشى أو يتعظ بخطاب زهير عبسا و ذبيان:

وما الحرب إلا ما علمتم و ذقتم — وما هو عنها بالحديث المرجم

ومهما أضرمت نار الحرب كانت ذميمة وعارا على من يبعثها:

متى تبعثوها تبعثوها ذميمـــة — وتضرى إذا ضريتموها فتضرم

فتعرككم عرك الرحى بثفالها — وتلقح كشافـــا ثم تنتج فتتئم

فتنتج لـكم غلـــان أشأم كلهم — كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

وقد كان صدام أشأم من أحمر عاد عاقر ناقة صالح عليه السلام حيث جنى على قومه العذاب والفتن والبؤس والفقر أضعافا مضاعفة:

فتغلل لـكم ما لا تغل لأهلهـا — قرى بالعراق من قفيز ودرهم

---

(١) كما يدل عليه قوله تعالى حكاية عن الهدهد: وأوتيت من كل شيء الخ [النمل ٢٣]

وقد كانت العراق وأرضها المولدة للطاقة والأطعمة معروفة وتعرف بكثرة خيراتها الأرضية الزراعية ولكنها أشامت بسبب صدام المشئوم فجعلت تنتج الفقر والجوع والهلاك والدمار على أهلها وعلى جارها حيث أشعل نيران الحروب والمعارك مع شقيقاتها من الدول.

ويرجى من قادة العالم الاسلامى وخاصة من أمير دولة الكويت المحروسة وخادم الحرمين الشريفين أن يكونوا على حذر من مثل هؤلاء، وأن يأخذوا الأسباب المناسبة لهم وأن يكونوا على استعداد من قوة وحزم على الوجه المطلوب وعلى الثقة بالنفس لا بالاعتماد على الآخرين:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه   يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وكما يلتمس من بيده الأمر من قادة العالم الاسلامى ودول العالم كله أن لا يعطوا السكين بيد رجل مجنون يعتدى به على من يشاء فلا يفرق بين محسن ومسيء ومجرم وبريء. والله ولى التوفيق.

مفهوم الاتباع والتقليد فى الشريعة الإسلامية

الشيخ / سهيل أحمد فضل الرحمن الأعظمى
مكتبة الدعوة والارشاد بدبى

عرض تأريخى عن الاتبـاع والتقليد

كل من ينظر فى كتاب الله العزيز الحميد الذى لايأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه ويتدبر فى الآيات البينات من هذا الكتاب يطلع على أن هنـاك اتجاهين بارزين متعاكسين تدور حولهما كل التعاليم الإسلامية والشرائع الربانية أمرا ونهيا، ولا تخرج عن إطارهما فى حال من الأحوال، كما صرح سبحانه وتعالى به فى آية واحدة فقال:

﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾(١).

فالاتجاه الأول: هو الأمر باتباع ما أنزل الله للبشرية من عنده.

والاتجاه الثانى: هو النهى عن اتباع ولى من الأولياء أو رجل من الرجال من دونه.

فالفرق بين الاتجاهين واضح جدا لا غبار عليه.

فالأول: طريق الحق ثابت بالدليل لكونه من عند الله.

والثانى: طريق الباطل لا دليل على ثبوته وصحته لكونه من دون الله.

فكل ما صدر من الأوامر والنواهى فى القرآن الكريم وفى أحاديث النبى

(١) الأعراف: ٣

الكريم ﷺ الذى وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾[1] تندرج تحت هذين الاتجاهين.

فالأمر بتوحيد الله وطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولى الأمر، والأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأداء الصوم ومناسك الحج والأمر بالمعروف والأمر باتباع الصراط المستقيم والحث على مكارم الأخلاق، كلها من الاتجاه الأول، أى ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾[2] والإنــذار عن الكفر والشرك والنهى عن طاعة الأوليـاء من دون الله وخطوات الشيطان وتقليد الآباء والأجداد والذم على اتباع الظنون والشهوات والنهى عن الوقوع فى المحرمات والشبهات وغيرها كلها داخل تحت الاتجاه الثانى الذى قال فيـه عز وجل: ﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾[3].

فإن الآيات والأحاديث والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين والعلماء فى ذلك كثيرة جدا، وسيأتى بعضها فى الصفحات القادمة بعون الله وتوفيقه.

إن هذين الاتجاهين المتضـادين على حرب سجال دائمـا من فجر التأريخ الإنسانى، كما هو معروف فى قصة آدم عليه السلام وإبليس اللعين. فأمر آدم فاتبع، وأمر إبليس فجحد بقياسه المذموم. وإن إبليس لم يخرج من الجنة إلا عهــد على نفسه أن يضل آدم وأبناءه عن صراط الله المستقيم ويدعوهم إلى صراط الجحيم ويأتيهم من اليمين والشمال والأمـام والخلف، وقــد أوضح سبحانه وتعالى حبائله ومكائده ليتنبه الانسان عن عدوه اللعين. وقال: ﴿قال

(١) النجم: ٣–٤
(٢) الأعراف: ٣
(٣) " "

أنظرنى إلى يوم يبعثون . قال إنك من المنظرين . قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين . قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾[١].

فقد وسوس الشيطان لعداوته فى نفس آدم وحثه على خلاف ما أمره الله تعالى فاتبعه ، فأهبطه الله من دار الجنة إلى دار الدنيا ، وقد تاب سبحانه وتعالى عليه بعد ما ندم على اقترافه لهذا الذنب ، لأن الله قد كتب على نفسه الرحمة وأن رحمته سبقت على غضبه ﴿ إنه هو التواب الرحيم ﴾[٢]

فكان آدم عليه الصلاة والسلام فى الدنيا على هداية من الله تعالى وطريقه وكانت ذريته أيضا على منواله إلى وقت يعلمـــه الله ، حتى أزلهم الشيطان عن هذا السبيـــل الحق حيث أمرهم لتعظيم آبائهم وأجدادهم فاتبعوه ، وغلوا فى تعظيمهم ومحبتهم واشتدوا فى اتباعهم حتى وقعوا فى تقليدهم الأعمى وانصرفوا شيئا فشيئـا إلى الشرك والعبـادة لهم ، حتى جاء نوح عليه السلام و دعاهم إلى سبيل الحق وسبيل الهدى الذى كان عليه آدم عليه السلام فلم يتبعوه ، واستدلوا على باطلهم بتقاليد آبائهم كما أخبر الله تبارك وتعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ ولقد أرسلنـا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . فقال الملأ الذين كفروا من قومه مـا هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين ﴾[٣].

---

(١) الأعراف : ١٤ــ١٨

(٢) البقرة : ٣٧

(٣) المؤمنون : ٢٣ ، ٢٤

وكانت سنة الله بإرسال الرسل والأنبياء إلى الأمم جارية فى الأرض كما قال: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾(١)، وكان الأنبياء يبلغون الناس رسالاتهم داعين إلى اتباع أوامر الله تعالى، حتى جاء خاتم النبيين محمد ﷺ ودعاهم إلى اتباع ما أمره الله تبارك وتعالى، فقـالوا مثل ما قال الأولون: ﴿حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباءهم لايعلمون شيئا ولايهتدون﴾(٢).

وكذبوه حتى حزن ﷺ على تكذيبهم وعنادهم، فسلاه الله تعالى بتمثيل إخوانه من الأنبياء وسلوك قومهم معهم، فقال: ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود. وقوم إبراهيم ولوط. وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير﴾(٣).

فقد علم من هذه الحقائق التأريخيـة القرآنية من لدن خلق آدم إلى بعثة نبينا محمد ﷺ، إن الله أمر عبـاده بعبـادته واتباع أوامره ولكن أكثرهم انحرفوا عن اتباع الحق واتبعوا الباطل.

فتبين أنه كان هناك اتجاهان متعاكسان:

١ ــ اتباع الله فى توحيد ذاته وأسمائه وصفاته وأفعـاله، واتباعه فى جميع أوامره ونواهيه، واتباع رسله وتصديقهم فى جميع ما جاءوا به عن الله عز وجل من الشرائع والأحكام.

٢ ــ اتبـاع أوامر الشيطان فى تحكيم أعمال آبائهم وأجدادهم فى دينهم وجعل اتباع الهوى والشهوات شرعا لهم فى حياتهم.

---

(١) فاطر: ٢٤

(٢) المائدة: ١٠٤

(٣) الحج: ٤٢ــ٤٤

فقد جاء الأنبياء إلى قومهم بدعوة الاتجاه الأول الذى كان هو الغاية الأولى لخلق الإنسان، وهو اتباع الحق ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1]، وكان الناس على الاتجاه الثانى يعمهون، وهو الذى عبر عنه باتباع الباطل، وكانوا على تلك الجهالة والغباوة، يتهكون أوامر الله ويشركون به ويدعون معه غيره ويفتخرون بآبائهم وأجدادهم ويقتدون عاداتهم وسلوكهم يعتقدونها دينا وشريعة، ويتخذون أعمالهم وأعمال آبائهم ورؤوسائهم دليلا على أنهم على الحق وأن الأنبياء على الباطل.

فدعاهم النبي ﷺ إلى اتباع سبيل الحق صابرا على أذاهم عشر سنوات، حتى أخرجوه من وطنه مكة المكرمة، فهاجر ﷺ إلى المدينة المنورة مع أصحابه، ولم يتوقف عن دعوته، بل جاهدهم وقاتلهم مع أصحابه حتى أخرجهم عن أدران الشرك إلى طهارة الإيمان وأنقذهم من اتباع الشيطان إلى اتباع الرحمن ومن تقليد الآباء إلى اتباع الشريعة السمحاء، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة حتى بلغ الدين إلى كماله. وأعلن بذلك بقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[2].

وقد ترك رسول الله ﷺ أمته على المحجة البيضاء والطريق الواضحة الغراء، فما كان هم أصحابه ﷺ إلا الاتباع، أى طاعة الله عز وجل فى ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأوامره ونواهيه وطاعة رسوله فى كل ما جاء به من عنده. ولم يكن واحد منهم يقلد الآخر فى جميع أقواله وأفعاله بل يستفهم عن نسبة جميع الأخبار والأحاديث إلى قول الله وقول رسوله ﷺ،

---

(١) الذاريات: ٥٦

(٢) المائدة: ٣

ويحث من تصديقها منه ﷺ لأنهم كانوا يعرفون عظم وبال الكذب عليه، كما أخبر به ﷺ: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[١].

فهم كانوا على اتباع الحق الذى تلقوه من مشكاة النبوة. ولذلك أوجب النبي ﷺ على الأمة أن تقتبس علوم النبوة وأسرار الشريعة منهم وقال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين»[٢]. ولكن لم يقل باتباع واحد منهم خاصة في كل الأمور، لأنه ﷺ كان على بصيرة تامة بأنه ليس أحد منهم يحيط بجميع علم الشريعة ومعرفتها، فلم يخصص أحدا بعينه.

والذين جاءوا من بعدهم من التابعين فقد أخذوا هذا العلم من الرعيل الأول من الصحابة رضى الله عنهم و رضوا عنه، وسلكوا على منوالهم فى الاتباع وطاعة الله تعالى وطاعة رسوله باحثين عن الأحكام والشرائع فى الكتاب والسنة مبتعدين عن الرأى والقياس المذمومين وتقليد الرجال بأعيانهم ومهما كانت درجتهم فى العلم، وكانوا يأخذون العلم من جميع العلماء وبعد البحث عن الحق والتأكد على أنه من مشكاة النبوة، يعضون عليه بالنواجذ ويعملون به ويتركون ما يظهر لهم الحق فى خلافه، لأن قلوبهم كانت مملوءة من روح الاتباع، أى اتباع الكتاب والسنة وما فى ضوئهما من الأقيسة الصحيحة وما أجمعت عليه الأمة.

ثم جاء أتباع التابعين فنهجوا على منهج من سبقهم أى منهج العلم واليقين ومنهج الرشد والهداية ومنهج الاعتصام بالكتاب والسنة، وهو الاتباع المقصود عند الله تعالى وعند رسوله. وسوف يأتى مزيد بيان عن حقيقته فى باب الاتباع.

---

(١) البخارى، وأبوداود فى كتاب العلم، ومسلم فى المقدمة.

(٢) أبوداود، والترمذى، وابن ماجه، فى السنة وفى العلم وفى المقدمة.

وهؤلاء الذين أثنى الرسول ﷺ على زمانهم بعد الثناء على زمنه وزمن صحابته حيث قال: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[1] فهم كانوا فى خير الزمان وعلى خير هـدى، وهو هدى محمد ﷺ، وهو الاقتداء بالصراط المستقيم والاتباع بالمنهج القويم، ولا يعتمدون على الرأى والقياس إلا إذا لم يجدوا نصا صريحا من الكتاب والسنة، ولا ينصبون رجلا بعينه فى أخذ المسائل عنه فى جميع الأمور.

وكان الأمر هكذا على نور ويقين وإيمان وإخلاص وطاعة واتباع حتى ﴿ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس﴾[2] ظهر التمذهب فى الناس بعد المائتين، ولم يكونوا على مذهب معين لعالم من العلماء فى القرن الأول والثانى كما ذكر الشاه ولى الله الدهلوى. فإنه قال:

«وبعد المائتين ظهر فيهم التمذهب للمجتهدين بأعيانهم، وقل من كان لا يعتمد على مذهب مجتهد بعينه»[3].

ونقل عن أبي طالب المكى من كتابه «قوت القلوب»:

«إن الكتب والمجموعات محدثة، والقول بمقالات الناس، والفتيا بمذهب الواحد من الناس، واتخاذ قوله والحكاية له فى كل شيء والتفقه على مذهبه، لم يكن الناس قديما على ذلك فى القرنين الأول والثانى»[4].

---

(١) البخارى باب فضائل أصحاب النبي.

(٢) الروم: ٤١

(٣) الإنصاف ص ٧٠

(٤) « « ٦٨

ثم ذكر الشاه ولى الله معلقا على قوله :

« أقول : وبعد القرنين حدث فيهم شيء من التخريج ، غير أن أهل المئة الرابعة لم يكونوا مجتمعين على التقليد الخالص على مذهب واحد والتفقه له والحكاية لقوله كما يظهر من التتبع »[1].

ثم عقد بابا فى بيان « حكاية ما حدث فى الناس بعد المائة الرابعة » وذكر:

« ثم بعد هذه القرون كان ناس آخرون ذهبوا يمينا وشمالا ».

ثم ذكر فى آخر الباب :

« ولم يأت قرن بعد ذلك إلا وهو أكثر فتنة وأوفر تقليدا وأشد انتزاعا للأمانة من صدور الرجال حتى اطمأنوا بترك الخوض فى أمر الدين وبأن يقولوا : ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾[2] وإلى الله المشتكى وعليه التكلان »[3].

وقد حكى أيضا ابن القيم منهج الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان فى الاتباع والاعتصام بالكتاب والسنة ، وقال بعد ما ذكر حالهم :

« ثم جاءت الأئمة من القرن الرابع . . . فسلكوا على آثارهم اقتصاصا واقتبسوا هذا الأمر عن مشكاتهم اقتباسا ، وكان دين الله سبحانه أجل فى صدورهم وأعظم فى نفوسهم من أن يقدموا عليه رأيا ومعقولا أو تقليدا أو قياسا . ثم سار على آثارهم الرعيل الأول من أتباعهم زاهدين فى التعصب للرجال ، واقفين مع الحجة والاستدلال ، ثم خلف من بعدهم خلوف فرقوا

---

(١) الإنصاف ص ٦٧–٦٩

(٢) الزخرف : ٢٢

(٣) الإنصاف ص ٨٧–٩٦

دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون وتقطعوا أمرهم بينهم زبرا وكل إلى ربهم راجعون جعلوا التعصب للمذاهب دياناتهم التى بها يدينون، ورؤوس أموالهم التى بها يتجرون، وآخرون منهم قنعوا بمحض التقليد، وقالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون»[1].

وقال الشيخ محمد على السايس فى كتابه «تاريخ الفقه الاسلامى» فى ذكر حالة التشريع من منتصف القرن الرابع إلى سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ:

«ورضوا لأنفسهم التقليد، فأصبحوا عالة على فقه أبى حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل وأضرابهم... حتى قال عبيد الله الكرخى: كل آية أو حديث يخالف عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ... بهذا الإفراط والغلو فى التعصب لمذاهب الأسلاف أقاموا سدودا بين الأمة وبين نصوص الكتاب والسنة، وأصبحت الشريعة هى نصوص الفقهاء وأقوالهم، وصار مبلغ جهدهم أن يفهموا كلام الأئمة أو يقرأوا على قواعدهم أما الاجتهاد فقد تناسوه حتى قالوا بانسداد بابه على رأس المائة الرابعة»[2].

وقد ذكر الدكتور سيد توانا فى كتابه «الاجتهاد» حال التقليد بعد المائة الرابعة، فقال:

«أما بعد هذه السنة إلى أوائل القرن العاشر الهجرى فقد اقتصر عملهم غالبا فى الترجيح... وبعد أوائل القرن العاشر الهجرى لم يبق سلطان غير سلطان التقليد وجاء زمان لم يبق من الاجتهاد إلا اسمه وأصبح دعواه، بل دعوى إمكان وجوده ذنبا لا يغتفر، واقتصرت وظيفة العلماء فى اختصار

(١) انظر اعلام الموقعين ١/٦، ٧

(٢) انظر تاريخ الفقه الاسلامى ص ١١١—١١٢

الكتب وشرحها والتعليق عليها . . . نعم ظهر علماء أمثال الإمام السيوطى والإمام الشوكانى وادعوا الاجتهاد المطلق ، أو قيل : إنهم مجتهدون ، لكن ظهور هؤلاء يشبه ظهور بعض النجوم فى ليل مظلم ، انقشع عنها السحاب لمحة واختفاها عن الأنظار ساعات طوالا »[1].

فالأمة الإسلامية التى أنعم الله عليها بإرسال محمد ﷺ وإرشاده إلى نور اليقين فقد أخرجها من الشر إلى الخير ومن ظلمات الجهل إلى معرفة الحق ومن الشقاق والنفاق إلى الأخوة والمحبة ومن الشرك والتقليد إلى الإيمان والاتباع الخالص . فقد ذكر الله إنعامه عليها بقوله : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾[2]. ثم قال : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾[3].

من الأسف الشديد أن الأمة المحمدية قد تفرقت وتشتتت بترك الاتباع الحقيق الذى دعا إليه كل رسول وبابتداع التقليد الأعمى الذى نهى عنه جميع الأنبياء وعلى رأسهم محمد رسول الله ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان والأئمة الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين .

ومع هذا الجمود التقليدى والتعصب المذهبى بآراء العلماء الأجلاء من الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى جزاهم عنا وعن الإسلام جزاء خيرا . يدعى

---

(١) الاجتهاد ص ٩٢–٩٣

(٢) آل عمران : ١٠٣

(٣) " ١٠٥

كل من أهل هذه المـــذاهب المقلدة أنه على نهج اتباع الكتاب والسنة وعلى طريق الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه وعلى مسلك الذين بشر لهم بالجنة وعلى سنن الذين شهـــد لهم بالخير وعلى صراط الذين أنعم الله عليهم. لكن شتان ما بينهم وبين هؤلاء، هم كانوا يردون مسائلهم إلى إمام الأئمة خاتم الأنبيـاء وسيد المرسلين وهؤلاء يقتنعون بواحد من الأئمة الأربعة ويردون مسائلهم إما إلى أبي حنيفة أو إلى مالك أو إلى الشافعي أو إلى أحمد رضى الله عنهم ولا يتجاوزون عنهم قيد شعرة، وكل واحد من المقلدة يفهم أن الحق عند إمامه فقط ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾[1].

ومن هذا العرض التاريخي تجلت حقيقة الاتباعين كما أسفر الصبح في العينين.

وسيتضح الفرق بين الاتباع والتقليـد في المباحث الآتية أكثر من هذا حيث أستدل على ذلك بالنصوص القرآنية والحديثية وآثار العلماء من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين وغيرهم. وسأتعرض لجميع ما يتعلق بهذا البحث، خاصة التقليد وموقف العلماء من ذلك، ولمن يسوغ ولمن لا يسوغ، ولا أقصد بذلك إلا النصح للمسلمين ليرجع كل منهم إلى تلك المحجـــة البيضاء التي ليلهـا كنهارها وبها أوصانا وعليها تركنا نبينا محمد ﷺ؟ (يتبع)

(١) الروم: ٣٢

التأريخ الإسلامي و مصادره في القديم والحديث

اعداد : أبو القاسم عبد العظيم

(هذه مذكرة قدمها صاحبها الى المعسكر التربوى الذى أقامته جمعية أهل الحديث لولاية يوبى الشرقية فى مدرسة احياء السنة بجرديهه فى بنارس لطلاب المدارس الاسلامية ، ننشرها هنا للإفادة) .

التأريخ هو تعيين وقت لينسب إليه زمان يأتى عليه إما مخصوصا ، أو مطلقا يعنى سواء كان ماضيا أو مستقبلا .

و قيل : تعريف الوقت بإسناده إلى أول حدوث أمر شائع من ظهور ملة أو دولة ، أو أمر هائل من الآثار العلوية ، والحوادث السفلية مما يندر وقوعه . و جعل ذلك مبدأ لما بينه و بين أوقات الحوادث والأمور التى يجب ضبط أوقاتها فى مستأنف السنين .

وقيل : عدد الأيام و الليالى بالنظر إلى ما مضى من السنة أو الشهر ، أو إلى ما بقى .

و علم التاريخ هو علم يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت وعما كان فى العالم . أو هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل .

ويقال : هو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم و وفياتهم . . وما إلى ذلك .

ما يجب على من يدرس تاريخ أمة أو فرد

إن دارس التأريخ يحتاج إلى سعة صدر، يحتمل كل ما يرد على تاريخ قومه من نقد حتى لا تبقى حقائق الأشياء محجوبة بسحب عاطفتى الحب والبغض.

وكثير ممن اشتغلوا بالتأريخ كانت عواطفهم تتحكم فى حوادثه تحكما تضيع به الفائدة، من دراسة التأريخ. فإن عاطفة الحب تجعل كل ما ليس بحسن حسنا، وتجتهد فى تأويل الحوادث بوجه ليس فيه غضاضة حتى ما أدى منها إلى سقوط فاعله وخيبته.

وعاطفة الكراهة تدعو إلى ضد ذلك، فتجعل الحسن قبيحا، وتستنبط من الخير شرا.

ولم يخلص من هذا الشر العظيم الذى يطمس معالم التاريخ، ويضيع الفائدة من تجارب الأمم إلا نفر قليل.

والتجرد من هذه العواطف فى دراسة التاريخ صعب المنال، لا يصل إليه الإنسان، إلا بعد عقبات شديدة لا بد له من اجتيازها إن كان المراد تمثيل الأمم والحكومات بما كانت عليه، لا بما نحب أن يكون.

فلابد لدارس تاريخ أمة أو فرد أن يضع نصب عينه أن سيدرس تاريخ أمم إن كانت قد أخطأت فى بعض تصرفاتها، فليس عليه من تبعة ذلك الخطأ شىء. وليس له إلا أن يعرفه ويستفيد منه. وإن كان أصابت المحجة فإن ذلك لا ينفعه إذا لم يكن له مثل أعمالهم.

مؤرخ إسلامى كيف يبحث

إن مؤرخ الإسلام يرجع فى بحثه إلى ثلاثة أمور يتبع بعضها بعضا — وهى:

١ ـ الدين الإسلامى كيف تأسست قواعده ، وتقررت مبادئه والمصائب التى وقعت فى طريقه حتى غلبها الثبات والصبر .

٢ ـ تأثيره فى النفوس العربية حتى استعدت لبسط سلطانها على ما جاورها من الأقاليم ، وما كان منها فى سبيل ذلك من الحروب والأعمـــال حتى عظم قدرها واتسع سلطانها منقادا إلى سلطان الدين .

٣ ـ ما كانت من انتقال هـذا السلطان عن الأمم العربية إلى غيرها من الأمم التى دانت بالإسلام ، وما كان للدين من التأثير فى قيام دولة أخرى ، وفى حضارة الأمم التابعة لسلطانه .

تطور التأريخ الإسلامى

إن كتابة التأريخ الإسلامى بدأت من تدوين السيرة النبوية وروايتها .

إن المنطق يقتضى أن ندرس حياة سيدنا محمـــد ﷺ من شتى جوانبها : نشأته وأخلاقه ، وحياته الشخصية والبيتية ، وصبره وكفاحه ، وسلمه وحربه ، وتعامله مع أصدقائه وأعدائه ، وموقفه من الدنيا وأهوائها وزخارفها ، دراسة موضوعيـــة تتوخى الصدق والأمانة والدقة بناء على المنهج العلمى الذى يقضى باتباع القواعد : قواعد الرواية والإسناد وشروط الصحة .

الغرض من دراسة السيرة النبوية

ليس الغرض من دراسة السيرة النبوية مجرد الوقوف على الوقائع التاريخية ، ولا سرد ما طرف أو جمل من القصص والأحداث .

ولذا فلا ينبغى أن نعتبر دراسة السيرة النبويـــة من جملة الدراسات التاريخية ، شأنها كشأن الاطلاع على سيرة خليفة من الخلفاء أو عهد من العهود التاريخية الغابرة .

وإنما الغرض منها أن يتصور المسلم الحقيقة الإسلامية فى مجموعها متجسدة فى حياته ﷺ بعد أن فهمها مبادئ وقواعـــد وأحكاما مجردة فى الذهن . يعنى أن دراسة السيرة النبويـة ليست سوى عمل تطبيق يراد منه تجسيد الحقيقـة الإسلامية كاملة فى مثلها الأعلى محمد ﷺ .

إن المسلم الذى لا يعيش الرسول فى ضميره ولا تتبعه بصيرته فى عملـــه وتفكير لا يغنى أبدا عن أن يحرك لسانه بألف صلاة عليه فى اليوم والليلة .

ولا ينبغى لمسلم أن يحاول — ولو لحظة واحدة — فهم حياة الرسول — ﷺ — على أنه عبقرى عظيم ، أو قائد خطير ، أو داهية محنك . بل من حيث أنه نبى مرسل من قبل الله ، يتمم بالكمال الخلق والعقلى والنفسى .

السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى بين القديم والحديث

إن المؤرخين المحدثين وكتاب السيرة النبوية يميلون إلى التعليل و الموازنة وربط الحوادث المختلفة فى سياق متماسك . وذلك أحسن ما فى طريقتهم .

والمؤرخون القدامى يعتمدون على حشد الآثار وجمع الأخبار ، وتمحيص الأسانيد ، وتسجيل مادق وجل من الوقائع والشئون .

و فى هذه المحفوظات الكثيرة نفائس ذات خطر لو أحسن الاستشهاد بها وإيرادها فى مواضعها .

والطريقة الثالثة هى المزج بين الطريقتين على نحو جديد . وهو يجمع بين ما فى كلتيهما من خـــير . ويجعل من تفاصيل السيرة موضوعا متماسكا يشد أجزاءه روح واحـــدة . و ثم يجب أن توزع النصوص والمرويات الأخرى بحيث تتسق مع وحدة الموضوع ، وتعين على إتقان صورته وإكمال حقيقته .

أى الثلاثة أرجح

الطريقة الثالثة هى الأرجح ، لأن القصد من وراء ذلك كله أن تكون السيرة النبويـــة و التاريخ الاسلامى شيئا ينمى الايمان ، ويزكى الخلق ، ويلهب الكفـــاح ، ويغرى باعتناء الحق والرقاء اه . ويضم ثروة طائلـــة من الأمثلة الرائعة لهذا كله .

ويجدر لكاتب فى السيرة النبوية خاصة أن يكتب كجندى عن قائده ، أو تابع عن سيده ، أو تلميـــذ عن أستاذه . ولا يكن مؤرخا محايدا مبتوت الصلة بمن يكتب عنه .

المؤرخون الاسلاميون قديما وحديثا

إن فن التاريخ من الفنون التى تتداولـه الامم و الأجيال ، وتشد إليـــه الركائب والرحـال ، وتسمو إلى معرفتـه الملوك والأقيـــال ، وتتساوى فى فهمه العلماء والجهال .

فالذين اشتغلوا بالتاريخ من المسلمين قديما وحديثا ينقسمون إلى أقسام :

١ ـــ الذين ذهبوا بفضل الشهرة والامامـة المعتبرة ، وهم قليلون ، مثل : ابن اسحاق ، والطبرى ، وابن الكلبى ، والواقدى ، وأبى مخنف ، والأزدى ، وسيف ابن عمر .

٢ ـــ المؤرخون المصدرون للدولتين فى صدر الاسلام فى عامـــة المناهج والمسالك .

٣ ـــ العادلون عن الاطلاق إلى التقييد ، و المقيـــدون شوارد عصرهم ، المستوعبون أخبار أفقهم وقطرهم ودولتهم ومصرهم .

٤ ـــ المؤرخون الاسلاميون المحـافظون على النقل صدقا أو وهما . غير متعرضين البداية والأسباب وغيرها .

٥ — المفرطون فى الاختصار ، المكتفون بأسماء الملوك ، المقطوعين عن الأنساب والأخبار ، كما فعل ابن رشيق القيروانى فى ميزان العمل .

مدرسة منحرفة فى القرنين ١٩ — ٢٠ لكتاب السيرة

فى القرن التاسع عشر ظهرت مدرسة جديدة لكتاب السيرة النبوية ، تنحرف عما كان عليه السلف مع أنهم يسمون مذهبهم بالمذهب الموضوعى ، إلا أنهم يجدر بهم أن يسموا بالمذهب الذاتى أو الفرويدى ، فإنهم يؤولون كل ما ورد من الأمور الثابتة من القرآن والسنة إذا لم يبلغ مدى عقولهم .

ولقد علم عامة الباحثين والمفكرين أن من أهم أسباب نشأة تلك المدرسة فى حينها ذلك الانبهار الذى أصيب به كثير من العقول العربية والمسلمة من أبناء النهضة العلمية فى أوربا . فقد راحت تلك العلوم تتوهم أنه ليس بين المسلمين وبين أن ينهضوا مثل تلك النهضة إلا أن يفهموا الإسلام هنا كما فهمت أوربا « النصرانية » هناك . وأن يعدوا حقائق الإسلام الغيبية (المعجزات والخوارق) من وراء اكتشافات أو اختراع . فإذا فعلوا ذلك نهضوا نهضة أوربا فى علومها ، ولحقوها فى رقيها وفنونها .

ومن هنا أنشأ أقطاب تلك المدرسة ما زعموه « الإصلاح الدينى » .

وكان من مظاهر هذا الإصلاح الدينى ظهور أول تجربة تحاول تحليل حياة الرسول ﷺ تحليلا يسير فى خضوع منكسر وراء العقلية الأوربية . وتحت لواء ما زعموه « العلم الحديث » .

وقد استغل الاحتلال البريطانى فى مصر والهند والعالم العربى إذ ذاك هذا الفهم الجديد للإسلام عند طائفة من أقطاب الفكر وحملة الأقلام ، استغله فى إضعاف الوازع الدينى فى أفئدة المسلمين . فراحت التربية الاستعمارية تباهى

بين المسلمين وبين منهجهم الإسلامي ، وتقيم بينه وبينهم منهجا آخر.

ولكن شاء الله بأن زيف هذا المنهج قد تبين فيما بعد لكل باحث منصف.

الفحص والتدقيق في التاريخ الاسلامي والسيرة النبوية

إن فن التاريخ الإسلامي و السيرة النبويــة عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولتهم وسياستهم.

ولذا، فإن مجرد النقل دون التمحيص لا يجدى، فإن الكذب قد يتطرق في الخبر لأسباب:

ومنها: عاطفتى الحب والكراهة.

ومنها: التشيع للآراء والمذاهب.

ومنها: الثقة التام بالناقلين في أخبارهم دون تمحيص وتدقيق.

ومنها: الذهول عن المقصد من الناقل أو الراوى، اعتمادا بما عاين أو سمع ونقل الخبر حسب ظنه وتخمينه

ومنها: توهم الصدق في الخبر.

ومنها: الجهل بتطبيق الأحـــوال على الوقائع لأجل من يداخلها من التصحيف والتلبيس والتصنع مع أن الحق وراءه.

ومنها: تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر.

ومنها: الجهل بطبائع الأحوال في العمران، فإن كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا، لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من الأحوال.

وأما الإخبار عن الوقائع فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة.

ولذا وجب أن ينظر فى إمكان وقوعه. وصار ذلك فيها أهم من التعديل.

والقانون فى تمييز الحق من الباطل فى الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر فى الاجتماع البشرى الذى هو العمران، ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه، وما يكون عارضا ولا يعتد به، وما لا يمكن أن يعرض له.

فإذا سمعنا عن شىء من الأحوال الواقعة فى العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه. وكان ذلك لنا معيارا صحيحا يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه.

ولهذه وتلك فإن صاحب فن التاريخ الإسلامى أو التاريخ العام يحتاج إلى العلم بقواعد السياسة، وطبائع الموجودات، واختلاف الأمم والبقاع والأعصار فى السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق، أو بون ما بينهما من الخلاف، وتعليل المتفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدول والملل، ومبادئ ظهورها وأسباب حدوثها ودواعى كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم. حتى يكون مستوعبا لأسباب كل خبره، وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول. فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا، وإلا زيفه واستغنى عنه.

البحث فى المصادر التاريخية الإسلامية المتداولة

إن جل اعتماد المؤرخين المحدثين الذين كتبوا فى التاريخ الإسلامى العام على المصادر التاريخية المطبوعة الموجودة بين أيدينا، ولم يكلفوا أنفسهم الرجوع إلى المخطوطات المهمة، لسبر غورها وكشف أسرارها، وإظهار الجديد فيها.

وحتى ذلك المطبوع، فإن بعضه لم يلق حظه من البحث لظهوره مؤخرا.

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن قسما من هؤلاء المحدثين رددوا مارردده غيرهم لمن سبقهم دون التأكد من الخبر بالرجوع إلى المصدر الأصلى للرواية ، فوقعوا بذلك فى نفس الخطأ الذى وقع فيه سابقوهم .

وليكن طريقة البحث فى المصادر إثبات الحقائق والمعلومات الجديدة التى انفرد بذكرها مخطوط أو مطبوع بعد التأكد من قيمتها وصحتها . ومن ثم استعراض الروايات الواردة فى المصادر المختلفة ، ومناقشة التضارب الحاصل فيها إن وجد فرجحا بعضها ، ومضعفا أو مستبعدا أخرى ، وكشف التناقضات فى آراء بعض المؤرخين ممن له أكثر من مؤلف .

مصادر حديثة أخرى

انضمت إلى المصادر المتداولة فى العصر الحاضر مصادر أخرى بسبب ما لقيت الحضارة الإسلامية و ثقافتها من الرقى و الازدهار . فانضمت إلى المصادر المتداولة المطبوعة والمخطوطة :

١ ـ الوثائق الرسمية والأوراق البردية والوقفيات وما يتعلق بها من الصكوك السلطانية .

٢ ـ الكتابات الأثرية أو النقوش التى عثرت عليها هنا وهناك .

٣ ـ العملات أو النميات أو المسكوكات التى ضربت عصر دولة وأخرى .

٤ ـ الآثار المعمارية والتحف والحصون والقلاع التى انتشرت فى بقاع العالم الإسلامى من الأندلس غربا إلى حدود بحر الصين شرقا .

وهذه المصادر الجديدة صارت عونا لمعرفة حقيقة التاريخ الإسلامى وتصحيح بعض الأخطاء الشائعة فى مصادرها المكتوبة والمتداولة ؟

قرارات المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة أثلجت صدور المسلمين فى العالم

تعيش الأمة الاسلامية فى العصر الراهن ظروفا قاسية، وتواجه تحديات سافرة من أعداء الحق الذين يتآمرون ضد البشرية، ويسعون لتجريدها من المثل العليا والقيم الدينية والخلقية. انهم يستخدمون جميع الوسائل والأساليب لتحقيق أغراضهم الخبيثة، ويتسترون بستار التنمية والتقدم والتحرر والديمقراطية.

وحيث ان الله تعالى كتب لهذه الأمة أن تبقى وتقوم بدورها نحو البشرية، فانه جل شأنه قد وفق بعض الحكومات والمنظمات والأفراد للرد على أباطيل الأعداء ودسائسهم ومؤامراتهم، ولتوجيه الأمة وارشادها الى ما فيه الخير والسعادة. ومن هذه المنظمات رابطة العالم الاسلامى التى تلعب دورا قياديا فى تبصير الأمة بما يحيط بها من الأخطار والأضرار وفى اعدادها لتحمل مسئولياتها نحو البشرية.

ان انجازات الرابطة كثيرة، وعطاءها مستمر. ومن مواقفها التى يعتز بها المسلمون أنها تتابع القضايا الخاصة بالمسلمين فى كل مكان، وتدرسها بخلفياتها ومضمراتها وآثارها، وتحكم عليها بهدى وبصيرة، وتصدر عنها بيانا شافيا يدل على موقف الشريعة الاسلامية منها، ويرشد الناس وخاصة المسلمين الى ما فيه الخير والسعادة.

وخير مثال لما قلنا هو موقف الرابطة الذى اتخذته من مؤتمر السكان والتنمية الذى انعقد فى القاهرة فى شهر سبتمبر من هذا العام بتنظيم واشراف

الأمم المتحدة . ووثيقة هذا المؤتمر الدولي هي في الحقيقة كما قال عنها الأمين العام للرابطة : جزء من مسلسل المخطط الرهيب الذي وضعه ما يسمى بحكماء صهيون للقضاء على المسلمين .

ومنذ أن أعلن انعقاد المؤتمر في مصر ، ثم نشر مشروع برنامج عمله الذي أعدته الأمم المتحدة ، وخاصة ما تضمنه من اباحة الاجهاض اباحة مطلقة لكل الاعمار ، واعتبارا لحرية الجنسية حقا من حقوق المراهقين والاطفال ، ومنح المراهقين الحق في حياة خاصة لا تنتهك من أحد حتى من الوالدين واعانة المراهقين والأطفال على (احترام الحقوق السابقة) من قبل الحكومات والمؤسسات الأخرى ، انتاب المسلمين قلق ابالغ واستياء شديد ، فكانوا يتطلعون الى من يبلغ عنهم المؤتمر الدولي أن مشروع عمله تضمن ما يعارض الاسلام ، وكذا غيره من الديانات السماوية ، ومن هنا فان المسلمين يندّدون بشدة بمحاولة التدخل في مبادئ الاسلام ، وفرض الاباحية و الانحلال على شعوب العالم ، واهدار الكرامة الخلقية للانسان .

ونحمد الله تعالى على أن الرابطة درست مشروع برنامج عمل المؤتمر وأصدرت بيانات عديدة نبهت فيها على ما تضمنه هذا البرنامج من معارضة الاسلام ، وأبدت معارضتها له ، وعقدت جلسة استثنائية لمجلسها التأسيسي الذي أصدر قرارات حكمية حاسمة نحو المؤتمر الدولي وبرنامجه المشار اليه .

وقد تضمنت هذه القرارات تنبيهاً للهيئة الدولية على ضرورة مراعاتها لنطاق عملها وعدم التدخل في القضايا الدينية وعدم الفرض على الشعوب ما يخالف شرع الله المطهر . وتتجلى أهمية هذا التنبيه اذا نظرنا الى فشل الأمم المتحدة في كثير من القضايا التي كانت من اختصاصها ولكنها لم تنجح — أو لم تحاول النجاح — في أداء مسئولياتها نحوها ، فكيف يجوز أن تتدخل في الأمور التي ألا تعنيها ؟

وهكذا طالبت القرارات الدول الاسلامية وكافة المنظمات والهيئات الاسلامية برفض ما ورد فى برنامج المؤتمر الدولى من كل ما يخالف شرع الله المطهر الخالد، وبيان موقف الاسلام من الاجهاض، وحرصه على توجيه الفرد والمجتمع الى المثل العليا، وعلى ضرورة تربية النشء من قبل الوالدين وعلى حماية المجتمع وتحصينه من الفواحش والمنكرات والاباحية والانحلال.

ومن أهم ما ورد فى هذه القرارات دعوة الدول الاسلامية التعاون بينها لوضع مشاريع بديلة لمعالجة مشاكل السكان والتنمية فى اطار من الشريعة الغراء والأخلاق الحميدة.

والحق أن هذه النقطة مهمة جدا وردت ضمن قرارات المجلس التأسيسى للرابطة، وذلك لأن أعداء الاسلام درجوا على تضليل الشعوب والأمم بمصطلحات براقة ومخططات خلابة ودعايات كاذبة، ومن دأبهم أنهم يحاولون خلق الشعور بالنقص فى نفوس المسلمين، ثم يستدرجونهم الى مخالفة الشريعة الاسلامية وتعدى حدود الله تعالى.

ومن أساليبهم الماكرة الخبيثة أنهم يدعون الى الالحاد والاباحية والخروج على القيم الخلقية باسم الانسانية و الحرية و الديمقراطية والرقى والتطور، مع أن الانسانية فى عصر من العصور لم تر من الذل والهوان ما رأته فى ظل الحضارة الغربية المعاصرة التى تنكرت للدين والأخلاق تنكرا شنيعا. ولاحباط مثل هذه المؤامرات يتحتم تعاون الدول الاسلامية واخلاصها فى الاعتصام بحبل الله وفى تطبيق الشريعة الغراء كما دعت اليه قرارات المجلس التأسيسى للرابطة، والله الموفق ■ ■ ■

عدد صفحات الجزء ٥٦